

رَبِّيَا الْإِسْلَامِيَّة

السَّيِّدِ عَادِلِ الْعَالَمِي

أَخْلَاقُ

الرَّبِّزِ (طحاوي) عَمْر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

على أبواب
من وهي التدرية
حب الله
الذكر الإلهي
السؤال والذكر
شهر رمضان
النبوغ والنجاح
كيف أكون
معالم الصديق





مجلس شورای اسلامی ایران
مؤسسه انتشارات و کتابخانه مجلس

التهران
تاسیس شده در ۱۳۲۰ - ۱۳۲۱
تعمیرات اساسی در ۱۳۷۰

تَبَيَّنَاتُ الْإِسْلَامِيَّةِ

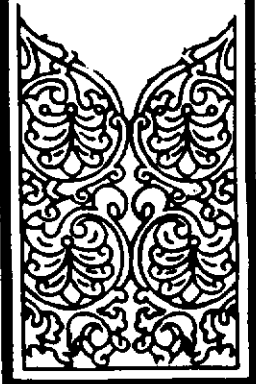
السَّيِّدُ عَلِيُّ الْعَلَوِيُّ

احدق ۳

الجزء الأول من سلسلة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



هوية الكتاب

الكتاب : رسالات إسلامية (موسوعة)
المؤلف : السيد عادل العلوي
المجلد : الحادي عشر
الموضوع : أخلاق و عرفان (٢)
الصفحات : ٦٠٩ صفحة
المطبعة : النهضة - قم
الطبعة : الأولى
سنة الطبع : ١٣٧٩ هـ ش = ١٤٢١ هـ ق = ٢٠٠٠ م
نشر : المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
الشابك : شابك X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)
يحتوي المجلد الحادي عشر على الرسائل والكتب التالية :

١ - علي أبواب شهر رمضان المبارك (رسالة)

٢ - من وحي التربية والتعليم (رسالة)

٣ - حبّ الله نماذج وصور (رسالة)

٤ - الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي (كتاب)

٥ - السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة (رسالة)

٦ - شهر رمضان ربيع القرآن (رسالة)

٧ - النبوغ وسرّ النجاح في الحياة (رسالة)

٨ - كيف أكون موفقاً في الحياة ؟ (رسالة)

٩ - معالم الصديق والصدّيقة في رحاب الروايات (كتاب)

عَلَيْهِمْ

شَهْرَ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ

السَّيِّدِ عَائِلَةِ الْعَالَمِي

عَلَى الْمُبَارَكِ



علوي، عادل، ١٩٥٥ -

على أبواب شهر رمضان المبارك / تأليف السيد عادل العلوي. - قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤٢٠ ق. = ١٣٧٩.

٣٨ ص. - (موسوعة رسالات إسلامية)

ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دوره) - ISBN 964 - 5915 - 23 - 6

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیها.

عربی.

کتابنامه به صورت زیرنویس.

١. رمضان. ٢. روزه. الف. عنوان. ب. عنوان: رسالة على أبواب شهر رمضان المبارك.

٢٩٧ / ٣٥٤

ع ٧٧ / ع ١٨٨ BP

٤٩٩٠ - ٧٩ م

کتابخانه ملی ایران

موسوعة

رسالات إسلامية



رسالة

على أبواب شهر رمضان المبارك
تأليف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الثانية - ١٤٢٠ هجري قري

صفّ الحروف - حكمت، قم

المطبعة - النهضة، قم

ISBN 964 - 5915 - 23 - 6

EAN 9789645915238

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك ٦ - ٢٣ - ٥٩١٥ - ٩٦٤

ای.ای.ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٢٣٨

شابك X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة^(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وآله الطاهرين.

أما بعد :

فإنَّ الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد قد قسم الأشهر إلى اثني عشر شهراً، وذلك من بدء الخلق في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٢).

ثم جعل من الأشهر الاثني عشر أربعة منها أشهر الحرم، حيث يُحرم فيها القتال، وهو شهر رجب وذي القعدة وذي الحجة ومحرم الحرام، كما سُمي بعضها بأشهر الحج، ولم يذكر اسم كل شهر بالخصوص إلا شهر رمضان المبارك، وهذا إن

(١) القيت محتوى هذه الكلمة في حسينية أهل البيت عليهم السلام لأهل العمارة في قم المقدسة في الليلة الأولى من شهر رمضان عام ١٤١٠ هجرية، وطُبعت في مجلة (نور الإسلام - بيروت) العدد ٤٥ سنة ١٤١٤، وفي مجلة (الكوثر - قم) العدد الخامس سنة ١٤١٧.

(٢) التوبة : ٣٦.

٤ على أبواب شهر رمضان المبارك

دلّ على شيء فإنه يدلّ على عظمة هذا الشهر المبارك.

ومن ثمّ في تعريف شهر رمضان، لم يكن كتعريف أشهر الحج كما في قوله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ... ﴾^(١) حيث عرف الأشهر بحكم إسلامي، وبفروع من فروع الدين وهو الحج، بمعنى أنّ هذه الأشهر لها علاقة وطيدة بمناسك الحج، وأن الاستطاعة التي هي شرط لوجوب الحج تتمّ في هذه الأشهر، فلم يعرف شهر رمضان بالصيام، مع أنه شهر الصيام، ويمتاز عن باقي الشهور بهذا الحكم وبهذا الفرع الديني، بل عرّف شهر رمضان بالقرآن الكريم ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾^(٢). والقرآن الكريم الذي هو كتاب حياة وهداية للبشرية جمعاء إلى شاطئ السعادة في الدنيا والآخرة، فيه أحكام شرعية، ومنها الصوم. فشهر القرآن الكريم يدلّ على شهر الصيام أيضاً فهو من التعريف التام، ولو قيل شهر الصيام لكان من الرّسم الناقص^(٣)، إذ لا يدلّ على نزول القرآن فيه، وبين الحدّ التام والرسم الناقص بون واسع كما في علم المنطق.

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) الحدّ التام: ما فيه تمام ماهية الشيء من ذكر الجنس القريب والفصل القريب كما يقال: الإنسان (حيوان ناطق)، فهذا من الحدّ والتعريف التام، والرسم التام: ما كان بالجنس والعرض الخاصة كما يقال: الإنسان حيوان ضاحك.

رمضان من أسماء الله

ثمّ رمضان من أسماء الله، كما ورد ذلك في بعض الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، فلا يقال رمضان إلا مع ذكر المضاف، أي شهر رمضان، وقد يذكر معانٍ أخرى لتسمية شهر رمضان، فقليل: إنه علم للشهر كرجب وشعبان.

ومنع من الصرف للعلمية والألف والتون، واختلف في اشتقاقه، فعن الخليل: إنه من المرض - بتسكين الميم - وهو مطر يأتي في وقت الحريف، يطهر وجه الأرض من الغبار، سمي الشهر بذلك لأنه يطهر الأبدان عن الأوضار والأوزار، وقيل: من المرض بمعنى شدة الحر من وقع الشمس؛ وقال الزمخشري في الكشاف: الرمضان مصدر رمض، إذا احترق من الرمضاء، سمي بذلك إما لارتماضهم فيه من حرّ الجوع كما سمّوه نابقاً، لأنه كان ينبقهم أي يزعجهم بشدّته عليهم، أو لأنّ الذنوب ترمض فيه أي تحترق، وقيل: إنّما سمي بذلك، لأنّ أهل الجاهلية كانوا يرمضون أسلحتهم فيه، ليقضوا منها أوطارهم في شوال قبل دخول الأشهر الحرم، وقيل: إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سمّوها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمضي الحر فسمّيت بذلك. وهناك وجوه أخرى.

جاء في الكافي: عن أبي عبد الله الإمام الصادق، عن أبيه الإمام الباقر عليهما السلام،

٦ على أبواب شهر رمضان المبارك

قال : قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) : لا تقولوا رمضان ولكن قولوا شهر رمضان فإنكم لا تدرون ما رمضان^(١).

وعن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال : كنّا عنده ثمانية رجال فذكرنا رمضان فقال : لا تقولوا رمضان، ولا ذهب رمضان، ولا جاء رمضان، فإنّ رمضان اسم من أسماء الله عزّ وجلّ، لا يجيء ولا يذهب وإنما يجيء ويذهب الزائل، ولكن قولوا شهر رمضان، فإنّ الشهر مضاف إلى الاسم والاسم اسم الله عزّ ذكره، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، جعله مثلاً وعيداً.

وإلى هذا المعنى يشير الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في خطبته في الجمعة الأخيرة من شعبان : قد أقبل عليكم شهر الله.

وفي كتاب الإقبال من كتاب الجعفریات بسند سيّد ابن طاووس عن أمير المؤمنين عليه السلام : لا تقولوا رمضان، فإنكم لا تدرون ما رمضان، فن قاله فليصدّق، ويضم كفارة لقوله، ولكن قولوا كما قال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾.

قال العلامة الطباطبائي في تفسيره القيم^(٢) :

« والأخبار الواردة في عدّ أسماء الله تعالى خالٍ عن ذكر رمضان، على أنّ لفظ رمضان من غير تصديره بلفظ شهر، وكذا رمضانان بصيغة التثنية كثير الورد في الروايات المنقولة عن النبيّ وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام بحيث يستبعد جداً نسبة التجريد إلى الراوي » انتهى كلامه رفع الله مقامه.

والظاهر عدم الاستبعاد، ولتكن هذه الأخبار التي ذكرناها مما تدلّ على أنّ رمضان من أسماء الله أيضاً. والله العالم بحقائق الأمور.

(١) الكافي ٤ : ٦٩، باب في النهي عن قول رمضان بلا شهر.

(٢) تفسير الميزان ٢ : ٢٤.

لماذا شهر رمضان شهر الله ؟

فشهر رمضان يعني شهر الله، وإنما سمي شهر الله وإن كان كل شيء لله، لما فيه من خصائص لله، واختصت بالإضافة التشريعية، كبيت الله بالنسبة إلى المكان، وشهر الله بالنسبة إلى الزمان.

ومن أتمّ الخصائص وأبرزها، ما نجد من جهة اشتراك بين الكعبة المشرفة وبين شهر رمضان، فالقدر المشترك بينهما هو نزول الوحي والقرآن الكريم، فشهر رمضان زمان نزول الوحي، والكعبة المشرفة مكان النزول، ثمّ زادت الكعبة شرفاً، فتشرفت مكة وأطرافها، وصارت حرم الله، وكلّ من أراد الدخول إلى هذا الحرم المبارك، في أي زمان، حتّى ولو كان للقاء صديق داخل الحرم، فلا بدّ له من أن يلبس ثوبي الإحرام، ويحرم على نفسه محرمات الحج من الملاذ والشهوات كالنساء والعطر، ويأتي بالمناسك، ثمّ بعد خروجه من الإحرام حينئذٍ يقصد صديقه، فعظمة الوحي أثر في شرافة محدودة الحرم. وكذلك شهر رمضان فقد نزل القرآن بتامه في ليلة القدر ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ولكن سرت الشرافة والقداسة والعظمة إلى كلّ أيام وليالي الشهر، بل تشرف ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن، فأقسم سبحانه بذلك العصر، في سورة العصر، كما أقسم بالمكان الذي نزل

٨ على أبواب شهر رمضان المبارك

فيه الوحي، في قوله ﴿ لَا أَسْمِعُ بِهِذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهِذَا الْبَلَدِ ... ﴾ فالحرم تشرف بالنبي الأكرم ﷺ، والعصر تشرف بالوحي. وعصر الولاية والإمامة كعصر النبوة، فقسماً بعصر صاحب الزمان خاتم الأوصياء وقسماً بعصر النبي المصطفى خاتم الأنبياء ﷺ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خَسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فشعاع الوحي من الله سبحانه، قد نور منطقةً وسيعَةً في المكان والزمان.

ثم شرف شهر رمضان، إنما هو لاستقباله القرآن الكريم كما في الأخبار الشريفة، والفضائل الواردة كشهر رمضان، كما في خطبة النبي ﷺ، وإنما هي باعتبار الموصوف، فالرحمة والبركة والغفران للقرآن الكريم بالأصالة وأولاً وبالذات، وللمتمزّن أي شهر رمضان ثانياً وبالعرض.

وفي الخبر: شهر رمضان غرّة الشهور، والغرّة بمعنى البياض في الجبين، أو الأوّل، فرمضان بياض ناصع في جبين الشهور، وهو رأس الشهور، وقلب شهر رمضان هو ليلة القدر، كما ورد في الخبر الشريف.

ونحن الإماميّة نعتقد أنّ نزول القرآن في بدايته وحتى يوم رحلة النبي ﷺ كان على نحو التدرّجي، فبدايته في شهر رجب، يوم المبعث، وقد نزل القرآن بنحو الدفعي الكلي أيضاً مرّة أخرى في ليلة القدر، يفرّق فيها كلّ أمرٍ حكيم، ومقدمات هذا النزول الدفعي المبارك، كان من أوّل شهر رمضان، فاستقبل القرآن الكريم الذي فيه هدىً للمتّقين.

فأقبل علينا شهر الله شهر رمضان المبارك بالقرآن الكريم، ولكلّ شيء ربيع، وربيع القرآن رمضان^(١)، فتفتّح أزهار المعارف القرآنية، في مثل هذا الربيع كما تتفتّح

(١) ذكر تفصيل ذلك في (شهر رمضان ربيع القرآن)، فراجع.

لماذا شهر رمضان شهر الله ؟ ٩

الزهور والورود في ربيع الطبيعة .

شهر رمضان شهر تجلية الأرواح والنفوس، فإن علماء الأخلاق ذكروا في تهذيب النفوس مراحل ثلاثة :

١- التخلّي من الصفات الذميمة .

٢- والتحلّية بالصفات الحميدة .

٣- وتجلية تلك الصفات وتبلورها، وإلى الله المنتهى قاب قوسين أو أدنى وإِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْهُ، وسقاهم ربهم شراباً طهوراً .

ويبدو لي : شهر رجب - كما في الأخبار - شهر الاستغفار من الذنوب والمعاصي، وهو شهر أمير المؤمنين علي عليه السلام .

ففي شهر رجب أصحاب السير والسلوك، أصحاب اليمين، يطهرون أنفسهم من الذنوب والغفلات وذلك بالاستغفار والتوبة والإنابة، ويناديه الملائكة : أين الرجبيون ؟

وفي شهر شعبان، شهر رسول الله ﷺ يتحلّون بسنن رسولهم وآدابه كما ورد في أعمال شهر شعبان (وهذا شهر نبيك سيّد رسلك شعبان الذي حففته منك بالرحمة والرضوان الذي كان رسول الله ﷺ يدأب في صيامه وقيامه في لياليه وأيامه بخوعاً لك في إكرامه وإعظامه إلى محلّ حماه اللهم فأعنا على الاستئناس بسنته فيه ونيل الشفاعة لديه اللهم واجعله لي شفيعاً مشفقاً وطريقاً إليك مهيباً واجعلني له متبّعاً حتى ألقاك يوم القيامة عني راضياً وعن ذنوبي غاضياً قد أوجبت لي منك الرحمة والرضوان وأنزلتني دار القرار ومحلّ الأخيار) .

شهر شعبان شهر مناجاة الأئمة عليهم السلام تلك المناجاة المعروفة التي جاء فيها : (إلهي هب لي كمال الانتفاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تحرق

١٠ على أبواب شهر رمضان المبارك

أبصار القلوب حُجِبَ النور فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقةً بعزٍّ قدسك، إلهي واجعلني ممن ناديتَه فأجابك، ولاحظته فصعق لجلالك، فناجيتَه سرّاً وعمل لك جهراً).

فشعبان شهر التحلّي بالصفات الحميدة، وشهر رمضان شهر التجلّي لتلك الصفات، شهر الضيافة والورود على الله سبحانه، تلك الضيافة العامّة لجميع المكلفين، ومن راع آدابها يوفق لحضور الضيافة الخاصّة في شهر ذي الحجّة في مكّة المكرمة مهبط الوحي، وفي طواف حول الكعبة المشرفة، وفي أرض عرفة، ومناسك مقربة إلى الله تعالى.

وضيافة الله إنّما هي ضيافة الأسماء الحسنی والصفات العليا، وإنّ المؤمن يكون على موائد القرآن الكريم فيها من نير العلوم وطعام المعارف ما تشتهي الأنفس الروحانيّة.

فأتى إلى علم الله سبحانه، وندخل مدينة العلم من بابها، فمن علي وأهل بيته عليهم السلام إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله ومنه إلى الله سبحانه، فاجعله لي شفيعاً مشفقاً، وهذا هو الصراط المستقيم، وهي الولاية العظمى المتمثلة بالله سبحانه وبرسوله صلى الله عليه وآله وبأوليائه الأئمة الأطهار عليهم السلام، وهذا هو الصراط الذي نسأل الله في كلّ صلاة أن يهدينا إليه، صراط الذين أنعمت عليهم من الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وقد ورد في الخبر الشريف من لم يغفر في شهر رمضان، لم يغفر له إلى قابل، أو يشهد عرفة لتشمله الرحمة الخاصة والضيافة الخاصة وقبل أن أقرأ على مسامعكم خطبة النبي صلى الله عليه وآله، أذكر لكم هاتين الروایتين :

الأولى : في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام، قال : كان رسول الله - يعلم من كلمة

لماذا شهر رمضان شهر الله ؟ ١١

كان استمرار هذا الفعل في كل سنة ولكن الخطبة كانت في سنة واحدة - فكان رسول الله يقبلُ بوجهه إلى الناس فيقول : يا معشر الناس إذا طلع هلال شهر رمضان، غلّت مرده الشياطين - أي الشيطان الذي مرد عن أمر ربه وخرج وفسق تُغلّ يده بالسلاسل والأقفال العديدة، إذ غلّت من التغيل وهو يفيد الكثرة، فغلّت مرده الشياطين - وفتحت أبواب السماء، وأبواب الجنان، وأبواب الرحمة، وغلّت أبواب النار، واستجيب الدعاء وكان لله فيه عند كل فطر عتقاء، يعتقهم الله من النار، وينادي منادٍ كل ليلة : هل من سائل ؟ هل من مستغفر ؟ اللهم اعط كل منفق خلفاً، واعط كل ممسك تلقاً، حتى إذا طلع هلال شوال، نودي المؤمنون أن اغدوا إلى جوائزكم فهو يوم الجائزة. ثم قال أبو جعفر عليه السلام : أما والذي نفسي بيده ما هي بجائزة الدينانير ولا الدراهم^(١).

أجل كل هذا بركة القرآن الكريم، وإذا عصى الإنسان ربّه في شهر رمضان فإنه هو الذي يفتح يد الشيطان على نفسه، وهو الذي يدفع باب جهنم لفتحه، وإلا فالشياطين قد غلّت أيديهم وغلّت أبواب جهنم، فتأمل وتدبر ولا ينغرك بالله الغرور.

الثانية : عن ابن مروان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن لله عز وجل في كل ليلة من شهر رمضان عتقاء وطلاقاً من النار، إلا من أفرط على مسكر - والظاهر أن هذا من باب التمثيل، وإلا فكل المعاصي كذلك - فإذا كان في آخر ليلة منه أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه .

الخطبة الشعبانية

وأما الخطبة الشريفة، فاختلف فيها في مجامعنا الروائية، فقليل: في آخر جمعة من شعبان، وقيل: ثلاثة أيام بقيت من شعبان، وقيل: آخر شعبان، أي أواخر شعبان، فيمكن الجمع بين الأقوال، والشيخ البهائي (عليه الرحمة) ينقل الخطبة في كتابه الأربعين، في الحديث التاسع، قائلاً:

وروى الصدوق (في عيون أخبار الرضا ١: ٢٩٧) بسند معتبر عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليه وعلى أولاده السلام) قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا ذات يوم فقال: (أيها الناس إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهرٌ هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دُعيت فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعائكم فيه مستجاب، فسلوا الله ربكم بنيات صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفقكم لصيامه، وتلاوة كتابه، فإن الشقي من حُرِمَ غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا

أرحامكم، وأحفظوا ألسنتكم، وعضوا عمّا لا يحلّ النظر إليه أبصاركم، وعمّا لا يحلّ الاستماع إليه أسماعكم، وتحنّوا على أيتام الناس، يتحنّ على أيتامكم، وتوبوا إليه من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنّها أفضل الساعات، ينظر الله عزّ وجلّ فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبهم إذا ناجوه، ويلبّهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه، أيها الناس: إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم، ففكّوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم، فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنّ الله تعالى ذكره، أقسم بعزّته أن لا يعذب المصلّين والساجدين، وأن لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لربّ العالمين. أيها الناس: من فطر صائماً مؤمناً في هذا الشهر، كان له بذلك عند الله عتق رقبة، ومغفرة لما مضى من ذنوبه، قيل: يا رسول الله، وليس كلّنا يقدر على ذلك، فقال ﷺ: اتّقوا النار ولو بشقّ تمر، اتّقوا النار ولو بشرية من ماء، فإنّ الله يهب ذلك الأجر لمن عمل هذا اليسير، إذ لم يقدر على أكثر منه، يا أيها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خلقه، كان له جواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن خفّف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه، خفّف الله عليه حسابه، ومن كفّ فيه شرّه، كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً، أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه، وصله الله برحمته يوم يلقاه. ومن قطع فيه رحمه، قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوّع فيه بصلاة، كتب الله له براءة من النار، ومن أدّى فيه فرضاً، كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة على، ثقل الله ميزانه يوم تحفّ الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن، كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور. أيها الناس إنّ أبواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة، فسلوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلّقة، فسلوا ربّكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة،

فسلوا ربكم أن لا يسلطها عليكم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقلت فقلت: يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل، ثم بكى، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: يا علي أبكي لما يُستحلّ منك في هذا الشهر، كأني بك وأنت تصلي لربك، وقد انبعت أشقى الأولين والآخرين، شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربةً على قرنك، فخضب منها لحيتك، قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ فقال: في سلامة من دينك، ثم قال: يا علي من قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن سبك فقد سبني، لأنك مني كنفي وروحك من روحي، وطينتك من طينتي، إن الله تبارك وتعالى خلقني وإياك، واصطفاني وإياك، واختارني للنبوّة واختارك للإمامة، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتي، يا علي أنت وصي، وأبو ولدي، وزوج ابنتي، وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري، ونهيك نهبي، أقسم بالذي بعثني بالنبوّة، وجعلني خير البرية، إنك لحجة الله على خلقه وخليفته على عباده.

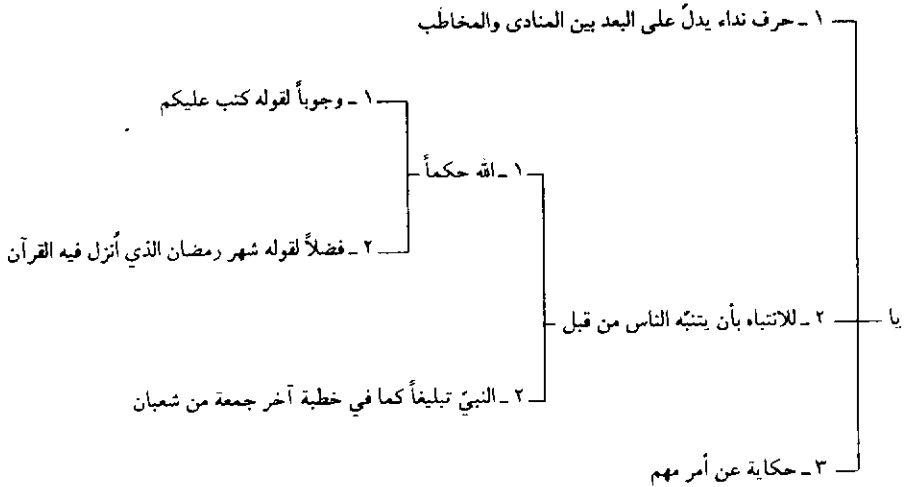
ثم سأل النبي أمير المؤمنين: كيف صبرك على القتل؟ فقال عليه السلام: القتل مع سلامة في ديني ليس مما يصبر عليه، إنما يشكر الله عليه، أي من نعم الله مثل هذه الشهادة المباركة فيشكر عليها.

هذا موجز ما أردنا بيانه في فضيلة شهر رمضان المبارك، نسأل الله أن يوفّقنا لدرك بركاته وصيامه وتلاوة كتابه والشهادة في سبيله مع وليّه الإمام المنتظر الحجة الثاني عشر صاحب الزمان عليه الصلاة والسلام وعجّل الله فرجه الشريف.

مخطط آية الصيام في القرآن الكريم

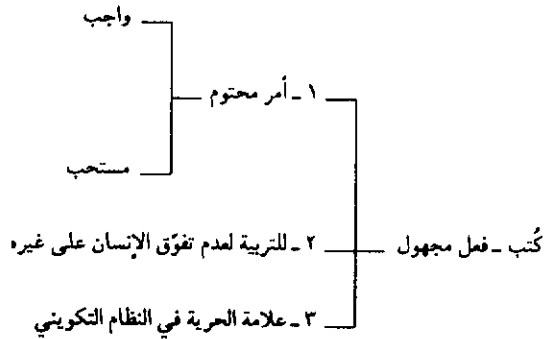
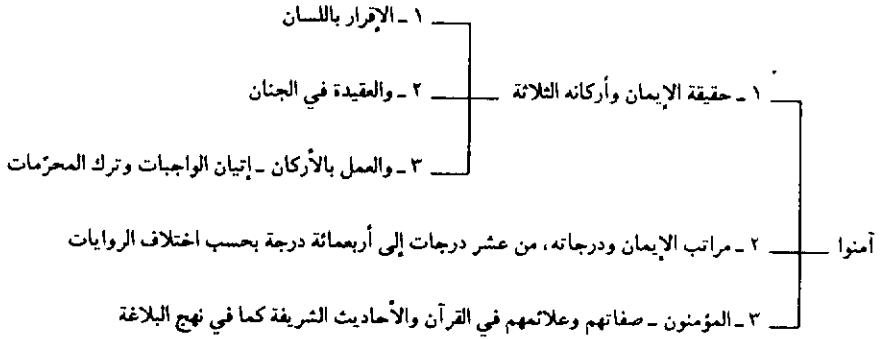
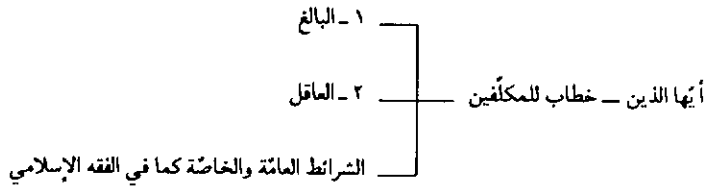
قال الله تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(١).

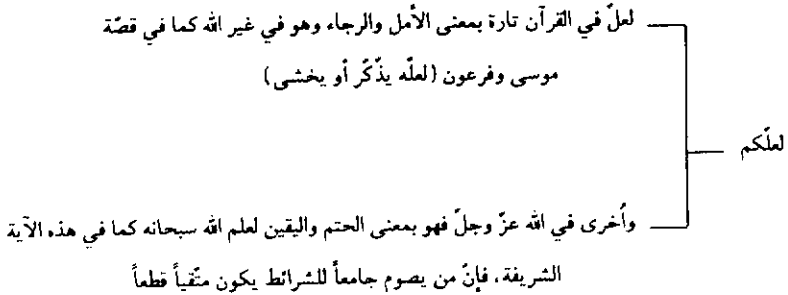
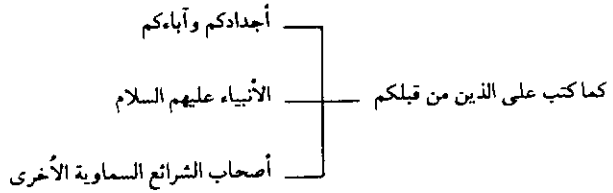
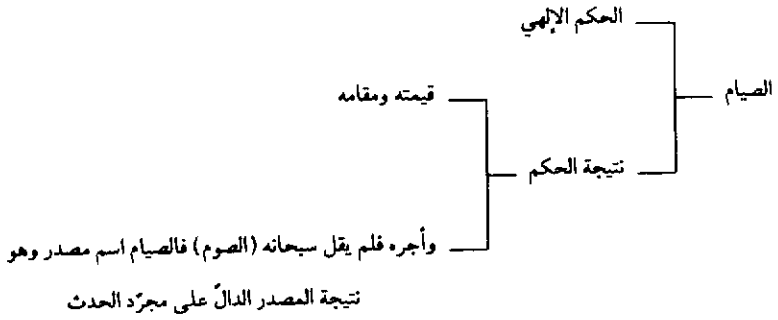
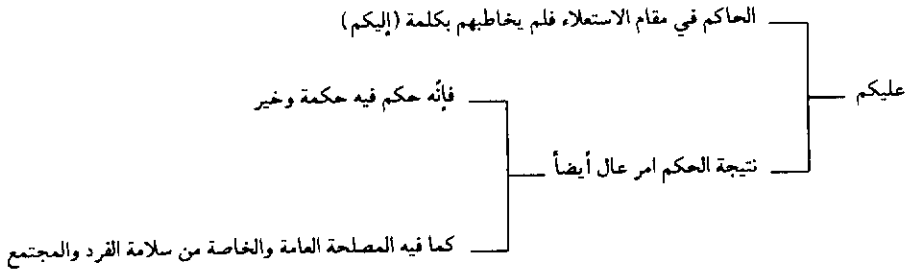
اعلم أنّ في هذه الآية الشريفة مباحث قيّمة، وعلوم سامية، ومعارف إلهية رفيعة، ووجوه علمية لطيفة تستحقّ أن يتكلّم عنها الباحث في محاضرات إسلامية خلال شهر رمضان المبارك، نشير إلى بعضها، وتعرّض لها إجمالاً، ليكون منطلقاً لمن أراد التحقيق والتدقيق، وتكون المحاور في البحث كلمات الآية الشريفة، وذلك بالتخطيط لسهولة المراجعة^(٢).



(١) البقرة: ١٨٣.

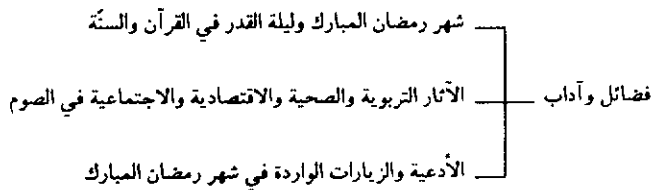
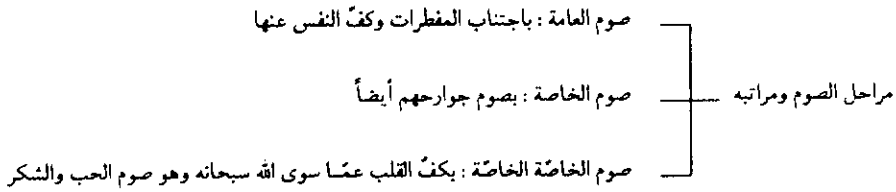
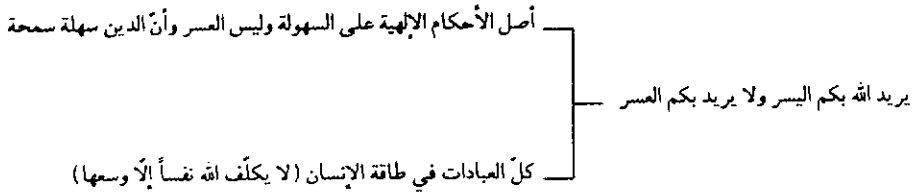
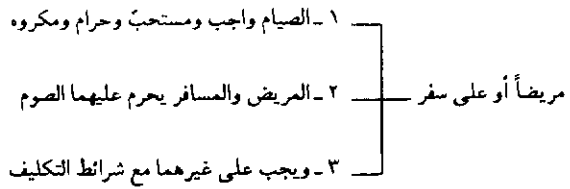
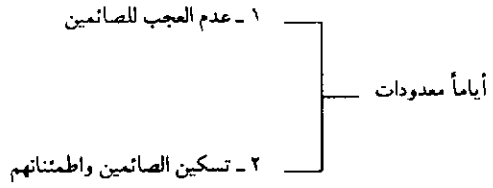
(٢) استلهمتُ هذا المخطّط من الشيخ محمّد علي قاضي زاده جزاءه الله خيراً.



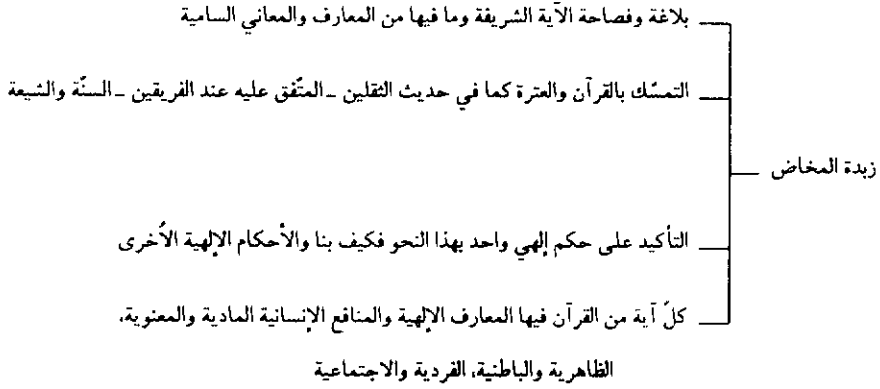


١ - المعنى اللغوي والاصطلاحي للتقوى	تَقْوَى
٢ - شرائط التقوى وموارده	
٣ - مراحل التقوى ومراتبه	
٤ - آثار التقوى على الفرد والمجتمع	
٥ - جزاء وأجر المتقين	
٦ - صفات المتقين كما في خطبة همام في نهج البلاغة	
٧ - درجات المتقين	
٨ - التقوى في القرآن الكريم ومشتقاته ١٩ مورد وتعدداه ٢٣٤ مرة	
٩ - التقوى في رحاب الأحاديث الشريفة	
١٠ - قصص المتقين	

١ - إفادة التأكيد للحكمم والحاكم	كم	كاف الخطاب وميم الجمع تكرر ثلاث مرّات في الآية الشريفة
١ - عليكم		
٢ - قبلكم		
٢ - القطع واليقين بنتائج الحكم	٣ - لعلكم	



٢٠ على أبواب شهر رمضان المبارك



قال رسول الله ﷺ : من أراد علم الأولين والآخريين فليثور بالقرآن.
فلا بدّ من إثارة القرآن لاستخراج العلوم والمعارف، وهذا غيض من فيض
آية الصيام. والحمد لله أولاً وآخراً.

ضيافة الله سبحانه لعباده المؤمنين

قال رسول الله ﷺ في الخطبة الشعبانية في فضائل شهر رمضان المبارك :
(وفي هذا الشهر دعيتم إلى ضيافة الله، نفسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة).
من باب مناسبة الحكم مع الموضوع تختلف الضيافة الإلهية عن باقي
الضيافات السماوية والإرضية، والضيافة من المعاني الإضافية، ففيها عنوان المضيف
والضيف ومتعلق الضيافة، فالضيافة في الأرض متعلقها الأكل والشرب، أما ضيافة
الله سبحانه، فالمضيف هو الله جلّ جلاله، والضيف هو العبد الصالح المؤمن، وتبقى
مائدة الضيافة ومأدبتها، فما هي المائدة الإلهية؟

من خلال الروايات الشريفة وقفت على أنّ الله ضيافات ثلاثة :

١- الضيافة العامة : وهي في شهر رمضان المبارك، فقد دعانا الله سبحانه إلى
ضيافته المباركة، فكلّ مسلم ومؤمن وجب عليه الصوم من آدم إلى يوم القيامة هو
مدعو إلى ضيافة الله سبحانه وتعالى، إلا أنّ الموائد الإلهية تختلف باختلاف الشرائع
السماوية.

والمائدة الإلهية في الإسلام هو القرآن الكريم، هو أسماء الله وصفاته العليا،
وهي ضيافة روحية معنوية مثالية، ولذتها فوق لذّة الجسد واللذات المادية

٢٢ على أبواب شهر رمضان المبارك

والحسية، بل من أراد أن يقف على اللذة الروحية أن يمنع جسده من الملاذ المادية، فيصوم ويمسك عن المفطرات ويمتنع عن الأكل والشرب والجماع وما شابه، فيكفّ بطنه وفرجه، ومن ثمّ يكفّ سمعه وبصره وكلّ جوارحه عمّا حرّم الله، بل ويكفّ قلبه عمّا سوى الله سبحانه، فيصوم بكلّ وجوده، حتى يتشرف بالضيافة الإلهية، ويجلس على مائدة الله، على كتاب الله الكريم وستّة نبيّه ﷺ، ومنهاج عترته الأطهار عليه السلام، فيروي عطشه ويشبع جوعه من غير علومهم ومعارفهم الربانية، وحينئذ ينال السكر والنشوة الروحية: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.

ثمّ إذا راعى الضيف الآداب ورسوم الضيافة، والتزم بها في الضيافة العامة، فإنه يُدعى في ليلة القدر إلى ضيافة خاصّة، إذ في ليلة القدر يكتب أسماء الذين يدعون إلى الضيافة الخاصّة، يكتب صكّ الحاجّ.

٢- الضيافة الخاصّة: وهي في شهر الحجّ وأيامه ومناسكه، فإنّ الحجّاج ضيوف الرحمن، ليطوفوا بيت الله الحرام، فصارت الضيافة زمانية ومكانية، بعدما كانت زمانية في الضيافة العامة. فيضيفهم الله ليغفر لهم وينزل عليهم الرحمة الرحيمية الخاصّة والتي هي قريبة من المحسنين، وما أعظم منافع وبركات الحجّ كما في الآيات والروايات: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

٣- الضيافة الخاصّة الخاصّة: فهناك ضيافة للخواصّ من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، والتي تعادل ألف ألف حجّة مقبولة وألف ألف عمرة مقبولة، فكلّ ما يقال في الضيافة الخاصّة من بركات المأدبة الإلهية، فإنّ في هذه الضيافة بألف ألف مرّة، فالمأدبة الإلهية العلمية والروحية في هذه الضيافة بأضعاف ما في الضيافة العامّة والخاصّة التي يشترك فيها كلّ المسلمين، ففي هذه المأدبة ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين.

وقد ورد في الحديث الشريف : منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا، فعلى المائدة العلمية يتناول العلماء ما تشتهي أرواحهم وأنفسهم من بركات أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ما لم يخطر على قلب بشر، فيستأنسون بالله سبحانه ويستوحشون من غيره، وهذا لا يكون إلا للخواص من الشيعة في ضيافتهم الخاصة الخاصة، وهي زيارة ثامن الحجج مولانا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام. وإذا كان سبحانه قد فضّل بعض الرسل على بعض، فكذلك فضّل بعض ضيوفه على بعض، فمن أكرم وفوده وضيوفه يوم القيامة زوّار الإمام الرضا عليه السلام وليّ الله الأعظم عليه السلام.

«عن الهروي قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : إنّي سأقتل بالسّم مسموماً ومظلوماً، وأقبر إلى جنب هارون، ويجعل الله عزّ وجلّ ترتبتي مختلف شيعتي وأهل بيتي، فمن زراني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة، والذي أكرم محمداً عليه السلام بالنبوة واصطفاه على جميع الخليفة، لا يصليّ أحد منكم عند قبوري ركعتين إلاّ استحقّ المغفرة من الله يوم يلقاه، والذي أكرمنا بعد محمداً عليه السلام بالإمامة وخصّنا بالوصية إنّ زوّار قبوري لأكرم الوفود على الله يوم القيامة، وما من مؤمن يزورني فتصيب وجهه قطرة من السماء إلاّ حرّم الله عزّ وجلّ جسده على النار»^(١).

وفدت على الكريم بغير زادٍ من الحسنات والقلب السليم
فحمل الزاد أقبح كلّ شيءٍ إذا كان الوفود على الكريم
وهذه الضيافة الخاصة الخاصة تتحقّق لكلّ الأئمة الأطهار وللرسول الأعظم عليه السلام، فكلمهم نور واحد.

(١) البحار ٩٩ : ٣٦، عن العيون ٣ : ٢٥٦، وقد تعرّضت لأسرار الزيارة الرضوية في رسالة الأنفاس القدسيّة في أسرار الزيارة الرضوية)، مطبوع، فراجع.

فالضيافة الأولى زمانية أي مختصّ بزمان خاصّ، وهو شهر رمضان المبارك، وإثنا عاثة لجميع المكثّفين، والضيافة الثانية زمانية مكانية أخصّ من الأولى، والثالثة لا تنحصر بالزمان إنما هي مكانية، فهي أخصّ من الأولى والثانية، فتدبّر. والمائدة الإلهية إنما هي مائدة الأسماء والصفات، مائدة الولاية العظمى المتجلّية بالكائنات، مائدة القرآن الصامت والناطق، العلمي والغيبى، يتلذذ بها الضيوف بنعم الله الرحمانية وآلائه الرحيمية، من العلوم الربانية، المعارف القدسية والفيوضات الإلهية. فإنّ الله من حبّه لعباده وأوليائه المؤمنين يدعوهم في ضيافات ثلاثة، ليكونوا ضيوفاً عليه، فما أروع هذه الضيافة الإلهية، وما أسعد العبد أن يكون ضيفاً على مولاه العالم بكلّ شيء والقادر على كلّ شيء، وهو الحيّ القيوم المستجمع لجميع صفات الكمال والجلال، وما أجمل المائدة الجمالية والجلالية،!،! مائدة الفيوضات والرحمات العامة والخاصّة، ومثل هذا فليتنافس المتنافسون.

فضيلة صيام شهر رمضان في القرآن والسنة

إنّ منبع التشريع الإسلامي ومصدره القيوم، هو القرآن الكريم والسنة الشريفة المتمثلة بقول المعصوم النبي والإمام عليهما السلام، وفعلها وتقريرها، وهما الثقلان اللذان خلفها رسول الله خاتم الأنبياء محمد ﷺ، فقد قال في مواطن كثيرة - كما اتفق عليه الفريقان السنة والشيعه -: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي وإني لئن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

فصحة العقيدة والعمل والسلوك إنما تتم لو استقيناهما واستنبطناها من مصادر التشريع، أي الكتاب والسنة.

كما يرغب المؤمن للالتزام بالأحكام الدينية والشرعية، ويحتم على نفسه ذلك، حتى يكون راسخ الإيمان كالجبل لا تحركه العواصف والتيارات الفكرية المضادة والأفكار الضالة والمضلة عندما يعلم بالأحكام ويقف عليها من خلال النصّ القرآني الكريم، وما ورد في الأخبار النبوية والولوية الماثورة عن أهل بيت العصمة والوحي عليهم السلام، فيقبل على الأعمال الصالحة والالتزامات الشرعية من

٢٦ على أبواب شهر رمضان المبارك

أوامر الله ونواهيه بكلّ قوّة وثبات وتصميم، لا سيما في بداية الأمر ولن يعبد الله خوفاً من نار وطمعاً في جنته - كما هو دأب أكثر الناس - عندما يسمع أو يقرأ ثواب الأعمال وعقابها ويُعدّ هذا من الفطريات. ولمثل هذا نجد في لسان الروايات ذكر الجنان ونعيمها، والنيران وعذابها.

فإليك مجموعة مختصرة جداً من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في فضل وعظمة الصيام وشهر رمضان المبارك وصومه، من دون تفسير وشرح، نأمل من علماء بلدتك وخطبائها تفسيرها وشرحها في أيام شهر رمضان ولياليه المباركة، ومن الله التوفيق والتسديد.

القرآن الكريم :

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١).

(١) البقرة : ١٨٣ - ١٨٥، راجع تفسير الميزان بداية المجلد الثاني.

فضيلة صيام شهر رمضان في القرآن والسنة ٢٧

﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١).

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢).

السنة الشريفة :

١ - عن الأئمة المعصومين عليهم السلام : « بني الإسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية ، وما نودي بمثل ما نودي بالولاية » (٣).

٢ - في الحديث القدسي كما رواه الفريقان على اختلاف يسير : « الصوم لي وأنا أجزي به » (٤).

(١) البقرة : ١٨٧ .

(٢) الأحزاب : ٣٥ .

(٣) الوافي ٣ : ٢٠ .

(٤) تفسير الميزان ٢ : ٢٥ ، وجمار الأنوار ٩٦ : ٢٥٥ .

٢٨ على أبواب شهر رمضان المبارك

٣- في الكافي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام : «كان رسول الله أول ما بعث يصوم حتى يقال : ما يفطر، ويفطر حتى يقال : ما يصوم، ثم ترك ذلك وصام يوماً وأفطر يوماً وهو صوم داود، ثم ترك ذلك وصام ثلاثة الأيام الغرّ، ثم ترك ذلك وفرّقها في كلّ عشرة يوماً، خمسين بينها أربعاء، فقبض صلى الله عليه وآله وهو يعمل ذلك» وهذا من الصوم المسنون وهو غير صوم شهر رمضان الواجب.

٤- عن حفص بن غياث النخعي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنّ شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الأمم قبلنا، فقلت له : فقوله الله عزّ وجلّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ ... ﴾ ؟ قال : إنّما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم، ففضّل الله به هذه الأمة، وجعل صيامه فرضاً على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أمّته ^(١).

٥- وكان من دعاء عليّ بن الحسين عليهما السلام في وداع شهر رمضان : ... ثمّ آثرتنا به على سائر الأمم واصطفيتنا دون أهل الملل، فصمنا بأمرك نهاره وقننا بعونك ليله ^(٢).

٦- قال الإمام الصادق عليه السلام : أمّا العلة في الصيام ليستوي به الغنيّ والفقير،

(١) الفقيه ٢ : ٦٢.

(٢) الصحيفة، دعاء ٤٥.

فضيلة صيام شهر رمضان في القرآن والسنة ٢٩
وذلك لأنّ الغنيّ لم يكن ليجد مسّ الجوع، فيرحم الفقير، لأنّ الغنيّ كلّما أراد شيئاً
قدر عليه، فأراد الله عزّ وجلّ أن يسوّي بين خلقه وأن يذيق الغنيّ مسّ الجوع
والألم، ليرقّ على الضعيف ويرحم الجائع^(١).

٧- عن الإمام الرضا عليه السلام: فإن قال: فلم أمروا بالصوم؟ قيل: لكي يعرفوا
ألم الجوع والعطش فيستدلّوا على فقر الآخرة، وليكون الصائم خاشعاً ذليلاً
مستكيناً مأجوراً محتسباً عارفاً صابراً لما أصابه من الجوع والعطش، فيستوجب
الثواب، مع ما فيه من الانكسار عن الشهوات، وليكون ذلك واعظاً لهم في
العاجل، ورائضاً لهم على أداء ما كلفهم ودليلاً في الآجل، وليعرفوا شدة مبلغ ذلك
على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا، فيؤدّوا إليهم ما افترض الله تعالى لهم في
أموالهم^(٢).

٨- عن مولانا فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها المشهورة قالت: فرض الله
الصيام تهيئةً للإخلاص^(٣).

٩- عن الإمام الباقر عليه السلام: الصيام والحجّ تسكين للقلوب^(٤).

(١) البحار ٩٦ : ٣٧١.

(٢) البحار ٩٦ : ٣٧٠.

(٣) البحار ٩٦ : ٣٦٨.

(٤) البحار ٧٨ : ١٨٣.

٣٠ على أبواب شهر رمضان المبارك

١٠- قال رسول الله ﷺ: عليك بالصوم، فإنه جنة من النار، وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع فافعل.

١١- وقال ﷺ: لكل شيء زكاة، وزكاة الأبدان الصيام.

١٢- وقال ﷺ: صوموا تصحوا^(١).

١٣- عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف، إن للصائم عند إفطاره دعوة لا ترد.

١٤- قال رسول الله ﷺ: الصائم في عبادة الله وإن كان نائماً على فراشه ما لم يغترب مسلماً، وقال: إن للجنة باباً يدعى الريان لا يدخل منه إلا الصائمون.

١٥- وقال ﷺ: من منعه الصوم من طعام يشتهي، كان حقاً على الله أن يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها.

١٦- قال الإمام الصادق عليه السلام: للصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربه.

(١) البحار ٩٦: ٢٥٥.

فضيلة صيام شهر رمضان في القرآن والسنة ٣١

١٧- وقال عليّ: إنّ رسول الله ﷺ كان إذا أفطر قال: «اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبله منّا، ذهب الظماء وابتلت العروق وبقي الأجر»^(١).

١٨- قال الإمام عليّ: الصيام اجتناب المحارم كما يمتنع الرجل من الطعام والشراب.

١٩- قال رسول الله ﷺ: ربّ صائم حظّه من صيامه الجوع والعطش، وربّ قائم حظّه من قيامه السهر^(٢).

٢٠- قال أمير المؤمنين عليّ: صيام القلب عن الفكر في الآثام، أفضل من صيام البطن عن الطعام.

٢١- قالت مولاتنا فاطمة الزهراء عليّ: ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه؟!^(٣)

٢٢- عن الإمام الباقر عليّ: قال رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله: يا جابر،

(١) الكافي ٤: ٩٥.

(٢) البحار ٩٦: ٢٨٩.

(٣) البحار ٩٦: ٢٩٥.

٣٢ على أبواب شهر رمضان المبارك

هذا شهر رمضان من صام نهاره وقام ورداً من ليله، وعفّ بطنه وفرجه وكفّ لسانه خرج من ذنوبه كخروجه من الشهر، فقال جابر: يا رسول الله ما أحسن هذا الحديث؟ فقال رسول الله ﷺ: يا جابر ما أشدّ هذه الشروط^(١).

٢٣- قال الإمام الباقر عليه السلام: سمع رسول الله ﷺ امرأة تسابّ جارية لها وهي صائمة فدعا رسول الله بطعام فقال لها: كلي! فقالت: أنا صائمة يا رسول الله! فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريك؟! إن الصوم ليس من الطعام والشراب، وإنما جعل الله ذلك حجاباً عن سواهما من الفواحش من الفعل والقول يفطر الصائم، ما أقلّ الصوم وأكثر الجوع.

٢٤- قال الإمام الصادق عليه السلام: إذا أصبحت صائماً فليصم سمعك وبصرك من الحرام وجارحتك وجميع أعضائك من القبيح، ودع عنك الهذي وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصيام، والزم ما استطعت من الصمت والسكوت إلا عن ذكر الله، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك، وإيّاك والمباشرة - في النهار - والقُبيل والقهقهة بالضحك فإنّ الله مقت ذلك.

٢٥- كان من دعاء الإمام السجّاد عليه السلام إذا دخل شهر رمضان: اللهم صلّ على محمّد وآله، وأهملنا معرفة فضله وإجلال حرمة والتحفّظ ممّا حظرت فيه،

فضيلة صيام شهر رمضان في القرآن والسنة ٣٣

وأعنا على صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك واستعمالها فيه بما يرضيك حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو ولا نسرع بأبصارنا إلى هوى، وحتى لا نبسط أيدينا إلى محذور، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور، وحتى لا تعي بطوننا إلا ما أحللت، ولا نتطرق ألسنتنا إلا بما مثلت، ولا نتكلف إلا ما يُدني من ثوابك، ولا نتعاطى إلا الذي يقي عقابك، ثم خلّص ذلك كلّ من رياء المرائين وسمعة المسمعين لا نشارك فيه أحداً دونك ولا نبتغي به مراداً سواك»^(١).

٢٦- قال الإمام الصادق عليه السلام: من صام لله عزّ وجلّ يوماً في شدة الحرّ فأصابه ظمأ وكلّ الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى إذا أفرط، قال الله عزّ وجلّ: ما أطيب ريحك وروحك، ملائكتي اشهدوا أنّي قد غفرت له^(٢).

٢٧- وقال عليه السلام: الصوم في الشتاء هو الغنيمة الباردة.

٢٨- وفي حديث المعراج عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا ربّ، ما ميراث الصوم؟ قال: الصوم يورث الحكمة، والحكمة تورث المعرفة، والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح بعسر أم يسر^(٣).

(١) الصحيفة: دعاء ٤٤.

(٢) فروع الكافي ٤: ٦٥.

(٣) البحار ٧٧: ٢٧.

٣٤ على أبواب شهر رمضان المبارك

٢٩- قال الإمام الباقر عليه السلام : لا يسأل الله عبداً عن صوم بعد شهر رمضان .

ولكن يستحبّ الصيام تطوّعاً ، وما أعظم أجره وثوابه .

٣٠- قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صام يوماً تطوّعاً فلو أعطي مِلاً الأرض ذهباً

ما وقي أجره دون يوم الحساب .

٣١- وقال صلى الله عليه وآله : من صام يوماً تطوّعاً ابتغاء ثواب الله وجبت له المغفرة .

٣٢- قال الإمام الصادق عليه السلام : إيتاكم والكسل ، إن ربكم رحيم يشكر

القليل ، إن الرجل ليصوم اليوم تطوّعاً يريد به وجه الله فيدخله الله به الجنة .

٣٣- وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : إن الله أتمّ صلاة الفريضة بصلاة

النافلة ، وأتمّ صيام الفريضة بصيام النافلة^(١) .

٣٤- قال رسول الله صلى الله عليه وآله : شهر رمضان شهر فرض الله عليكم صيامه ، فمن

صامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه^(٢) .

٣٥- في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ قال

(١) الروايات من البحار ٩٦ : ٢٤٩ .

(٢) الوافي ٧ : ٥٥ .

فضيلة صيام شهر رمضان في القرآن والسنة ٣٥

الإمام الصادق عليه السلام: لذّة ما في النداء أزال تعب العبادة والعناء^(١).

٣٦- وقال عليه السلام: ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً إلا أوجب الله له

سبع خصال:

أولها: يذهب الحرام من جسده.

والثانية: يقرب من رحمة الله.

والثالثة: يكون كفر خطيئة أبيه آدم عليه السلام.

والرابعة: يهون الله عنه سكرات الموت.

والخامسة: أمان من الجوع والعطش يوم القيامة.

والسادسة: يعطيه الله براءة من النار.

والسابعة: يطعمه الله من طيبات الجنة^(٢).

٣٧- وقال عليه السلام: من صام شهر رمضان فحفظ فرجه ولسانه وكفّ أذاه عن

الناس، غفر الله له ذنوبه ما تقدّم منها وما تأخّر، وأعتقه من النار، وأحلّه دار

القرار، وقبل شفاعته في عدد رمل عالج من مذنبى أهل التوحيد^(٣).

٣٨- وقال عليه السلام: والله تعالى في كلّ يوم من شهر رمضان عند الإفطار

(١) مجمع البيان: تفسير الآية.

(٢) علل الشرائع ٢: ٣٧٩.

(٣) روضة الواعظين ٢: ٣٥٤.

٣٦ على أبواب شهر رمضان المبارك
ألف ألف عتيق من النار، وإذا كان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعتق في كل ساعة منها
ألف ألف عتيق من النار، كلهم قد استوجبوا النار، فإذا كان آخر يوم من شهر
رمضان، أعتق في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره^(١).

٣٩- وقال ﷺ: أُعْطِيتُ أُمَّتِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهَا أُمَّةٌ نَبِيٍّ قَبْلِي:
إذا كان أول يوم منه نظر الله عزّ وجلّ إليهم، فإذا نظر الله عزّ وجلّ إلى شيء لم يعذبه
بعدها، وخلق أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم
الملائكة في كل يوم وليلة منه، ويأمر الله عزّ وجلّ جنته فيقول: تزيّني لعبادي
المؤمنين، يوشك أن يستريحوا من نصب الدنيا وأذاها إلى جنتي وكرامتي، فإذا كان
آخر ليلة منه غفر الله عزّ وجلّ لهم جميعاً^(٢).

٤٠- قال الإمام الصادق عليه السلام: من أفطر يوماً في شهر رمضان خرج روح
الإيمان منه^(٣).

«اللهمّ قد حضر شهر رمضان وقد افترضت علينا صيامه، وأنزلت فيه
القرآن هدىً للناس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، اللهمّ أعنا على صيامه، اللهمّ تقبله

(١) روضة الواعظين ٢ : ٣٤٧.

(٢) فضائل الأشهر الثلاثة : ١٤٦.

(٣) عقاب الأعمال : ٢٣٦.

فضيلة صيام شهر رمضان في القرآن والسنة ٣٧

مَنَّا وَسَلَّمْنَا فِيهِ وَتَسَلَّمَهُ مِنَّا فِي يَسْرِ مِنْكَ وَعَافِيَةٍ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»^(١).

ومن الدعاء عند رؤية هلال شهر رمضان :

«اللَّهُمَّ أَهْلَهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْعَافِيَةِ الْمَجَلَّةِ
وَدِفَاعِ الْأَسْقَامِ وَالْعَوْنِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ. اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا لَشَهْرِ
رَمَضَانَ وَتَسَلَّمَهُ مِنَّا وَسَلَّمْنَا فِيهِ حَتَّىٰ يَنْقُضِيَ عَنَّا شَهْرَ رَمَضَانَ وَقَدْ عَفَوْتَ عَنَّا
وَعَفَرْتَ لَنَا وَرَحِمْتَنَا»^(٢).

برحمتك يا أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) الوافي ٧: ٥٨.

(٢) مفاتيح الجنان: أدعية شهر رمضان المبارك.

الفهرس

٣	المقدّمة
٥	رمضان من أسماء الله
٧	لماذا شهر رمضان شهر الله ؟
١٢	الخطبة الشعباتية
١٥	مخطط آية الصيام في القرآن الكريم
٢١	ضياقة الله سبحانه لعباده المؤمنين
٢٥	فضيلة صيام شهر رمضان في القرآن والسنة
٣٨	الفهرس

مِنْ وَحْيِ الرَّبِّ وَالْبَعْلَمِ

السَّيِّدِ عَالِمِ الْعَالَمِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الحادي عشر

عرفان و اخلاق - ٢



علوي، عادل، ١٩٥٥ -

من وحي التربية والتعليم / بقلم السيد عادل العلوي. - قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٣٧٨.

٨٠ ص. - (موسوعة رسالات إسلامية)

ISBN 964 - 5915 - 05 - 8 : ٢٠٠٠ ريال

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

عربی.

کتابنامه به صورت زیرنویس.

١. اخلاق اسلامی. ٢. تربیت خانوادگی (اسلام). الف. عنوان.

٢٩٧ / ٦١

BP ٢٤٧ / ٨ / ع ٨ م ٩

٢٠٨٥٤ - ٧٨ م

کتابخانه ملی ایران

موسوعة

رسالات إسلامية



رسالة

من وحي التربية والتعليم
تأليف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الأولى - ١٤١٨ هجري قري

الكمية المطبوعة - ١٠٠٠ نسخة

المطبعة - النهضة، قم

ISBN 964 - 5915 - 05 - 8

شابك ٨-٠٥-٥٩١٥-٩٦٤

EAN 9789645915054

ای.ای.ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٠٥٤

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك X-١٨-٥٩١٥-٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله
الطيبين الطاهرين.

لك الحمد يا إلهي الكريم على ما أنعمت وأوليت وخلقته وهديت وربيت،
فأنت رب العالمين. ولك الشكر والمنّة على آلائك الجمّة التي لا تعدّ، ونعمك
اللامتناهية التي لا تحصى، فالحمد لله الذي خلق الخلق ليعرفوه، وجعل معرفة
الإنسان وهداه الصراط المستقيم بالكتب والرسول، وختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وآله
والكتب السماوية بالقرآن الكريم، فالصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وآله
الطاهرين.

كثرة المحن تغير الأحوال، وفي تقلّب الحال يعرف جواهر الرجال، فخطر
على بالي حينما تغير حالي، وتلاقفتني أيدي المشاكل، وضمتني أحضان المسائل إلى
صدرها الخوان، وقلبها الفتان، وقلدتني من شغفها أساور المصائب، وزيتنتني من
حبّها قلائد المتاعب، وطوّقتني بأطواق البلايا، وأرضعتني من ثدي الرزايا، فلا
سرور ولا مرح ولا طرب ولا فرح، فهي الدنيا الفانية والأيام البالية، تغرّ الرجال

٤ من وحي التربية والتعليم

وتريك الأهوال، فلا تدري ما ضمّ لك الدهر الخوان، ولا تعلم ما يجري عليك في هذا الزمان، فالناس حيارى وما هم بسكارى، غرّتهم الدنيا بابتسامتها القاتلة، ووعودها الخادعة.

فطوبى لمن عرف حقيقتها ووقف على عيوبها، فتحدّرها وطلقها وخلّ سبيلها، طوبى لمن فهم الحياة واستعدّ لما بعد الممات وتزوّد بخير الزاد وما فيه السداد وبه الرشاد... فهياً يا إخوان الصفا وخلان الوفا، هبوا لمعرفة أنفسكم وإضاءة سبلكم، واطرقوا أبواب علم النفس قبل التسويف والآمال وحلول الرمس وانقضاء الآجال. وعليكم بتربية النفوس وتكميلها، وتزكية الأرواح وتهذيبها، ولا تغرّنكم الدنيا الدنيّة بزينتها، ولا الشهوات والملاذّب بغيانها، بل تزوّدوا، فإنّ العمر قصير والسفر طويل، وإنّ خير الزاد التقوى، ومخالفة النفس والهوى، رحمنا الله وإياكم وأسعدنا لما فيه الخير والصلاح والكمال والفلاح.

هذا وحيثما كنت في حيص ويص الزمان ومشكلات الحدّثان، توكلت على الله الحنّان ذي المواهب والإحسان، أن أكتب ما يفيد الإنسان، معتذراً من سوء البيان وزلة البنان، وإنّ الله سبحانه لا يكلف النفس إلّا وسعها ولا يحملها إلّا ما آتاها، فسامحوني من العثرات، واعفوني في الهفوات، ولا تؤاخذوني بالشهوات، وجزاكم الله خير الجزاء على ما تفضّلت من الإغماض والإعفاء^(١).

(١) لقد رأيت هذه الكلمات في قصاصات أوراقي الماضية، وأظنّها ترجع إلى العقد الثاني من عمري، وإيها مقدّمة لكتاب أردت تحريره في علم الأخلاق والمعرفة، وكنت - آنذاك - أعيش مع علمائنا الماضين في مصنّفاتهم القيّمة ومؤلفاتهم الثمينة، وبطبيعة الحال يتأثّر المطالع بأسلوبهم القديم من السجع والنثر الخاصّ، فكنت أخذو منهمجهم في التأليف والكتابة من السبك القديم.

التربية والتعليم

التربية دواء ناجح للأسقام والأمراض البشرية، وشفاء للأجيال، وإنه بالتربية يرتقي الإنسان إلى أوج الرفعة ويطوي مدارج الكمال المنشود في جبلته، والتربية بمنزلة الأكسير الأعظم لتبديل الأرواح وتعديلها وتهذيبها، حتى تشع في ميدانها بكواكب درّية وتتجلّى بأنوار باهرة، فإنها العامل المهم في سعادة البشر، وإنها الفنّ المتمّ للقوى الإنسانيّة وغرائزها المتأصلة تحرك الرجال نحو الأهداف المقدّسة وتتطلّع إلى قم الفضائل، وتؤمن حياة الأجيال بقوانينها الرصينة، فإنها عين الحياة ورمز النجاة، وإنها تنظّم الغرائز والأحاسيس والعواطف في الإنسان، مع تأمين سعادته ورفاه عيشه.

فالتربية كوكبة درّية توقد من أصل مبارك، تنير الدروب، وتعلّم الناس كيف يعيشوا وكيف يموتوا.

التربية تكشف رموز الحياة والأسرار الطبيعية، وتبيّن الحقائق والدقائق في العوالم الخلقية، توقظ الاستعدادات الروحية والمعنوية في النفوس، وتكمّل نهج السعادة في الأرواح المستعدة.

ومن الواضح أنّ كثير من الآلام والمصائب والبلايا والمتاعب والشقاء

٦ من وحي التربية والتعليم

والأسقام الروحية وانحطاط المجتمعات والأمم، إنما كان من أثر الجهل وسوء التربية وفسادها.

فالتربية في قمة الشموخ، وفي أفق الرفعة والجلال، يقول أفلاطون الحكيم في شأنها: «لا فنّ أعلى وأثمن من التربية».

والتربية غير التعليم، وإنه فرق بين المعلّم والمربّي، فإنّ المعلّم يعلم العلوم والفنون بالأقوال والألفاظ، والمربّي يربّي وينمي القوى والاستعدادات بأحسن وجه وأتمّ صورة، وأنه كيف يستعمل العلم، ليكون من العلم النافع، فالمربّي يساعد طلابه على إظهار تلك القوى التي في الروح من دائرة القوة والإمكان إلى ساحة الفعل والعمل والوجود الوجودي، كما أنّ التربية أعمّ من العلم، فإنّها تعمّ الجهادات والنباتات والحيوانات، لا سيّما الإنسان، والتعليم يختصّ بالحيوانات والإنسان، فالتعليم أحد أجزاء قوانين التربية، والتربية من عمل العباقره، وإنّها فعلٌ جبّار. وإنّ من أسماء الله الحسنى (الربّ)، فهو المربّي الأوّل لما سواه جلّ جلاله، فإنّه ربّ العالمين وربّ الأرباب.

يقول الفارابي^(١) -المعلّم الثاني- في التربية والتعليم: إنّ التعليم هو إيجاد الفضائل النظرية في الأمم والمدن، والتأديب هو طريق إيجاد الفضائل الخلقية والصناعات العلمية في الأمم، والتعليم يكون بالقول واللفظ فقط، والتأديب هو أن يعودّ الأمم والشعوب الأفعال المتبلورة عن الملكات العلميّة، بأن تنهض عزائمهم نحو فعلها، وأن تصير تلك وأفعالها مستولية على نفوسهم ويكونوا كالعاشقين لها والمخلصين في تقبلها والتفاعل معها.

(١) تحصيل السعادة : ٢٩.

العقل والقلب

ثمّ الإنسان الذي كرمه الله على مخلوقاته، وتمدّح بخلقه في قوله تعالى :
﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾^(١).

امتاز عن الكائنات الحيّة بعقله وقلبه، وكمال العقل وتبلوره بالفكر، كما أنّ كمال القلب وتربيته وتهذيبه بالذكر، وطريق الوصول إلى الأوّل بالدراسة والمطالعة والتثقيف العامّ، كما أنّ بداية التعلّم والدرس إنّما تكون من أيّام الصبا إلى أواسط العمر، ومن هذا الباب (العلم في الصغر كالنقش على الحجر، والعلم في الكبر كالنقش على البحر)، بمجرد أن تكتب حرف الألف وتنتقل إلى حرف الباء، فإنّ الألف ينمحي وكأنّه لم يكتب، كما لو كتب على البحر المتلاطم والمواج، فلا ثبوت له ولا استقرار فيه.

وأما الطريق إلى الثاني فهو بالانكشاف والشهود، وذلك بالموعظة والذكر والمناجاة والدعاء، وإنّه من المهد إلى اللحد (إطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)، فلا يكسل الإنسان في طلبه حتّى آخر لحظة من حياته، فهو يتشوّق إلى الدعاء والذكر

والمناجاة، وإن كان يملّ من الدرس وأقاويل المدارس.

فالروايات التي تشير إلى طلب العلم من المهد إلى اللحد، وأنّ الجنين يستحبّ الأذان في أذنه اليمنى والإقامة في اليسرى ناظرة إلى هذا العلم في طريق القلب، ومثل هذا العلم لا يحقّ أن يؤخذ من أيّ عالم كان، بل (فليُنظر إلى طعامه) أي إلى عمله ممّن يأخذه، (وإذا رأيتم العالم مقبلاً على دنياه فاتهموه)، أي لا تأخذوا دينكم وعلمكم هذا منه، فإنّه مفتون بدنياه، فهو متهم في قوله وفعله، فكيف يتبع أثره، كما أنّه يعاشر من يذكره الله رؤيته، ويزيد في علمه منطقته، ويرغبه في الآخرة عمله، وأما الروايات التي تقول: الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ولو من رأس مجنون، أو أنّه (أنظر إلى ما قال لا إلى من قال)، أو قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾^(١).

فهذا ناظر إلى طريق العقل والتفكير، فيحقّ للإنسان أن يستمع الآراء والأقوال ليتّبع أحسنه وما فيه الفائدة والمنافع.

فأهمّ عنصرين في الإنسان هما: العقل والقلب، وتربية الأوّل بالفكر، وتربية

الثاني بالذكر.

وبعبارةٍ أخرى:

الرؤية الكونيّة ومشاهدة هذا الكون والعالم الواسع والرحب، إمّا أن تكون بنزعةٍ ماديّة هيولانية، أو بنزعةٍ روحيّة إلهيّة، فالإنسان إمّا أن يكون ملحداً كافراً ومن زاوية الحادّه وفكره وحكومة المادّة والماديات في وجوده وعقله وأنّه لا يؤمن إلاّ بالحسيّات، فمن هذا المنطلق ينظر إلى الدنيا وما حوله والعالم الطبيعي، فلا يؤمن

بما وراء الطبيعة وما وراء الكون والمغيبات. وإما أن يكون مؤمناً موحداً ومن منطلق إلهي وإيماني واعتقاده بالغيب وبما وراء الطبيعة بالميتافيزيقيات ينظر إلى هذا الكون الرحب.

فالأول تفكراته تكون مادية وإنها سير من الخلق إلى الخلق بالخلق، والسالك إنما يدور في عالم المادة المحضة الهولانية الظلماء العمياء، فضعف الطالب والمطلوب. وأما الثاني فإنه يحمل تفكر إلهي نوراني، وإنه:

١- سير من الحق إلى الحق.

٢- ومن الحق إلى الخلق.

٣- ومن الخلق إلى الحق.

٤- ومن الخلق إلى الخلق.

كل ذلك بمعونة الحق ولطفه العام والخاص، برحمانيته ورحيميته. فهذه أسفار أربعة، وهي إما بمركب العقل وزاد الفكر، وإما بمركب القلب وزاد الذكر، فالأول يتلقى المعارف والعلوم بالعقل والفكر والنظر والبراهين العقلية والاستدلالات المنطقية، والثاني يتلقاها بالقلب وصيقلته حتى يكون كالمرآة وانطباع الأشياء والحقائق الكونية وما وراءها فيها، والشهود والمكاشفة.

والأول مسلك الحكماء والفلاسفة، والثاني مسلك العرفاء وأصحاب الكشف والشهود، وفرق بين المسلكين كالسما والأرض، فالحكيم يفكر ويفهم ويعلم، والعارف يبصر فيشاهد ويعلم.

والأول سير غيبي، والثاني سير شهودي، ويقال: ما يصل إليه العارف وما يقدمه من نتائج أهم وأبلغ مما عند الفيلسوف.

وربما الإنسان بلطف من الله يجمع بين المسلكين، فيكون عارفاً حكيماً، وهو

١٠ من وحي التربية والتعليم

الذي يسمّى بالكون الجامع، فيجمع بين الفلسفة والعرفان، وبين البرهان والشهود، وهو كمال الإيمان، وكلّه في السنّة الشريفة والقرآن.

والسلوك العرفاني تارةً بالأسباب والعلل الظاهريّة، أي بمظاهر أسماء الله الحسنى، صغارها كالرحيم تحت الكبار كالرحمن، وكبارها تحت الإسم الأعظم وهو اسم الجلالة (الله) الجامع لكلّ الأسماء الحسنى والمستجمع لجميع صفات الجمال والجلال والكمال، وأخرى بالقلب، والأول طريق عامّ، والثاني طريق خاصّ للخواصّ^(١).

(١) اقتباس من (كيف أكون موفقاً في الحياة) للمؤلف، وللبحث صلة، فراجع.

الواصل وطفيلي الوجود

قيل : من آلاف آلاف الذرات الجهادية واحدة تكون تراباً، ومن آلاف آلاف ذرات التراب واحد يتكوّن منها النبات الذي يحمل النفس النباتية من القوى الثلاثة التعذية والرشد وتوليد المثل، ومن آلاف النباتات جزء منها يتكوّن منه الحيوان الذي يحمل الحياة الحيوانية من القوى الثلاثة بأنّه جسم نامي وأنّه حسّاس متحرّك بالإرادة، ومن آلاف الحيوانات جزء منها يتكوّن الإنسان الذي يحمل النفس الإنسانية الناطقة الدراكة للكليات، فهذه أطوار أربعة : الجهاد ثمّ النبات ثمّ الحيوان ثمّ الإنسان.

ثمّ من ألف أجزاء وأعضاء وجوارح الإنسان جزء منها يكون المني، ومن آلاف ذرات المني جزء يكون منه النطفة، ومن آلاف أجزاء النطفة جزء يكون منه المولود، ومن آلاف المتولّدين واحد منهم يعيش، ومن آلاف الذين يعيشون واحد يكون من المسلمين، ومن آلاف المسلمين واحد يؤمن بالله حقاً كاملاً، ومن آلاف المؤمنين واحد يكون طالباً لله سبحانه، ومن آلاف الطالبين واحد يكون من أهل العلم، ومن آلاف العلماء واحد يكون سالكاً، ومن آلاف السالكين واحد يكون واصلاً إلى الله عزّ وجلّ بعد طيّ منازل السير والسلوك الوعرة ذات الأشواك

١٢ من وحي التربية والتعليم

الخطرة، فالناس كلهم هالكون إلا العلماء، والعلماء كلهم هالكون إلا العاملين،
والعاملون كلهم هالكون إلا المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم.

والمقصود من جملة الكائنات والمخلوقات العلوية والسفلية، السماوية
والأرضية هو ذلك الواصل إلى الحقّ جلّ جلاله، وهو الإنسان الكامل الذي أصبح
مظهر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ذلك الإنسان الذي خاطبه الله في حديثه
القدسي: « خلقت الأشياء من أجلك، وخلقتك من أجلي»، وأما ما سواه فهو
طفيلي الموجودات.

وقد دعا الله سبحانه كل إنسان إلى هذا المقام العظيم الشاخص (مقام الوصل
والفناء في الله سبحانه).

وهذا يعني أنّ كل واحد منّا بإمكانه وباختياره وجهده وجهاده - الأصغر
والأكبر - يتمكّن من الوصول إلى هذا المقام الرفيع والمنزلة السامية، لأنّ الله كلّفنا
بذلك، ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها. والوسع بمعنى أنّه لو كان لنا قدرة حمل خمسين
كيلو حنطة فأمرنا الله أن نحمل نصفها فهذا من الوسع، فلمّا كلّفنا الله عزّ وجلّ بمثل
هذا المقام الشاخص، فإنّه يدلّ على أنّه بقدرتنا أكثر من ذلك، فتدبّر. فإنّه بوسعنا أن
نصل في القوس الصعودي إلى جنّة الله في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، مع الذين
أنعم الله عليهم من الأنبياء والأولياء (إنّا لله وإنا إليه راجعون)، وإلى ربّك المنتهي ...
« إلهي هب لي كمال الاتقطاع إليك، وأزِرْ أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتّى
تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلّقة
بعزّ قدسك، إلهي واجعلني ممّن ناديتّه فأجابك، ولا حظته فصعق لجلالك، فناجيتّه
سراً وعمل لك جهراً...»^(١).

(١) من دعاء الشعبانية - مفاتيح الجنان : ١٥٩.

العلم النافع والعمل الصالح

ومن أحسن من الله قولاً ممن دعا إلى الله .

أعتقد أنّ الحوزات الدينية هي التي تحفظ رسالات الأنبياء، فعلماء الدين هم الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً، وخلاصة الرسالات السماوية السمحاء هو صنع الإنسان وتكامله، ووصوله إلى غايته، والعالم اليوم متعطش إلى العلماء الصالحين الواعين .

فإنّ هذا العالم الذي نعيش فيه، وإنا على ما ندرته لأيام قلائل، يزيد الإنسان سعادتها فيها، وإته يفترّ من الشقاء، ويبحث عن العيش الرغيد والحياة السعيدة، ويريد أن يعرف نفسه ويعرف وظائفه، وارتباط الإنسان مع نفسه ومع ربّه ومع الآخرين فيه كلام كثير ومباحث طويلة وعريضة، فهناك المذاهب والعقائد والآراء في ذلك، وكلّ يدّعي الوصل بليلي، إلّا أنّهم لم يتمكنوا من معرفة الوجود، وما هو دور الإنسان في ذلك ؟!

وأخيراً لم يتّضح الجواب الأخير، وبقيت أمّهات الأسئلة يسألط عليها الأضواء، ويبحث عن أجوبتها، فبقيت الأسئلة : من أين أتيت ؟ وإلى أين أذهب ؟ ومع من ؟ وماذا يراد مني ؟ وما هو المصير ؟ وكيف الخلاص ؟

١٤ من وحي التريية والتعليم

والأجوبة إنما هي عند الأنبياء أصحاب الوحي ورسالات السماء، لأنهم أشرفوا على الطبيعة، ووقفوا على أسرارها، لارتباطهم مع الوحي، فيحق لهم أن يقولوا للناس: هكذا تكون الحياة، وهكذا كونوا أيها الناس، والأنبياء خلفاء الله في الأرض.

والعلماء ورثة الأنبياء وأمناء الله في الأرض، يحق لهم إرادة الطريق وهداية الناس أيضاً، فإنهم تخلقوا بأخلاق الله، فحكمة الخلق وفلسفة الحياة والجواب الأخير لأُمّهات السؤالات إنما يكون في الدين، إلا أن البشر لا يسمع ذلك ولا يعقل، فلا بد أن نضع شيئاً يكون الإنسان به ذا سمع وبصر، يرى الحق حقاً فيتبعه، ويسمع نغماته ويصلح سريره وطبيعته، ويهذب فطرته ونفسه، وإلا فإن أي شيء يقع بيد الإنسان لو حكته الأتانية وحبّ الذات وجرّ النار إلى قرصه، فإنه يحرف موارد استعماله الصحيح.

والمذهب اليوم بيد العلماء الصلحاء الأخيار الأبرار الأتقياء، فهم الذين يأخذون بيد الإنسان ليصعد إلى الأعلى، ويريه ما وراء الطبيعة من الملكوت والجبروت، وإنما فعل العلماء ذلك بعد كما لهم وإيمانهم الراسخ بما فعلوا، فإنهم اتتمروا أولاً ثم أمروا، وانتهوا ثم نهوا، فبدأوا بأنفسهم إصلاحاً وصلاحاً وتهذيباً وتكميلاً، فطبّقوا الأحكام الإلهية في حياتهم الفردية والاجتماعية الظاهرية والباطنية، واطمأنوا بذكر الله، بعد جهادهم الأكبر ومحاربة أنفسهم الأتارة بالسوء، والغلبة على الهوى، ولولا هذا كله لأنكر البشر نفسه، ووقع في حضيض الجهالة والتعاسة. فالتقوى والعمل الصالح والعلم النافع يوجب نفوذ الكلام وتصحيح المسير وسعادة الدارين.

من عيون الأخبار في العلم والعلماء

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَسْتَدَكِّرُ أُولُوا الْأَنْبَابِ ﴾ (١).

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (٢).

قال رسول الله ﷺ :

« يا أبا ذرّ، الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحبّ إلى الله من قيام ألف ليلة يصليّ في كلّ ليلة ألف ركعة، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحبّ إلى الله من ألف غزوة وقراءة القرآن كلّهُ » (٣).

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

رأس الفضائل العلم، غاية الفضائل العلم.

(١) الزمر : ٩.

(٢) المجادلة : ١١.

(٣) البحار ١ : ٢٠٣.

قال الإمام الباقر عليه السلام :

قال أبو ذرّ: إنّ قلباً ليس فيه شيء من العلم كالبيت الخراب الذي لا عامر له.

قال الإمام الصادق عليه السلام :

العلم أصل كلّ حال سنّي، ومنتهى كلّ منزلة رفيعة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

إنّ العلم حياة القلوب ونور الأبصار من العمى، وقوّة الأبدان من الضعف.

وعنه عليه السلام، قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: طلب العلم فريضة على كلّ مسلم... به يطاع الربّ، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، العلم أمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء.

عن سعيد بن الأوس الأنصاري، قال: سمعت الخليل بن أحمد يقول: أحثّ

كلمة على طلب العلم قول علي بن أبي طالب عليه السلام: «قدر كلّ امرئ ما يحسن».

«أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقلّ الناس قيمة أقلّهم علماً» (الرسول

الأكرم).

قال الإمام الصادق عليه السلام :

إعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا، فإنّا لا نعدّ الفقيه

منهم فقيهاً حتّى يكون محدثاً، فقيل له: أو يكون المؤمن محدثاً؟ قال: يكون مفهماً،

والمفهم محدث.

قال النبي صلى الله عليه وآله :

«النظر في وجوه العلماء عبادة». سئل جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عنه،

فقال: هو العالم الذي إذا نظرت إليه ذكرك الآخرة، ومن كان خلاف ذلك فالنظر

من عيون الأخبار في العلم والعلماء ١٧
إليه فتنة .

قال الإمام زين العابدين عليه السلام :

لو علم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج .

عن الإمام الكاظم عليه السلام :

طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ألا إن الله يحب بغاة العلم .

عن أمير المؤمنين عليه السلام :

لطالب العلم عز الدنيا وفوز الأخرى .

«ومن جاءته منيته وهو يطلب العلم فيبينه وبين الأنبياء درجة» (الرسول

الأكرم).

«إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم حتى يطأ عليها رضاء به» .

«من غدا في طلب العلم أضلت عليه الملائكة ، وبورك له في معيشته ، ولم

ينقص من رزقه» . (الرسول الأكرم).

عن الإمام الصادق عليه السلام :

«طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحار والطيور في جو

السماء» .

عن الإمام الباقر عليه السلام :

«إن جميع دواب الأرض لتصلي على طالب العلم حتى الحيتان في البحر» .

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله :

«من خرج من بيته يطلب علماً شيعه سبعون ألف ملك يستغفرون له» .

عن المسيح عليه السلام :

من علم وعمل وعلم عد في الملكوت الأعظم عظيماً .

وعن الإمام الصادق عليه السلام :

من تعلم الله عزّ وجلّ وعمل لله وعلم الله ، دُعي في ملكوت السماوات عظيماً .

وقيل : تعلم الله وعلم الله .

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

تعلموا العلم فإنّ تعلمه حسنة ، ومدارسته تسييح ، والبحث عنه جهاد ،
وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وهو أنيس في الوحشة وصاحب في الوحدة ، وسلاح
على الأعداء ، وزين الأخلاء ، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم ،
ترمق أعماهم ، وتقتبس آثارهم .

وقال عليه السلام :

لو أنّ حملة العلم حملوه بحقه لأحبهم الله وملائكته وأهل طاعته من خلقه ،
ولكنهم حملوه لطلب الدنيا ففقتهم الله ، وهانوا على الناس .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

علماء هذه الأمة رجلان : رجلٌ آتاه الله علماً فطلب به وجه الله والدار
الآخرة وبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً ولم يشتري به ثمناً قليلاً ، فذلك يستغفر له
من في البحور ودوابّ البحر والبرّ والطير في جوّ السماء ويقدم على الله سيّداً شريفاً .
ورجلٌ آتاه علماً فبخل به على عباده وأخذ عليه طمعاً ، واشترى به ثمناً قليلاً فذلك
يلجم يوم القيامة بلجام من نار .

وقال عليه السلام :

من طلب العلم لله لم يصب منه باباً إلّا ازداد في نفسه ذلاً ، وفي الناس
تواضعاً ، والله خوفاً ، وفي الدين اجتهاداً ، وذلك الذي ينتفع بعلمه فليتعلّمه ، ومن
طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس والحظوة عند السلطان ، لم يصب منه باباً إلّا

من عيون الأخبار في العلم والعلماء ١٩

ازداد في نفسه عظمة، وعلى الناس عند استظالة، وبالله اغتراراً، ومن الدين جفاءً، فذلك الذي لا ينتفع بالعلم فليكتفَ ويمسك عن الحجّة على نفسه والندامة والحزى يوم القيامة.

«من تعلّم العلم رياءً وسمعةً يريد به الدنيا نزع الله بركته وضيّق عليه معيشته، ووكله الله إلى نفسه، ومن وكله الله إلى نفسه هلك.»

عن الإمام الباقر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا لغير الآخرة، يلبسون للناس مسوك الكباش، وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل، وأعمالهم أمرّ من الصبر: إيتاي يخادعون؟ وبي يستهزؤون، لأتّيحنّ لهم فتنة تذر الحكيم حيراناً.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

ثمرة العلم العمل به.

ثمرة العلم العبادة.

ثمرة العلم إخلاص العمل.

رأس العلم التواضع... ومن ثمراته التقوى واجتناب الهوى واتّباع الهدى ومجانبة الذنوب ومودة الإخوان والاستماع من العلماء والقبول منهم، ومن ثمراته ترك الانتقام عند القدرة، واستقباح مقارفة الباطل، واستحسان متابعة الحقّ وقول الصدق، والتجافي عن سرور في غفلة، ومن فعل ما يعقب ندامة.

العلم يزيد العاقل عقلاً، ويورث متعلّمه صفات حمدي، فيجعل الحليم أميراً، وذا مشورة وزيراً، ويقمع الحرص، ويخلع المكر، ويميت البخل، ويجعل مطلق الوحش مأسوراً، وبعيد السداد قريباً.»

٢٠ من وحي التربية والتعليم

عن الإمام الصادق عليه السلام :

الخشية ميراث العلم، والعلم شعاع المعرفة وقلب الإيمان، ومن حرم الخشية لا يكون عالماً، وإن شقَّ الشعر في متشابهات العلم، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

وقال عليه السلام :

العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« إنَّ أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه ».

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« إنَّ العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضّلت به النبيون إلى محمد خاتم النبيين

في عترة محمد صلى الله عليه وآله » (١).

(١) الروايات من ميزان الحكمة ٦ : ٥٣٤ .

من حياة العظماء

حقاً حياة العظماء والعلماء مدارس وعبر، ونبراس هداية وصمود للأجيال .
وما أروع العالم الذي يصدّق قوله فعله وفعله قوله، ومن أولئك العباقرة
سيّدنا الأستاذ آية الله العظمى السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمته الله .
والتسته يوماً أن يحدثني عن شمة من حياته التي انطبعت بطابع الآلام
والمتعاب من أجل العلم وطلبه .

فقال دامت بركاته :

ماذا أقول من حياتي، وكيف تحمّلت العناء والصعاب في طلب العلم،
وأتعجّب من طلاب العلم في هذا العصر كيف لا يشكرون الله بالعمل وطلب العلم
على ما تفضّل عليهم من وسائل الرفاهية والراحة؟ وكيف لا يجدّون في طلب
العلم؟ فأين الكهرباء في أيام شبابي، وكنت أعيش في غرفة صغيرة رطبة للغاية،
وكنت أكثر من ثلاثين عاماً مستأجراً، وبين آوتة وأخرى أتقلّ من دار إلى دار،
وأذكر بعد عشرين يوماً من زواجي لم يكن لي طعام وإدام، فأعطاني أحد المؤمنين
أجرة صلاة الوحشة لميته، فصليتُها واشترت بالبقود كأساً من لبن وقرص خبز
وذلك في شهر رمضان وأتيت أهلي العروس فأعطيتها اللبن والخبز وقلت لها : إنّي

٢٢ من وحي التربية والتعليم

في هذه الليلة ضيف ونويت أن أكون ضيف السيّدة المعصومة كريمة أهل البيت عليها السلام، فأتيت الحرم الشريف وبعد ساعة أتيت الدار ونمت جائعاً، وكثير من أيامي قضيتها بهذا الحال، وما أكثر الكتب التي اشتريتها من أجره صلاة الاستسجار. ولا زلت أذكر، ففي أيام شبابي في النجف الأشرف كانت أدرس في النهار وأعمل في الليل من أجل لقمة العيش، وكان عملي تهبيش الأرز وتنظيفه، وذلك لمدة ستة أشهر.

ثم حكى لي بعض الحكايات الأخرى.

فقلت في نفسي: هنيئاً لكم يا أبطال العلم بمثل هذا تنالون شرف المرجعية وقيادة الأمة، ولا يأتي العلم إلا بالفقر والغربة.

فأنتم أهل الخشوع والخشية والولاية الحقّة.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: الخشية ميزان العلم، والعلم شعاع المعرفة، وقلب الإيمان، ومن حرم الخشية لا يكون عالماً، وإن يشق الشغل لمتشابهات العلم.

في محضر شيخ من شيوخ الأخلاق

فطرة الإنسان من نعمة أظفاره ومنذ البداية في تأريخ البشرية تطلب الكمال المطلق ومطلق الكمال، فهو بطبيعته وجبلته وما أودع الله فيه من أسراره تَوَاق إلى نيل تلك الغاية القصوى وإلى الله المنتهى، ويحلّق الإنسان في آفاق التكامل في سيره الآفاقي والأنفسي بجناحي العلم النافع والعمل الصالح، بالعلوم المفيدة والأخلاق الحميدة، بالمعرفة والإيمان، والسالك إلى الله سبحانه وطالب العلم، لا بدّ له في مسيرة حياته العلمية والعملية من حكيم يرشده، ويريه الطريق والسبيل الصحيح والمنهاج القويم، إذ هلك من لم يكن له حكيم يرشده.

ومنذ الصبا برعاية سماحة الوالد الحنون دخلت سلك أهل العلم، وفي اليوم الأوّل من بلوغي بالسنة الهلالية (٦ شهر رمضان ١٣٩١ هـ) في حفلة جماهيرية في الجامع العلوي - بغداد - ألبسني زيّهم - العمّة والقباء والعباءة - وامتنالاً لأمره الشريف إرتقيت المنبر في الجامع، ودرّست الناس في ليالي شهر رمضان المبارك المسائل الشرعيّة (أحكام الصوم من منهاج الصالحين)، كما كنت أدرس عند الوالد قدّس سرّه الشريف المقدّمات من دروس الحوزة.

وبعد الهجرة إلى مدينة قم المقدّسة - إيران - اشتغلت بدروسها الحوزوية،

وقد منّ الله عليّ إذ وقّفتي أن أتشرّف بحضور محافل علماء الأخلاق والعرفان، وقبل إكمال العقد الثاني من عمري، حالفني التوفيق أن أحضى مع مجموعة من إخوان الصفا وخلان الوفا شرف الحضور بمحضر شيخ كبير كريم حامد، من أولياء الله وأوتاد الأرض، بجوار مولانا ثامن الحجج الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه أشرف الصلاة والسلام، وكان المحفل القدسي والمجلس الأنسي يعقد في كلّ ليلة من الساعة الحادية عشرة إلى أذان الصبح - وكنت في خدمته لمدة خمس سنوات حتى وافاه الأجل، فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم بيعت حياً -، وما أروع تلك السهرات واللحظات الملكوتية، حيث كنّا ننسى الدنيا وما فيها، ونعيش في أجواء روحانية وفضاء ملكوتي قلّ نظيره، قد فقدناها مع رحلة الأستاذ إلى جوار ربّه الكريم، قدّس الله سرّه وعطّر الله رمسه وأسكنه فسيح جنانه، وحشره مع أوليائه محمّد وآله عليهم السلام.

وقد كتبت مقتطفات من تلك المحافل المحفوفة بهالة من القدس والكرامة، ولكن هيهات أن تنقل الألفاظ حلاوة المعاني، لا سيما من عالمٍ عامل، تخرج الكلمات من قلبه لتدخل في القلب، لا من مثلي وقد ضيّعت عمري بالآمال والتسويف، وسوّدت صحيفة أعمالِي بالغفلات والذنوب، وجاوزتني قافلة الأبرار والصالحين.

أحبّ الصالحين ولست منهم لعلّ الله يرزقني الصلاحاً

ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

وإليك نبذة يسيرة من جلسة واحدة من جلسات مذاكرة العلم التي قال في فضلها النبيّ الأكرم لأبي ذرّ: يا أبا ذرّ، الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحبّ إلى الله من قيام ألف ليلة يصليّ في كلّ ليلة ألف ركعة، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم

أحبّ الى الله من ألف غزوة وقراءة القرآن كلّهُ^(١)، وهذا يعني أنّ الإنسان يتقرّب إلى الله في ساعة بمذاكرة العلم أكثر من ألف ركعة في ألف ليلة بل أفضل من ألف غزوة وتلاوة القرآن كلّهُ، كما أنّ ليلة القدر خير من ألف ليلة، فتدبّر.

فإليك أيّها القارئ الكريم مقتطفات من كلامه في جلسة واحدة، حيث قال

سماحته :

أثر الزهد :

عليكم بالزهد، فما زهدَ عبدٌ إلّا أسلك الله الحكمة على قلبه، وأجرى بها لسانه، وبصره بعيوب نفسه، وخرج منها إلى الآخرة سالماً، فالعمدة في السير والسلوك الزهد في الدنيا، ولا يكون ذلك إلّا بمدد ومعونة من الله سبحانه، وفي زيارة أمين الله - الزيارة الثانية لأمير المؤمنين عليّ^{عليه السلام} كما في مفاتيح الجنان - «وسيل الراغبين إليك شارعة»؛ فالقصد إلى الله يوجب فتح الباب ولو في الليلة الأولى، «وأعلام القاصدين إليك واضحة»؛ فمن سلك طريقاً ويريد أن تكون فيه علامة وعلماً يهتدى به، فما كان الله سبحانه فهو من الأعلام الواضحة، فالقصد هو العمل لله سبحانه.

وفي هذه الزيارة معارف ومطالب مهمّة، كقوله: اللهم اجعل نفسي مطمئنّة بقضائك، محبوبّة في أرضك وسمائك - ولكن إنّما يطلب من الله أن تكون محبوبة في الأرض عند الناس وفي السماء عند الملائكة لا لنفسه، بل لله سبحانه - مشتاقّة إلى فرحة لقائك - أي الموت وما بعده، فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين، أي غاية

أعمالكم هو الموت، ولكن لا يتمّونه بما قدّمت أيديهم، قيل لأبي ذرّ: لماذا نكره الموت؟ فقال: عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة، فلا بدّ من كثرة الدعاء والتوسّل بالله وبالرسول وأهل بيته لكي يصل الإنسان إلى هذه المقامات الربّانيّة، فإنّ الدعاء محّ العبادة، ولكن لا يدعو لنفسه بل لله سبحانه، فإنّ المؤمن حتّى في دعائه يرى رضا الله وحبّه، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام عندما يسأل الله الحور العين لا شوقاً وشغفاً بهن، فإنّ الحور خلقت من نوره الكريم، بل لأنّ الله يحبّ مثل هذا الدعاء، فهو يدعو حبّاً لله سبحانه.

قيمة المرء بعقله :

العاقل من عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره، والعاقل من وضع الأشياء في مواضعها، وإنّما نعرف قدرنا لو وضعنا أنفسنا في طاعة الله، فإنّ مسير العقل إلى الله سبحانه وتعالى، وأوّل ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل فأقبل، فهو مطيع محض، ولكنّ النفس تميل إلى مشتبهاتها ورغباتها، ومن الصعب أن نجعل هذه النفس الأتّارة بالسوء أن تميل إلى الله، وفي مناجاة الزاهدين للإمام زين العابدين عليه السلام - وأخرج حبّ الدنيا من قلبي... واغرس أشجار محبتك - فلا بدّ من إخراج حبّ الدنيا من القلب أوّلاً حتّى يحلّ محلّه حبّ الله، وهذا ما يسمّى عند علماء الأخلاق بمرحلة التخلية ثمّ التحلية، أي يخرج من قلبه الصفات الذميمة ثمّ يحلّيه بالصفات الحميدة، ثمّ يجلّيه في مرحلة التجلية، والله جبار يجبر العظم الكسير ويبدل السيّئات حسنات، ومن تقدّم إلى الله خطوة فإنّه سبحانه يتقدّم إليه بخطوات، فإنّه يحبّ عبده ويحبّ هدايته ويريد له الخير والصلاح والكمال، وإنّما أرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل ذلك فهو اللطيف الخبير.

المقصود والكمال :

من تساوى يوماه فهو مغبون، فلا بدّ أن يكون كلّ يوم نحو الكمال، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان، فدوماً لا بدّ من الزيادة وإلّا فإلى النقصان، والزيادة في النفس بمعنى زيادة الأخلاق المحسنة وإبعاد الأخلاق الذميمة عن نفسه، لا الزيادة في الأعمال، ومن كان إلى النقصان فالموت خيرٌ له من الحياة، إذ النفس قاشها هكذا، إذا لم تكن في كمال وزيادة فهي في انحطاط وخسارة.

كلمة التوحيد :

من قال : لا إله إلا الله صادقاً فقد فاز وفلح، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، والمراد من القول العمل، فالمؤمن يكون موحداً في كلّ أعماله لا يشرك بعبادة ربّه أحداً، وكلّ من يشغلك عن ربك فهو صنمك، أفرايت من اتخذ إلهه هواه، فن قال : لا إله إلا الله صادقاً فقد فلح، وعلامة صدقه الورع عن محارم الله، ونتيجة صدقه التقرب من الله سبحانه، وبهذا أمرنا الله أن نكون مع الصادقين المقربين، وإلّا فلا يكون في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، بل يكون من الكاذبين - في الدرك الأسفل من الجحيم -.

الثوبة الصادقة :

من السارقين الماهرين فضيل بن عياض، رجع إلى الله سبحانه عندما سمع الآية الشريفة ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾، فقال : نعم آن ذلك، فرجع إلى الله صادقاً، ومن صدق الرجوع أن يرضي خصائمه، فأرضاهم، وبقي

٢٨ من وحي التربية والتعليم

عليه ما سرقه من رجلٍ يهوديٍّ، فجائه ليرضيه، فقال له: لا أرضى عليك حتى تحفر لي هذه الأرض، فهنا كنزاً، فحفر عياض وأخرج كنزاً، فقال له اليهودي: لم يكن في هذه البقعة كنزاً، ولكن سمعت: من تاب صدقاً وقبلت توبته، فلو حفر الأرض لأخرج كنزاً، فأردت أن أمتحن توبتك.

في الخبر الشريف: أنين المذنبين أحبّ إليّ من تسبيح المسبّحين، فمن كان له ربّ جميل هكذا، فلو لم نكن معه فقد خسرنا وذلك هو الخسران المبين.

طوبى لك أيها الشاب :

قال عيسى بن مريم روح الله للحواريين: يوجد في مدينة كذا كنزاً، فذهب وذهب معه الحواريون، وفي الطريق وجد الحواريون كنزاً، فأناخوا رحلهم عنده، فقال لهم المسيح: لم أقصد كنزاً خارج المدينة بل هو في المدينة، فذهب وحده، وحلّ ضيفاً عند امرأة عجوز، ولها ولد شابّ حطّاب قابع في زاوية الدار عليه علامة الحزن والكآبة، فقال له المسيح: ما بالك، وماذا بك؟ فقال له الشابّ: أنت ضيفنا، ولا يسرّني أن أزعجك، فقال المسيح: لعلّي أصلح أمرك. فقال له الشابّ: لقد رأيت بنت الملك، فأشغفني حبّها وعشقها، ولا حيلة لي وأنا حطّاب إلا الموت. فقال له المسيح: غداً أزوّجها لك. وفي غد، عندما أسفر الصبح، قال المسيح للشابّ: اذهب واخطب من الملك بنته. فذهب، وما أن وصل قصر الملك وأخبر البوّاب بمجآته، إلاّ وعلا الضحك واستهزئ به، حتى وصل خبره إلى الملك، فطلبه ليضحك عليه، وليقتضي وقته بالسخرية من هذا الشاب، وما أن دخل الشاب إلاّ والمملك قال له، لو تخطب بنتي ففهرها سبعة أطباق من الجواهر واللآلئ، كلّ طبق بلون. فخرج الشابّ وجاء إلى المسيح وأخبره بذلك. فقال له روح الله عيسى بن

مريم : عليّ بالأطباق. وجعل في كلّ طبق حصي رفعها من الأرض ونظر إليها بنظرة ربّانية، فانقلبت بإذن الله إلى جواهر في كلّ طبق لون. فجاء بها إلى الملك. وما أن رأى الملك ذلك إلّا وقال له : قد استخرجت كنزاً، فقال الشاب : ليس كذلك، إنّما عندنا ضيف فعل هذا، فقال الملك : لعلّه كلمة الله المسيح، فجئني به. فجاء مع عيسى المسيح، وزوّج الملك ابنته، ثمّ قال : ليس لي ولد ليخلفني، فهذا الشاب صهري ووليّ عهدي، فوضع التاج على رأسه، ثمّ مات الملك، فترجع الشابّ على عرش الملوكيّة بين ليلة وضحاها. وعند وداع المسيح سأله الشابّ : أنت الذي دفعني إلى هذا المقام، فلماذا أنت هكذا تعيش بزهد ؟ فقال المسيح : نحن خلقنا لشيء آخر. وأخذ يحدّثه عن التوحيد والمعارف الإلهية. فقال الشاب : عجباً، أخذت الأصل وأعطيتني الفرع، لا يكون هذا أبداً، بل اتّبعتك وأكون معك في الحياة والمات. فترك الملك الدنيوي لينال الشرف الأخروي، وخرج مع عيسى وأصبح من حواريه، وترك الدنيا لأهلها، وعند خروجها من المدينة التقيا بالحواريّين، فقال عيسى لهم : إنّما قصدت من الكنز هذا الشابّ.

فقال الأستاذ - نقلاً عن شيخه في السير والسلوك، وكان من المقرّبين ومن أوتاد الأرض - : إنّهُ عندما سمع هذه القصّة كان ذكره القلبيّ مدّة شهرين : (طوبى لك أيّها الشابّ) فرآه في عالم المكاشفة قائلاً : (طوبى لكم أنتم أمة محمد ﷺ، نحن نتمنّى مقامكم). فقال له : وأنتم أمة عيسى ﷺ، فقال : أين نحن من أمة محمد ﷺ.

حلاوة الإيمان :

نعم، لا بدّ من الصدق، ولا يجد المؤمن حلاوة الإيمان حتّى يدع الكذب جدّه وهزله، في قوله وعمله وسلوكه، بل وفي فكره وأحاسيسه، والتملّق من الكذب، وإذا

٣٠ من وحي التربية والتعليم

قيل لشخصٍ في مجلسٍ : تريد الشاي ؟ فقال : لا ، خجلاً ، وهو يريدُه ، فهذا من الكذب أيضاً .

الأنس بالله :

يا أبا ذرٍّ ، لا تصاحب إلا مؤمناً . يا أبا ذرٍّ ، لا تأكل طعام الفاسقين ، ولا يأكل منك إلا تقيٌّ ، وكل طعام من يحبك في الله ، وأطعم طعامك من تحبه في الله . لو أردنا أن نعمل بهذه الرواية النبوية الشريفة ، فأنه تضيق الدنيا علينا قهراً ، وحينئذٍ يكون رفيقنا ومؤنسنا هو الله سبحانه ، يا رفيق من لا رفيق له ، ويا مؤنس من لا مؤنس له ، ويا صديق من لا صديق له .

كان أحد العرفاء جالساً في بيت فدخل عليه تلميذه ، فقال : أراك وحدك ، فقال الأستاذ : بل الآن أصبحت وحدي ، إذ كنت من قبل أناجي ربِّي . وقال الإمام العسكري عليه السلام : من استأنس بالله استوحش من الناس .

الرفيق الحي :

بكى شخص على موت رفيقه ، فرّ عليه حكيم ، فقال له : منك السبب ، لماذا اخترت رفيقاً يموت ؟ فقال : وهل هناك من لا يموت ؟ قال : نعم ، هو الله ، وهو رفيق من لا رفيق له ، وأسفاً على عبدٍ لا يكون مع هذا الربِّ الرحيم الودود .

رحمة الله وصلة الرحم :

حينما ناجى موسى ربه ، جاء الخطاب : لا تكثر في كلامك يا ابن لاوي . فعُشي على موسى إلى ثلاث مرّات . فقال ربه : يا موسى ، قد ناداك قارون ثلاث مرّات : يا موسى ، - حينما كانت الأرض تبتلعه - وأنت لم تكثر بقوله ، ولو سألتني

مرّة لأجبتّه .

ولما قبضته الأرض وكانت الملائكة تهوي به إلى قعرها، سمع في يومٍ مناجاةً، فسأل الملائكة عن صاحبها، فقالوا: إنّه يونس في بطن الحوت. فسأل من الملائكة الموكلين بعذابه أن يلتقي به، فأذن الله، والتقى به، فسأله عن هارون، فقال له: قد مات، فسأل عن الغيور موسى بن عمران، فقال له: قد مات، وأخذ يسأل عن أرحامه ويونس يخبره بموتهم، فرق قلبه عليهم، فجاء الخطاب للملائكة أن ارفعوا عنه العذاب إلى يوم القيامة؛ لرفقة قلبه على أرحامه.

حبّ الله :

القرآن الكريم هدى للمتقين، والهداية لها مراتب، فالنازلة منها أن يأتي المؤمن بالواجبات ويترك المحرّمات، والعالية أن يواظب على قلبه، ويجلس على بابه، ولا يدخل فيه غير الله، فإنّ قلب المؤمن حرم الله وعرش الله، والقلب السليم النافع يوم القيامة، ذلك القلب الذي لا يكون فيه سوى الله سبحانه، وما فيه اسم الله (اللهمّ إنّي أسألك حبّك وحبّ من يحبّك وحبّ كلّ عمل يوصلني إلى قربك)، فما نعمة أعظم على العبد من أن لا يجعل في قلبه إلّا حبّ الله، فإنّ حبّه نور للهداية ونار لمحو الذنوب.

التقرّب إلى الله :

الشیطان اللعين يقسم على الله بمحمّد وعترته الطاهرين عليهم السلام أن ينجو من عذاب الله، فسئل الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله : وهل ينفعه ذلك؟ فقال: يخفّف عنه العذاب. فيا هذا أمن الأنصاف أن يكون لنا مثل هذا الربّ الرحيم، ومثل هذا النبيّ العظيم، ومثل أهل بيته الأطهار، ولا نتقرّب إلى الله سبحانه ونعبده حبّاً وشوقاً.

المؤمنون الكُمَّل :

لو لم يكن في الأرض مؤمنون كاملون لرفعنا الله إليه ، فبقينا من أجلهم ، لو خُلّيت لا تقلبت . وفي الخبر الشريف : اطلبوهم ، فإن وجدتموهم فزتم . المؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر ، فمن منكم وجد الكبريت الأحمر ، والمؤمنة أعزّ من المؤمن ، فنادرًا ما يجد الإنسان المؤمن الكامل .

مناجاة المريدين :

عليكم بتلاوة المناجاة الخمس عشرة لمولانا زين العابدين عليه السلام ، لا سيّما عليكم في كلّ ليلة قراءة مناجاة المريدين ، وفيها : قَرَبَ عَلَيْنَا البعيد ، وسَهَّلَ عَلَيْنَا العسير الشديد . والحقّ أنّ المناجاة ليست إلّا بحكم النسخة الطيّبة ، فتارةً يبتلى الإنسان بمرض الذنوب فعليه بمناجاة التائبين ، وأخرى بشكوك النفس الأمّارة فعليه بمناجاة الشاكّين ، وهكذا . وإذا قرأ ذلك لله فإنّ الله يجبر الضرر ، وإذا أراد نفسه فليس له ذلك .

حسن الظنّ بالله :

عندما سمع الأعرابي أنّ الحساب يوم القيامة بيد الله فرح بذلك ، وقال : لو كان بيد غيره للبئنا خمسين ألف سنة ، فإنّ الله سريع الحساب ، وعلينا أن نحسن الظنّ بالله سبحانه ، وحسن الظنّ بالله أن لا نرجو إلّا الله ولا نخاف إلّا من ذنبا ، فخيره إلينا نازل ، وشرّنا إليه صاعد ، فأنّت نعم الرّ وأنا بئس العبد ، فاجعلني كما تحبّ يا ربّ ، فكفّيني عزّاً أن أكون لك عبداً ، وكفّني بي فخراً أن تكون لي ربّاً ، أنت كما أحبّ فاجعلني كما تحبّ ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

من كرامات

الطالب والمطلوب

شيخي هذا في السير والسلوك كان من حوارى الشيخ رجب على الخياط وأصحاب سرّه، فإنّه رافقه أكثر من خمسة وعشرين عاماً، وكان شيخي ابن تاجر معروف في طهران، إلاّ أنّه ترك تجارة والده وديناه، وواكب جناب الشيخ الذي كان يمتن الخياطة، وتتلّمذ عنده في العلم والعمل.

كان جناب الشيخ رجب على الخياط الملقّب بـ (نكوگويان) - أي حسن الكلام - من أوتاد الأرض صاحب الكرامات والبركات والمقام الشاخص، قد فتح الله بصره وبصيرته، وسمعه وقلبه، حتّى كان يرى ما لا يرى غيره ويسمع ما لا يسمع غيره، كان يرى عالم المعنى وعالم البرزخ، وتعلّقت روحه بما وراء الطبيعة، وكسر قشور العالم المادّي ليرتبط بالعالم العلوي والغيبى التجردى.

ومن حكم العالم الطبيعي المادّي أنّ فرخ البيض، ما دام لم يتكامل جسده ولم يبلغ رشده، فإنّه يبقى محبوساً في قفص البيضة، وربما تفسد ويموت الفرخ فيها، ولو يتمكّن من قفصها حتّى يخرج إلى فضاء رحب ووسيع.

وكذلك الإنسان الذي انطوى فيه العالم الأكبر، وكرّمه الله على خلقه، فإنّه في بيضة دنياه الدنيّة، وإنّه ما دام لم يتكامل في روحه ويبلغ رشده العقلي، يبقى محبوساً

٣٤ من وحي التربية والتعليم

بين جدران بيضة الدنيا، وإذا تكامل ووصل إلى مرحلة البلوغ والنضوج العقلي - ذلك العقل الذي يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان - فإنه يكسر جدار بيضة الحياة المادية، ويفقس قشر الدنيا، ويخرج إلى العالم الغيبي التجرّدي ويحلّق في أجواء ما وراء الطبيعة وفي سماء الميتافيزيقية، فيرى هناك عالماً آخرًا يختلف تماماً عن هذه النشأة المادية والحضيض الهولواني، ويشاهد عالماً يحكمه النور، ولا يقاس بهذا العالم الهولواني السفلي، وإذا خرج من بيضة العالم الدنيوي، فإنه حينئذٍ بإمكانه أن يتصوّر بقلبه الذي هو حرم الله وعرش الرحمن ويفسّر الآيات الكريمة والروايات الشريفة الواردة عن الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام الذين هم أركان وسادات ذلك العالم التوحيدي العلوي والغيبي، كما هم أرباب وسادات السماوات والأرضين وما فيهنّ.

حينئذٍ يدرك قول الإمام الصادق عليه السلام في الجبر والتفويض، وأنه لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين الأمرين، لا يعني أنه الأمر البيني المركّب والمخلوط من الجبر والتفويض وأنه جزء من هذا وشقص من ذاك، بل هو عالم آخر ومقولة أخرى غير المقولتين بلا جبر ولا تفويض ولا المركّب منهما.

وكذلك الكلام في كلّ ما ورد عنهم عليهم السلام في مثل هذه المعارف السامية والمطالب العالية والموضوعات الدقيقة، فتتكشف له الحقائق وتتضح عنده سلسلة العلل والمعاليل في الوجود، فيعرف فلسفة الحياة وسرّ الخليقة.

ثمّ إنّما يتمكّن الإنسان الكامل من كسر قشور البيض الدنيوي، حينما يصل إلى مقام المضطرّيّة ثمّ الدعاء.

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفَ السُّوءَ ﴾ .

﴿ قُلْ مَا يَغْنَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاءُكُمْ ﴾ .

وذلك البلوغ والوصول يكون بالصبر، فإنّ (الصبر مفتاح الفرج) وإِنَّه (من صبر ظفر)، كما إنَّ من أهمّ وسائله الموصلة إلى ذلك المقام الرفيع هو التقوى والورع عن المحارم والعمل بما علم:

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ .

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ .

(ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم)، و (ليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء أن يهديه)، و (ليس العلم في السماء).

فهذا كلّه من العلم اللدنيّ والوراثي الإلهي الذي به يفتح أفعال أسرار الكون المعقّد.

وشيخنا الحياط رحمته كان من أولئك القلائل الأفذاذ الذين وصلوا إلى مقام الولاية بتهديبهم وتركية أنفسهم وتربيتها تربية إلهية وقدسيّة رحيميّة، حتّى كان من المقرّبين.

وإنّي تعلّقت بهذا الشيخ قلباً وروحاً وطلبتّه سيراً وسلوكاً من خلال أساتذتي الذين أدركوا فيض حضوره.

فوددت أن أدوّن ما سمعته أو قرأته عنه، عسى أن أكون مسرّجاً ومنوراً بضوء نوره طريق السالكين إلى الله سبحانه، وأتقرّب إلى الله بذلك.

وكنت في بداية الأمر أبحث عن سبب رفعته وعلوّه في هذا المسلك والمرام، وكيف بلغ هذه الدرجة من الروحانيّات، مع أنّه لم يحضر عند أستاذ أو يدرس في مدرسة، أو يدخل حوزة ...

١ - فحدثني أستاذي يوماً : إنه لما كان جناب الشيخ صبيّاً وقبل بلوغه^(١)، كان والده في فراش الاحتضار وحوله إخوته وأقاربه، فنظر إليهم ثمّ نظر إلى ولده الصغير، فقال له : ولدي رجعلي، إني على فراش الموت وذاهب إلى ربّي، نظرت إلى أعمامك وأخوالك وأردت أن أوصيهم بك خيراً ويتكفلوا أمرك، ولكن امتنعت عن ذلك لأنّي أريد أن أوصي الله بك خيراً، فجعلته عليك وكيلاً ووليّاً، فأنت في عين الله، ثمّ فاضت روحه الطاهرة من ساعته، ومن ذلك اليوم كان الله سبحانه يأخذ بيد الشيخ وبياربه ويهديه إلى الصراط المستقيم، حتّى بلغ الكمال الإنساني.

٢ - كما أنّ الشيخ كان يقول : ومن أسباب توفيقى في السير والسلوك أنّي يوماً عملتُ عملاً مستحبّاً وأهديته إلى أحد الأموات، فدعا لي ذلك الميّت المؤمن فاستجاب الله دعاءه فهداني بعناية خاصّة.

٣ - كما أنّه في أيّام شبابه - الظاهر كان عمره ٢٢ سنة - اختلت به امرأة جميلة قد عشقته، فحبسته في دار وطلبت منه ما طلبت زليخا من يوسف، فامتنع عن ذلك خوفاً من الله، وكان يقول : قلت في نفسي : يا رجعلي، إلى يومك هذا كان الله يمتحنك، واليوم تعال وامتنحن ربّك، فقلت : يا إلهي، أترك لك هذا الذنب وأنت تكفّل بتربيّتي، فأخذ الله بيدي وفتح بصري البرزخي، فرأيت - آنذاك - ما لا يراه غيري وسمعت ما لا يسمعه غيري.

(١) كان عمره آنذاك ١٢ سنة وهو الوحيد لوالده المرحوم مشهدي باقر، أسكنها الله فسيح

كان الشيخ يوصي دائماً بالذكر والإخلاص والإحسان إلى الخلق، فإنه من ذكر الله سبحانه أحيا قلبه ونور عقله ولبّه، ومداومة الذكر قوّة الأرواح، والذكر مفتاح الأنس، ومن أكثر ذكر الله أحبّه.

ومن أخلص لله أربعين يوماً جرت ينابيع الحكمة من قلبه، والإخلاص سرّ من أسرار الله، وليكن لك في كلّ شيء نيّة صالحة حتّى في النوم والأكل، أخلص تنل، ومن كان لله كان الله له.

خير الناس من نفع الناس وانتفع الناس منه.

فكان يوصي بالإحسان على الخلق وعلى المؤمنين، لا سيّما كان يوصي بالإطعام والضيافة.

كان قلب الشيخ مرآة الحقّ تنطبع فيه الحقائق الربانية، فإنه وصل إلى ربّه عارفاً به في بحر جوده وفيضه وعظمته.

كان يعمل ويأكل بعرق جبينه، فاحترف الخياطة واشتهر بها، فإنّ الكاسب حبيب الله، والكادّ لعياله كالمجاهد في سبيل الله، فكان يقنع بما يكفيه وغياله، ويوزّع الزائد على الفقراء والمساكين، ولم يدّخر لنفسه شيئاً، ويرى كلّ ذلك من فضل ربّه. سرّ توفيقه كان في حبّه لله وإخلاصه في جميع أعماله، ومن خلال الأدعية والأوراد والأذكار وقف على بواطن الأشياء وحقائقها.

٤- في يوم من الأيام سأله شخص عن سبب موت ولده الشاب، فأطرق رأسه ثمّ قال له: هل كان عندكم في البيت بقرة، فأجاب: نعم، فقال: قد ذبحتم عجلها أمام عينها. فقال: نعم، فقال: إنّها دعت عليكم بفقد ولدكم كما أفقتم عجلها فاستجاب الله لها.

٥- كان الشيخ يعرف لسان النباتات وقد علّمه الله منطق الحيوانات، يقول :
عندما كنت مريضاً واستعملت الأقراص الطبيّة للتداوي رأيتها تستأذن وليّ الله
عليّ في تأثيرها لإزالة المرض .

٦- وفي يوم : يأتيه صاحب مطعم يشكو كساد عمله بعدما كان ناجحاً،
فأجابه الشيخ : ومنك السبب . فقال : وكيف ذلك وأنا أداري زبائني حتى الأطفال ؟
فقال له الشيخ : أتذكر يوماً دخل عليك سيّد وأكل عندك ولم يكن عنده مال وإلى
ثلاثة أيام، ففي اليوم الثالث دفعته من حانوتك فانكسر قلبه، فابتلاك الله بنقص في
الأموال، فتذكّر صاحب المطعم ذلك فتاب إلى ربّه وأرضى السيّد وتعاهد مع نفسه
بإكرام الفقهاء في مطعمه، وكان يقدّم الطعام إلى المحتاجين بالنسيئة والدين، فتحسّن
أمره وزاد رزقه .

عرفه الناس بالتواضع وحسن الخلق والخير للناس، وقد أخذ العلم من أفواه
الرجال، من العلماء الأعلام والمخطباء الكرام، وعمل بما علم فأورثه الله علم ما لم
يعلم، فكان يجاهد نفسه ويزكّي قلبه، ويصيقلها حتى كان وعاءً لفيوضات الله
وللعلوم والمعارف الإلهية والنبويّة والولويّة، فكان قلبه مرآة الحقائق .

زهد في دنياه وأخلص في عمله وأحبّ الله وعشقه واعتقده في كلّ وجوده
ونجاهه في سرّه وسريرته كان ناصحاً واعظاً متّعظاً أمراً بالمعروف مؤتمراً، ناهياً
عن المنكر منتهياً، متّقياً ورعاً متوكّلاً على ربّه في كلّ الأمور .

٧- وحينما يذهب مع أصحابه إلى زيارة قبر من قبور الصالحين يخبرونه أنّ

الجسر في الطريق غير صالح ولا يمكن العبور فيقول لهم : توكلوا على الله، فيذهبون ويرون الجسر قد عمّروه وأصلحوه .

كان معلماً لأفاضل أهل العلم، يعلمهم حبّ الله، والإخلاص له، وأنهم لو أخلصوا لفتح الله عليهم أبواب السماوات والأرض مدراراً، فكان خلاصة كلامه : « العمل لله فقط » .

كان يدعو الناس إلى الخيرات والمبرّات والأعمال الصالحة، وكان يخبرهم عن بعض الأسرار الكونيّة ليجذبهم إلى الله سبحانه، حتّى كان يبيع بما يجري عليه وتظهر على يديه بعض الكرامات لهداية الناس .

٨- قال يوماً : كنت في السوق فخطر على ذهني ذنب، فاستغفرت الله سريعاً، ثمّ مرّت عليّ قافلة جمال فأراد أحدها أن يصيبني بركلة فتنحّيت عنها ونجوت منها، فأتيت المسجد مصلياً ففكرت في ركلة البعير أنّه لماذا حدث هذا الأمر، فأخبروني في عالم المعنى أنّك فكرت بذنب، فقلت : ولم أفعله، فقالوا : ولم يصبك من البعير أذىً أيضاً . فكان يقصد من هذه الحكايات تربية السامعين لا أن يمدح نفسه ويزكّيها .

٩- وفي ضيافة يرى اضطراب إخوانه من قلّة الطعام (الأرز) فيقول لهم : لا تخافوا، ويقول : إن شاء الله لم ينقص . وإذا به يطعم خلقاً كثيراً ويبارك فيه فيأكل الجميع حتّى من كان في الباب واقفاً .

إنّه كان ينصح من يستنصحه فيرى باطنه فيوعظه بما فيه من النقص .

كان يرى خيراً الأفعال في السير والسلوك أربعة أشياء :

٤٠ من وحي التربية والتعليم

أ- الطلب من الله والاستغناء عمّا في أيدي الناس .

ب - الدعاء والتوسّل بالأئمّة الأطهار عليهم السلام ، فهم باب الله الذي منه يؤتى وإلهم يتوجّه الأولياء .

ج - الإحسان إلى الخلائق فخير الناس من نفع الناس وانتفعوا به ومنه .

د - التخلّق بأخلاق الله عزّ وجلّ .

كان يدعو الناس دائماً إلى محبّة الله والإخلاص له ، وقد ربّي في هذا الوادي مجموعة من الصالحين والعلماء العاملين من خيرتهم أستاذنا الحامد قدّس سرّه الشريف :

١٠ - في يوم من الأيام استدعني خطيباً وقال له : يا سيّد ، خدمة الحسين

عليه السلام لا يؤخّرون صلاتهم إلى آخر الوقت ، فلا بدّ أن تصلّي في أوّل وقتها .

١١ - حدّثني أستاذي : أنّ شخصاً كان يخدم في مجالس سيّد الشهداء عليه السلام

وكان يترنّم بيت من الشعر باللغة الفارسية (من حسين دارم چه غم دارم)

يعني أنا عندي حسين فلا غمّ لي إذن ، فكان جناب الشيخ رجبعلي يقول في نفسه :

إنّ الإمام عليه السلام سيتفضّل على هذا الشخص يوم القيامة ويخلّصه من أهوالها وهمومها

وغمّها ، فرأى في ليلة يوم المحشر وإذا بالإمام الحسين عليه السلام يحاسب الناس وهذا

الشخص في أوائل الصفوف ، فيقول الشيخ : قلت في نفسي هذا يومك يا رجل هنيئاً

لك ، وإذا به أرى الإمام الحسين يأمر ملكاً أن يجعل ذلك الرجل إلى آخر الصفوف

ثمّ التفت إليّ وقال : يا شيخ رجبعلي نحن لسنا رؤساء السارقين ، قال ذلك بغضب ،

فتعجّبت من ذلك واستيقظت ، فبحثت عن عمل الرجل وإذا به أجدّه عاملاً للدولة ،

ويأخذ السكر لبيع على الناس بقيمة الحكومي، وإذا به يسرق مال الناس متحياً على الدولة والحكومة آنذاك.

كان الشيخ يحيى اسم الله في قلوب سامعيه ومخاطبيه، فكان يتأثر به كل من يسمع كلامه ويتزود به في حياته العملية، فكان يدعو الناس إلى أن يتحلوا بصفات الله العليا وأسماؤه الحسنى ويتخلقوا بأخلاقه ويتأدبوا بآدابه، فكان يقول للناس حسناً يدعوهم إلى ربهم وأن يعرفوا أنفسهم، ولا يرافقوا الأشرار والفساق حتى يفتح لهم سرادق الغيب وحضيرة الملائكة وساحات الأخيار، فإنّ قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل.

ثمّ كان محور دعوته هو الإخلاص وحبّ الله، وإنّه لو كنّا نخاف من عقاب الله جلّ جلاله بمقدار خوفنا من العقرّب ولذعته لا نصلح أمرنا وتحسنت أحوالنا.

ثمّ لا بدّ من تغيير وتبديل كلمة (أنا) الدالّة على الأنانيّة وحبّ الذات إلى نكرانها وربانيّتها، وإنّ من أراد غير الله فإنّه أصمّ عن الحقّ وأعمى عن الحقيقة، وإنّ القلب حرم الله جلّ جلاله، فصاحب القلب هو ربّ العالمين، فلا تسكن غير الله فيه، والقلب مرآة علم الله، فلا يطبع فيه سوى الله، ولا تعملوا للثواب أو خوفاً من العقاب، بل عليكم بعبادة الأحرار والشاكرين. ومن أراد الراحة فعليه أن يعطي عمره لله سبحانه، وكمال الإنسان في أن يكون مظهراً لصفات الله، ومن أراد الدنيا وزبرجها فإنّه يصل إليها، ولكن لا تنفعه بل تكون وبالاً عليه، وإذا أردت أن يناجيك ربّك في سرّك ويأخذ بيدك فعليك أن تعرفه وتتفاعل معه، ولو وقفتم على باب قلوبكم ولم تدخلوا غير الله فيها، فإنّكم ترون عالم الملكوت، ترون ما لا يراه غيركم وتسمعون ما لا يسمعه غيركم، ومن عمل لله انفتح عين قلبه، وإنّ الله لطيف بعبده، حتى يرد العبد وكأنّه هو العبد الوحيد لله من كثرة لطفه وإحسانه وهدايته،

٤٢ من وحي التربية والتعليم

فإنه في كل لحظة وكأنه يرى الله يكلمه ويهديه قائلاً: افعل هذا ولا تفعل هذا، حتى يصلح أمره.

من أراد الدنيا فإنه في عالم المعنى والباطن يكون كلباً، ومن أراد الآخرة، فإنه بحكم الخنثى، ومن أراد المولى جلّ جلاله فهو الرجل حقاً. ومن عمل عملاً عليه أن يتقنه ويحكمه، فإن الخياط عليه أن يستعمل الإبرة الجيدة والخيط الجيد ويخيط جيداً، وهكذا في كل عمل وفعل فإن الرسول الأكرم ﷺ يقول: ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه.

من أحب شخصاً صرف عليه المال، ونحن لو أحببنا الله سبحانه لا بد أن نصرف المال في سبيله، كما على المؤمن في كل صغيرة وكبيرة أن يكون عمله باسم الله، فإن لو لم يبدأ باسم الله فهو أبتز غير مبارك، مقطوع الأثر، وعلى المؤمن أن تكون أعماله عليها صبغة الله وسمته. وكل ما عملتموه فانسبوه إلى ربكم، فنه وإليه، وإنه من فضل الله عزّ وجلّ. هذا من فضل ربّي.

قبل رحيلكم من دنياكم اعملوا ما تتمناه الأموات فإنهم يتمنون الرجوع إلى هذه الدنيا ليعملوا الصالحات :

﴿ رَبِّ أَرْجِعُونِي لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً ﴾ .

ليكسبوا رضى الله .

الدين هو ما يقال على المنابر من قبل العلماء والخطباء، إلا أنه ينقصه حبّ الله والإخلاص له .

فعليكم بحبّ الله والعمل الخالص والنية الخالصة، ومن عمل لله وكان لله كان الله له، فيدخل في ملكه وملكوته وسلطنته .

كلنا نتصور بأننا مؤمنين، ولكن عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان، وتعرف

من كرامات الطالب والمطلوب ٤٣

جواهر الرجال، فكل نفس يتنفسه الإنسان هو في امتحان ربه، فانظروا هل أنفساكم للرحمن وإيها أنفاس إلهية، أو أنها مرتع للشيطان وأنفاس شيطانية تحفها نوايا ونفحات شيطانية إبليسيّة.

كلّ واحد عند موته وبعده يقول: صدق الله ورسوله لما يعاين من الحقائق، ولكن الذي ينفعه قوله ذلك قبل الموت وفي حياته قولاً وعملاً.

لا تهتمّوا ولا تحزنوا لرزقكم فإنّه مكتوب لكلّ واحد ما له من سهم. طلبت من الله أن يوقفي على سرّ خلقته، فعرفت أنّه الإحسان إلى الخلق، فلا تغفلوا عن ذلك.

أشقى الناس من ابتلي ببليّة وغفل عن ربه، وعليكم بتقدير واحترام ذراري رسول الله ﷺ.

هذا الدين ليس للنتائج، إنّما هو للمحبّة وعشق الله سبحانه، خالفوا أنفسكم واعلموا أنّ لقمة الحلال والحرام لها تأثير بالغ حتّى كاد أن يكون ابن الحلال من أثر لقمة الحرام أن يفعل ما يفعله ابن الحرام وكذلك العكس.

لا تعتمدوا على مكاشفاتكم، ولا تتيقنوا بها، فمنها ما هي شيطانية، إنّما قادتكم وأسوتكم أمّتكم الأطهار عليهم السلام.

الملقعة للأكل، والفنجان للشاي، والإنسان إنّما خلق ليكون إنساناً كاملاً. كان الشيخ يأمر إخوانه بمدّ موائد الأطعمة في بيوتكم لما فيها من البركات والخيرات وإيها من أهمّ مصاديق الإحسان.

كان يقول: التقوى هو الاجتناب عن غير الله سبحانه، فلا محبّة في سويداء القلب سوى محبته جلّ جلاله، وعلى العارف بالله أن يجلس في باب قلبه ويمنع الأغيار عن دخوله، وسيّد الأغيار النفس الأمّارة بالسوء، فلا بدّ من مخالفتها، فقد

أفلح من زلها وقد خاب من دسها.

كما أنّ الحيلة والمكر لا يتلاءم مع روح التقوى، ولكن من المؤسف أنّ أكثر تجارنا وكسبتنا اليوم يحاولون تحليل القضايا بحيل شرعية، كسني إسرائيل حين منعهم الله عن الصيد يوم السبت، فإنهم كانوا يتحيلون في جمع السمك يوم السبت لصيدها في اليوم الآخر.

من يصل إلى مرتبة العقل فإنه لا يخالف ربه ولا يعصيه، فإنّ العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان.

نحن لا ندرى ماذا أعدّ وراء الستار وماذا يكون وراء الغيب، فربّ قول أو فعل يوجب سخط الله وله آثار وضعية خطيرة نغفل عنها فتؤثر في حياتنا وتزداد محنتنا ومشاكلنا ومصائبنا وحتىّ تؤثّر في أولادنا، فلا بدّ من الاستغفار كثيراً، ليل نهار.

من كان موحداً ويتجلّى فيه كلمة التوحيد (لا إله إلاّ الله) فإنه لا يعبد سواه ولا يتعلّق قلبه بغيره، ولا تقدر النفس والشيطان حينئذٍ عليه.

من زهد في الدنيا فإنه يدخل في حظيرة الله وقده، ويسير المعرفة يوجب الزهد، والقلب حرم الله وعرشه، فلا يلميه ولا يطمئنّ إلاّ بذكر الله.

﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١).

ومن كان ربه في قلبه، فإنه يتمكن أن يجعل جميع أعماله لله سبحانه، وإلاّ فإنّ من تعلّق بغيره، فإنه يتشكّل به في عالم البرزخ والمعنى، فالمرء مع من أحبّ، فلا بدّ لمن أراد الوصول إلى صانعه أن يكون مريده، ويطيعه شوقاً وحبّاً، وإنّ الله يأمر

بالعدل والإحسان، والإحسان هي المرتبة العالية في المعاملات والأفعال.

وقد تكفل الله رزق العباد :

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (١).

فليس المطلوب منا ذلك، إلا أنه نركض وراءه وكأن الله لم يتكفل، ونسينا أنه خلقنا للآخرة والوصول إلى الله سبحانه، وإلى ربك المنتهى، وإليك كادح إلى ربك كدحاً فلاقية.

الإنسان تجلّى فيه روح الله :

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ .

فعليه أن يفعل فعل الله، فإن روح البقرة تفعل فعل البقرة من الخوار، وروح الديك يفعل فعل الديك من الصياح، وروح الإنسان الذي هو من روح الله لا بد أن يفعل فعل الله ويقول بقول الله، ومن أحسن من الله صبغة ومن أصدق من الله قيلاً. هذه جملة وصايا^(٢) شيخنا الأجلّ في مجالسه الروحانية، ومن أخلاقه الرفيعة كرمه وجوده واحترامه الضيوف كثيراً، وأكثر من ذلك احترامه وتقديره لذرية رسول الله ﷺ، وكان يراعي آداب الضيافة غاية المراعاة.

كان يهتم بالنوافل والمستحبات حتى صار مصداق قوله تعالى :

﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِدًّا ﴾ (٣).

(١) هود : ٦.

(٢) اقتباس من كتاب (تنديس اخلاص) حياة الشيخ رجبعلي الخياط باللغة الفارسية، بقلم

الشيخ ري شهري.

(٣) مريم : ٩٦.

فدخل في القلوب فللكها وأحبّه الجميع .

إنّه كان في خدمة الناس ، يريهم ما فيه الخير والصلاح بفراصة من الله ونوره .

١٢ - حينما شكى بعض الفلاحين في ما زدران قلة المطر والجذب ، يأمرهم أن يذبحوا بقرة ويطعموا الناس والفقراء ، فلمّا فعلوا ذلك ، وقبل أن يجمعوا المائدة ، نزلت الأمطار الغزيرة برحمة الله الواسعة .

أفتح الله بصر الشيخ في رؤية المعيّبات وسلسلة العلل والمعاليل في هذا الكون الرحب الواسع ، وانكشفت له بعض الأسرار الكونيّة ، وما وراء الطبيعة ، كلّ ذلك لكفّ نفسه عن المحرّمات والورع حتّى عن المكروهات ، وعشقه لله وإخلاصه في العمل ، فكان يقرأ الضمائر ويرى البواطن .

١٣ - يحدث أحد المؤمنين أنّي كنت في حضرة الشيخ فخطر على ذهني أنّه هل يمكن أن يكون للإنسان الدنيا والآخرة معاً ؟ فالتفت إليّ الشيخ وقال : اقرأ كثيراً :

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

١٤ - وعندما يلتقي بأحد العلماء الذين توغّلوا في المنهج العقلائي والفلسفيات ، ويطلب من الشيخ النصيحة ، فيقول له : ماذا أقول لمن يعتمد على علومه أكثر ممّا يعتمد على فضل ربّه .

فيطرق العالم رأسه غارقاً في نفسه ، وبعد برهة يرفع عمامته ويضرب رأسه بالحائط باكياً متأثراً بكلام الشيخ .

١٥ - وعندما يدخل عليه الخطيب والشيخ في مناجاته مع إخوانه فيقول الخطيب في نفسه : لو كان الشيخ من المقرّبين عند الله لتحسّن حالي ومجالسي في هذه السنة، وكان يقصد الجانب المادّي والاقتصادي، وإذا بالشيخ وهو في وسط تلاوة الدعاء يقول : أنا أقول له دع المال، وهو يمتحنني بالمال، ثمّ استمرّ في دعائه.

١٦ - وعندما يدخل مقبرة كاشان مع أصحابه يشمّ رائحة الوردة الحمراء، فيسأل صاحب المقبرة عمّن دُفن في هذا اليوم، فيشير إليه بقبرٍ جديد، فيأتيه الشيخ ويقول : لقد جاء سيّد الشهداء عليه السلام لرؤية صاحب هذا القبر، وهذه الرائحة الطيبة إنّما هي منه عليه السلام، وقد رفع الله العذاب عن أهل هذه القبور ببركة سيّد الشهداء عليه السلام.

١٧ - وعندما يرى الشيخ شاباً في شبّاك الإمام الرضا عليه السلام يبكي ويدعور به في طلب حاجة، يقول الشيخ لأحد أصحابه : إذهب وأخبر هذا الشابّ أنّه قضيت حاجتك. فيسألون الشيخ عن القصة فيجيبهم أنّه يطلب زواج بنت امتنع أهلها عن تزويجها، فرأيت الإمام عليه السلام يقول بقضاء حاجته.

١٨ - ولشخص آخر يخبره أنّك أردت ولداً من الإمام الرضا عليه السلام، فإنّه يعطي لك ذلك بفضل الإمام وسمّه (رضا).

١٩ - وفي يوم من الأيام يعطي مالاً لأحد أصحابه ليوصله إلى إمام جماعة

٤٨ من وحي التربية والتعليم

مسجد في طهران، وبعد ذلك يسألونه فيقول إمام الجماعة: في ذلك اليوم أتاني ضيفٌ ولم يكن لديّ شيءٌ أقري به الضيف، فتوسّلت بصاحب الزمان عليه السلام، فأتاني المال المطلوب من قبل الشيخ عليه السلام.

٢٠ - وحينما يسأله أحد أصحابه أن يدعو له بولد طالباً ذلك من الإمام الرضا عليه السلام فيقول له: سيولد لك مولدان، فاذبح لكل واحد منهما بقرة لله سبحانه وأطعم الناس منها. ففعل للأول بعد ولادته، ولكن للثاني اعترض عليه الناس على أنه من يقول بأن كلام الشيخ صحيح، فلم يذبح، فمات الولد الثاني، ولما أخبروا الشيخ بذلك قال: على المسلم أن يف بوعده وعهده.

﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ ﴾

٢١ - وعندما يسرق مال كثير من شخصٍ قد أعدّه لشراء دار، وكلما يبحث عنه لم يجده، حتىّ توسّل بصاحب الزمان عليه السلام فأشير عليه بأن يذهب إلى الشيخ، فيأتيه، فيدله على دار في كرج وأنّ المال بجنب تّور في منديل أحمر من حرير، يأخذه ويخرج سريعاً من الدار، ويدعوه إلى شرب الشاي فلا يستجب لهم، فكان الأمر كما قال الشيخ، وكانت الدار لخادم صاحب المال.

وهذه كرامات أراد الله سبحانه لأوليائه وخصّها بهم.

﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾^(١)

فيكون وليّ الله في حياته وبعد مماته نجماً ساطعاً وكوكباً دُرِّيّاً يهتدى به، فهو

من كرامات الطالب والمطلوب ٤٩

الذي يديم خطّ الأنبياء وشرائعهم السماوية، وهو يرث العلماء في علومهم وأخلاقهم وبركاتهم، فهو الأمين والشهيد الشاهد على المجتمع في رعايتهم المبادئ القيّمة والعقائد السليمة، فمن سنن الله جلّ جلاله أن تظهر النبل والكرامات على يد أوليائه لتكون الحجّة البالغة لله سبحانه، وتظهر آثار الأمانة والثقة والمسؤولية من الكرامات على يد الصلحاء الأخيار لهتدي من يهتدي على بيّنة من أمره وبصيرة تامة في حياته.

فظهرت الكرامات على يد هذا الرجل العظيم الذي أوقف نفسه لله، فأحبّه وقرّبه وقدم له الذكر العليّ والثناء الجليّ.

٢٢ - عندما يدخل داراً ليبارك صاحبها بعرس ولده، وقد فتح الشاب الطائش الكرامافون ليرقصوا حوله، فينهرهم صاحب الدار احتراماً للشيخ، إلّا أنّهم لم يرتدعوا، فيخرج الشيخ، فيعطل الكرامافون، فيبدّلوه بآخر، فكذلك يعطل، فعرفوا أنّ هذا من كرامات الشيخ.

٢٣ - وحينما يخبروه أنّ أحد أولاد أقربائه قد أصيب بحادث سيّارة، وهو في المستشفى في حالة خطيرة، يأمر أهله أن يذبحوا شاة ويطعم بها الفقراء، وأربعين نفرّاً من عمّال الفواكه، ويدعون له، فيفعلون، وإذا بالولد سريعاً ما يشفى ببركة الإحسان إلى الناس.

٢٤ - ولما يدخل عليه أحد أصحابه وقد رأى في الطريق امرأة جميلة أخذت قلبه، فيقول له الشيخ: يا هذا، أرى فيك الظلمة، فيقول الرجل في نفسه:

٥٠ من وحي التربية والتعليم

(يا ستار العيوب)، فيضحك الشيخ ويقول: ماذا فعلت؟ فإنه محي عنك ما كنت أراه.

٢٥- وفيما يطلب منه أحد أصحابه أن يرزقه الله ولداً، فيأمره بإطعام الطعام، وإذا ولد له مولوداً يسميه (مهدي)، ففعل ذلك الرجل وجمع إخوانه في وليمة وقرأ مجلس عزاء سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وفي اليوم التالي لمّا أتى الشيخ أخبره الشيخ بكلّ ما جرى في المجلس حتّى قال له: وكان بيدك إناء أخضر تصبّ فيه الماء وسط المائدة، ففي تلك اللحظة كان سيّد الشهداء عليه السلام يجنب المنبر جالساً وقد دعا لك بالولد، وبعد زمان قصير رزقه الله ولداً سمّاه (مهدي).

٢٦- وعندما يطلب منه صاحب منصب عالٍ في الحكومة أن يدعو له في شفاء رجله، فيقول له: كانت لك سكرتيرة كتبت لك يوماً خطّاً غير جيّد، فوجّحتها، فانكسر قلبها وبكت، وكانت تلك المرأة من العلويّات من ذرية رسول الله، فإذا أردت الشفاء والصحة فعليك أن تطيّب خاطرها وتعتذر منها، فبحث عنها حتّى وجدها فأرضاهَا واعتذر فشافاه الله سبحانه.

٢٧- ولما يدخل عليه سائق سيّارة يخاطبه الشيخ: ماذا فعلت بالأمس، فأني أرى فيك نوراً. وكان السائق في أمسه أعان أعمى على عبور الشارع وأركبه سيّارته وأوصله إلى مقصده مجاناً.

٢٨- وامرأة تضرب ولدها ضرباً مبرحاً لخطأ صدر منه، فتبتلي بالحمتى

الشديدة، وفي طريقها إلى المستشفى في السيارة بمعية الشيخ يشكو زوجها انحراف صحة زوجته للشيخ فيقول لهما: لا يضرب الطفل هكذا، فعلها بالاستغفار وأن ترضي ولدها، ففعلت فتعافت.

٢٩- وأحد أصحابه في رجوعه من زيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام يسأل عن سبب عدم توفيقه الدخول في يوم إلى الحرم الشريف حيث أن الكيشوان لم يستلم حذاءه ولثلاث مرّات حتّى يبكي تحت الميزاب فيتوقّف للدخول. فيقول الشيخ: إنّما السبب منك، فإنّك كنت تذهب إلى عطار المحلّة عصراً وتجلس عنده، فأنت زائر الإمام فلماذا هذا الجلوس؟

٣٠- وشخص قد أصيب برأسه جرحاً، فيسأل الشيخ عن السبب، فيقول له: لقد أذيت طفلاً في مصنعك، فما دام لم يرض عنك فإنّ عقابك يتكرّر، فيصدّقه ويرضي الطفل، فيرتفع عنه البلاء.

٣١- وحكم عليّ شابّ بالأعدام، فيطلب منه الشيخ خلاصه، فيقول: عليكم بأُمّه، فإن رضت فإنّه ينجو، فيأتون بأُمّه، فتقول: وأنا أدعو له بالخلاص أيضاً، إلاّ أنّهم يحقّونها بالسؤال فتقول: نعم، لقد انكسر قلبي منه يوماً، في بداية زواجه، كنت وزوجته وهو عليّ مائدة الطعام، وبعد الأكل جمعت المائدة وسلّمتها إلى زوجته لتأخذها إلى المطبخ، فقام ولدي وأخذها من يدها وقال مغضباً: إنّني لم آت لك بخادمة، فتألّمت كثيراً، ولكن الآن رضيت عنه، ففي اليوم الثاني نجا الشاب من الإعدام وخرج من السجن عليّ أنّه وقع اشتباه بالنسبة إليه.

٥٢ من وحي التربية والتعليم

كلّ هذه الكرامات إنما هي من تقوى الشيخ وإخلاصه وإيمانه الراسخ وإطاعته لله سبحانه.

في الحديث القدسي الشريف: «عبدني أطعني أجعلك مثلي، أقول للشيء: كُن فيكون، وتقول للشيء: كُن فيكون».

٣٢ - حدّثني أستاذي: إنّه كان مع الشيخ في ضيافة أحد إخوانه في طهران، وقبل الحديث قال لصاحب الدار: أحسّ بضعف، فأتي له بنصف قرصة خبز صغيرة تصنع في الدار فأكلها الشيخ، وكان من دأبه أنّه بعد صلاته يسلم على الأئمة الأطهار عليهم السلام، وكان يسمع الجواب - كما جاء في زيارة الإمام الرضا عليه السلام: (أشهد أنّك تسمع كلامي وتردّ سلامي) إلا أنّ الذنوب هي التي تحجب ذلك - وفي ذلك اليوم سلّم بعد الصلاة فلم يسمع جواباً، فعلم أنّه صدر منه ما منعه من الجواب، فكلمها حاسب نفسه لم يهتدِ إلى السبب، فتوسّل بالأئمة عليهم السلام فأعلموه في عالم المعنى أنّه: يا شيخ، لقد أكلت كلّ القرصة وكان نصفها يرفع الضعف، فلماذا أكلت كلّها؟ وهذا معنى قولهم عليهم السلام: «وفي حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب»، وإنّ حسنات الأبرار سيئات المقربين، فربما أكل القرصة لا مانع فيه لعامة الناس، ولكن مثل الشيخ يعاتب على ذلك ويحاسب، فإنّه من أولياء الله وأوتاد الأرض.

٣٣ - وفي يوم يسرق حذاؤه، فأراد الشيخ أن يعرف السبب، فقالوا له في عالم المعنى: إنّك وضعت قصاصة القماش الذي تحيطه للناس في حذائك - وكانت هذه القصاصات لا قيمة لها وترمى في المزبلة - إلا أنّه مثل الشيخ يحاسب عليها.

٣٤- وفي يوم في القطار يحسّ بظلمة القلب والباطن، فيتوسّل بالله ليعرف السبب، فيقال له: إنّ الشاي الذي شربته في القطار إنّما هو من مال الحكومة الظالمة.

٣٥- ولما يسأله أحد إخوانه عن سبب فقد حالاته الروحانيّة والمعنويّة يقول في جوابه: السبب هو الكباب الذي أكلته، فإنّه من مال فلان التاجر الذي أعدّه من أموال عجوزة قد غضبها.

٣٦- وحينما يشيخ جنازة آية الله العظمى السيّد البروجرديّ رحمته الله يسأله في عالم البرزخ عن سبب كثرة المشيخين، فيقول له السيّد رحمته الله: لأني درّست طلاب العلم كلّهم لله سبحانه.

٣٧- ويحدّث الشيخ عن نفسه هداية الناس قائلاً: لما أراد ولدي أن يدخل الجنديّة أردت أن أسعى له لخلاصه، إلاّ أنّه جاءني في ذلك اليوم رجل وامرأة في حاجة فبقيت معهما حتّى قضيتها، ولم أوقّق لخلاص ولدي، فرجع وأخبرني بتسريحه وقال: إنّهُ قبل أن يصل إلى المعسكر أصيب بصداع شديد وورم عجيب في رأسه، فلمّا فحصه الدكتور أعفاه عن الجنديّة، فما أن خرج إلاّ وذهب الورم والصداع وكأن لم يكن شيئاً مذكوراً، فقال الشيخ: نعم واحدة بواحدة، قضينا حاجة الناس ففوض الله حاجتنا.

٣٨- قال يوماً: كانت لي حاجة عند الله، كنت أدعو ليل نهار في قضائها ولم

٥٤ من وحي التربية والتعليم

أَوْقَى، فقلت في نفسي : ندعو للناس بهذا الدعاء فيستجاب، ولكن لنا لم يستجب الله فكأنه حتى رسول الله وعترته الطاهرين عليهم السلام لم يفكروا بنا، يقول الشيخ: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه الغبار قائلاً: ما بك يا شيخ؟ نحن قبل ألف سنة من خلقه آدم كنا نفكر بكم...

٣٩ - يقول الشيخ: كنت أقول: أفدي نفسي لمن كان قلبه ولسانه واحداً، فأراني الله سلمان رضوان الله عليه، وقالوا لي: هذا لسانه وقلبه واحد، ونريد أن نفديك إياه؛ فامتنعت عن ذلك، لأنني أريد أن أفدي نفسي لمحمد وآله، وعلمت - آنذاك - أن كل ما نقوله نحاسب عليه، فقلت من بعد هذا: أنا خادم لمن كان لسانه وقلبه واحد، لأنني أريد خدمة سلمان المحمدي رضوان الله عليه.

من وصايا جناب الشيخ

كان يوصي قدّس الله نفسه الزكيّة وأسكنه فسيح جنانه مع محمّد وآله : بتلاوة سورة الحشر ودعاء عديلة لرفع المشاكل وقضاء الحوائج .

كما كان يوصي بدعاء (يستشير)، ومناجاة أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة (مولاي يا مولاي)، والمناجاة الخمسة عشر لزين العابدين عليه السلام لا سيّما مناجاة المريدين . وكان يرى أنّ سورة الصافات في الصباح والحشر في الليل يوجب صفاء الباطن، كما أنّ لسورة الواقعة آثاراً كثيرة .

كان يوصي للغلبة على النفس الأمانة بالسوء بهذا الذكر : (يا دائم يا قائم)، ولحبة الله ألف مرّة الصلاة على النبي وآله (اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد) إلى أربعين ليلة، ولخالفة النفس ثلاثة عشر مرّة كلّ يوم (اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان)، وللغلبة على النفس الأمانة بالسوء يداوم على هذا الذكر (لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم)، ومن المؤثرات في تهذيب النفس ذكر (يا غنيّ يا كريم) بعد كلّ صلاة مئتي مرّة، وكذلك ممّا يوجب التوفيق في الحياة قراءة زيارة عاشوراء في كلّ يوم، وكذلك ذكر (يا زاكي الطاهر من كلّ آفة بقدسه)، فإنّ الشيخ كان يقول بهذا الذكر دخلت وادي السير والسلوك حتّى ماتت النفس الأمانة .

ولمن أراد أن يتشرف بلقاء الحجة المنتظر عليه السلام يكرّر في الليل (ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً)، مئة مرّة إلى أربعين ليلة.

٤١- وقد علّم الشيخ هذا الذكر لأحد مرّديه، فبعد أن عمله أتى عند الشيخ وأخبره أنّه لم يرَ صاحب الزمان عليه السلام، فقال له الشيخ: ألست كنت تصلي في المسجد وبجنبك سيّد، فقال لك: يكره التختّم باليسار، فقلت له: كلّ مكروه جائز؟ قال: نعم. قال الشيخ: ذلك هو صاحب الزمان عليه السلام ولم تعرفه.

٤٢- وأعطى الذكر لشخص آخر صاحب حانوت (عطّار)، فقبل الأربعين ليلة، جاءه طفل من أسرةٍ علويّة يطلب منه صابوناً، فقال له: كأنّ أمك لا تعرف غيرنا عطّاراً ترسلك دائماً إلينا لتأخذ بالدين... فسمع في منتصف الليل صوتاً من فناء داره، فكان يخرج من غرفته فلم يرَ أحداً، وإلى ثلاث مرّات، وفي الثالثة فتح باب الدار فوجد سيّداً أدار ظهره عليه وقال: نحن بإمكاننا أن ندبّر أمور أولادنا إلّا أنّه أردنا أنتم تصلون إلى درجة، ثمّ ذهب.

ولا يخفى أنّ الإجازة في الأذكار لها تأثير خاصّ، فإنّي سألت سيّدنا الأستاذ آية الله العظمى السيّد النجفي المرعشي عن سند أخذ الإجازة في الأوراد والأذكار، فقال: لم يكن عندنا نصّ في ذلك، إلّا أنّه ثبت بالتجربة أنّها مع الإجازة (ممن له وتصل إلى صاحب الأمر عليه السلام) لها تأثير خاصّ.

وأخيراً: ولد الشيخ سنة ١٣٠٣ هجري، وتوفّي ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٨٢

هجري قري .

فكان عمره ثمانين عاماً إلا سنة، وكانت كلماته الأخيرة دعاء اليوم الذي فيه
وقوله: العفو يا عظيم العفو، العفو يا كريم العفو. ودُفن في صحن مزار المحدث الكبير
ابن بابويه في ري - طهران .

عاش سعيداً عالماً متقياً خدوماً محسناً محبباً خالصاً، ومات سعيداً شهيداً،
وخلف لسان صدق في الآخرين .

فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً .

ورزقنا الله من أنفاسه القدسيّة ودعائه المستجاب وروحه الطاهرة زاداً في
سيرنا وسلوكنا إلى الله عزّ وجلّ، وحشرنا وإيّاه مع أوليائنا الأطهار وآله الأبرار،
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

من أدب

محافل العلماء

العلماء ورثة الأنبياء في علومهم ومعارفهم وسلوكهم ومسؤولياتهم وهدايتهم الناس إلى الخير والصلاح والتقوى والعلم والعمل به، فهم أمناء الله في الخلق، وسفراء الرحمن في الأرض، وهداة الدين، وقادة الأمم في مناهل الإحسان والعدل والخير، عليهم سياء الصالحين. يتذكر الإنسان ربه في محيَّاهم، ويزداد علماً في منطقتهم، ويرغب في الآخرة في عملهم.

وما أروع الأحاديث الشريفة عن النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام التي تحث الناس على طلب العلم ومجالسة الحكماء والعلماء وحضور محافلهم القيَّمة، فربَّ علم لا تجده بين السطور، إنما يؤخذ من أفواه الرجال وصدور العلماء فإنه من دقائق العقول.

ومن هذا المنطلق جاء في الحديث الشريف: زاحم العلماء ولو بركبتك. وهذا يدلُّ بوضوح على مدى اهتمام الإسلام في معاشررة العلماء الأعلام، والطواف حول كعبة علومهم وفنونهم ورشحات أفكارهم الظريفة، التي قلَّما نجد لها بين طيات الكتب والأسفار، وفي رفوف وزوايا المكتبات.

وقد ورد في الخبر النبوي الشريف في فضل زيارة العلماء: زيارة العلماء أحب إلى الله تعالى من سبعين طوافاً حول البيت، وأفضل من سبعين حجَّة وعمرة

مبرورة مقبولة، ورفع الله تعالى له سبعين درجة، وأنزل الله عليه الرحمة، وشهدت له الملائكة أن الجنة وجبت له^(١).

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: العالم كالكعبة يزار ولا يزور. وهذا يعني أن الناس عليهم أن يزوروا العلماء ويطوفوا حولهم كالكعبة، وإذا كان النظر إلى الكعبة عبادة، بمعنى أنه يوجب تعبيد الطريق إلى الله والتقرب منه، ويستذكر الله بالكعبة فكذلك النظر إلى وجه العالم عبادة، بل إلى باب داره عبادة، لأنه مظهر الزهد في الدنيا، حتى داره، فيتذكر الإنسان بذلك ربه، ويعرف خساسة الدنيا وردائها، فإنه مثل هذا العالم العاقل تركها، وهذا يدل على دناءتها وانحطاطها في عين الله وأوليائه المقربين، فزيارة العالم أفضل من سبعين طوافاً، أي زيارته تعادل في التقرب إلى الله بسبعين طوافاً وأكثر، بل بسبعين حجة وعمرة مقبولة، بل ويرفع الله له سبعين درجة كما يرفع الذين آمنوا والذين أتوا العلم درجات، وتشمله الرحمة الإلهية ويكون من أهل الجنة كما تشهد الملائكة بذلك، فما أعظم محافل العلماء وزيارتهم، ولماذا كل هذا الثواب والفضل؟! أليس إلا من أجل السعادة المنشودة والكمال المطلوب والهداية المقصودة.

ومن سعادتي وألذ ساعات حياتي، تلك السويعات التي أحضي فيها بمجالسة العلماء الربانيين والعرفاء الإلهيين، وأجتو على الركب أمامهم لأستلهم المعرفة من مناهلهم الروية، وأضيء طريق حياتي بمصايح كلامهم، وأحيي قلبي بنفحاتهم القدسية، ومواعظهم الملكوئية، وكثيراً ما ينسى الإنسان الدنيا وما فيها، غارقاً في بحار أنوارهم، ومجالس أنسهم.

ومن تلك المجالس التي تعطي للقلب نشاطاً وحيوية، وللعقل نوراً وهداية،

٦٠ من وحي التربية والتعليم

حينما نالني الشرف وأسعفني الحظّ بلقاء شيخ كريم من المشايخ الكرام ساحة الحجّة العارف بالله الشيخ محمد باقر المحسني دامت بركاته، فحدّثنا بأحاديث شيقّة من دقائق الآيات ولطائف الروايات وأحوال العلماء والعرفاء ونبذ من أشعارهم العرفانيّة، ودار الحديث حول رجال الدين الذين هم بركات الأرض.

زهد الشيخ المؤسس :

فقال دام عزّه : كنت في حضرة شيخنا الأستاذ مؤسس الحوزة العلمية في قم آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري رحمته ، وذلك عندما حظّ الرحال في قم المقدّسة عشّ آل محمد عليهم السلام ، فدخلت علينا امرأة من الأشراف، فقالت لشيخنا الأستاذ: هل عليك قرض ؟ فأجابها بالإثبات، وهو ستّة آلاف تومان استقرضها لخبز فقراء قم لمُدّة عام، فدفعت إليه اثني عشر ألف تومان، ستّة للقرض وستّة أُخرى للعام الثاني.

ثمّ قالت : أيّ مقدار تصرف من المال لمعيشتك مع العائلة في كلّ شهر ؟

فقال الشيخ : ستّين تومان .

فتعجّبت المرأة وقالت : ستّين تومان، أي في كلّ يوم تومانان (درهمان) ؟

قال : نعم .

فقالت : أريد أن أقدمّ لساحتكم لكلّ شهر ثلاثمائة تومان ولمُدّة ستّة سنوات .

فتعجّب الشيخ من قولها وقال لها : لا بل ستّين تومان لكلّ شهر ولمُدّة ستّة

أشهر فقط .

فأعطت المرأة ذلك ودموعها جارية متعجّبة من زهد الشيخ، فقال لها الشيخ

العظيم : لقد فرّجتِ عنّا فرّج الله عنك، فقد أرحمتنا من سهم الإمام عليه السلام لمُدّة ستّة

أشهر .

فإذا كان مراجعنا وأساتذتنا حياتهم ذلك فماذا نقول ؟

مراعاة الفقراء :

ثم حكى الشيخ دام مجده حكايةً أخرى، فقال : كنت أنزل من السلم في مدرسة الفيضية وأنا ارتدي القباء والجبة الصوفية الثمينة، وكان الشيخ المؤسس يصعد السلم، فلمّا رأني أخذ كمي بيده وقال متعجباً : شيخ محمد باقر، شيخ محمد باقر! فذهبت، فعلمت بعدم استئناسه من هذه الملابس، فذهبت ليلاً واشترت قماشاً كلّ متر بثلاث قرانات (القران يساوي الفلس) وأعطيته الخياط فخاطه في نفس الليلة بأربع قرانات، وصباحاً ارتديته وحضرت درس الأستاذ، فلمّا رأني تبسّم، وبعد برهة قال : عليك أن تراعي فقراء الطلبة في ملبسك (ومأكلك) فهناك من الطلاب ما ليس له أن يشتري ويلبس كما تلبس، فلا بدّ من مراعاتهم.

كرامة الإمام الرضا عليه السلام :

ثمّ دار الحديث عن العرفاء وولائهم لأهل البيت عليهم السلام، فاغتمت الفرصة إذ سمعت من قبل أنّه تشرف بلقاء مولانا الإمام الرضا عليه السلام في عالم المكاشفة، فسألته عمّا حدث له في السنين الغابرة من الطاف وعنايات لا سيّما الاستخارة - فإنّه معروف ومشهور بذلك - فأجابني مبتسماً : سأذكرك ذلك إجمالاً ممّا يجوز لي نقله وأترك بعض المواقف.

قبل سنين - وكنت في ريعان الشباب، ولم أتجاوز الخمسة والعشرين من عمري - سكنت خراسان مشهد مولانا الرضا عليه السلام، وكان يجنب الصحن الشريف (ولا يزال) مدرسة علميّة باسم (مدرسة بالا سر = مدرسة فوق الرأس) وفيها حجرة معروفة باسم ملاهادي السبزواري صاحب المنظومة في الحكمة والمنطق،

ويذكرون لها خصائص روحانيّة، وفيها نافذة مدوّرة تطلّ على الحرم الشريف، وكانت الغرفة مقفلة، فأعطيت الخادم مئتي تومان وأخذت منه مفتاح الحجره، وكنت في كلّ ليلة أسهر وأجلس أمام الحرم الشريف، ولم أتوسّد ولم أمدّ رجلي، بل وبكلّ أدب وتعظيم أجلس أمام ضريح مولانا الإمام الرضا عليه السلام، ومن النافذة تشعّ الغرفة بأنوار الحرم الشريف ومصايحها المضيئة، وطال هذا الأمر والحال لمُدّة ثلاث سنوات وثمان أشهر، وبعد هذه المدّة يوماً ما دخلت الحرم الشريف، وعند الباب المقدّس رأيت رجلاً عليه العمّة الخضراء صبيح الوجه أسمر اللون وبيده صحن فيه الأرز، ونظرت داخل الحرم الشريف فرأيت من الذوات المقدّسة بنفس الهيئة جالسين حول الضريح المقدّس، فسلمت على ذلك السيّد الجليل فأعطاني الصحن، فأكلت ما فيه، فأفاض الله عليّ من ذلك ما أفاض، ومنها الاستخارة.

ثمّ ابتليت بمرض الرعاف لمُدّة أربعة أشهر، وكان شديداً للغاية، حتّى منعني من الكلام الجمهوري، ومن المشي وأكل الخبز، وسلب منّي الراحة بتمام المعنى، فآل الأمر إلى أن أتداوى في همدان عند دكتور أخصائي معروف آنذاك، فقبل ركوبي السيّارة خطر علىّ بالي الأبيات التي كتبها المحقّق خاتم المحدثين الشيخ عبّاس القمّي في مفاتيح الجنان مخاطباً مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، ومطلعها:

إذا متّ فادفني إلى جنب حيدرٍ أبي شبرٍ أكرم به وشبيرٍ
فلستُ أخاف النار عند جواره ولا أتقي من منكرٍ ونكيرٍ
فعاثر عليّ حامي الحمى وهو في الحمى إذا ضلّ في البيدا عقال بعيرٍ
وأخذت أنا جبي ربّي وأندب مولاي الرضا عليه السلام وأني بجمالك وأخرج من بلدتك الطيبة وأنا مبتلى بهذا الداء العضال، وعند المسير ارتجّت السيّارة، حيث كان الانتظار أن أقذف دماً، ولكن لم أر شيئاً من الدم، فتعجّبت وتعجّب الركّاب معي، وعند الغداء أكلت الخبز ولم يكن ذلك بمقدوري من قبل، فأدركت أن الإمام

الرضا عليه السلام تَلَطَّفَ عليَّ بالشفاء بإذن الله سبحانه وتعالى. ولَمَّا وصلت إلى همدان كنت لا أحسّ بشيء من الألم والوجع، وعندما حضرت الطبيب قلت له: لقد شافاني مولانا الرضا عليه السلام، وكان عنده بعض الجلساء، فأخذ أحدهم يستهزئ بي، فغضبت لذلك، وأخذت أتكلّم وبكلّ حماس ودفاع ولائي، وأذكر له فضائل أهل البيت عليهم السلام، وأتهم السبيل الأعظم والرحمة الموصولة والباب المبتلى به الناس، من أتاهم نجى، ومن تخلف عنهم غرق وهوى، وطال المجلس أكثر من ساعة، وحينئذٍ سألت عن المستهزئ فقالوا: هو الشيخ عارف القزويني الزنديق.

ثمّ حدّثنا الشيخ دام علاه بأحاديث شيقة أُخرى، ولَمَّا حان موعد صلاة الظهر خرجنا منه وكلّنا شوق وسرور واطمئنان، ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب.

نعم، أهل البيت عليهم السلام أنوار زاهية في دياجي حياة البشر، ومشاعل وضاء لمن أراد السعادة والعيش الرغيد، ويبدل الجهد من أجل هناء المجتمع، فإنّهم سفينة النجاة للمذنبين ومصباح الهدى للمتّقين، وجه الله الذي يتوجّه إليه الأولياء، وباب الله الذي يطرّقه الأتقياء، وقد بقروا العلوم، وفتحوا أبوابها، وبيتوا ما يسعد الإنسان، وتعرّضوا لكلّ جوانب الحياة الفردية والاجتماعية بتمام مظاهرها من الثقافة والسياسة والأخلاق والاقتصاد وغير ذلك، فهم دعاة الخلق إلى طاعة الله وساسة العباد إلى الخير، فقولهم: (زاحم العلماء ولو بركبتك) فيه أسرار وفوائد جمّة، سيّما للذين آلوا على أنفسهم أن يسيروا بنهجهم، ويستنيروا بنورهم، ويقتدوا بسيرتهم، فإنّهم أسوة حسنة وقدوة صالحة، فخير المجالس مجالس العلم والعلماء العاملين بعلمهم، الذين لا فرق بين قولهم وعملهم، وهم حكام على الناس وعلى الملوك، وهم أمناء الله على الدين والدنيا، وهم ورثة الأنبياء في مسؤولياتهم العظمى.

رؤيا صالحة فيها منقبة للعلامة المجلسي

جاء في الخبر الشريف: «من ورّخ مؤمناً فقد أحياه»، والتأريخ اشتقّ من ورّخ بعد القلب والإيدال.

وقال الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَخْيَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فتأريخ المؤمن حياة الأمة، ومن قال أو كتب عن حياة مؤمن فقد أحياه ومن أحياه فكأنما أحيى الناس جميعاً طوال الأحقاب والدهور جيلاً بعد جيل.

إذ الإنسان ذو بعدين: بعد جسمي وبعد زماني، والبعد الأول عند الأوائل عبارة عن الامتداد الثلاث، أي: الطول والعرض والعمق، وهو البعد المكاني، ولا يختصّ بالإنسان، بل كلّ جسم هو كذلك.

وعند المعاصرين للجسم بعداً رابعاً وهو البعد الزماني، والتأريخ عن حياة شخصيّة أو حياة مجتمع وأمة ليس إلّا حديث البعد الزماني وحكايته، فهو أشعة الإنسان عبر الزمن، ليس إلّا ذكرى حياة إنسان صنع التأريخ بعبقريّته ونبوغه ونصّاله وجهاده وعلمه وأدبه، أو حياة شعب فاق الشعوب أو انحطّ وسقط في الهاوية.

وإحياء المؤمن بالثناء عليه وجعل لسان صدق في الآخرين بكارمه

رؤيا صالحة فيها منقبة للعلامة المجلسي ٦٥

وفضائله وحياته الخصبه بالخير والإحسان لأفضل بكثير من إحياء جسده الذي مآله التراب إذ منه وإليه .

فالبعد الزماني هو الذي يكون للمؤمن شخصيّة خالدة بين الناس وفي المجتمع الإنساني طوال السنين والدهور .

ومن ذكر أو كتب عن حياة المؤمن ونشاطه وجهوده وتضحياته فقد أحياه ، ومن ذكر العلماء بخير وكشف القناع عن آثارهم العلميّة والعملية فقد أحياهم .

ومن هذا المنطلق علينا أن نذكر علماءنا الأعلام ، ونترجم حياتهم ، فإنّهم نبراس هديّ ومشاعل حقّ في طريق الأئمة والجماهير ، فإنّهم القدوة الصالحة والأسوة الحسنه لمن أراد سعادته وسعادة المجتمع ، وكان يفكر في إصلاح نفسه ، وفي إصلاح الآخرين ، ويكون كالشمعة يحترق ليضيء الطريق .

ومن أعظم علمائنا الأبرار ومن المؤمنين الأخيار وحيد عصره وفريد زمانه ، العلم العلامة فخر الأئمة الفيض القدسي الشيخ محمد باقر المجلسي رحمته الله ، الذي ذاع صيته في الآفاق واشتهر بتصانيفه القيّمة ، وفي طليعتها بحار الأنوار ، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار .

ولد عام ١٠٣٧ هـ وتوفي ١١١١ هجري ، في ٢٧ رمضان ، وقد أجمع العلماء على جلاله قدره وتبرّزه في العلوم النقلية والعقلية والحديث والرجال والأدب ، فهو من أكابر الرجال في علوم الدين والشريعة الإسلامية ، والقلم يعجز عن بيان مآثره ، واللسان يكلّ عن ذكر محاسنه ومفاخره ، فإنّه باب الأئمة الأطهار عليهم السلام ، وإنّه قدوة العلماء الأخيار ، فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً ، وإنا على دربه ونهجه وعلمه لسائرون .

حدّثني سيّدنا الأستاذ آية الله العظمى السيّد النجفي المرعشي قدّس سرّه

الشريف: إنه في العقد الثالث من عمره في ليلة رأى في عالم الرؤيا قد قامت القيامة، وحشرت الخلائق، واجتمع الناس في المحشر الرهيب، وكان كما ورد في أخباره وعوالمه في الآيات القرآنية والروايات الشريفة، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ويفرّ المرء من أخيه وأمه وبنيه وفصيلته التي تؤويه، وترى الناس حيارى سكارى وما هم بسكارى، لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه، ثم سمعت نداءً بأن العلماء يحشرون في مكان خاص، وعلمت في المنام أن الله يفعل ذلك رحمة ورفقة بهم حفظاً لماء وجههم، لم يجعل حسابهم أمام الناس الذين كانوا يعتقدون بهم في الدنيا، بل حسابهم حساب خاص وفي مكان خاص، فدخلنا في مثل صالون كبير جداً، فرأيت صفوفاً واقفة، فسألت ما هذه الصفوف فقالوا: كل صف عبارة عن قرن من القرون، فأوقفوني في الصف الرابع عشر على أني من علماء قرنه، ثم رأيت رسول الله هو الذي يحاسب العلماء وبجنيبه عن اليمين واليسار رجلاً جليلاً أمامها كتب، وكان أحدهما أكثر من الآخر، ولما كان النبي يحاسب عالماً، فإذا تعلمت عندما يُسأل عن فتوى أفتاها أو عمل عمله، كنت أرى الرجلين يشفعان له، وكان صاحب الكتب الأكثر يشفع أكثر من الآخر، فقلت في نفسي: لا بأس أن أعرفها حتى إذا ما احتجت إلى شفاعتهما أتوسل بهما، فسألت من كان بجنيبها فقال: أحدهما شيخ الطائفة الشيخ الطوسي وهو صاحب الكتب القليلة، والآخر باب الأئمة عليهم السلام العلامة المجلسي، فاستيقظت من النوم وعلمت أن للشيخ منزلة عظيمة عند رسول الله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

ثم حدثني سيدنا الأستاذ بخلق من أخلاق العلامة المجلسي، بأنه وجد في كتاب خطي قديم من زمن العلامة المجلسي أنه كتب على جلده من الداخل: من أخلاق العلامة المجلسي، ثم حكى لي هذه القصة: إنه يوماً أراد بعض شباب إصفهان

من شقاواتها أن يمتحنوا حلم العلامة وأنه كعلمه في الغزارة، فاتفقوا على أن يبعثوا إليه أجرأهم، ف جاء إلى الشيخ بعد منتصف الليل في ليلة ينزل فيها الثلج من ليالي الشتاء القارسة، فدق الباب فخرج إليه الخادم، وسأله عن حاجته إلا أن الشاب طلب العلامة بنفسه فخرج إليه على كبر سنّه ورحبّ به، ثمّ قال : سل حاجتك يا ولدي، فقال الشابّ : وكان يقصد إثارته : هيبتك يا شيخ أنستني الحاجة والمسألة . فقال له العلامة متلطفاً ببشر وابتسامه : اذهب ومتى ما تذكّرتنا فارجع واسأل حاجتك . فذهب الشابّ وبعد سويعة رجع ودقّ الباب فخرج العلامة إليه مرّة أخرى، فقال الشابّ : إنّي نسيته مرّة أخرى، فقال العلامة : لا بأس عليك اذهب ومتى تذكّرتنا فارجع واسأل . فذهب وقرب السحر رجع الشابّ وخرج إليه العلامة بكلّ رحابة صدر فقال الشابّ : لقد تذكّرت مسألتي، فقال العلامة : هاتها، فقال الشابّ بكلّ وقاحة : يا شيخ، أخبرني عن طعم العذرة ؟ فقال العلامة : أوّله حلو، ثمّ يكون حامضاً، ثمّ يصبح مرّاً، فانذهل الشابّ من علمه وحلمه وزاد في وقاحته قائلاً : يا شيخ، كيف عرفت ذلك، فإنّ هذا الإخبار كإخبار من تذوّقه في مرّات ثلاثة . فقال العلامة : ليس كذلك، إنّما عرفت هذا من الآثار، فإنّ الأثر يدلّ على المؤثر، فإنّي رأيت لما يضع الإنسان غائظه يجتمع حوله الذباب، فعلمت أنّ طعمه حلو، لأنّ الذباب إنّما يجتمع حلو الحلويات، ثمّ بعد مدّة رأيت حشرات الخلل تجتمع حول العذرة، فعلمت أنّ طعمها أصبح حامضاً، وبعد برهة من الزمن رأيت خروج الدود من العذرة، والدود إنّما يتولّد في مكان مرّ، فعلمت أنّ طعمها صار مرّاً . فتعجّب الشابّ من هذا الحلم الرفيع والعلم الواسع، وأخبر أصحابه بذلك، فاجتمعوا بالشيخ بتوبة نصوحة وأصبحوا من مرّة الشيخ الفدائيين، وهذا معنى : « العلم أمير ووزيره الحلم »، فاعتبروا يا أهل العلم النافع والعمل الصالح .

كرامة مولانا أبي الفضل العباس عليه السلام

قال سماحة العارف بالله سيّدنا الأجلّ السيّد عبد الكريم الكشميري دام ظلّه :

كنت أزور أمير المؤمنين علي عليه السلام في النجف الأشرف، وقبل قدومي إلى إيران رأيت - في إحدى الأيام - داخل الحرم الشريف امرأة عربية قروية معصبة الرأس تأخذ للناس الاستخارة، وتأخذ لكلّ استخارة درهماً من المستخير، وكانت تخبر بنيتة السائل بالتفصيل، فتعجبت من أمرها، فدنوت منها وطلبت منها الاستخارة، وكانت في نيتي الهجرة إلى إيران، فأجابت بالتفصيل وأخبرتني بكلّ ما يجري عليّ في سفرتي هذه بالأرقام، فعلمت أنّ هذا من معدن خاصّ، فاستخبرتها الحال، ومن أين لها هذا العلم، فامتنت في بداية الأمر، إلا أنّي أقسمت عليها وبعد الإلحاح أجابت قائلة: لقد مات زوجي ولم يكن لي من يكفلي، ومن عاداتنا العربية في القرى أن لا تزوّج المرأة بعد طلاقها أو فوت زوجها، فضاقت بي الأمور ولم يكن لي حيلة، فتوجّهت إلى حرم أبي الفضل العباس عليه السلام، وتوسّلت بجاهه عند الله سبحانه فإنّه باب الحوائج، وشكوت له أحوالي، وفي أثناء التوسّل تمثّل لي العباس عليه السلام وقال: كلّ يوم اجلسي في الحرم وخذي من الناس درهماً لمن أراد

منك الاستخارة لإمرار معاشك، وأنا أخبرك بنوايا الناس وحوادثهم، ما يكون لهم في المستقبل، فكل من يأخذ عندي الاستخارة أرى أبا الفضل عليه السلام ويخبرني بالوقائع والحوادث ونية المستخير، وأنا أخبر السائل، كما أخبرتك عندما استخرت عندي، وهذا من عناية أبي الفضل العباس عليه السلام، لا يجيب من رجاء ولا يقطع أمل من قصده صادقاً، فإنه الوجه عند الله سبحانه وتعالى.

في يوم السبت؟؟؟ محرم الحرام سنة ١٤١٨ هـ قرأت ما كتبت على سماحة سيّدنا الأجل السيّد الكشميري دام ظلّه بحضور جماعة من تلامذته، فسمعت قصص وكرامات أخرى جرت لسماحته، كما سمعت بعض أحواله وكثرة أذكاره، فإنه في يوم واحد كان يذكر اسماً من أسماء الله سبعين ألف مرة.

ومن طريف ما سمعت أنه - دامت إفاضاته - التقى به آية الله الشهيد السيّد مصطفى الخميني قدس سره في النجف الأشرف، فأخبر والده السيّد الإمام الخميني قدس سره أنه التقى بولي من أولياء الله وتعرّف عليه، وأخذ يذكر أحواله وخصائصه وفضائله، فقال السيّد الإمام: تعلم أنني لا أقبل هذا الادّعاء بسهولة ومن دون دليل وبرهان، فلو كان كما تقول، فإنه عندي حاجة هلاً أخبرني بها؟!

جاء السيّد مصطفى إلى سيّدنا الأجل وأخبره بمقولة أبيه، فقال له السيّد: أمهلني هذه الليلة، وغداً سأخبرك بحاجته. وبعد الأدعية والأذكار في السحر، صباحاً جاءه السيّد مصطفى، فقال له سيّدنا الأجل: أخبر أباك أن حاجته أنه قد رأى مناماً من قبل ولا يزال يقلقه، فقل له: لا تخف، إنك لا تموت في النجف الأشرف، بل ستذهب إلى إيران منتصراً.

وقل لوالدك: لقد رأيت في المنام أنك نائم وتحت يدك حجارة تؤذيك، فرّر عليك أمير المؤمنين علي عليه السلام، فسأل عن راحتك وقال: كيف أنت يا روح الله؟

٧٠ من وحي التربية والتعليم

فأجبت: سيدي هذه الحجارة تؤذيني، فرفعها لك واسترحت حينئذٍ، وكنت تفسّر هذه الرؤيا بأنك ستموت في النجف الأشرف وتدفن فيها، ولكن ستذهب إلى إيران.

وقد صدق الله وعده، ومن ذلك اليوم كان السيّد الإمام عليه السلام يستخير عند السيّد الأجلّ، فإنه كان ولا يزال معروفاً بالاستخارة.

وقد كتب فضيلة الشيخ جعفر الناصري دام عزّه - وهو من حواريه - مقتطفات عن حياته وسيرته الذاتية، ولا زالت مخطوطة، نسأل الله أن يوفّقه في طبعا ونشرها خدمةً للدين والعلم والعلماء الصالحين.

نصائح عامّة

لعامة الناس

أيا إخوان الصفا واخلان الوفا إليكم :

وإلى الطليعة المؤمنة، إلى الشباب المسلم المثقف، إلى من يحب أن يعيش حرّاً وإنساناً كاملاً، إلى من يبغى الحياة الطيبة والعيش السليم، إلى من يسعى منذ نعومة أظفاره وراء سعادته، إلى المجتمع الإنساني والبشرية جمعاء، وإلى القارئ الكريم، أقدم هذه المواعظ القرآنية، والوصايا النبوية، والحكم العلووية، والنصائح الولوية، والدرر العلمية، والجواهر الأخلاقية، وزبدة الأفكار، وخلاصة الأثمار، جعلتها تذكرة لمن شاء ذكره.

إنما أعظكم بواحدة: أن تقوموا لله مثنىً وفرادى، فاتق الله حقّ تقاته ولا تك من عصاته، واعمل الصالحات، وتجنّب الشهوات، واعتصم بحبل الله المتين، وتمسك بعروة أهل اليقين.

وأقم الصلاة، وآت الزكاة، واقتصد فما عال من اقتصد، فخذ من الأمور أوسطها، فخيرها أوسطها.

وأحب لأخيك ما تحب لنفسك، واکره له ما تکره لنفسك.

وكن في الحديث صادقاً، وفي الأمانة أميناً، وفي الوعد موفياً، وفي الشدائد

٧٢ من وحي التربية والتعليم

وقوراً، وفي المكاره صبوراً، وفي الرخاء شكوراً.

وتفضّل على من شئت تكن أميره، واستغنِ عمّن شئت تكن نظيره، واسأل من شئت تكن أسيره.

وكن عند الله خير الناس، وعند نفسك شرّ الناس، وعند الناس واحداً من الناس.

ولا تؤذِ جارك، ولا تخن من استشارك، ولا تفشي سرّك، واسكت عمّا لا يعينك، وأحسن إلى من يؤذيك، واشكر من يعطيك.

من أتاك معروفاً فكافئه، ومن دعاك فأجبه، ومن سألك بالله فاعطه.

وأحسن خلقك، وجاهد نفسك، واعبد ربّك.

وكن عالماً أو متعلماً أو محبّاً لها، ولا تكن الرابع فتهلك.

وكن حليماً كريماً جواداً دائم الابتسام، قليل الكلام، راحم الأيتام، واصل الأرحام، مفشي السلام، قليل الطعام.

ولا تكون حسوداً بخيلاً مرانياً متكبراً، واجعل العلم لك شعاراً ودثاراً، واتخذ الحلم زينة ووقاراً، وطالع الكتب ليلاً ونهاراً.

واصبر على الشدائد والمصائب، واستقم في المشاكل والمتاعب.

وكن سليم القلب والجوارح، عفيف اللسان والجوانح، زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مجاهداً في سبيل الله، موالياً لأولياء الله، معادياً لأعداء الله.

واحترم الكبير ووقره، واعطف على الصغير ولاطفه، وتواضع فلا تتكبر، وبالحسب والمال لا تتفاخر.

وليكن العقل قائدك، والتقوى زادك، والدنيا حانوتك، والقبر منزلتك،

والليل والنهار رأس مالك، والجنّة مأواك.

فاعمل ما شئت فإنّك ملاقيه، واحبب من شئت فإنّك مفارقه، وعش ما شئت فإنّك ميّت.

واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً.

وإذا صنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره.

واستكثر الإساءة منك، واستصغر الإساءة عليك.

ولا تقل ما لا ينبغي فإنّك تسمع ما لا تشتهي، وأكثر عوارفك تكثر

معارفك.

ولا تطمع فإنّ الحرّ عبد إذا طمع، والعبد حرّ إذا قنع.

ولا تضيّع الفرصة فإنّها غصّة، وهي سريعة الفوت بطيئة العود.

ولا تجالس السفهاء، ولا تعاشر الأغبياء، ولا ترافق الأشرار، ولا تصادق

الفجّار، بل جالس العلماء، وعاشر الحكماء، ورافق الأخيار، وصادق الأبرار.

واستغنِ عمّا في أيدي الناس تكن عزيزاً، واعمل الخيرات والصالحات

تكن مفلحاً.

وفكّر قبل العمل ودع عنك الضجر والكسل.

ولا تحزن على ما فات، ولا تفرح بما هو آت، واغتنم الساعة التي أنت فيها.

وازرع الجميل والإحسان أينما نزلت، واعمل الخيرات أينما حللت.

ولا تكن ظالماً أو ناصراً له، بل كن للظالم خصماً وللمظلوم عوناً.

وعليك بالاتّحاد، وسلوك طريق الرشاد، والتقوى وقول السداد.

وانصف الناس من نفسك، وكن ذا مروّة، فلا تغتب ولا تكن ذا لثامة.

وابتعد عن القيل والقال، واذكر الله على كلّ حال، واستعن به، وتوكّل عليه،

٧٤ من وحي التربية والتعليم

واعمل لمرضاته.

وزكّ نفسك فقد أفلح من زكّاه، وقد خاب من دسّاه، ونجح من تحلّى
بالسجايا الحميدة بعد التخلية من الأخلاق الرذيلة.

فطب نفساً، وعش سعيداً.

والسلام على من اتّبع الهدى، وخالف النفس والهوى، فإنّ الجنّة هي المأوى.

نصائح عامّة

لطلّاب العلوم الدّينية

طالب علوم الأنبياء والأولياء يسعد في الدارين، وينال السبق في كمال الإنسانية، ويصل القمّة في الفضائل والمعارف، فيرث الأنبياء في علومهم، وتكون مسؤوليته هداية الناس إلى الخير والرشاد والسعادة، ويبلغ المقام الشاخص وينال كالأنبياء وسام رُبان سفينة نجاة البشرية من الظلمات والجهل، إلى شاطئ العلم والسلامة، وساحل الأمن والعيش الرغيد، ويكون سفير الله في الأرض، ونجوم يهتدى بهم في ظلمات الحياة وشموع وضّاءة في دروب العقيدة والجهاد، فطوبى له، والجنة مأواهم.

ولكن يا طلّاب العلم والعمل الصالح، لا ينال ذلك إلا بالمثابرة والمجاهدة، وإليكم هذه النصائح العامّة :

١ - عليكم بالتقوى؛ لقوله تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ ﴿^(١).

٧٦ من وحي التربية والتعليم

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(١).

٢ - عليكم بالأخلاق السامية وحسن الخلق مع الصديق والعدو، وبين الأحباب تسمو الآداب، ويسقط التكلف، فإن شر الإخوان من تُكَلِّف له.

٣ - عليكم بالفصاحة والبلاغة وقوة البيان للخطابة، والقلم للكتابة، فكثيراً ما يحتاجها طالب العلم، إذ مسؤوليته هداية الناس، ووعظهم وإرشادهم، وخلصهم من الموبقات الفردية والاجتماعية، ونشر الفضائل والمكارم بينهم، فسلاحهم وأدوات دعوتهم الكلمة والكلام، وجاءت الأنبياء بكلمة الله العليا، والعلماء ورثة الأنبياء.

٤ - على طالب العلم أن يكون وجوده منشأ الخيرات والبركات، ويكون زهرة المجتمع أينما حلّ، فإنه يعطر الأجواء والفضاء وينتفع منه الناس على اختلاف طبقاتهم، فعليكم بتأسيس المدارس وبناء المستشفيات والمراكز الثقافية، وكلّ ما ينفع منه الناس.

٥ - على طالب العلم أن يكون يقظاً فطناً ذكياً واعياً، يعرف أهل زمانه، ويأخذ من جميع العلوم والفنون الحظّ الوافر، فيتعلّم العلوم جميعاً مهما أمكن، وإلا فلباب العلوم وجواهرها، وعليه في هذا العصر، أن يتعلّم العلوم الثلاثة: علم السياسة والاقتصاد والاجتماع، ليعرف كيف يدير دفة المجتمع، ويسوق الناس إلى ما هو الأصلح والأولى، ويهديهم إلى الله وإلى الخيرات والحسنى.

٦ - يا إخواني في العلم، الله الله بالدعاء، فعليكم بالتوسّل بالله وشفاعة رسوله وأهل بيته عليهم السلام؛ لقوله تعالى: ﴿ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ وَأَبْتَعُوا إِلَى اللَّهِ

(١) آل عمران: ١٠٢.

الْوَسِيلَةَ ﴿، والدعاء بحج العبادَة، وخلقنا لها، وإنما يصل الإنسان إلى ما يتمناه بالعمل والدعاء والشفاعة.

٧- العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء، والملائكة لا يدخلون بيتاً فيه تماثيل وكلاب، فقلب طالب العلم لو كان فيه تماثيل وأصنام، وفيه الكلاب الضارية، وهي الصفات الذميمة والأخلاق السبعية الهمجية، فكيف تدخل الملائكة في ذلك القلب؟ وكيف تحمل نور الله؟ وتحمل نور العلم إلى ذلك القلب؟ فعليكم بترك المعاصي والذنوب. ومما يحكى أن شاباً كان كثير الحفظ والمطالعة، ويوماً وقع بصره على امرأة جميلة، فتشئت فكره، وفقد حافظته، فشكى ذلك إلى أستاذه وكيع، فأشار إليه بترك المعاصي:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوء حظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نورٌ ونور الله لا يهدى لعاصي

٨- عليكم يا أحبائي الكرام بتدوين العلم وتقييده بالكتابة، فما حفظ قرّ، وما كتب قرّ، وقيدوا العلم بالكتابة، فإنها تنفعكم وتنفع الأبناء والأجيال القادمة، وإن العلم وحشيّ إن تركته عيشي، فلا بدّ من تقييد العلم بالكتابة، ومن ثمّ يكون طالب العلم من المصنّفين والمؤلفين.

٩- أغلى وأثمن شيء للإنسان حياته وعمره، وهو يمرّ كمرّ السحاب، فيا طالب العلم والعمل الصالح، عليك أن تستغلّ عمرك العزيز، ولا تضيّعه بالقليل والقال والبطالة والكسل، الله الله في عمرك الغالي، لا سيما أيام شبابك، فمن أتعب نفسه في شبابه فقد نال الراحة في شبابه، فاغتنم شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وحياتك قبل موتك، وإنّ العلم إذا أعطيته كلّك أعطاك بعضه، فلا بدّ أن تكون في طلب العلم ليل نهار، فإنّه يطلب من المهديّ إلى اللحد - هذا من حيث

٧٨ من وحي التربية والتعليم

الزمان - وإِنَّه يطلب ولو كان في الصين - وهذا من حيث المكان، فإنَّه إشارة إلى البلاد النائية - وإِنَّه يطلب ولو بسفك المهج وخوض اللجج، كما ورد في الأخبار - وهذا من حيث الكمّ والكيف - فإنَّ طالب العلم يبذل النفس والنفيس وما في وسعه من أجل طلب العلم .

١٠ - الله الله في الإخلاص والنيّة الحالصة (أخلص تنل)، وإنَّما الأعمال بالنيّات، وللمرء ما نوى، فاطلب العلم لله وفي الله ومن الله وإلى الله، ولا يغرنك زهرة الحياة الدنيا، ودع الدنيا لأهل الدنيا، وكن من أهل الدين، ومن الذين يريدون حرث الآخرة، ولا يُلَقَّأها إلاّ ذو حظّ عظيم .

١١ - الله الله في الإصلاح، فعليك أن تصلح السريرة، فإنَّ من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، وعليك أن تصلح بينك وبين الله، فإنَّ من أصلح بينه وبين الله أصلح الله بينه وبين الناس، وعليك أن تصلح آخرتك، فإنَّ من أصلح آخرته أصلح الله دنياه، وابدأ بنفسك أولاً، وكن إمامها، ومن ثمّ تكن بعهدتك إمامة الناس وهداية الأُمَّة، ومن لم يتمكّن على نفسه كيف يتمكّن على غيره ؟!

١٢ - بركة العلم في تعظيم الأستاذ، فوقّر العلماء واحترم أساتذتك وعظّمهم واخدمهم، لتنال بركات العلوم، وتسعد في طلب العلم والعمل به. ومن تواضع لله رفعه الله، ولا رافع لمن وضعه الله، ولا واضع لمن رفعه، فتعامل مع الله في كلّ حالاتك وحركاتك وسكناتك، وتوجّه إليه، فإنَّه يكفيك الوجوه، وليكن كلّ عمرك وفقاً لله، وفي خدمة دين الله وخلقه، فخير الناس من نفع الناس .

شرائط المتعلم

إنّما يتمّ الشيء ويكتمل ويتحقّق بناؤه بوجود المقضي وعدم المانع وتحقّق الشرائط والمعدّات، كما في وجود المعلول بوجود علته التامة، فلا تخلو الأشياء في حدوثها وبقائها من شرائط.

والناس على ثلاث: إمّا عالم ربّاني، أو متعلّم على سبيل النجاة، أو همج رعاع ينعقون مع كلّ ناعق ويميلون مع كلّ ربح. وللمتعلّم شرائط، يشار إليها بما يلي:

- ١- تزكية النفس.
- ٢- تحصيل الإخلاص.
- ٣- تقليل العلائق الدنيويّة.
- ٤- ترك الكسل.
- ٥- بذل الجهد لنيل المعالي.
- ٦- أن يوطّن نفسه على طلب العلم والتعلّم إلى آخر حياته.
- ٧- أن يختار من المعلّم من هو ناصح عاقل أمين ورع تقي عادل.
- ٨- أن لا يدع المتعلّم فنّاً من فنون العلم، ونوعاً من أنواعه، إلّا وينظر فيه

٨٠ من وحي التربية والتعليم

نظراً يطلع به على غايته ومقصده وطريقته .

٩- مذاكرة الأقران ومناظرتهم .

١٠- أن لا يؤخر شغل يومه إلى غده .

١١- أن يعرف معنى شرف العلم ورتبته ووثاقته من البرهان .

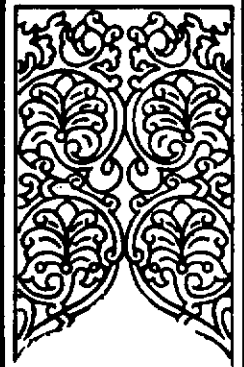
١٢- أن يشفع طلب علمه بالدعاء والتوسل بالله بحق رسوله وأهل بيته

الأطهار عليهم السلام .

حَبِّ اللَّهِ

مُلَاجِجٌ وَصَوْرَةٌ

السَّيِّدِ عَالِمِ الْعَالَمِينَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الحادي عشر

عرفان و اخلاق - ٢



علوی، عادل، ۱۹۵۵ -

حبّ الله نماذج وصور / السيد عادل العلوي. - قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ۱۳۷۸.

۸۰ ص. - (موسوعة رسالات إسلامية)

ISBN 964 - 5915 - 02 - 3 : ۲۰۰۰ ريال

فهرستتویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

عربی.

۱. خدا و انسان (اسلام). ۲. خدا و انسان - جنبه های قرآنی. ۳. دوستی (اسلام). الف. عنوان.

۲۹۷ / ۴۲

۲ ح ۸ / ۸ / ۱۷ BP

۲۰۸۵۵ - ۷۸ م

کتابخانه ملی ایران



رسالة

حبّ الله نماذج وصور

تأليف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ۳۶۳۴

الطبعة الأولى - ۱۴۱۸ هجري قري

الكمية المطبوعة - ۱۰۰۰ نسخة

صفّ الحروف - محمّد الخازن

الزئك والألواح الحساسة - مطبعة أهل البيت عليه السلام، قم

توزيع - مكتبة بصيرقي، قم، شارع إرم

ISBN 964 - 5915 - 02 - 3

شابك ۳-۰۲-۵۹۱۵-۹۶۴

EAN 9789645915023

ای. ای. ان. ۹۷۸۹۶۴۵۹۱۵۰۲۳

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك X-۱۸-۵۹۱۵-۹۶۴ (دوره ۱۰۰ جلد)

الإهداء

إلى: عشاق سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.
إلى: أبناء المواكب الحسينية وبلابل بساتين الولاء - خطباء الطفّ
والشعراء الرساليين - .
أهدي هذه الرسالة (حبّ الله نماذج وصور) على أمل القبول والشفاعة.

العبد

عادل العلوي

حبّ الله نماذج وصور^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اللطيف الذي يلهم العباد حبّه وشوقه، وينعم عليهم بالتوفيق إلى ما يحبّ ويرضى.
والصلاة والسلام على حبيب الله ورسوله المصطفى خاتم النبيّين وسيد المرسلين محمّد بن عبد الله.
وعلى آله وعترته أحبّاء الله وأوليائه الأطهار، الأئمة الميامين الهداة الأبرار.
واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم، وغاصبي حقوقهم أجمعين من بدء الخليقة إلى قيام يوم الدين.

(١) طبعت خلاصة الموضوع في مجلّة (نور الإسلام) البيروتية، سنة ١٤١٥ هـ.

الحبّ في ثورة الإمام الحسين عليه السلام ^(١)

ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام مدرسة إنسانية إلهية، ذات معالم وشعائر تتجدّد عبر العصور والأجيال، فإنّ فيها دروس قيّمة، ومفاهيم سامية، ومعارف راقية، وحضارة زاهية، كلّ واحد ينظر فيها ويتطلّع إليها من زاويته الخاصّة، وثقافته واختصاصه. فإنّها كالقرآن الكريم، بل تجسيد للقرآن ومعانيه ومفاهيمه ومعارفه الربّانية، التي لا تبلى ولا تُخلق، فإنّها غضّ جديد.

فإنّ الحسين عليه السلام هو القرآن الناطق وثورته منطق القرآن الصامت، وإذا كان للقرآن بطون، ولكلّ بطن بطون، وإنّه يحمل وجوهاً، كما ورد في الأخبار الشريفة، فكذلك ثورة الحسين عليه السلام، فإنّ كلّ عالم وعارف وباحث ومحقّق يجد ضالّته المنشودة في القرآن الكريم، كذلك يجدها في ثورة الحسين وحياته المقدّسة، والكلّ

(١) بداية هذا الموضوع كانت محاضرة دينية ألقاها المؤلف في حسينية أهل البيت عليهم السلام لأهالي العبارة بقم المقدّسة سنة ١٤١٢ في عشرة محرّم الحرام، ومن وحي المناسبة كان مطلع الحديث عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام الخالدة، والإشارة إلى جانب الحبّ الإلهي فيها.

٦ حبّ الله نماذج وصور

يقف بخضوع وخشوع أمام قداسة القرآن الكريم وعظمة ثورة الحسين عليه السلام، ويغترف منها ما يروي الظمأ، ويشفي الغليل، وينال بهما سعادة الدارين والحياة الطيبة والعيش الرغيد.

والمقصود من هذه العجالة أن نستلهم درساً من دروس ثورته عليه السلام، ونستنشق نسيماً عذباً من رياحينه العطرة، ونستنير في دروب الحياة بشعلة وهاجة من مشاعله الخالدة، ألا وهو الحبّ والشعق الحسيني، وهذا وإن كان كتاباً قطوراً يصعب ترجمته وبيانه، وبحراً عميقاً يستحيل غوره وعبوره، ولكن مسيرة ألف ميل خطوة، وأوّل المطر الوابل قطرة، عسى يكون ما تقدّمه مفتاحاً لآفاق جديدة في دراسة ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ومن الله سبحانه التوفيق والسداد.

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه :

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ^(١).

لغة الحبّ من أجمل وأروع اللغات في قاموس القرآن الكريم، والسنة النبوية المقدّسة، والأحاديث الشريفة المروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فهناك المئات من الآيات الكريمة، والأخبار الشريفة، تتحدّث لنا عن الحبّ بصوره ونماذجه المختلفة والرائعة. وحبّذا أن نستعرض أولاً بعض المفاهيم عن الحبّ، ثمّ نعرّج إلى واقعة الطفّ الأليمة في كربلاء المقدّسة، لتصوير بعض الوقائع والحوادث التي هي آية في الحبّ والشعق الحقيقي الخالص، ونماذج حيّة وصور واقعيّة في حبّ الله سبحانه وتعالى.

الحب في القرآن والروايات

الحب لغةً وإصطلاحاً:

الحب لغةً:

هو الوداد والميل الشديد ويقابله البغض والتنفّر، ويأتي على معانٍ. فيقال: أحببت الشيء فهو محبّ واستحبيته مثله، ويكون الاستحباب بمعنى الاستحسان، وحابيته حباً من باب قاتل، والحب اسمٌ منه، فهو محبوب وحبيب وحبّ، والأنثى حبيبة، وجمعها حبايب، وجمع المذكر أحباء، وحباب الماء تكسر الموح الصغار، والحباب ضرب من الحيات، ويقال أحبّ البعير إحباباً إذا لصق بالأرض فلم يبرح، والحبة بذر والحب معروف من الحنطة والشعير، والحبّ بزور الرياحين ومن هذا الباب: حبة القلب سويداءه، ويقال ثمرته، ويأتي وصف القصر، فالحبجباب الرجل القصير، والحبّ تنضد الأسنان، والحباب من الماء النفاخات، والمحبة أبلغ من الإرادة، والاستحباب أن يتحرّى الإنسان في الشيء أن يحبه.

والحب مجرّداً: استعماله الصحيح في الفصيح أن يكون لازماً، كالتعب والبغض، يقال: تعبَ وبغضَ وحبَّ أي صار تعباً وبغيضاً وحببياً. وبهذا المعنى استعملت في الآيات الكريمة، كقوله تعالى:

﴿ رَبِّ السُّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾^(١).

﴿ وَمَسَاكِينٌ تَرَضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ ﴾^(٢).

(١) يوسف: ٣٣.

(٢) التوبة: ٢٤.

﴿ لِيُؤْسَفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا ﴾^(١).

أي أشدّ في كونه حبيباً.

﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾^(٢).

أي قد شغفها الفتى من كونه حبيباً لها.

﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾^(٣).

أي من جهة كونه حبيباً.

ويأتي الحبّ بمعنى الإحباب، فهو متعدّدٌ بمعنى جعله حبيباً، وميله إليه مع العلاقة، والإحباب من الله تعالى لطف وتوجّه وإحسان وإكرام وإفضال، وعدمه منه تعالى قطع تلك الألفاف والمراحم، نعوذ به منه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^(٤).

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾^(٥).

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾^(٦).

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾^(٧).

(١) يوسف : ٨ .

(٢) يوسف : ٣٠ .

(٣) الفجر : ٢٠ .

(٤) البقرة : ١٩٠ .

(٥) البقرة : ٢٠٥ .

(٦) البقرة : ٢٧٦ .

(٧) آل عمران : ٣٢ .

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾^(١).

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾^(٢).

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾^(٣).

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ ﴾^(٤).

وأما التحبيب فهو إيجاب إذا كان النظر إلى جهة الوقوع. وأما الحب فهو من ذلك المعنى، من جهة كونه حبيباً للزارع، ونتيجة عمله، ومنتهى مقصده، وميله وتوجهه. وأما اللزوم والثبات والالصوق فن لوازم المحبة، وسائر المعاني كلها مجازات بمناسبة مخصوصة^(٥).

وأما الحب اصطلاحاً :

فهو الميل الباطني والقلبي نحو المحبوب، ويقابله البغض والكرهية.

وقيل : الحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملدّ، فإن تأكد ذلك الميل

وقوى سمي عشقاً.

وقيل : ميل الطبع إلى الملائم الملدّ، ولا يتصور حبّ إلا بعد معرفة وإدراك،

وكذلك لا يتّصف بالحبّ جماد. ولا يحبّ الإنسان ما لا يعرفه ولم يدركه، فالحبّ من

خاصية الحيّ الدراك، بعد حصول الإدراك بالفعل.

(١) آل عمران : ١٤٠.

(٢) النساء : ٣٦.

(٣) النساء : ١٠٧.

(٤) النساء : ١٤٨.

(٥) مقتبس من (لسان العرب) و (تاج العروس) و (مجمع البحرين) و (مفردات الراغب).

١٠ حبّ الله نماذج وصور

ثمّ لما كانت المدركات منقسمة إلى ما يوافق طبع المدرك ويلذّه، وإلى ما يخالفه ويؤلمه، وإلى ما لا يؤثر فيه بالذاد وإيلام، فالقسم الأوّل يكون مرغوباً عند المدرك، ويسمّى رغبة، وميله إليه حبّاً، والقسم الثاني يكون منفوراً عنده، وتسمّى نفرتة عنه كراهة وبغضاً، والثالث لا يوصف بميل وكراهة، فلا يوصف بكونه محبوباً ولا مكروهاً.

ثمّ اللذة لما كانت عبارة عن إدراك الملائم الملذّ ونيله، فالحبّ هو الميل والرغبة إليه، لا يخلو عن لذة محقّقة أو خياليّة، وعلى هذا فيمكن أن تعرف المحبّة بأنّها ابتهاج النفس بإدراك الملائم ونيله، ثمّ المدرك إن كان ممّا يستحسن حبّه شرعاً وعقلاً، كان كراهته وبغضه من الرذائل وحبّه من الفضائل، وإن كان ممّا يذمّ حبّه، كان بالعكس من ذلك.

ثمّ الحبّ والكراهة لما كانا تابعين للإدراك، فإنّها ينقسمان بحسب انقسام القوّة المدركة - التي هي الحواسّ الخمسة الظاهرة - والحواسّ الباطنة، والقوّة العاقلة، فمن الأوّل الصور الجميلة المرئيّة والنغيمات الموزونة والروائح الطيبيّة والملبوسات اللينة وما شابه ذلك، ومن الثاني كالصور الملائمة الخياليّة والمعاني الجزئيّة الملائمة بالنسبة إلى المتخيّلة والواهمة، ومن الثالث كالمعاني الكليّة والذوات المجرّدة، ولا ريب أنّ الثالث منها أقوى للذات وأبلغها، فإنّ البصيرة الباطنة أقوى وأنفذ من البصيرة الظاهرة، والعقل أشدّ إدراكاً من الحسّ، فالجمال الباطني أكثر لذّة من الجمال الظاهري، والمعرفة الباطنيّة أقوى من الظاهريّة.

ومن هذا المنطلق جعل رسول الله ﷺ الصلاة أبلغ المحبوبات عنده في الدنيا حيث قال: «حُبّب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء، وجعلت قرّة عيني في الصلاة»، فالالتذاد بالطيب لذّة شمّية، وبالنساء نظرية ولمسيّة، وهما من

مقدّمات الصلاة، وإنّ الالتذاذ بها لذّة عقلية تفوق اللذات فكانت قرّة عين الرسول ﷺ.

ثمّ الحبّ بحسب مبادئه المتعدّدة ينقسم على أقسام: كحبّ الإنسان وجود نفسه وبقاءه وكماله، وكحبّه لغيره لأجل أنّه يلتذّ منه لذّة حيوانية، كحبّ الرجل للمرأة وبالعكس لأجل المقاربة، وحبّ المأكولات والملبوسات وهو سريع الحصول وسريع الزوال، وكحبّه للغير لأجل نفعه وإحسانه، والإنسان عبد الإحسان، قال رسول الله ﷺ: «اللهمّ لا تجعل لفاجر عليّ يداً فيحبّه قلبي»، وهو قابل للزيادة والنقصان بمقدار الإحسان، وكحبّ الشيء لذاته، لا لحظّ يناله منه وراء ذاته، كحبّ الجمال والحسن، فإنّ كلّ جمال محبوب عند مدركه وذلك لعين الجمال^(١)، ومن هذا القسم حبّ الناس للأنبياء والأوصياء وبذل النفس والنفس من أجل دينهم ومذهبهم، وكحبّة بعض لبعض لمناسبة خفية أو مجانسة معنوية، فإنّ الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف - كما ورد في الخبر النبويّ الشريف - وكالحبّ لمن حصل بينه وبينه الألفة والاجتماع في بعض المواضع، وكالمحبّة لمن يشاركه في وصف ظاهر، كميل الصبيّ إلى الصبيّ لصباه، والتاجر إلى التاجر لتجارته، ووجب كلّ سبب وعلّة لمسيّبه ومعلوله وبالعكس، كحبّ الأب لولده وبالعكس، وكحبّ المعلم لتلميذه وبالعكس، وكحبّة المتشاركين في سببٍ واحد بعضهم لبعض، كحبّة الإخوان والأقارب، وكلّما كان السبب أقرب كانت المحبّة أوكد، وقد يجتمع بعض أسباب المحبّة أكثرها في شخص واحد فيتضاعف الحبّ، وقد تكون قوّة الحبّ

(١) مقتبس من جامع السعادات ٣: ١٣٦، وكلام المصنّف تفصيل، فراجع.

بقدره قوّة السبب^(١).

هذا « وقد أنكر بعض العلماء إمكان محبة الله عزّ وجلّ، وذلك لندرة الإيمان بها، وقال: لا معنى لها إلاّ المواظبة على طاعة الله عزّ وجلّ، وأمّا حقيقة المحبة فحال إلاّ مع الحسن والمثال، ولمّا أنكروا المحبة أنكروا الأُنس والشوق ولذّة المناجاة وسائر لوازم الحبّ وتوابعه»^(٢).

يقول المحقّق الفيض الكاشاني في محجّته البيضاء :

ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة، ثمّ بيان حقيقتها وأسبابها، ثمّ بيان أن لا مستحقّ للمحبة إلاّ الله عزّ وجلّ، ثمّ بيان أن أعظم اللذات، لذّة النظر إلى وجه الله تعالى، ثمّ بيان سبب زيادة لذّة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا، ثمّ بيان الأسباب المقويّة لمحبة الله تعالى، ثمّ بيان السبب في تفاوت الناس في الحبّ لله، ثمّ بيان السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله عزّ وجلّ، ثمّ بيان معنى الشوق، ثمّ محبة الله عزّ وجلّ للعبد ثمّ القول في علامات محبة العبد لله تعالى، ثمّ بيان معنى الأُنس بالله عزّ وجلّ، ثمّ بيان معنى الانبساط في الأُنس... ثمّ بيان حكايات المحيّن وكلمات للمحيّن متفرّقة. راجع كلامه رفع الله مقامه.

إنّ الحبّ من المعاني الإضافيّة فهو رابط بين المحبّ وحبيبه، والإنسان يمتلك غرائز، منها غريزة الحبّ، ويتجلّى هذا الحبّ وهذه الغريزة في سلوكه وحركاته وسكناته، وبهذا المعنى ومن هذا المنطلق ينقسم باعتبار متعلقاته إلى الحبّ المذموم والحبّ المدحوح، كما ينقسم إلى الحبّ المجازي والحبّ الحقيقي،

(١) جامع السعادات ٣ : ١٤١، وراجع في تفصيل ذلك المحجّة البيضاء، المجلد الثامن.

(٢) المحجّة البيضاء ٨ : ٥.

وله مراتب طولية وعرضية، فإن مفهومه كلي مشكك كالنور، فإن بداية النور الحسي ما يتبقى من رأس عود الكبريت بعد إخماده، ونهايته نور الشمس في رائحة النهار، فبداية الحب هو الميل الباطني الجزئي الذي يوجد في تمام المخلوقات المتكاملة، فكلها محبة في ذاتها تتحرك بحركة جوهرية للوصول إلى كمالها المنشود فيها، فالنواة تطوي مراحل كمالها، لتكون نحلة باسقة، والنطفة تسبح في تكاملها لتكون إنساناً سميعاً بصيراً، فكل ما في الكون يسبح ويسبح بحمد ربه، ليصل إلى الكمال المودع في ذاته.

ونهاية الحب إلى الحبيب الذي لا نهاية له في ذاته وصفاته وأسمائه، (فإلى الله المنتهى، وإليه تصير الأمور، وإني كادح إلى ربك كدحاً فلاقية، وإليه راجعون).

ويدل على مراتب الحب - حتى حب الله - قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (١).

فهو دليل على إثبات الحب لله، وإثبات التفاوت فيه.

فكمال المحبوب هو الله سبحانه مطلق الكمال والكمال المطلق، وإله من ولاة بمعنى العشق والحب، وإله المعشوق والمحبوب. فالمؤمن ولهان في عبادة ربه وحببه، ولا يرى معبوداً وإلهاً وحبیباً سوى الله سبحانه وتعالى: (فقولوا لا إله إلا الله تفلحوا) فإن النجاح والفلاح والصلاح في الحب الإلهي والعشق المقدس، لا العشق المجازي المذموم في الآيات والروايات، فإن الإمام الصادق عليه السلام لما سئل عن العشق المجازي - كعشق قيس العامري وليلى - قال عليه السلام: «قلوب خلّت عن ذكر

الله فأذاقها الله حبّ غيره»^(١).

فالحبّ ميل باطني وقلبي نحو المحبوب، ويتولّد منه الشوق، وهو الميل والرغبة إلى الشيء المحبوب عند غيبته، وهو يكون فيما أدرك الشيء من وجه ولم يدرك من وجه آخر، فما لا يدرك أصلاً لا يشتاّق إليه، إذ لا يتصوّر أن يشتاّق أحد إلى شخص لم يره ولم يسمع وصفه، وما أدركه بكامله لا يشتاّق إليه أيضاً؛ فالشوق يختصّ تعلقه بما أدرك من وجه دون وجه، وذلك فيما يتّضح الشيء اتّضحاً ما ولم يستكمل الوضوح، فاحتاج إلى استكمالها، فيكون الشوق إلى ما بقي من المطلوب ممّا لم يحصل، وهذا وجه، والوجه الآخر أن يدرك بعض كمالات المحبوب، ووصل إليه وعلم إجمالاً أنّه له كمالات أخرى، فيكون له شوق إلى إدراك تلك الكمالات.

وأفضل مراتب الشوق هو الشوق إلى الله سبحانه وإلى لقائه وهي المظنّة إلى الوصول إليه، وإلى حبّه وأنسه والتقرّب إليه، وهو رأس مال السالكين، ومفتاح أبواب السعادة للطالبيين، الوجهان الموجبان للشوق متصوّران في حقّ الله سبحانه، بل هما ثابتان وملازمان لجميع العارفين، فلا يخلو عارف من الشوق إلى الله عزّ وجلّ، ولا يسكن قطّ شوقه، وما من عبدٍ إلّا ويرى فوق درجته، درجات كثيرة لا نهاية لها:

﴿ تَوَرَّعُوا بِسَعْيِ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمِنُ بِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْعِمْنَا لَنَا نُورَنَا ﴾^(٢).

(١) ميزان الحكمة ٦ : ٢١٤. وقد تعرّضت لهذا المعنى بالتفصيل في (رسالة في العشق)، وهو

مطبوع، فراجع.

(٢) التحريم : ٨.

وفي بعض الكتب السماوية : « طال شوق الأبرار إلى لقائي، وأنا إلى لقائهم لأشدَّ شوقاً ».

وفي أخبار داود عليه السلام : « إنِّي خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي ».

وفيها أيضاً : « أنه تعالى أوحى إلى داود : يا داود، إلى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق إليّ؟ قال : يا ربّ، من المشتاقون إليك؟ قال : إنَّ المشتاقين إليّ الذين صفيتهم من كل كدر، ونبتهم بالحذر، وخرقت من قلوبهم إليّ خرقاً ينظرون إليّ، وإنِّي لأحمل قلوبهم بيدي فأضعها على سماي، ثم أدعو بملائكتي، فإذا اجتمعوا سجدوا لي، فأقول : إنِّي لم أجمعكم لتسجدوا لي، ولكن دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إليّ، وأباهي بهم إيتاكم، فإنَّ قلوبهم لتضيء في سماي لملائكتي كما تضيء الشمس لأهل الأرض، يا داود إنِّي خلقت قلوب المشتاقين من رضواني، ونعمتها بنور وجهي، فأخذتهم لنفسي محدّثين، وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض، وقطعت من قلوبهم طريفاً ينظرون به إليّ، يزدادون في كل يوم شوقاً ».

وأوحى الله إليه أيضاً : « يا داود، لو يعلم المدبورون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم، لماتوا شوقاً إليّ، وتقطعت أوصالهم عن محبتي ».

وفي بعض الأخبار القدسيّة : إنَّ لي عبداً يحبونني وأحبهم، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم، ويذكرونني وأذكرهم، وأول ما أعطيهم أن أقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عني كما أخبر عنهم، ولو كانت السماوات والأرض وما فيها في موازينهم لاستعديها لهم، وأقبل بوجهي عليهم، ولا يعلم أحد

ما أريد أن أعطيه لهم»^(١).

ثمّ حقيقة الدين والإيمان هو الحبّ كما ورد في الخبر الشريف: «هل الإيمان إلاّ الحبّ والبغض»^(٢) فسبحانه وتعالى هو المحبوب الأصيل والأوّل، ونحبّ كلّ شيء عليه اسم الله عزّ وجلّ بالتبع، كما جاء في المناجاة: «اللّهم ارزقني حبّك وحبّ من يحبّك وحبّ كلّ عمل يوصلني إلى قربك».

فالحبّ الحقيقي حبّ أويس القرني قد مدحه الله ورسوله، ويعطي للإنسان حركةً ونشاطاً نحو الإيمان الكامل والعمل الصالح.

قال الإمام الصادق عليه السلام: المشتاق لا يشتهي طعاماً، ولا يلتذّ شراباً، ولا يستطيب رقاداً، ولا يأنس حميماً، ولا يأوي داراً، ولا يسكن عمراناً، ولا يلبس ثياباً، ولا يقرّ قراراً، ويعبد الله ليلاً ونهاراً، راجياً بأن يصل إلى ما يشواق إليه، ويناجيه بلسان الشوق معبراً عمّا في سريره، كما أخبر الله تعالى عن موسى بن عمران في ميّعاد ربّه بقوله:

﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(٣).

وفسر النبي صلى الله عليه وآله عن حاله: «أنّه ما أكل ولا شرب ولا نام». فإذا دخلت ميدان الشوق فكبر على نفسك ومرادك من الدنيا، وودّع جميع المألوفات، واصرفه عن سوى مشوّقك، ولبّ بين حياتك وموتك، لبيك اللهمّ لبيك، أعظم الله أجرك، ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همّة إلاّ خلاصه، وقد نسي كلّ شيء

(١) جامع السعادات ٣: ١٢٦.

(٢) ميزان الحكمة ١: ٣٣٠.

(٣) طه: ٨٤.

الحب في القرآن والروايات ١٧

دونه. وما ورد في الأدعية من المعصومين عليهم السلام من طلب الشوق أكثر من أن يحصى، والظواهر القرآنية والروائية المثبتة للمحبة والأنس الإلهي تثبت الشوق أيضاً^(١).

فالحب تارة يكون عاملاً هداماً من ورائه الانحطاط والذلة والهلاك والنار، كما هو أساس الذنوب والآثام في العالم على مرّ العصور والأحقاب، ويعلم ذلك من هذه الرواية الشريفة :

عن أبي عبد الله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أول ما عُصي الله تبارك وتعالى بستّ خصال : حبّ الدنيا وحبّ الرياسة وحبّ الطعام وحبّ النساء وحبّ النوم وحبّ الراحة^(٢).

وأخرى يكون الحبّ عاملاً للتكامل والاعتلاء والتقدّم والازدهار، وذلك لو كان لله سبحانه وفي الله عزّ وجلّ ومن الله وإلى الله وبالله جلّ جلاله .
قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾^(٣)

وعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام : لا يحض رجل الإيمان بالله حتى يكون الله أحبّ إليه من نفسه وأبيه وأمه وأولاده وأهله وماله ومن الناس كلهم.

وفي الدعاء الشريف : أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى

(١) جامع السعادات ٣ : ١٣٣، والمحنة البيضاء ٨ : ٥٥.

(٢) المواعظ العددية : ١٧٥.

(٣) البقرة : ١٦٥.

١٨ حبّ الله نماذج وصور

لم يحبّوا سواك... ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك، لقد خاب من رضي دونك بدلاً.

وفي الخبر الشريف: إنّ موسى ناجى ربّه بالوادي المقدّس فقال: يا ربّ إني أخلصت لك المحبّة منّي، وغسلت قلبي عمّن سواك - وكان شديد الحبّ لأهله - فقال الله تبارك وتعالى:

﴿إخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾^(١).

أي انزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولة.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: القلب حرم الله، فلا تسكن حرم الله غير الله. وما أجمل وأروع هذا الحديث الشريف، فإنّه من جوامع الكلم، فإنّ الله يقول في حديث قدسيّ: «لا تسعني سمائي ولا أرضي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»، فما أعظم الإنسان هذا الكائن الذي لا زال مجهولاً، والذي يزعم أنّه جرم صغير، ولكن انطوى فيه العالم الأكبر، وكان قلبه عرش الله وحرمه - الله أكبر -.

طوبى لمن عرف قدر نفسه، وقيمة كلّ امرئٍ ما يحسنه، فقيمه الإنسان في الدنيا والآخرة بمعرفته وعلمه، وإنّه بطاعته يمكن أن يصل إلى هذا المقام العظيم، والمنزلة الرفيعة، حتّى يكون قلبه حرم الله سبحانه وتعالى ينجيه ربّه في سرّه - أي في نفسه وقلبه - يتكلّم مع ربّه.

فما أجمل الدنيا حينئذٍ، وإنّها والله مزرعة الآخرة ومتجر أولياء الله سبحانه.

فلا بد لنا أن نمنع الأغيار من دخولهم قلوبنا، وسيّد الأغيار النفس الأمارة بالسوء، فإن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه، والقلب السليم أن يلقي الله سبحانه وتعالى، وليس فيه سوى الله سبحانه، ولا يلقاها إلا ذو حظّ عظيم.

فلا بد أن نجلس على أبواب قلوبنا، ونمنع غير الله، فإن القلب حرم الله، ولا تسكن حرم الله غير الله، اللهم اجعل قلبي بحبك ميمماً.

ومن دعائه عليه السلام: صلّ على محمد وآل محمد واشغل قلبي بعظيم شأنك وأرسل محبتك إليّ حتى ألقاك وأوداجي تشخب دماً.

وفي الخبر: من طلبني وجدني، ومن وجدني عشقني، ومن عشقني قتلته، ومن قتلته فأنا ديته.

وأيضاً في الدعاء الشريف: اللهم إنّي أسألك أن تملأ قلبي حباً لك وخشياً منك، وتصديقاً لك، وإيماناً بك، وفرقاً منك، وشوقاً إليك. اللهم اجعل حبك أحبّ الأشياء إليّ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك.

والأدعية والأوراد والأذكار من الرسول المختار والأئمة الأطهار عليهم السلام المشحونة بالحبّ الإلهي، وطلب حبه منه سبحانه، فإنّه من النعم التي يختصّ به الله أوليائه من عباده.

هذا غيض من فيض في جلاله وعظمة حبّ الله سبحانه، وأما ما يورث حبه وكيف لنا أن نصل إلى محبته، فقد جاء في الأخبار عن الأئمة الأبرار عليهم السلام ذلك، وإليكم بعض النماذج:

قيل لعيسى عليه السلام علّمنا عملاً واحداً يحبّنا الله عليه، فقال: أبغضوا الدنيا

٢٠ حبّ الله نماذج وصور

يحببكم الله .

وفي حديث المعراج، قال الله تعالى مخاطباً نبيّه الأكرم وحبيبه الأعظم :
يا محمّد، وجبت محبّتي للمتحابّين فيّ، ووجبت محبّتي للمتعاطفين فيّ، ووجبت محبّتي
للمتواصلين فيّ، ووجبت محبّتي للمتوكّلين عليّ، وليس لمحبّتي علم ولا غاية
ولا نهاية، وكلّمها رفعت لهم علماً وضعت لهم علماً.

وعن الرسول الأكرم ﷺ : من أكثر ذكر الموت أحبّه الله .

وعن الإمام الصادق عليه السلام : طلبت حبّ الله عزّ وجلّ فوجدته في بغض أهل

المعاصي .

وعنه عليه السلام : إذا تخلّى المؤمن عن الدنيا سها، ووجد حلاوة حبّ الله وكان
عند أهل الدنيا، كأنّه قد خلوط، وإنّما خالط القوم حلاوة حبّ الله، فلم يشتغلوا
بغيره .

قال رجل للنبيّ ﷺ : يا رسول الله، علّمني شيئاً إذا فعلته أحبّني الله من
السماء، وأحبّني الناس من الأرض فقال له : ارغب فيما عند الله عزّ وجلّ، يحبّك الله،
وازهد فيما عند الناس يحبّك الناس .

وأما من يحبّهم الله سبحانه فقد قال في كتابه الكريم في مبرم خطابه

المجيد :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢)

(١) البقرة : ١٩٥ .

(٢) البقرة : ٢٢٢ .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١).

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢).

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٣).

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٤).

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (٥).

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٦).

لقد تكررت لفظة (يحب) في القرآن كثيراً، فما معنى حب الله تعالى؟ لا يخفى أن المولى ليس بجسم ولا يمكن أن تطرأ عليه سبحانه ما يطرأ على الأجسام من صفات وخصوصيات، فحبه تعالى عبارة عن إيجاده لآثار ذلك الحب، لا حصول صفة في ذاته كما تحصل للإنسان صفة نفسانية، فالمولى عندما يحب فإنه يوجد ويخلق آثاراً لذلك الحب لتدل عليه، وهكذا في الغضب، فإن الانتقام والبطش والبلاء دليل على غضبه، كما أن الهدوء والرخاء والسعادة والاطمئنان دليل على حبه، وهكذا... ولذا قالوا في هذا المورد: «خذ الغايات واترك المبادئ» فالقرآن يعدد صفات كثيرة يحبها الله ويحب من يتصف بها مثل:

(١) آل عمران : ٧٦.

(٢) آل عمران : ١٤٦.

(٣) آل عمران : ١٥٩.

(٤) المائدة : ٤٢.

(٥) الصف : ٦٤.

(٦) آل عمران : ٣١.

٢٢ حبّ الله نماذج وصور

يحبّ المسطّين^(١)، يحبّ التوّابين والمستطهّرين^(٢)، يحبّ المتّقين^(٣)، يحبّ المحسنين^(٤)، يحبّ الصّابرين^(٥)، يحبّ المتوكّلين^(٦)، يحبّ الذين يقاتلون في سبيله^(٧)، وغيرها كثير، كما ذكرنا نماذج منها.

وهذه الصفات كلّها نجدها في المحبّين لله سبحانه، وفي ساداتهم الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فهذه الصفات تتجلّى كلّها في أمير المؤمنين عليه السلام، بل وأكثر. الأمر الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول عن فضائله أنّها لا تحصى أبداً، وإذا كان عليّ محبوباً عند الله تعالى لأنّه جسّد الصفات التي يحبّها الله تعالى فيكون أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مورد حصول آثار الحبّ الإلهي، فلا غرابة أن نجد صفة الشجاعة والقوّة الخارقة للعادة في الإمام عليّ عليه السلام، لأنّه في مقام القرب وفي مقام العندية وفي مقام الحبّ الإلهي، ولا غرابة أن نجده جامع الأضداد، فذلك كلّه من آثار الحبّ الإلهي له. لأنّ عليّاً سيّد المحبّين وعشاق الله قد وضع نفسه في دائرة محبّ ما يحبّه الله ويبغض ما يبغضه الله تعالى، فن جهة نراه قد جسّد الصفات التي يحبّها الله تعالى، وأنكر وابتعد وأبعد أصحابه عن تلك الصفات

(١) المائدة : ٤٢ .

(٢) البقرة : ٢٢٢ .

(٣) آل عمران : ٧٦ .

(٤) المائدة : ١٣ .

(٥) آل عمران : ١٤٦ .

(٦) آل عمران : ١٥٩ .

(٧) الصّفّ : ٤ .

التي لا يحبها الله تعالى كالإثم والحيانة والكفر والإسراف والعدوان والظلم والاستكبار... فكان لا بدّ من ظهور آثار الحب الإلهي عليه لوجود المقتضي وارتفاع المانع...

ولا يخفى أنّ لكلّ صفة يحبها الله أثراً خاصاً بها وليست هي كلّها متساوية الرتبة في الآثار فبعض الآثار ما يتصل بجانب الروح والقلب والعقل، وبعضها يتصل بجانب البدن وإلى غير ذلك. فيظهر أنّ وجود الأمور العجيبة والغريبة والمخارقة للعادة في شخصيّة الإمام عليّ أمر طبيعي جداً، لأنّه مورد عناية الله تعالى بفضل ما حقّقه وأنجزه في طريق الكمال^(١).

وفي حديث الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ الله يحبّ المداعب بالجماعة بلا رفث، المتوحّد بالفكرة، المتحلّي بالصبر، المساهر بالصلاة».

وقال عليه السلام: إنّ الله يحبّ كلّ قلبٍ حزين، ويحبّ كلّ عبدٍ شكور.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة يحبهم الله عزّ وجلّ: رجلٌ قام من الليل يتلو كتاب الله، ورجلٌ تصدّق بيمينه يخفيها عن شماله، ورجلٌ كان في سرّيّة، فانهزم أصحابه فاستقبل العدو.

وأما الذين لا يحبهم الله، فقال سبحانه في كتابه المجيد:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْتَدِينَ ﴾^(٢).

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾^(٣).

(١) عظمة أمير المؤمنين عليه السلام: ٥٣ - ٥٥.

(٢) البقرة: ١٩٠.

(٣) البقرة: ٢٧٦.

- ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١).
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾ ^(٢).
- ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ^(٣).
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ^(٤).
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ ^(٥).
- ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ ^(٦).
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ ^(٧).
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٨).
- ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ ﴾ ^(٩).

(١) آل عمران : ٥٧.

(٢) النساء : ٢٦.

(٣) المائدة : ٦٤.

(٤) الأنعام : ١٤١.

(٥) الأنفال : ٥٨.

(٦) النحل : ٢٣.

(٧) القصص : ٧٦.

(٨) الروم : ٤٥.

(٩) النساء : ١٤٨.

على أبواب الحبّ

إعلم أنّ في روايات النبيّ الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام أبواب عديدة في الحبّ وأقسامه وأبعاده، وفي كلّ باب مفاهيم قيّمة ومطالب متنوّعة سامية، لا يستغني عنها الباحث الإسلامي، حتّى أن يشار إلى بعض هذه الأبواب، ونبذة يسيرة جدّاً من الروايات المرويّة في كلّ باب.

١ - باب (أحبّ الناس إلى الله)

عن الإمام الصادق عليه السلام: ألا وإنّ أحبّ المؤمنين إلى الله من أعان المؤمن الفقير من الفقر في دنياه ومعاشه، ومن أعان ونفع ودفع المكروه عن المؤمنين.
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحبّ عباد الله إلى الله جلّ جلاله أنفعهم لعباده وأقومهم بحقّه، الذين يحبّ إليهم المعروف وفعاله.
يقول الله تعالى: إنّ أحبّ العباد إليّ المتحابّون بجلالي المتعلّقة قلوبهم بالمساجد المستغفرون بالأسحار، أولئك إذا أردت بأهل الأرض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم.

٢٦ حبّ الله نماذج وصور

أحبّ المؤمنين إلى الله من نصب نفسه في طاعة الله ونصح لأئمة نيّته، وتفكّر في عيوبه، وأبصر وعقل وعمل.

قال الإمام الصادق عليه السلام: أحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ رجلٌ صدوق في حديثه، محافظ على صلواته وما افترض الله عليه مع أدائه الأمانة.

٢- باب (أحبّ الأعمال إلى الله)

سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ قال: اتباع سرور المسلم. قيل: يا رسول الله، وما اتباع سرور المسلم؟ قال: شبعة جوعه، وتنفيس كُربته، وقضاء دينه.

أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ في الأرض الدعاء. قال الإمام الصادق عليه السلام: من أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ زيارة قبر الحسين عليه السلام.

الذكر أحبّ الأعمال إلى الله سبحانه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة يحبّها الله: قلّة الكلام، وقلّة المنام، وقلّة الطعام. ثلاثة يبغضها الله: كثرة الكلام، وكثرة المنام، وكثرة الطعام. ثلاثة يحبّها الله سبحانه: القيام بحقّه، والتواضع لخلقه، والإحسان إلى عباده.

إنّ الله جميل ويحبّ الجمال، إنّ الله يحبّ الرفق، إنّ الله يحبّ إطعام الطعام. وإذا أردت التفصيل في أحبّ الأعمال إلى الله سبحانه فراجع بحار الأنوار، كما يلي:

على أبواب الحب ٢٧

١- ثلاث خصال من أحب الأعمال . ٧٤ : ٣٦٥ / ١٢ + ٧٤ : ٣٦٠ / ٦

+ ١٣ : ٢٩٤ / ١٥ + ٧٨ : ٤٥٣ / ١٨

+ ٧٣ : ٣٨٦ / ١١ .

٢- إن أحب الأعمال إدخال السرور . ٧٤ : ٢٩٠ / ١٢ + ٧٤ : ٢٩٧ / ١٨

+ ٧٤ : ٣٦٥ / ٩ + ٧٤ : ٣١٢ / ١١

+ ٧٤ : ٣٦٩ / ١٧ .

٣- من أحب الأعمال إشباع جوعة المؤمن . ٧٤ : ٣٦٩ / ٢٠

+ ٧٤ : ٣٦٩ / ١٩ .

٤- أحب الأعمال إلى الله الدعاء . ٩٣ : ٢٩٥ / ١ + ٩٣ : ٢٩٧ / ٥ .

٥- أحب الأعمال إلى الله الصلاة . ٨٢ : ٢٣٣ / ٥ + ٨٢ : ٢٠٦ / ١٢

+ ١٠٠ : ١١ / ٥ .

٦- أحب الأعمال إلى الله انتظار الفرج . ١٠ : ٩٤ / ١٤ + ٥٢ : ١٢٣ / ١٦ .

٧- أحب الأعمال إلى الله ذكره . ٨٢ : ٣٥٥ / ١٦ .

٨- أحب الأعمال إلى الله زيارة قبر الحسين عليه السلام . ١٠١ : ٤٩ / ١١ .

٩- أحب الأعمال إلى الله ما دام عليه . ٨٣ : ٦ / ١٨ + ٨٧ : ٣٧ / ١٢

+ ٧١ : ٢١٩ / ١٦ .

راجع في الحب ومشتقاته كتاب (المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث بحار الأنوار، المجلد السابع، من الصفحة ٤٥٣٣ إلى ٤٦٢٨، وفي كل صفحة ١٥٠ كلمة حب) ومشتقاتها تقريباً .

وقد تكررت مادة الحب في بحار الأنوار أكثر من أربعة عشر ألف مرة، وفي القرآن الكريم ٨٥ مرة، فراجع .

٣- باب (عبادة المحبين)

عن رسول الله ﷺ: بكى شعيب رضي الله عنه من حبِّ الله عزَّ وجلَّ حتى عمي، فردَّ الله عزَّ وجلَّ عليه بصره، ثمَّ بكى حتى عمي فردَّ الله عليه بصره، ثمَّ بكى حتى عمي فردَّ الله عليه بصره، فلمَّا كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب، إلى متى يكون هذا أبداً منك؟ إن يكن هذا خوفاً من النار فقد آجرتك، وإن يكن شوقاً إلى الجنة فقد أجتك. فقال: إلهي وسيدي، أنت أعلم إنِّي ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك. فأوحى الله جلَّ جلاله إليه: أمَّا إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليتي موسى بن عمران.

وهذا يعني أنَّ القائد يخدم الجندي، فإنَّ موسى كان من أنبياء أولي العزم، وشعيب من أمته ورعيته ومن جنده، وهكذا يفعل الحبُّ بأهله.

ومما جاء في صحيفة إدريس: طوبى لقوم عبدوني حباً، واتَّخذوني إلهاً ورباً وسهروا الليل، ودأبوا النهار طلباً لوجهي، ومن غير رهبة ولا رغبة، ولا لنار ولا جنة، بل للمحبة الصحيحة والإرادة الصريحة والانقطاع عن الكلِّ إليّ.

فما أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود، أبلغ أهل أرضي أني حبيب من أحبني، وجليس من جالسي، ومؤنس لمن أنس بذكري، وصاحب لمن صاحبي، ومختار لمن اختارني، ومطيع لمن أطاعني. وما أحبني أحد أعلم ذلك يقيناً من قلبه، إلا قبلته لنفسه، وأحبته حباً لا يتقدمه أحد من خلقي، من طلبني بالحقِّ وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها،

على أبواب الحب ٢٩

وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وموانستي، وآنسوني أونسكم وأسارع إلى محبتكم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: إن الناس يعبدون الله عز وجل على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدونه رغبة إلى ثوابه، فتلك عبادة الحرصاء، وهو الطمع. وآخرون يعبدونه خوفاً من النار، فتلك عبادة العبيد، وهي الرهبة. ولكي أعبدته حباً له، فتلك عبادة الكرام، وهو الأمن لقوله تعالى:

﴿ وَهُمْ مِنْ قَرَعٍ يَوْمئِذٍ آمِنُونَ ﴾^(١).

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾^(٢).

فن أحب الله عز وجل أحببه الله، ومن أحببه الله عز وجل كان من الآمنين.

٤- باب (إذا أحب الله عبداً)

عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: يا رب، وددت أن أعلم من تحب من عبادك فأحبه؟ فقال: إذا رأيت عبدي يكثر ذكري، فأنا أذنت له في ذلك وأنا أحببه، وإذا رأيت عبدي لا يذكرني، فأنا حجبتة وأنا أبغضته.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: إذا أحب الله عبداً ألهمه حسن العبادة... حبب إليه الأمانة... زينته بالسكينة والحلم... ألهمه الصدق... ألهمه رشده ووفقه لطاعته... خطر عليه العلم... بغض إليه المال وقصر منه الآمال... رزقه قلباً سليماً وخلقاً

(١) النمل: ٨٩.

(٢) آل عمران: ٣١.

٣٠ حبّ الله نماذج وصور

قويماً... ابتلاه فإذا أحبه الحبّ البالغ افتناه. قالوا: وما افتنائه؟ قال: لا يترك له مالاً ولا ولداً. إذا أكرم الله عبداً أشغله بمحبّته.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: من سرّه أن يعلم أنّ الله يحبه، فليعمل بطاعة الله وليتبعنا، ألم يستمع قول الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ... ﴾ (١)

وقال عليه السلام: إذا أحبّ الله عبداً ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقّهه في الدين وقوّاه باليقين، فاكتفى بالكفاف واكتسب بالعفاف. وإذا أبغض الله عبداً حبّب إليه المال وبسط له وألهمه دنياه ووكله إلى هواه، فركب العناد وبسط الفساد وظلم العباد.

٥ - باب (علامة حبّ الله)

لكلّ شيء علامة، ومحّبّ الله له علامات، وإنما يقف عليها ويعلمها من كان منهم، ورسول الله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام هم سادة المحبّين وأسوتهم، ومن إمامة أئمة الهدى عليهم السلام أتهم أشاروا إلى علامات كلّ طائفة، كعلامات المؤمنين والمتّقين والمنافقين والمخلصين والمحبّين، حتّى لا يلتبس ويشتهب الأمر على من يبحث عنهم ليقتدي بهم كالمتّقين، أو ليتجنّبهم ويحذرهم كالمنافقين.

واعلم أنّ المحبّة يمكن أن يتصوّر كلّ واحد من نفسه ويدّعيها، فما أسهل الدعوى، وما أعزّ المعنى، فلا يغترّ الإنسان بتلبّيس الشياطين وخدع النفس

(١) آل عمران : ٣١.

على أبواب الحب ٣١

مهما ادّعت محبة الله عزّ وجلّ ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة، والمحبة شجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، وثمارها تظهر على القلب واللسان والجوارح، وتدللّ تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار، ودلالة الثمار على الأشجار، فهي كثيرة، منها:

١ - حبّ لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام، فيحبّ ما يوصله إلى لقاء حبيبه كالموت، فلا يفرّ منه، وعنه صلى الله عليه وآله : « من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه »، وإذا كره الموت فهو من باب فراق الأحبة في الدنيا وهو لا ينافي حبّ الله، وربما يكره الموت لعدم الاستعداد الكامل للقاء الله سبحانه.

٢ - أن يكون مؤثراً ما أحبه الله عزّ وجلّ على ما يحبه في ظاهره وباطنه، فيجتنب اتّباع الشهوات، ويترك الكسل والضجر ويتقرّب إلى الله بالطاعات والنوافل، ويقدم إرادة الله على إرادته:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد
وقال آخر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع
فعلامه المحبّ إثارة من أحبه على نفسه، فمن أحبّ الله عمل بطاعته وترك المناهي، فيحبه الله ويعينه على أعدائه، فهو وليّه:

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ (١)

فينصره على عدوّه، وأعدى عدوّ الإنسان نفسه التي بين جنبيه، فيعينه على

٣٢ حبّ الله نماذج وصور

نفسه، بإتيان الواجبات والمستحبات وترك المحرّمات والمكروهات، وإنّ المعصية تخرج المحبّ عن كمال حبه.

٣- من أحبّ الله فإنّه ينشغل دائماً بذكره، فلا يفتر عنه لسانه، ولا يخلو عنه قلبه: «واجعل لساني بذكرك لهجاً، وقلبي بحبك متيمّاً»، فيحبّ محبوب الله كالقرآن والعترة الطاهرة والرسول الأعظم ﷺ.

فمن أحبّ من يحبّ الله فإنّما أحبّ الله عزّ وجلّ، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنّما يكرم الله جلّ جلاله.

٤- يأنس المحبّ بخلوة حبيبه ومناجاته في السرّ والعلن، وفي الليل والنهار، فيواظب على التهجّد، لا سيما في الأسحار، ومن أحبّ الله لا يسكن إلاّ إليه، وعلامة المحبة كمال الأنس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به «وقد خلا كلّ حبيب بحبيبه، وقد خلوت بك أنت المحبوب إليّ» فتقرّ عين المحبّ بخلوة حبيبه «وإذا جنّهم الليل فروا ويقولون سنخلو بحبيب قلوبهم»، وأوحى الله إلى داود عليه السلام: «قد كذب من ادعى محبّتي إذا جنّه الليل نام عني، أليس كلّ محبوب يحبّ لقاء حبيبه؟ فما أنا ذا موجود لمن يطلبني».

٥- الزهد في الدنيا، فلا يتأسّف على ما يفوته ممّا سوى الله، وإنّما يعظم تأسّفه على فوت كلّ ساعة خلت عن ذكر الله سبحانه، فيرجع إليه بالتوبة والاستغفار والإنيابة.

٦- أن ينعم بالطاعة ولا يستثقلها، فإنّ العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه، بل يستلذّ خدمته بقلبه وروحه، وإن كان شاقاً على بدنه، فالمحبّ يبذل كلّ ما عنده، يبذل النفس والنفيس من أجل محبوبه، كما فعل ذلك الأنبياء والأولياء ومنهم سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

٧- أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله، رحيماً بهم، شديداً على جميع أعداء

الله :

﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾^(١).

ولا تأخذه في الله لومة لائم، فيبغضون لمحارم الله ومعاصيه، كما يغضب النمر إذا حرد وغضب.

٨- أن يكون في حبه خاتفاً، فإن إدراك العظمة يوجب الهيبة، كما أن إدراك

الجمال يوجب الحب، فالحب يخاف إعراض محبوبه، والحجاب بينه وبينه، وخوف الإبعاد، وشيبت سورة هود سيّد المرسلين، ففيها :

﴿ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودَ ﴾^(٢).

﴿ أَلَا بُعْدًا لِسَمُودَ ﴾^(٣).

﴿ أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودَ ﴾^(٤).

فحديث البعد في حقّ المبعدين يشيّب سماعه أهل القرب في القرب، ثمّ خوف الوقوف وسلب المزيد، فإنّ « من استوى يوماء فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسّه فهو ملعون»، ويقول الله سبحانه: «إنّ أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوة الدنيا على طاعتي أن أسلبه لذيد مناجاتي»، ثمّ خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته، ثمّ خوف السلو عنه، فالحب لا يتسلّى إلاّ بلطف جديد، ثمّ خوف الاستبدال به

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) هود : ٦٣ .

(٣) هود : ٧١ .

(٤) هود : ٩٧ .

بانتقال القلب من حبّه إلى حبّ غيره، فمن أحبّ شيئاً خاف لا محالة فقده.

٩- كتمان الحبّ، واجتناب الدعوى، والتوقّي من إظهار الوجد والمحبة، تعظيماً للمحبوب وإجلالاً له. والحبّ سرّ من أسرار الحبيب.

١٠- الأنس والرضا من آثار الحبّ^(١)، وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة المحبة، وما لا يثمره الحبّ فهو اتباع الهوى، وهو من رذائل الأخلاق. قيل: والناس في محبة الله عامّ وخاصّ، فالعوامّ نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام إحسانه وكثرة نعمه، فلم يتمالكوا أن أحبّوه، إلاّ أنّه تقلّ محبّتهم وتكثر على قدر النعم والإحسان، وأما الخاصّة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرّد بالملك، فلمّا عرفوا صفاته الكاملة وأسماؤه الحسنى لم يمتنعوا أن أحبّوه، إذا أنّه استحقّ عندهم بذلك المحبة لأنّه أهلّ لها، فعبدوا الله حبّاً له لا خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنّته، بل عبادة الأحرار حبّاً وشوقاً وشكراً وأنّه أهلّ لذلك، ولو أزال عنهم جميع النعم.

لا تُخدَعنَ فللمحبّ دلائل	ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمربلاته	وسروره في كسل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مبدولة	والفقر إكرام وبسرّ عاجل
ومن الدلائل أن يرى في عزمه	طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسماً	والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهماً	لكلام من يحظي لديه السائل ^(٢)

(١) لقد ذكرت تفصيل الأنس بالله في رسالة (مقام الأنس بالله)، وهو مطبوع، فراجع.

(٢) خلاصة واقتباس من المحجة البيضاء ٨: ٦٨ - ٧٩.

وأما علامات المحبين في الروايات، فمنها :

عن رسول الله ﷺ : علامة حبّ الله تعالى حبّ ذكر الله، وعلامة بغض الله تعالى بغض ذكر الله عزّ وجلّ.

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام : القلب المحبّ لله يحبّ كثيراً النصب لله، والقلب اللاهي عن الله يحبّ الراحة، فلا تظنّ يا بن آدم أنّك تدرك رفعة البرّ بغير مشقّة، فإنّ الحقّ ثقيل مرّ...

حبّ الله نار لا يمرّ على شيء إلا احترق، ونور الله لا يطلع على شيء إلا أضاء.

وعن الإمام الصادق عليه السلام : حبّ الله إذا أضاء على سرّ عبدي أخلاه عن كلّ شاغل وكلّ ذكرٍ سوى الله عند ظلمة، والمحّبّ أخلص الناس سرّاً لله، وأصدقهم قولاً، وأوفاهم عهداً، وأزكاهم عملاً، وأصفاهم ذكراً، وأعبدهم نفساً، تتباهى الملائكة عند مناجاته، وتفتخر برويته، وبه يعمر الله تعالى بلاده، وبكرامته يكرم عباده، يعطيهم إذا سألوا بحقّه، ويدفع عنهم البلاء برحمته، فلو علم الخلق ما محله عند الله ومنزلته لديه ما تقرّبوا إلى الله إلا بتراب قدميه^(١).

فيما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : كذب من زعم أنّه يحبّني فإذا جنّه الليل نام عني، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه؟ ! ها أنا ذا يا بن عمران مطّلع على أحبّائي، إذا جنّهم الليل حولت أبصارهم من قلوبهم، ومثّلت عقربتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلموني عن الحضور.

فيما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود، من أحبّ حبيباً صدّق قوله،

٣٦ حبّ الله نماذج وصور

ومن رضي بحبيبٍ رضي فعله، ومن وثق بحبيبٍ اعتمد عليه، ومن اشتاق إلى حبيبٍ جدّ في السير إليه ...

سأل أعرابي أمير المؤمنين عليه السلام عن درجات المحبّين ما هي؟ قال عليه السلام: أدنى درجاتهم من استصغر طاعته، واستعظم ذنبه، وهو يظنّ أن ليس في الدارين مأخوذ غيره، فغشي على الأعرابي، فلمّا أفاق قال: هل درجة أعلى منها؟ قال عليه السلام: نعم، سبعون درجة ...

قال الإمام الصادق عليه السلام: أجري القلم في محبة الله فن أصفاه الله بالرضا فقد أكرمه، ومن ابتلاه بالسخط فقد أهانه، والرضا والسخط خلقان من خلق الله، والله يزيد في الخلق ما يشاء.

وقال عليه السلام: إنّ أولى الألباب الذين عملوا بالفكرة حتّى ورثوا منه حبّ الله - إلى أن قال - : فإذا بلغ هذه المنزلة جعل شهوته ومحبّته في خالقه، فإذا فعل ذلك نزل المنزلة الكبرى فعابن ربّه في قلبه، وورث الحكمة بغير ما ورثه الحكماء، وورث العلم بغير ما ورثه العلماء، وورث الصدق بغير ما ورثه الصديقون، إنّ الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت، وإنّ العلماء ورثوا العلم بالطلب، وإنّ الصديقين ورثوا الصدق بالخشوع وطول العبادة.

أوحى الله إلى بعض الصديقين أنّ لي عباداً من عبيدي يحبّوني وأحبّهم ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم، أوّل ما أعطيتهم ثلاثاً:
الأوّل: أفدّ من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم.
والثاني: لو كانت السماوات والأرضون وما فيها من مواريتهم لاستقللتها لهم.

والثالث: أقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلت عليه بوجهي يعلم أحدٌ

ما أريد أن أعطيه ؟ !

عن النبي ﷺ : قال الله : ما تحبب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضته عليه ، وإنّه ليتحبب إليّ بالنافلة حتّى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، إذا دعاني أحببته ، وإذا سألتني أعطيته .

قال الإمام الصادق عليه السلام : نجوى العارفين تدور على ثلاثة أصول : الخوف والرجاء والحبّ ، فالخوف فرع العلم ، والرجاء فرع اليقين ، والحبّ فرع المعرفة ، فدلّيل الخوف الهرب ، ودلّيل الرجاء الطلب ، ودلّيل الحبّ إيثار المحبوب على ما سواه ، فإذا تحقّق العلم في الصدر خاف ، [فإذا كثّر المرء في المعرفة خاف] وإذا صحّ الخوف هرب ، وإذا هرب نجا ، وإذا أشرق نور اليقين في القلب شاهد الفضل ، وإذا تمكّن من رؤية الفضل رجا ، وإذا وجد حلاوة الرجاء طلب ، وإذا وفق للطلب وجد ، وإذا تجلّى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ربح المحبّة ، وإذا هاج ربح المحبّة استأنس ظلال المحبوب ، وآثر المحبوب على ما سواه ، وباشر أوامره [واجتنب نواهيه واختارهما على كلّ شيء غيرهما ، وإذا استقام على بساط الأُنس بالمحبوب مع أداء أوامره واجتناب نواهيه] وصل إلى روح المناجاة والقرب ، ومثال هذه الأصول الثلاثة كالحرم والمسجد والكعبة ، فن دخل الحرم أمن من الخلق ، ومن دخل المسجد أمنت جوارحه أن يستعملها في المعصية ، ومن دخل الكعبة أمن قلبه من أن يشغله بغير ذكر الله .

فانظر أيّها المؤمن ، فإن كانت حالتك حالة ترضاهما لحلّول الموت ، فاشكر الله على توفيقه وعصمته ، وإن تكن الأخرى فانتقل عنها بصحّة العزيمة ، واندم على ما سلف من عمرك في الغفلة ، واستعن بالله على تطهير الظاهر من

٣٨ حبّ الله نماذج وصور

الذنوب، وتنظيف الباطن من العيوب، واقطع زيادة الغفلة عن نفسك، واطفئ نار الشهوة من نفسك.

وعنه عليه السلام: لا يحض رجل الإيمان بالله حتى يكون الله أحبّ إليه من نفسه وأبيه وأمه وولده وأهله وماله ومن الناس كلّهم.

٦- باب (من شرائط الإيمان حبّ الله)

لقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحبّ لله من شروط الإيمان في أخبار كثيرة، إذ قال أبو رزين العقيلي: يا رسول الله، ما الإيمان؟ «قال: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليك ممّا سواهما». وفي حديث آخر: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما». وفي حديث آخر: «لا يؤمن العبد حتى أكون أحبّ إليه من ماله وأهله والناس أجمعين». وفي رواية «ومن نفسه».

كيف، وقد قال الله تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(١) الآية.

وأما جرى ذلك في معرض التهديد والإنكار، وقد أمر عليه السلام بالحبّة فقال: «أحبّوا الله لما يغدوكم به من نعمة، وأحبّوني لحبّ الله إيتاي».

وقد يروى أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، إنّي أحبّك. فقال: استعدّ للفقير. فقال: إنّي أحبّ الله، فقال: استعدّ للبلاء.

(١) التوبة: ٢٣.

وعن عمر، قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به، فقال النبي ﷺ: «انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيت بين أبيه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون».

وفي الخبر المشهور: «إن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلاً يبيت خليله؟ فأوحى الله عز وجل إليه: هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه؟ فقال: يا ملك الموت، الآن فاقبض». وهذه لا يجدها إلا عبد يحب الله عز وجل بكل قلبه، فإذا علم أن الموت سبب اللقاء انزعج قلبه إليه، ولم يكن له محبوب غيره، حتى يلتفت إليه، وقد قال نبينا ﷺ في دعائه: «اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك، وحب ما يقربني إلى حبك، واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد»^(١).

٧- باب (حب الله وحب الدنيا لا يجتمعان)

يا ترى أو تدري أن حب الدنيا وحب الله لا يجتمعان في قلب عبد، فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة، وحب الله رأس كل طاعة، ويستحيل اجتماعهما في جوف واحد في آن واحد، فهما متضادان ومتناقضان، فالقلب إما أن يكون حرم الله وعرشه، لا يدخل الحرم إلا من كان طاهراً متطهراً تقياً نقياً كالملائكة، وإما أن يكون عش الشيطان قد عشمش فيه وياض وفرخ - كما ورد في نهج البلاغة عن

(١) المحجة البيضاء ٨: ٥-٦.

٤٠ حبّ الله نماذج وصور

أمير المؤمنين عليه السلام - فيكون القلب دار سلطنة الشيطان - والعباد بالله - وإذا كان الشيطان سلطان القلب فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر، وبداية دخوله القلب بالوسوسة - الذي يوسوس في صدور الناس - ونهايته السلطنة والحكومة وحينئذٍ يأمر عبده - جوارح الإنسان وجوانحه - بالفحشاء والمنكر والفساد في الأرض، وأما إذا كان الحاكم في القلب هو الله سبحانه فإنه يأمر بالعدل والإحسان والخير، وهذا يعني أنّ الإنسان لا بدّ أن يكون على حذر تامّ، وإنّما يستجيب لدعوة ربّه الكريم الحكيم، فإنه بين دعوتين: دعوة ربّانية إلهية نورانية، كالدعوة إلى الخير والصلح والوحدة والإيمان والعمل الصالح، ودعوة شيطانية رذيلة نارية، كالدعوة إلى الشرّ والفسق والفجور والظلم والكفر والفرقة والتخاصم. والله سبحانه قد خلق الإنسان مختاراً ليكون مظهراً لا اختياره، وهداه النجدين: نجد الخير ونجد الشرّ، وعلامة نجد وطريق الخير حبّ الله، وعلامة نجد وطريق الشرّ حبّ الدنيا، فلا يجتمعان في قلب أبداً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

حبّ الدنيا وحبّ الله لا يجتمعان في قلب أبداً.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

كيف يدّعي حبّ الله من سكن قلبه حبّ الدنيا.

وقال:

كما إنّ الشمس والليل لا يجتمعان، كذلك حبّ الله وحبّ الدنيا لا يجتمعان.

وقال: إن كنتم تحبّون الله فأخرجوا من قلوبكم حبّ الدنيا، من أحبّ لقاء

الله سلا عن الدنيا.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: والله ما أحبّ الله من أحبّ الدنيا ووالى غيرنا.

٨- باب (محبّ الله يغفر له)

إنّ شواهد القرآن متظافرة على أنّ الله عزّ وجلّ يحبّ عبده، كقوله تعالى :
﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾^(١).

وقال عزّ وجلّ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾^(٢).

وقال سبحانه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾^(٣).

وقد ردّ سبحانه على من ادّعى أنّه حبيب الله، فقال :

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾^(٤).

فحبّ الله عبده يستوجب غفران ذنبه، وقد روي عن النبي ﷺ أنّه قال :
« إذا أحبّ الله عبداً لم يضرّه ذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له »، ثمّ تلا :
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾.

ومعناه أنّه إذا أحبّه تاب عليه قبل الموت فلم تضرّه الذنوب الماضية، وإن
كثرت وزادت، كما لا يضرّ الكفر الماضي بعد الإسلام، فإنّ الإسلام يجبّ عمّا قبل.

(١) المائدة : ٥٩ .

(٢) الصفّ : ٤ .

(٣) البقرة : ٢٢٢ .

(٤) المائدة : ٢١ .

وقد اشترط الله للمحبّة غفران الذنوب، فقال :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (١).

وقال زيد بن أسلم : إن الله ليحبّ العبد حتّى يبلغ من حبّه له أن يقول : إعمل

ما شئت فقد غفرت لك .

ومعلوم أنّ العبد المحبّ لا يعمل إلّا بطاعة الله وما يوجب رضوانه وقربه وجنانه، فيتقرّب إليه بالنوافل، حتّى يصل إلى درجة الحبّ، فيكون تقرّبه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربّه، فينبسط في حضرته القدسيّة، ويرتفع في رياض قدسه، ويكون كالعبد والملك، حينما يتقرّب إليه حتّى يكون بين يديه، ولا يكون ذلك إلّا بالبعد عن صفات البهائم والسباع والشياطين، والتخلّق بمكارم الأخلاق الإلهيّة، فهو قريب بالصفة لا بالمكان، فقرب كلّ واحد بقدر كماله ومعرفته وحبّه وطاعته وشوقه، وعلامة حبّ الله للعبد أن يوحشه من غيره، حتّى يأنس به، فإنّ من استأنس بالله استوحش من الناس، ويحول بينه وبين غيره، وفي الخبر : « إذا أحبّ الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباها، وإن رضي اصطفاها ».

وقال عليّ عليه السلام : « إذا أحبّ الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قبله

بأمره وينهاه » . « وإذا أراد الله بعبدٍ خيراً بصره بعيوب نفسه » .

ومن أخصّ علامات الحبّ أن يحبّ الإنسان ربّه، ومن علامات حبّ الله

لعبده بعد غفران ذنبه أن يتولّى أمره وصلاحه، ويدبّر ظاهره وباطنه، ويزيّن أخلاقه ويحييه حياة طيِّبة، راضية مرضيّة، ويناجيه في سرّه، ويحبّب إليه طاعته

ومعرفته، وغير ذلك من عنايته وألطفه العامّة والخاصّة، الظاهرة والباطنة، في السرّ والعلن، ولمثل هذا فليعمل العاملون، وليتنافس المتنافسون.

٩- باب (كيف يعرف العبد أنّ الله يحبه)

هذا من الأمور المهمّة والصعبة، فعندنا في الروايات: إذا أردت أن تعرف من أخيك المؤمن أنّه يحبك، فارجع إلى قلبك، فإنّه يحكي عمّا في قلب صاحبك، فإذا كنت تحبه فإنّه يحبك أيضاً، فإنّ القلب يهدي إلى القلب، وأنّ القلوب سواقي، وإذا شعرت النفرة فإنّ أحدكما أحدث ما لا يرضي الآخر، وفي مثل هذا المورد عليك أن تسأله عن السبب، حتّى لا يصل الأمر إلى سوء الظنّ وسوء التفاهم، ومن ثمّ التفاقم والقطعيّة، وغير ذلك من السلبيات التي بنيت على شيء لا أصل له، هذا مع الناس. يا ترى هل هناك علامة يمكن للإنسان أن يعرف مقداره عند ربّه، وأنّ الله سبحانه وتعالى يحبه، أو يبغضه، فإنّه عزّ وجلّ مريد وكاره، محبّ ومبغض، وربما يحبّ ذات الشيء، وربما يحبّ صفته، كما ورد في الخبر الشريف: «إنّ الله يحبّ الكافر السخيّ، ويبغض المؤمن البخيل»، ومعلوم إنّما يحبّ صفة السخاء لأنّه هو السخيّ، فيحبّ ذلك حتّى من الكافر، كما إنّه يبغض صفة البخل حتّى من المؤمن الذي يحبّ إيمانه وذاته، فيكون وليّه ليخرجه من ظلمات الصفات الذميمة إلى نور حسن الأخلاق والسجايا الحميدة، كما إنّ الطاغوت أولياء الذين كفروا يخرجونهم من النور إلى الظلمات، من نور السخاء مثلاً على أنّه لا يتفح وأنّ الناس لا يستحقّون أن يسخى عليهم، ولماذا هذا الكرم والجود فإنّه الإسراف والتبذير وما شابهه، فيخرجونهم من نور السخاء إلى ظلمة البخل، وهكذا باقي الصفات.

فيا ترى هل العبد يمكنه أن يعرف مقامه عند ربّه.

عن رسول الله ﷺ في الأربعائة، قال لأمير المؤمنين علي عليه السلام: «من أراد منكم أن يعلم كيف منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله منه عند الذنوب، كذلك منزلته عند الله تبارك وتعالى»^(١).

فإنّ الحبّ لمن يحبّ مطيع، فمن أطاع الله فإنّه يدلّ ذلك على حبّه ومعرفته، وإنّ الله يحبّه أيضاً ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، فيكون الحبّ بين العبد وربّه متبادلاً، وما أجمل مثل هذا الحبّ والعشق؟! اللهمّ ارزقنا ذلك بحقّ محمد وآله.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: من أحبّ أن يعلم ما له عند الله، فليعلم ما الله عنده^(٢).

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: من أحبّ أن يعلم كيف منزلته عند الله؟ فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإنّ كلّ من خير له أمران: أمر الدنيا وأمر الآخرة، فاختار أمر الآخرة على الدنيا، فذلك الذي يحبّ الله، ومن اختار أمر الدنيا، فذلك الذي لا منزلة لله عنده.

روي أنّ موسى عليه السلام قال: يا ربّ، أخبرني عن آية رضاك عن عبدك، فأوحى الله تعالى إليه: إذا رأيتني أهيبّ عبيد لطاعتي، وأصرفه عن معصيتي، فذلك آية رضاي.

وفي رواية أخرى: إذا رأيت نفسك تحبّ المساكين، وتبغض الجبّارين، فذلك آية رضاي^(٣).

(١) البحار ٦٧: ١٨، عن معاني الأخبار: ٢٣٦، والخصال ٢: ١٥٩، والمحاسن ٢٥٢.

(٢) البحار ٦٧: ١٨، عن معاني الأخبار: ٢٣٦، والخصال ٢: ١٥٩، والمحاسن ٢٥٢.

(٣) البحار، عن أعلام الدين للديلمي.

١٠ - باب (الناس يحبون حبيب الله)

لقد حدث في حياتك ولو لمرة، أنه ترى شخصاً لم تره من قبل، ولكن تشعر من قلبك أنك تحبه، حتى تقول لآخر: لا أدري لماذا أحب هذا الشخص مع أنني لم ألتق به من قبل؟!

هذا يرجع إلى أمر غيبي، فإن من كان حبيب الله، فإنه سبحانه يليق محبته وودّه في قلوب المؤمنين ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾^(١)، وحتى ورد في الخبر الشريف: إن محبة المؤمن تلتق في الماء، فمن شرب من ذلك الماء، فإنه يحب المؤمن. وكأنه هذا من الأمور التكوينية، وورد «أن الكاسب حبيب الله» و«أن المجاهد في سبيل الله حبيب الله»، فكل واحد منا يحب الكاسب والكادّ لعياله، الذي يبذل ما في وسعه ويتعب نفسه من أجل راحة وترفيه عائلته وأسرته، كما إن كل واحد منا يحب المجاهد، حتى ولو لم يعرفه، وهذا من الأسرار الغيبية، كما أنه يحب المحبوب عند الله عزّ وجلّ.

والعجيب أن محبّ الله يحبّه من في السماوات والأرض من الطيبين الأخيار. قال رسول الله ﷺ: إذا أحبّ الله عبداً من أمتي قذف في قلوب أصفياهه وأرواح ملائكته وسكان عرشه محبته، ليحبّوه، فذلك المحبّ حقاً، طوبى له ثم طوبى له، وله عند الله شفاعة يوم القيامة^(٢).

(١) مريم: ٩٦.

(٢) البحار ٦٧: ٢٤، عن مصباح الشريعة: ٦٤.

١١- باب (كيف ندعو الناس إلى حبّ الله)

فإنّ معرفة أسلوب الدعوة إلى الله سبحانه وإلى حبّه، لها تأثير بالغ في نجاح العمل وسلامته وديموميّته.

والله سبحانه هو المعلّم الأوّل يهديننا من خلال أنبيائه الكرام وأوصيائهم الأطهار والعلماء الأبرار.
فعن رسول الله ﷺ :

قال الله عزّ وجلّ لداود عليه السلام : أحبّني وحبّيني إلى خلقي .
قال : يا ربّ، نعم أنا أحبّك، فكيف أحبّيك إلى خلّقتك ؟
قال : أذكر أياديّ - أي نعمي وآلاتي وفضلي - عندهم، فإنّك إذا ذكرت ذلك لهم أحبّوني .

وعن الإمام الباقر عليه السلام :

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أحبّيني وحبّيني إلى خلّقي . قال موسى :
يا ربّ، إنك لتعلم أنّه ليس أحد أحبّ إليّ منك، فكيف لي بقلوب العباد؟ فأوحى
الله إليه : فذكّرهم نعمتي وآلاتي، فإنّهم لا يذكرون منّي إلّا خيراً .

ثمّ العلماء ورثة الأنبياء، فمن مسؤولياتهم الخطيرة دعوة الناس إلى حبّ الله
سبحانه وتعالى وطاعته وطاعة أنبيائه وأوصيائهم الأطهار عليهم السلام .

وإلّا فكما جاء في دعاء عرفة عن الإمام الحسين عليه السلام :

عميت عين لا تراك عليها رقيباً، خسرت صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبّك

نصيياً ...

١٢- باب (الحب في الله)

حبّ الله له جلوات ومظاهر، ومن أعظمها وأجلاها الحبّ في الله سبحانه وتعالى، وهو من روح الدين ومن أوثق عرى الإسلام كما ورد في الروايات الشريفة.

والمتحابين في الله في ظلّ عرشه، يغطهم بمنزلتهم كلّ ملكٍ مقرب، وكلّ نبيّ مرسل. وإيّهم يذهبون إلى الجنّة بغير حساب، وإيّهم يسمّون في القيامة جيران الله، ويدخلون الجنّة بغير حساب^(١).

عن رسول الله ﷺ: أوثق عرى الإسلام أن تحبّ في الله وتبغض في الله.
عن أبي عبد الله عليه السلام:

إنّ من أوثق عرى الإيمان أن تحبّ في الله وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله^(٢).

عنه عليه السلام: من أحبّ كافراً فقد أبغض الله، ومن أبغض كافراً فقد أحبّ الله، ثمّ قال: صديق عدوّ الله عدوّ الله.

عنه عليه السلام: من أحبّ الله وأبغض عدوّه، لم يبغضه لوترٍ وتره في الدنيا، ثمّ جاء يوم القيامة بمثل زبد البحر ذنوباً، كفرها الله له.

عن الإمام الصادق عليه السلام: وهل الإيمان إلّا الحبّ والبغض، ثمّ تلا هذه الآية:

(١) سفينة البحار ٢: ١١.

(٢) سفينة البحار ٢: ١٢، عن البحار ٦٩: ٢٤٣.

﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ﴾ ^(١).

وعنه عليه السلام : أفضل الأعمال الحبّ في الله والبغض في الله تعالى.

الحبّ في الله فريضة، والبغض في الله فريضة.

وبمثل هذه الروايات القدسية الشريفة يكون التولّي والتبرّي من فروع

الدين.

قال الإمام الباقر عليه السلام : إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحبّ أهل طاعة الله عزّ وجلّ، ويبغض أهل معصيته فبيك خير، والله يحبّك، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحبّ أهل معصيته فليس فيك خير، والله يبغضك، والمرء مع من أحبّ.

قال الإمام الصادق عليه السلام : إنّ المتحابّين في الله يوم القيامة على منابر من نور، قد أضاء نور أجسادهم ونور منابرهم كلّ شيء، حتّى يعرفوا به فيقال : هؤلاء المتحابّون في الله.

عن الإمام الصادق عليه السلام : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول : إنّ الله خلقاً عن يمين العرش بين يدي الله وعن يمين الله، وجوههم أبيض من الثلج، وأضوء من الشمس الضاحية، يسأل السائل : ما هؤلاء؟ فيقال : هؤلاء الذين تحابّوا في جلال الله.

عن الإمام الجواد عليه السلام : أوحى الله إلى بعض الأنبياء : أمّا زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة، وأمّا انقطاعك إليّ فيعزّزك بي، ولكن هل عادت لي عدوّاً أو واليت لي وليّاً.

على أبواب الحب ٤٩

إنَّ الله تعالى قال لموسى عليه السلام : هل عملت لي عملاً ؟ قال : صلَّيت لك وصمت وتصدَّقت وذكَّرت لك ، قال الله تبارك وتعالى : أمَّا الصلاة فلك برهان ، والصوم جُنة ، والصدقة ظلٌّ ، والذكر نور ، فأبَيَّ عمل عملت لي ؟ قال موسى عليه السلام : دَلَّني على العمل الذي هو لك . قال : يا موسى ، هل واليت لي وليّاً ، وهل عاديت لي عدواً قط ؟ فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحبُّ في الله والبغض في الله .
قال رسول الله ﷺ :

وَدَّ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ فِي اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ شَعْبِ الْإِيمَانِ ، أَلَا وَمَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ وَأَعْطَى فِي اللَّهِ وَمَنَعَ فِي اللَّهِ ، فَهُوَ مِنْ أَصْفِيَاءِ اللَّهِ .
وقال لبعض أصحابه : يا عبد الله ، أحبَّ في الله وأبغض في الله ، وال في الله ، فإنه لا ينال ولاية الله إلاً بذلك ، ولا يجرد الرجل طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصيامه ، حتَّى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا ، عليها يتوادون وعليها يتباغضون .
وقل الإمام الصادق عليه السلام : كلٌّ من لم يحبَّ على الدين ولم يبغض على الدين ، فلا دين له .

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : المحبة لله أقرب نسب ، المحبة في الله أكد من وشيخ الرحم .

قال رجلٌ لعلي بن الحسين عليه السلام : إنِّي لأحبُّك في الله حبّاً شديداً ، فنكس عليه السلام رأسه ، ثم قال : اللهم إنِّي أعوذ بك أن أحبَّ فيك وأنت لي مبغض ، ثم قال له : أحبُّك للذي تحبُّني فيه .

في مكتوب للإمام الرضا عليه السلام : كن محباً لآل محمد عليهم السلام وإن كنت فاسقاً ، ومحباً لمحبيهم وإن كانوا فاسقين .

١٣- باب (حبّ النبيّ المصطفى وأهل بيته الأطهار)^(١)

ومن مظاهر حبّ الله حبّ حبيبه النبيّ الأعظم محمد ﷺ وعترته الطاهرين وذريّته الأبرار.

فعنه ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه وأهلي أحبّ إليه من أهله، وعترتي أحبّ إليه من عترته، وذريّتي أحبّ إليه من ذريّته.

أحبّوا الله لما يغدوكم به من نعمة، وأحبّوني لحبّ الله عزّ وجلّ، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي.

قال الإمام الباقر عليه السلام : من أحبّنا أهل البيت فليحمد الله على أوّل النعم. قيل : وما أوّل النعم ؟ قال : طيب الولادة، ولا يحبّنا إلّا من طابت ولادته.

قال رسول الله ﷺ : حبّي وحبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهنّ عظيمة : عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط.

وقال : من لم يحبّ عترتي فهو لإحدى ثلاث : إمّا منافق، وإمّا لزنينة، وإمّا امرئ حملت به أمّه في غير طهر.

(١) لقد كتبت الشيء الكثير عن حبّ الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام في (الأصل حبّنا أهل البيت عليهم السلام)، و (هذه هي الولاية)، فراجع.

وقال: الأئمة من ولد الحسين هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى الله تعالى.
 وقال: من أحب أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم
 بحبل الله المتين، فليوال علياً بعدي وليعادِ عدوّه وليأتمّ بالأئمة الهداة من ولده.
 عن حارث الأعور قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم نصف النهار،
 فقال: ما جاء بك؟ قلت: حبك والله. قال عليه السلام: إن كنت صادقاً لتراني في ثلاث
 مواطن: حيث تبلغ نفسك هذه - وأوماً بيده إلى حنجرته - وعند الصراط، وعند
 الحوض.

عن أصعب بن نباتة، قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام فأتاه رجلٌ فسلم عليه
 ثمّ قال: يا أمير المؤمنين، إنّي والله لأحبك في الله وأحبك في السرّ كما أحبك
 في العلانية وأدين بولايتك في السرّ كما أدين بها في العلانية - وييد أمير المؤمنين
 عود - فطأ رأسه ثمّ نكث بالعود ساعة في الأرض ثمّ رفع رأسه إليه فقال: إنّ
 رسول الله صلى الله عليه وآله حدّثني بألف حديث، لكلّ حديث ألف باب، وإنّ أرواح المؤمنين
 تلتقي فتشمّ وتتعارف، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وبحقّ الله لقد
 كذبت، فما أعرف في الوجوه وجهك، ولا اسمك في الأسماء.

ثمّ دخل عليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي لأحبك في الله وأحبك
 في السرّ كما أحبك في العلانية. فقال: فنكت الثانية بعوده في الأرض، ثمّ رفع رأسه
 إليه فقال له: صدقت، إذهب فاتخذ للفقر جلباباً، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله
 يقول: يا عليّ بن أبي طالب، الفقر أسرع إلى محبّتنا من السيل إلى بطن الوادي.

قال الإمام الصادق عليه السلام في صفة محبّتهم: ... وطبقة يحبّونا في السرّ والعلانية،
 هم النمط الأعلى، شربوا من العذب الفرات، وعلموا بأوائل الكتاب وفصل الخطاب
 وسبب الأسباب، فهم النمط الأعلى، الفقر وأنواع البلاء أسرع إليهم من ركض

٥٢ حبّ الله نماذج وصور

الخيل، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وفتنوا، فمن بين مجروحٍ ومذبوحٍ متفرّقين في كلِّ بلادٍ قاصية.

قال الإمام الباقر عليه السلام لجابر الجعفي الصحابي الجليل: يا جابر، بلغ شيعتي عني السلام وأعلمهم أنّه لا قرابة بيننا وبين الله عزّ وجلّ، ولا يتقرّب إليه إلّا بالطاعة.

يا جابر، من أطاع الله وأحبّنا فهو وليّنا، ومن عصى الله لم ينفعه حبّنا. وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: أنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع عترتي على الحوض، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بعملنا.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من رزقه الله حبّ الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة فلا يشكّن أنّه في الجنّة، وإنّ في حبّ أهل بيتي عشرين خصلة، عشرٌ منها في الدنيا، وعشرٌ في الآخرة، أمّا في الدنيا فالزهد والمحرص على العلم والعمل، والورع في الدين، والرغبة في العبادة، والتوبة قبل الموت، والنشأة في قيام الليل، واليأس ممّا في أيدي الناس، والحفظ لأمر الله ونهيه عزّ وجلّ، والتاسعة بغض الدنيا، والعاشرة السخاء. وأمّا في الآخرة: فلا ينشر له ديوان، ولا ينصب له ميزان، ويعطى كتابه بيمينه، ويكتب له برائة من النار، ويبيض وجهه، ويكسب من حلل الجنّة، ويشفع في مئة من أهل بيته، وينظر الله عزّ وجلّ إليه بالرحمة، ويتوجّج من تيجان الجنّة، والعاشرة يدخل الجنّة بغير حساب، فطوبى لمحبيّ أهل بيته (١).

الكافي: عن الحكم بن عتيبة، قال: بينا أنا مع أبي جعفر عليه السلام والبيت غاصّ بأهله، إذ أقبل شيخ يتوكأ على عنزة له، حتّى وقف على باب البيت فقال: السلام

(١) المواعظ العددية: ٢٦٩.

عليك يا بن رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثمّ سكت. فقال أبو جعفر عليه السلام : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثمّ أقبل الشيخ بوجهه على أهل البيت وقال : السلام عليكم، ثمّ سكت، حتّى أجابه القوم جميعاً، وردّوا عليه السلام، ثمّ أقبل بوجهه على أبي جعفر عليه السلام ثمّ قال : يا بن رسول الله، ادنني منك جعلني الله فداك، فوالله إنّي لأحبّكم، وأحبّ من يحبّكم، ووالله ما أحبّكم وأحبّ من يحبّكم لطمع في دنيا، وإنّي لأبغض عدوّكم وأبرأ منه، ووالله ما أبغضه وأبرأ منه لو ترّكان بيني وبينه، والله إنّي لأحلّ حلالكم وأحرّم حرامكم وأنتظر أمركم، فهل ترجو لي جعلني الله فداك؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : إليّ إليّ، حتّى أقعده إلى جنبه، ثمّ قال : أيها الشيخ، إنّ أبي عليّ بن الحسين عليه السلام أتاه رجلٌ فسأله عن مثل الذي سألتني عنه، فقال له أبي : إن تمت تردّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى عليّ والحسن والحسين عليهم السلام وعلى عليّ بن الحسين عليه السلام ويثليج قلبك، ويبرد فؤادك وتقرّ عينك، وتستقبل الروح والريحان مع الكرام الكاتبين، لو قد بلغت نفسك ها هنا، وأشار بيده إلى حلقه، وإنّ تعش، ترى ما يقرّ الله به عينك، وتكون معنا في السنام الأعلى!...^(١)

قال أبو جعفر عليه السلام : إنّما يحبّنا من العرب والعجم أهل البيوتات وذو الشرف، وكلّ مولود صحيح، وإنّما يبغضنا من هؤلاء كلّ مدّس مطرد^(٢).

العلوي عليه السلام : لا يحبّنا مخنث ولا ديوث ولا ولد زنا ولا من حملته أمّه في حيضها.

وقد وردت روايات كثيرة في أنّ حبّ أمير المؤمنين عليه السلام علامة الإيمان،

(١) سفينة البحار ٢ : ١٤ .

(٢) بحار الأنوار ٢٧ : ١٤٩، باب أنّ حبّهم علامة طيب الولادة .

وبغضه علامة النفاق^(١).

المناقب: معاوية بن عمّار عن الصادق عليه السلام: قال: قال رسول الله ﷺ: إن حبّ عليّ عليه السلام قذف في قلوب المؤمنين، فلا يحبّه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق، وإن حبّ الحسن والحسين عليهما السلام قذف في قلوب المؤمنين والمنافقين والكافرين، فلا ترى لهم ذاماً.

تفسير الفرات: النبويّ عليه السلام: والذي بعثني بالحقّ، لحبنا أهل البيت أعزّ من الجوهرة ومن الياقوت الأحمر ومن الزمرد.

بجالس المفيد: بإسناده عن ابن فضال، عن عاصم بن حميد، عن الثمالي، عن جيش بن المعتمر، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وهو في الرحبة متكئاً، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، كيف أصبحت؟ قال: فرفع رأسه وردّ عليّ وقال عليه السلام: أصبحت محبباً لمحبيّنا، ومبغضاً لمن يبغضنا، إن محبنا ينتظر الروح والفرج في كلّ يوم وليلة، فإنّ مبغضنا بنى بناءً فأسس بنيانه على شفا جرفٍ هارٍ فكان بنيانه هارٍ، فانهار به في نار جهنّم، يا أبا المعتمر: إن محبنا لا يستطيع أن يبغضنا، قال: فبغضنا لا يستطيع أن يحبنا، إن الله تبارك وتعالى جبل قلوب العباد على حبنا، وخذل من يبغضنا، فلن يستطيع محبنا بغضنا، ولن يستطيع مبغضنا محبنا، ولن يجتمع حبنا وحبّ عدونا في قلب أحد، ما جعل الله لرجلٍ من قلوبين في جوفه، يحبّ بهذا قوماً ويحبّ بالآخر أعدائهم^(٢).

قال النبيّ الأكرم ﷺ: ألا ومن أحبّ علياً فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد

(١) سفينة البحار ٢: ١٦، عن البحار.

(٢) السفينة ٢: ١٨، عن البحار ٦٨: ٣٨.

رضي الله عنه، ومن رضي عنه كافأه الجنة، ألا ومن أحبّ علياً لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر، ويأكل من طوبى، ويرى مكانه في الجنة، ألا ومن أحبّ علياً فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخلها من أي باب شاء بغير حساب^(١).

قال العلامة الحلي في كتاب كشف الحق: وقال الرازي في تفسيره الكبير: روى الكلبي عن ابن عباس: قال: إن النبي ﷺ لما قدم المدينة، كانت تنوبه نواب وحقوق وليس في يده سعة، فقال الأنصار: إن هذا الرجل قد هداكم الله تعالى على يده، وهو ابن أختكم وجاركم في بلدكم، فاجمعوا له طائفة من أموالكم، ففعلوا، ثم أتوه به فردّه عليهم ونزل قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾، أي على الإيمان إلا أن تودّوا أقاربي، فحثّهم على مودة أقاربه، ثم قال: نقل صاحب الكشاف عن النبي ﷺ أنه قال: من مات على حب آل محمد ﷺ مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يُزفّ إلى الجنة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة^(٢).

(١) المصدر، عن البحار ٧: ٢٢١.

(٢) السفينة ٢: ٢٠، عن البحار ٢٣: ٣٣٢.

حبّ الله نماذج وصور

تفسير العياشي : عن يزيد بن معاوية العجلي ، قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه قادم من خراسان ماشياً ، فأخرج رجله وقد تفلقتا ، قال : أما والله ما جاء بي من حيث جئت إلا حبّكم أهل البيت ، فقال أبو جعفر عليه السلام : والله لو أحبنا حجر حشره الله معنا ، وهل الدين إلا المحبّ^(١) .

عن الإمام الرضا عليه السلام : لا تدعوا العمل الصالح والاجتهاد في العبادة اتكالاً على حبّ آل محمد عليهم السلام ، لا تدعوا حبّ آل محمد عليهم السلام والتسليم لأمرهم اتكالاً على العبادة ، فإنه لا يقبل أحدهما دون الآخر^(٢) .

وفي محبة أهل البيت وأمير المؤمنين عليه السلام أبواب كثيرة يذكرها العلامة المجلسي في موسوعته القيمة بحار الأنوار ، كالأبواب التالية :

١- باب وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وآله وحبّه والتفويض إليه (البحار ١٧ / ١)

٢- فضل حبّ آل محمد (٤٦ / ٣٦٣) (٢٢ / ١٤٣) (٢١ / ١٥٤)

(٣٢ / ١٠٨)

٣- باب أنّ حبّهم علامة طيب الولادة وبغضهم علامة خبث الولادة

(٢٧ / ١٤٥) (٤٢ / ١٧)

٤- باب حبّ أمير المؤمنين عليه السلام علامة الإيمان ، وبغضه علامة النفاق

(طبعة قديمة ٨ / ١٥ / ١٨٢)

٥- باب ما ينفع حبّهم فيه من المواطن

(٢٧ / ١٥٧) (٣٨ / ٦٨)

(١) المصدر، عن البحار ٢٧ : ٩٥ .

(٢) المصدر، عن البحار ٧٨ : ٣٤٧ .

على أبواب الحب ٥٧

٦- باب فيه أنه يستل عن حبهم وولايتهم في يوم القيامة (٢٧ / ٣١١)

٧- باب ما يحبهم من الدواب والطيور (٢٧ / ٢٦١)

٨- باب في أنه لا ينفع مع عداؤهم عمل صالح، ولا يضّر مع محبتهم وولايتهم

ذنب غير الكبائر (٢٨ / ٦١)

٩- باب في أن محبتهم ثلاث طبقات: من أحبهم في العلانية، ومن أحبهم في

السّر، ومن أحبهم في السّر والعلانية (٦٨ / ١٣١)

١٠- باب فضل حبّ أمير المؤمنين عليه السلام (٧ / ٢٢١) (٣٩ / ٢٧٧)

(٦٨ / ١٢٤) (٢٧ / ١١٤) (٢٣ / ٢٣٢)

١١- باب ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار (٢٧ / ٧٣)

(٢٧ / ١١١) (٦٨ / ١٣٢)

١٢- باب أن علياً عليه السلام كان أخصّ الناس برسول الله وأحبهم إليه

(٣٨ / ٢٩٤)

١٣- باب خبر الطير وأنّ علياً أحبّ الخلق إلى الله (٣٨ / ٣٤٨)

١٤- باب قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ في علي عليه السلام

(٣٦ / ٣٢)

١٥- باب في بيان أن جميع أنبياء الله ورسله وجميع الملائكة وجميع المؤمنين

كانوا عليّ بن أبي طالب عليه السلام محبّين (٣٩ / ١٩٤)

١٦- باب أنه لو اجتمع الناس على حبّ أمير المؤمنين علي عليه السلام ما خلق الله

النار (٣٩ / ٢٤٦) (٤٢ / ٤٤)

وهناك أبواب كثيرة يقف عليها الباحث المحقّق، وقد ذكرت ما يقرب من مئة

باب وتيف في كتاب (الأصل حبنا أهل البيت عليهم السلام)، فراجع.

١٤- باب (المرء مع من أحبّ)

وأخيراً يحشر الإنسان مع من أحبّ، وهذه بشرى عظيمة للمتحابين في الله
 والله .

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 وَالصّٰدِقِينَ وَالشّٰهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١).

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، إنك لأحبّ من نفسي وإنك
 لأحبّ من ولدي، وإنّي لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك،
 وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإنّي إذا
 دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يزد عليه النبي ﷺ شيئاً حتى نزل جبرئيل
 بهذه الآية :

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ... ﴾ .

أتى رجل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، رجل يحبّ من يصلي ولا يصلي
 إلّا الفريضة، ويحبّ من يتصدّق ولا يتصدّق إلّا بالواجب، ويحبّ من يصوم
 ولا يصوم إلّا شهر رمضان؟ فقال رسول الله ﷺ : المرء مع من أحبّ .

عن أنس قال : جاء رجل من أهل البادية - وكان يعجبنا أن يأتي الرجل من
 أهل البادية يسأل النبي ﷺ - فقال : يا رسول الله، متى قيام الساعة؟ فحضرت

الصلاة، فلما قضى صلاته قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: أنا يا رسول الله؟ قال: فما أعددت لها؟ قال: والله ما أعددت لها من كثير عمل صلاة ولا صوم، إلا أنني أحب الله ورسوله. فقال له النبي ﷺ: المرء مع من أحب. قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام بشيء أشد من فرحهم بهذا^(١).

زبدة المخاض:

المقصود من خلق السماوات والأرض والكون الرحب هو الإنسان، والمقصود من الإنسان أن يكون خليفة الله في أرضه، والخلافة بالمعرفة، ويتولد من المعرفة الحب والشوق والطاعة والقرب، فالمقصود هو القرب إلى الله بالمعرفة والحب والطاعة.

يروى أن عيسى عليه السلام مرّ بثلاثة نفر قد نخلت أبدانهم وتغيّرت ألوانهم، فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النار. فقال: حقّ على الله أن يؤمن الخائف. ثمّ جاوزهم إلى ثلاثة أخرى، فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيّراً، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الشوق إلى الجنة. قال: حقّ على الله أن يعطيكم ما ترجون. ثمّ جاوزهم إلى ثلاثة أخرى، فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيّراً كأنّ على وجوههم المرايا من النور، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: حبّ الله عزّ وجلّ. فقال: أنتم المقرّبون، أنتم المقرّبون.

(١) نقلت روايات هذه الرسالة من كتاب ميزان الحكمة ٢: ٢١١-٢٤٣، ينقلها عن بحار الأنوار الأجزاء ٥، ١٦، ١٨، ٦١، ٦٢، ٧٠، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٨٢، ٩٣، ٩٥، ٩٧ و ٩٨، ومن كتاب كنز العمّال ومستدرک الوسائل وغرر الحكم وغيرها، فراجع.

٦٠ حبّ الله نماذج وصور

وقال عبد الواحد بن زيد: مررت برجلٍ قائمٍ في الثلج، فقلت له: أما تجد البرد؟ فقال: من شغله حبّ الله لم يجد البرد.

عن سري المسقطي أنّه قال: تُدعى الأمم يوم القيامة بأبيائها، فيقال: يا أُمَّة موسى، ويا أُمَّة عيسى، ويا أُمَّة محمّد، غير المحبّين لله تعالى فإنّهم ينادون: يا أولياء الله، هلمّوا إلى الله سبحانه وتعالى، فتكاد قلوبهم تتخلع فرحاً.

وقال هرم بن حيّان: المؤمن إذا عرف ربّه عزّ وجلّ أحبّه، وإذا أحبّه أقبل إليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه، لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة، ولم ينظر إلى الآخرة بعين الرغبة، وهو بجسده في الدنيا وروحه في الآخرة.

وقال يحيى بن معاذ: عفوه يستغرق الذنوب، فكيف رضوانه، ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبّه؟ وحبّه يدهش العقول فكيف وده؟ ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه.

وفي بعض الكتب: عبيدنا وأنا وحقّك لك محبّ، فبحقّي عليك كن لي محبّاً. وقال يحيى بن معاذ: مثقال خردلة من الحبّ أحبّ لله من عبادة سبعين سنة بلا حبّ.

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «حبّ الله نار لا تمرّ على شيء إلا احترق، ونور الله لا يطلّع على شيء إلا أضاء، وسواء الله ما ظهر من تحته من شيء إلا غطّاه، وريح الله ما تهبّ في شيء إلا حرّكته، وماء الله يحيى به كلّ شيء، وأرض الله ينبت منها كلّ شيء، فمن أحبّ الله أعطاه كلّ شيء من الملك والمملك.»

قال النبي صلى الله عليه وآله: «إذا أحبّ الله عبداً من أمّتي قذف في قلوب أصفياه وأرواح ملائكته وسكّان عرشه محبّته ليجنّوه، فذلك المحبّ حقّاً، طوبى له ثمّ طوبى له، وله عند الله شفاعة يوم القيامة.»

قيل : وقد ورد في حبّ الله من الأخبار والآثار ما لا يدخل حصر حاصر، وذلك أمر ظاهر^(١).

فالمستحقّ للمحبّة الخالصة والتامّة هو الله سبحانه وحده، وأمّا محبوب الله كالأنبياء والأولياء وما هو محبوب لله، فهو عين حبّ الله، فإنّ محبوب المحبوب محبوب، فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلاّ الله سبحانه، ولا مستحقّ للمودّة والشوق سواه، بأيّ سبب من الأسباب التي ذكرناها.

فكلّ ما سوى الله قائم به، ومن عرف نفسه عرف ربّه، ومن أحبّ نفسه أحبّ ربّه، فهو منبع الإحسان والخير، وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها، فهو المحسن حقيقة، وما سواه فهو بالمجاز، وهو الجميل والجمال المطلق ومطلق الجمال والجميل، وإنّ العبد يتخلّق بأخلاق الله عزّ وجلّ باكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الله سبحانه من العلم والبرّ والإحسان والرحمة وغير ذلك من مكارم الشريعة، فصار خليفة الله في الأرض، ولا يزال يتقرّب العبد بالنوافل حتّى يحبّه الله فيكون سمعه وبصره ويده ولسانه، فالمعقول المقبول هو حبّ الله تعالى فقط، وما كان في خطّ الله فهو منه.

فعلى العبد المحبّ أن يشتغل بربّه، ومن كان مشغولاً اليوم بربّه، فهو غداً مشغولاً به.

قيل لرابعة : ما حقيقة إيمانك ؟ قالت : ما عبدته خوفاً من ناره، ولا رجاءً لجنّته، فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حبّاً له وشوقاً إليه، وقالت في معنى المحبّة نظماً :

(١) المحبّة البيضاء ٨ : ٧-٨.

أحبّك حبيّن : حبّ الهوى وحبّاً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حبّ الهوى فشغلي بذكرك عمّن سواكا
وأما الذي أنت أهلّ له فكشفك لي الحجب حتّى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلّها أرادت بحبّ الهوى حبّ الله تعالى لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة، وبحبّها لما هو أهل له الحبّ لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبيّن، وأقواهما، ولذّة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبّر عنها ﷺ : حيث قال - حاكياً عن الله تعالى - : «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»، وقد يتعجّل بعض هذه اللذات لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية... فقصّد العارفين كلّهم وصله ولقاؤه، فهي قرّة العين التي لا تعلم نفس ما أخفي لها منها، وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلّها، فصار القلب مستغرقاً بنعيمها، فلو ألقى في النار لم يحسّ بها لاستغراقه، ولو عرض عليه نعيم الجنّة لم يلتفت إليه، لكمال نعيمه، وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية.

وليت شعري من لا يفهم إلاّ حبّ المحسوسات كيف يؤمن بلذّة النظر إلى وجه الله تعالى، وما له شبه وصورة وشكل، وأيّ معنى لوعده الله تعالى به عباده وذكره أنّه أعظم النعم، بل من عرف الله عرف أنّ اللذات المقرونة بالشهوات المختلفة كلّها تنطوي تحت هذه اللذّة، كما قال بعضهم :

كانت لقلبي أهواءً مفرّقةً فاستجمعت مذ رأتك العين أهواني
فصار يحسدني من كنت أحسده فصرت مولى الوريّ مذ صرت مولاني
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بذكرك يا ديني ودنياني
ولذلك قال بعضهم : وهجره أعظم من ناره، ووصله أطيب من جنّته.

وما أرادوا بهذا إلا إظهار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح، فإن الجنة معدن تمتع الحواس، فأما القلب فلذته في لقاء الله عز وجل فقط، ومثال أطوار الخلق في لذاتهم، ما نذكره وهو أن الصبي في أول حركته وتمييزه تظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده اللذ من سائر الأشياء، ثم تظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب، فيستحقر معها لذة اللعب، ثم تظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء، فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها، ثم تظهر بعده لذة الرئاسة والعلو والتكاثر وهي أحب لذات الدنيا وأغلبها وأقواها، كما قال سبحانه :

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ ﴾ (١).

ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى، ومعرفة أفعاله، فيستحقر معها جميع ما قبلها، وكل متأخر فهو أقوى، وهذا هو الأخير، إذ يظهر حب اللعب في سن الصبي، وحب الزينة في سن التمييز، وحب النساء في سن البلوغ، وحب الرئاسة بعد العشرين، وحب العلوم بقرب الأربعين، وهي الغاية العليا، وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشغل بملاعبة النساء وطلب الرئاسة، فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرئاسة ويشغل بمعرفة الله تعالى، والعارفون يقولون :

﴿ إِنْ تَسَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَّرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

فأسعد الناس في الدنيا والآخرة أشدهم حباً لله سبحانه، وكلما ازداد الحب

(١) الحجّة البيضاء ٨ : ٣٢ - ٣٤. والآية في سورة الحديد : ٢٠.

(٢) هود : ٣٨.

٦٤ حبّ الله نماذج وصور

ازدادت اللذّة، وإنما يكتسب العبد أصل الحبّ من الدنيا فهي مزرعة الآخرة ومنتجر أولياء الله، وإنما يحصل بالمعرفة، وهي بقطع العلائق الدنيوية وإخراج حبّ غير الله من القلب، فإنّ القلب كالإناء لا يتسع للماء ما دام الهواء :

﴿ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ .

وكمال الحبّ أن يحبّ الله جلّ جلاله بكلّ قلبه، وما دام يلتفت إلى غيره فزاويته من قلبه مشغولة بغيره، وبقدر ما يشتغل بغير الله ينقض منه حبّ الله. وإلى هذا التجريد والتوحيد الإشارة بقوله تعالى :

﴿ قُلْ اللَّهُ مُدْرِكُ دَرَهُمْ ﴾ (١).

ويقوله :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ (٢).

بل هو معنى' وروح قولك كلمة التوحيد التي توجب الفلاح (لا إله إلا الله) أي لا معبود ولا محبوب سواه.

وكلّ محبوب فإنّه معبود، فإنّ العبد هو المتعبّد، والمعبود هو المتعبّد له، وكلّ محبّ فهو يعبد لما يحبّه، ولذلك قال تعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ (٣).

وقال عليه السلام : أبغض إليه عبد في الأرض الهوى. ولذلك قال عليه السلام : « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة »، ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله عزّ وجلّ

(١) الأنعام : ٩١.

(٢) فصلت : ٣٠.

(٣) الجاثية : ٢٢.

فلا يبقى فيه شركة لغير الله، فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط، ومن هذا حاله فالدنيا سجنه، فإنها تمنعه عن مشاهدة محبوبه، وموته خلاصه من السجن وقدمه على المحبوب، فمن أسباب ضعف حب الله في القلوب حب الدنيا، ومنه حب الأهل والمال والولد والأقارب والعقارات والبساتين والسيارات والمتنزهات، وحتى الالتذاذ بروح نسيم الأسحار، فبمقدار ما يأنس بالدنيا يحرم من أنسه بالله سبحانه، والدنيا والآخرة ضرّتان، كالمشرق والمغرب، فمن قرب من أحدهما ابتعد عن الآخر.

وفي أخبار داود النبي أنّ الله تعالى أوحى إليه: يا داود، إنك تزعم أنّك تحبني، فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا عن قلبك، فإنّ حبيّ وحبها لا يجتمعان في قلب،... ضعني بين عينيك وانظر إليّ ببصر قلبك، ولا تنظر بعينك التي في رأسك إلى الذين حجب عقولهم عني فامزجوها وسمحت بانقطاع ثوابي عنها^(١).

فلا بدّ من تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها، حتى تستولي محبة الله على القلب، ولا يكون ذلك إلا بالمعرفة والعلم فهو الأوّل وهو الآخز، ولا يكون ذلك إلا بالفكر الصافي والتفكير الدائم في آيات الآفاق والأنفس حتى يستبين لهم الحقّ:

﴿ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(٢).

﴿ سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾^(٣).

(١) الحجّة ٨ : ٦١.

(٢) فضّلت : ٥٣.

(٣) فضّلت : ٥٢.

﴿ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١).

﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٢).

فن الناس الأوحّد يعرف الحقّ بالحقّ، كما يعرف الخلق بالحقّ، ومنهم من يعرف الحقّ بالخلق، والناس مشتركون في أصل المحبّة لاشتراكهم في أصل الإيمان، ولكّتهم يتفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حبّ الدنيا، وتفاوت أهل المعرفة في الحبّ لا حصر له، وكلّ العالم هو تصنيف الله تعالى، يدلّ على قدرته وعلمه وحياته وجميع أسمائه الحسنی وصفاته العليا.

فن نظر إليه من حيث أنّه فعل الله، وعرفه من حيث أنّه فعل الله، وأحبّه من حيث أنّه فعل الله، لم يكن ناظراً إلاّ في الله، ولا عارفاً إلاّ بالله، ولا محبّاً إلاّ الله، فكان هو الموحّد الحقّ الذي لا يرى إلاّ الله، فلا يرى الأشياء إلاّ ويرى الله قبلها ومعها وبعدها، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه، بل من حيث إنّه عبد الله، فهذا هو الذي يقال فيه: أنّه فنى في التوحيد، وأنّه فنى في نفسه، وإليه الإشارة بقول من قال: كُنّا بنا، ففينا عنّا، فبقينا بلا نحن، فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر (٣).

وختاماً: هلمّ معي لنحلّق في سماء الحبّ الإلهي وعشق الله سبحانه في صحيفة إمام المحبّين وزين العابدين وسيد الساجدين الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في مناجاة المحبّين والمرّيين من المناجاة الخمسة عشر المعروفة:

(١) الأعراف : ١٨٤ .

(٢) يونس : ١٠١ .

(٣) المحجّة ٨ : ٥٤ .

المناجاة الثامنة - مناجاة المريدين

سُبْحَانَكَ مَا أَضِيقَ الطَّرِيقُ عَلَيَّ مَنْ لَمْ تَكُنْ دَلِيلَهُ، وَمَا أَوْضَحَ الْحَقُّ عِنْدَ مَنْ
 هَدَيْتَهُ سَبِيلَهُ، إِنِّهِيَ فَاسْأَلُكَ بِمَا سُبُلَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ، وَسَيَّرْنَا فِي أَقْرَبِ الطَّرِيقِ لِلْوُفُودِ
 عَلَيْكَ، قَرَّبْ عَلَيْنَا الْبَعِيدَ، وَسَهِّلْ عَلَيْنَا الْعَسِيرَ الشَّدِيدَ، وَأَكْحِفْنَا بِعِبَادِكَ الَّذِينَ هُمْ
 بِالْبِدَارِ إِلَيْكَ يُسَارِعُونَ وَبَابِكَ عَلَى الدَّوَامِ يَطْرُقُونَ، وَإِيَّاكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 يَعْبُدُونَ، وَهُمْ مِنْ هَيْبَتِكَ مُشْفِقُونَ، الَّذِينَ صَفَّيْتَ لَهُمُ الْمَشَارِبَ وَبَلَّغْتَهُمُ الرَّغَائِبَ،
 وَأَنْجَحْتَ لَهُمُ الْمَطَالِبَ، وَقَضَيْتَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِكَ الْمَآرِبَ وَمَلَأْتَ لَهُمْ ضَمَائِرَهُمْ مِنْ
 حُبِّكَ، وَرَوَّيْتَهُمْ مِنْ صَافِي شَرِبِكَ، فَبِكَ إِلَى لَذِيذِ مُنَاجَاتِكَ وَصَلُوا وَمِنْكَ أَقْصَى
 مَقَاصِدِهِمْ حَصَلُوا، فَيَا مَنْ هُوَ عَلَى الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ مُقْبِلٌ، وَبِالْعَظِيمِ عَلَيْهِمْ عَائِدٌ
 مُفْضِلٌ، وَبِالْغَافِلِينَ عَنْ ذِكْرِهِ رَحِيمٌ رَوْوْفٌ، وَبِجَدِّهِمْ إِلَى بَابِهِ وَدَوْدٌ عَطُوفٌ، أَسْأَلُكَ
 أَنْ تَجْعَلَنِي مِنْ أَوْفَرِهِمْ مِنْكَ حَظًّا، وَأَعْلَاهُمْ عِنْدَكَ مَنزِلًا، وَأَجْزَلَهُمْ مِنْ وَدِّكَ قِسْمًا،
 وَأَفْضَلَهُمْ فِي مَعْرِفَتِكَ نَصيبًا، فَقَدْ أَنْقَطَعَتْ إِلَيْكَ هَمَّتِي، وَأَنْصَرَفَتْ نَحْوَكَ رَغْبَتِي،
 فَأَنْتَ لَا غَيْرَكَ مُرَادِي، وَلَكَ لَا لِسِوَاكَ سَهْرِي وَسَهَادِي، وَلِقَاؤُكَ قُرَّةَ عَيْنِي،
 وَوَضْلُكَ مَنَى نَفْسِي، وَإِلَيْكَ شَوْقِي، وَفِي مَحَبَّتِكَ وَهْيِي، وَإِلَى هَوَاكَ صَبَابَتِي، وَرِضَاكَ
 بُغْيَتِي، وَرُؤْيُوتِكَ حَاجَتِي، وَجِوَارِكَ طَلْبِي، وَقُرْبُوكَ غَايَةَ سُؤْلِي، وَفِي مُنَاجَاتِكَ
 رَوْحِي وَرَاحَتِي، وَعِنْدَكَ دَوَاءَ غَلَّتِي، وَشِفَاءَ غَلَّتِي، وَبَرْدَ لَوْعَتِي، وَكَشْفَ كُرْبَتِي،
 فَكُنْ أُنَيْسِي فِي وَحْشَتِي، وَمُقْبِلَ عَثْرَتِي، وَغَافِرَ زَلَّتِي، وَقَابِلَ تَوْبَتِي، وَمُجِيبَ دَعْوَتِي،
 وَوَلِيَّ عِضْمَتِي، وَمُعْنِي فَاقَتِي، وَلَا تَقْطَعْ عَنكَ، وَلَا تُبْعِدْني مِنْكَ، يَا نَعِيمِي وَجَنَّتِي،
 وَيَا دُنْيَايَ وَآخِرَتِي.

المناجاة التاسعة - مناجاة المحبين

إلهي مَنْ ذَا الَّذِي ذاقَ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرَامَ مِنْكَ بَدَلًا، وَمَنْ ذَا الَّذِي أُنسَ بِقُرْبِكَ فَأَبْتَغَى عَنكَ حِوَلًا، إلهي فَاجْعَلْنَا مِمَّنْ أَصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوَلَايَتِكَ وَأَخْلَصْتَهُ لَوُدِّكَ وَمَحَبَّتِكَ، وَسَوَّقْتَهُ إِلَى لِقَائِكَ، وَرَضَيْتَهُ بِقَضَائِكَ، وَمَنَحْتَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَحَبَوْتَهُ بِرِضَاكَ، وَأَعَدْتَهُ مِنْ هَجْرِكَ وَقَلَاكَ، وَبَوَّأْتَهُ مَقْعَدَ الصِّدْقِ فِي جِوَارِكَ، وَخَصَصْتَهُ بِمَعْرِفَتِكَ، وَأَهْلَيْتَهُ لِعِبَادَتِكَ، وَهَيَّيْتْ قَلْبَهُ لِإِرَادَتِكَ، وَأَجْتَبَيْتَهُ لِمُشَاهَدَتِكَ، وَأَخْلَيْتَ وَجْهَهُ لَكَ، وَفَرَّغْتَ فُؤَادَهُ لِحُبِّكَ، وَرَعَّبْتَهُ فِيمَا عِنْدَكَ، وَأَلْهَمْتَهُ ذِكْرَكَ، وَأَوْرَعْتَهُ شُكْرَكَ، وَسَعَلْتَهُ بِطَاعَتِكَ، وَسَيَّرْتَهُ مِنْ صَالِحِي بَرِّيَّتِكَ، وَأَخْتَرْتَهُ لِمُنَاجَاتِكَ، وَقَطَعْتَ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ يَقْطَعُهُ عَنكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ دَأَبُهُمُ الْإِزْيَاجُ إِلَيْكَ وَالْحَيْنُ، وَدَهْرُهُمُ الزَّفَرَةُ وَالْأَيْنُ، جِبَاهُهُمْ سَاجِدَةٌ لِعَظَمَتِكَ، وَعْيُونُهُمْ سَاهِرَةٌ فِي خِدْمَتِكَ، وَدُمُوعُهُمْ سَائِلَةٌ مِنْ خَشْيَتِكَ، وَقُلُوبُهُمْ مُسْتَعَلِّقَةٌ بِمَحَبَّتِكَ، وَأَفْئِدَتُهُمْ مُنْخَلِعَةٌ مِنْ مَهَابَتِكَ، يَا مَنْ أَنْوَارُ قُدْسِهِ لِأَبْصَارِ مُحِبِّيهِ رَائِقَةٌ، وَسُبُحَاتُ وَجْهِهِ لِقُلُوبِ عَارِفِيهِ شَائِقَةٌ، يَا مَنْى قُلُوبِ الْمُشْتَاقِينَ، وَيَا غَايَةَ آمَالِ الْمُحِبِّينَ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُوصلُنِي إِلَى قُرْبِكَ، وَأَنْ تَجْعَلَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا سِوَاكَ، وَأَنْ تَجْعَلَ حُبِّي إِيَّاكَ قَائِدًا إِلَى رِضْوَانِكَ، وَسَوْقِي إِلَيْكَ ذَائِدًا عَنِ عِضْيَانِكَ، وَالْأُنْسَ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ عَلَيَّ، وَأَنْظُرَ بِعَيْنِ الْوُدِّ وَالْعَطْفِ إِلَيَّ، وَلَا تَضْرِفْ عَنِّي وَجْهَكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الْأَسْعَادِ وَالْحَطَّوَةِ عِنْدَكَ، يَا مُجِيبُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

لقطات ونماذج

من الحبّ والعشق الإلهي

يجفّ القلم ويكلّ اللسان لو أراد أن يرسم للقراء الكرام شخصيات المحبّين في الله والله سبحانه، والمتفانون في هواه وعشقه، وأكمل خلق الله في حبّه وأتمّهم هو الرسول المختار وعترته الأئمة الأطهار عليهم السلام، فحياتهم المقدّسة وأرواحهم الزكيّة النورانيّة كلّها في محبّة الله وولاه، فهم سادة المحبّين وعشّاق الله جلّ جلاله. ومن أولئك الأطياب الأخيار الأبرار سيّد الشهداء مولانا الإمام الحسين بن علي عليه السلام، فتورته الخالدة - فصل من حياته - آيات في الحبّ الإلهي الحقيقي وبراكين ساطعة في عشق الله سبحانه وتعالى.

يخبرنا عن ذلك ما ورد عن مولانا أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام، عن أبيه الإمام السجّاد علي بن الحسين عليه السلام، قال: مرّ عليّ عليه السلام بكربلاء فقال لما مرّ به الصحابة وقد اغرورقت عيناه يبكي ويقول: هذا مناخ ركا بهم... إلى أن قال عليه السلام: حتّى طاف بمكان يقال له المقدّمات فقال: قُتل فيها مائتا نبيٍّ ومائتا سبط كلّهم شهداء ومناخ ركاب ومصارع عشّاق، شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم^(١).

(١) سفينة البحار ٢: ١٩٧.

٧٠ حبّ الله نماذج وصور

فكربلاء المقدّسة رمز الثورة الخالدة، رمز البطولة والتضحية والشهادة، ومناخ ركاب العاشقين، ومصارع عشّاق الله ومحبيّه والمتفانين في صفاته وأسمائه الحسنی، والمستشّهدین من أجل دينه القويم الإسلام العظيم.

وستبقى كربلاء العشق مناراً لعشّاق أهل البيت عليهم السلام وشعلة وهّاجة في دروب الأحرار والمجاهدين الثوّار، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم. وستبقى كربلاء المعلّى قرآن المحبّين، ويبقى عاشوراء الحسين باب الهدى وطريق سفينة النجاة، وتبقى ملحمة الطفّ نبراس الحبّ الإلهي الذي يتجلّى في حبّ رسول الله وأهل بيته عترته الطاهرين وسبطه سيّد الشهداء الإمام الحسين ابن علي عليه السلام.

عابس الشاكري آية من آيات الحبّ :

ومن اللقطات الجميلة التي تُعدّ آية من آيات الحبّ الحسيني قتال الشهيد البطل عابس بن شبيب الشاكري (رضوان الله تعالى عليه)، حتّى أصبحت مقولته المشهورة «حبّ الحسين أجتنى» رمزاً لعشّاق أهل البيت عليهم السلام ومن يتفانى في حبّ الحسين عليه السلام ويبدل النفس والنفيس في هواه وعشقه.

يذكر أبو المؤيّد الموقّف بن أحمد المكيّ أخطب خوارزم المتوفّي سنة ٥٦٨ هـ^(١): «وجاء عابس بن شبيب الشاكري ومعه شوذب مولى شاكرا، فقال: يا شوذب، ما في نفسك أن تصنع؟ قال: وما أصنع! أقاتل حتّى أقتل. فقال له: ذلك الظنّ بك، فتقدّم بين يدي أبي عبد الله، أحتسبك ويحتسبك كما احتسب غيرك،

(١) في كتابه (مقتل الحسين) ٢: ٢٢.

لقطات ونماذج من الحبّ والعشق الإلهي ٧١

فإنّ هذا اليوم ينبغي لنا أن نطلب فيه الأجر بكلّ ما قدرنا عليه، فإنّه لا عمل بعد اليوم، وإنما هو الحساب.

ثمّ تقدّم فسلمّ على الحسين، وقال له: يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلت - أنظر أيها القارئ الكريم ما أروع منطق العشاق، فإنّ العاشق يكون موحداً لا يرى إلاّ معشوقه، وبمثل هذه الروح الخالصة والقلب الواله والفؤاد العاشق يخاطب عابس سيّده وحبیب قلبه قائلاً: (أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك) ثمّ يصدّق قوله ببذل نفسه ودمه الذي هو أعزّ شيء عنده، وهذا منطق عشاق الحسين عليه السلام، وكفاهم بهذا شرفاً وكرامة وعزة، ثمّ قال عابس:- السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد أنّي على هدّاك وهدى أيبك. ثمّ مشى بالسيف نحوهم.

قال ربيع بن تميم: فلمّا رأيته مقبلاً عرفته - وقد كنت شاهدته في المغازي - فكان أشجع الناس فقلت للقوم: أيها الناس! هذا أسد الأسود، هذا ابن شبيب، لا يخرجنّ إليه أحدٌ منكم، فأخذ ينادي: ألا رجل! ألا رجل! فقال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة، فرمي بالحجارة من كلّ جانب، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومغفره، ثمّ شدّ على الناس - ويقال هنا ناداه القوم: أجننت يا عابس، فقال: إي والله أجنّني حبّ الحسين - فوالله لقد رأيته يطرد أكثر من مئتين من الناس، ثمّ تعظّفوا عليه من كلّ جانب فقتل - رضوان الله تعالى عليه - فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدّة، هذا والله لم يقتله إنسان واحد، ففرق بينهم بهذا القول.»

وليس هذا حال عابس وحسب، بل كلّ أصحاب الحسين وأهل بيته كان

٧٢ حبّ الله نماذج وصور

هذا منطقتهم كما يحدثنا بذلك العلامة السيّد عبد الرزاق الموسوي المقرّم^(١) في حديث ليلة عاشوراء :

« ثمّ دخل الحسين خيمة زينب ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره، فسمع زينب تقول له : هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم، فإنّي أخشى أن يسلموك عند الوتبة.

فقال لها : والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلاّ الأشوس الأقعس يستأنسون بالنيّة دوني، استيناس الطفل إلى محالب أمّه.

قال نافع : فلمّا سمعت هذا منه بكيت، وأتيت حبيب بن مظاهر، وحكيت ما سمعت منه ومن أخته زينب.

قال حبيب : والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة. قلت : إنّي خلفته عند أخته، وأظنّ النساء أفقن وشاركنها في الحسرة، فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجهوهنّ بكلام يطيب قلوبهنّ. فقام حبيب ونادى : يا أصحاب الحميّة وليوث الكريمة. فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية، فقال لبني هاشم : ارجعوا إلى مقرّكم لا سهرت عيونكم.

ثمّ التفت إلى أصحابه وحكى ما شاهده وسمعه نافع، فقالوا بأجمعهم : والله الذي منّ علينا بهذا الموقف، لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة ! فطب نفساً وقرّ عيناً. فجزّاهم خيراً، وقال : هلمّوا معي لتواجه النسوة ونطيّب خاطرهنّ. فجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح : يا معشر حرائر رسول الله، هذه صوارم فتيانكم، ألوا الآل يغمدوها إلّا في صدور من يفرّق ناديتكم.

(١) في كتابه (مقتل الحسين) : ٢١٩.

لقطات ونماذج من الحبّ والعشق الإلهي ٧٣

فخرجن النساء إليهنّ بكاءً وعويل، وقلن: أيها الطيّبون، حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين. فضجّ القوم بالبكاء حتى كأنّ الأرض تئيد بهم.

وفي يوم عاشوراء عندما خطب زهير بن القين ونصح قوم عمر بن سعد، فرماه الشمر بسهم وقال: اسكت أسكت الله نامتك، أبرمتنا بكثرة كلامك. فقال زهير: يا ابن البوّال على عقبيه، ما إيتاك أخاطب، إنّما أنت بهيمة، والله ما أظنّك تحكم من كتاب الله آيتين فابشر بالحزبي يوم القيامة والعذاب الأليم. فقال شمر: إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة. فقال زهير: أفالموت تخوّفني؟ فوالله للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم...^(١).

وحينما صرع مسلم بن عوسجة مشئاً إليه الحسين ومعه حبيب بن مظاهر، فقال له الحسين: رحمك الله يا مسلم، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً. ودنا منه حبيب وقال: عزّ عليّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنّة. فقال بصوت ضعيف: بشرك الله بخير. قال حبيب: لو لم أعلم أنّي في الأثر لأحببت أن توصي إليّ بما أهّمك. فقال مسلم: أوصيك بهذا - وأشار إلى الحسين - أن تموت دونه. قال: أفعل وربّ الكعبة. وفاضت روحه بينها...^(٢).

وهكذا يفعل العشق والحبّ بأهله، فلو طالعنا ثورة الحسين ثورة العشّاق والمحبين لا تضح لنا ما كان عليه أولئك الأبرار الأخيار من الثبات والتضحية والفداء، وأنهم غير مكترئين بما لاقوه من ألم الجراح والرماح والسيوف والسهام،

(١) مقتل الحسين: للمقرّم: ٢٣٢.

(٢) المصدر: ٢٤١.

٧٤ حبّ الله نماذج وصور

ولعاً منهم بالغاية، وحبّاً لهم بولانا الحسين ودينه، وشوقاً إلى جوار جدّه المصطفى، وعشقاً لحضورهم بين يدي الله، في مقعد صدقٍ في الحضيرة القدسيّة، ويا لها من سعادة لا توصف.

«ولا يستغرب هذا من يعرف حالة العشق وأنه عند توجّه مشاعره نحو المحبوب لا يشعر بما يلاقيه من عناء وكبد. ولقد حكى المؤرّخون أنّ كثيراً الشاعر كان في خبائه يبيري سهاماً له، فلمّا دخلت عليه عزة (معشوقته) ونظر إليها أدهسه الحال، فأخذ يبيري أصابعه، وسالت الدماء وهو لا يحسّ بالألم»^(١).
كما حدّثنا بذلك القرآن الكريم في قصّة النسوة ﴿ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ عندما شاهدن جمال يوسف لحظات :

﴿ وَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ اللَّهُ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هُوَ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾^(٢).

فكيف بأصحاب سيّد الشهداء الحسين عليه السلام وقد شاهدوا جماله يوم عاشوراء، وهو جمال الله جلّ جلاله.

«وإذا لم تشعر النسوة بمضض الجراح، فليس من الغريب ألاّ يجد أصحاب الحسين عليه السلام وهم زبدة العالم كلّه ألم مسّ الحديد عنه، نهاية عشقهم لمظاهر الجمال الإلهي، ونزوع أنفسهم إلى الغاية القصوى من القداسة بعد التكهرب بولاء سيّد الشهداء عليه السلام»^(٣).

(١) مقتل الحسين، للمقرّم: ٧١.

(٢) يوسف: ٣١.

(٣) المصدر: ٧٣.

ويقول العلامة الشيخ محمد جواد مغنية^(١) في ذيل الآية الشريفة :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
أَقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾^(٢).

إنّ هذه الآية الكريمة نصّ صريح في صفات عمر بن سعد، حتّى كأنّها نزلت
فيه بالذات. فلقد دعاه الحسين إلى أن يكون معه ويدع ابن زياد، فقال ابن سعد :
أخاف أن تهدم داري. وهذا مصداق قوله تعالى :

﴿ وَمَسَاكِينٌ تَرْضَوْنَهَا ﴾ .

قال الحسين : أنا أبنيا لك .

قال ابن سعد : أخاف أن تؤخذ ضيعتي . وهذا ما دلّ عليه قوله سبحانه :

﴿ وَأَمْوَالٌ أَقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ .

قال الحسين : أنا أخلف عليك خيراً منها .

قال ابن سعد : إنّ لي بالكوفة عيالاً أخاف عليهم ابن زياد . وهذا ما أشار

إليه قوله تعالى :

﴿ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ .

هذا هو مبدأ ابن سعد الذي عليه يموت ويحيا : ضيعته وداره وأهله
وعشيرته، أمّا الدين والضمير، أمّا الله ورسوله، فألفاظ يجترّها ما دامت تحفظ له
الضيعة والدار والأبناء والأقارب .

(١) في كتابه (الحسين وبطلة كربلاء) : ٤٨ .

(٢) التوبة : ٢٣ .

حارب ابن سعد حسيناً بدافع المنفعة الشخصية وحبّ الدنيا . وكلّ من آثر المال والأهل على طاعة الله والرسول ، فإنّه على مبدأ ابن سعد ودينه . وإن بكى على الحسين حتّى ابيضّت عيناه ، ولعن ابن سعد في اليوم ألف مرّة ، ما دام لا يفعل إلّا بنفس الباعث الذي بعث ابن سعد على قتل الحسين .
قال النبي ﷺ :

والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه وأبيه وأهله وولده والناس أجمعين .

وإذا عطفنا هذا الحديث الشريف على الحديث الذي رواه السنّة والشيعيّة : « حسين منّي وأنا من حسين » تكون النتيجة الطبعيّة أنّ العبد لا يؤمن حتّى يكون الحسين أحبّ إليه من نفسه وأبيه وأهله وولده والناس أجمعين .
وقد وجد بين المسلمين من الرجال والنساء من أحبّ النبيّ هذا الحبّ وفدوه بالأرواح والأولاد .

وتجمّع الناس مع الحسين وهو سائر في طريقه إلى العراق ، ولما جدّ الجدّ تفرّقوا عنه ، كما تفرّقوا عن جدّه في يوم أحد إلّا قليل القليل ، ولم يبق معه إلّا صفوة الصفوة من الذين أحبّوا الله والرسول وآله ، وآثروا الموت من أجلهم على الأهل والمال ، كما قالها عابس الشاكري وحبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة وأبطال كربلاء المقدّسة ...

وكان غلام مع أمّه في كربلاء قُتل أبوه في المعركة ، فقالت له أمّه : إخرج يا بنيّ وقاتل بين يدي الحسين ، فخرج ، ولما رآه الحسين عليه السلام قال : هذا شاب قُتل أبوه ، ولعلّ أمّه تكره خروجه ، فقال الغلام : أمّي أمرتني بذلك ، فبرز وهو يقول :

لقطات ونماذج من الحبّ والعشق الإلهي ٧٧

أميري حسينٌ ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير
عليٌّ وفاطمةٌ والداه فهل تعلمون له من نظير
وقاتل حتى قُتل. فأخذت أمّه رأسه وقالت: أحسنت يا بني، يا سرور قلبي
ويا قرّة عيني.

أرأيت إلى هذه!... أمّ لا ترضى عن ولدها وأعزّ من كبدها، إلا أن تراه
مضرجاً بدمائه، جثّة بلا رأس.

ولا عجب، إنّه حبّ الله ورسوله وعتريته، وليس كمثل الله ورسوله وعتريته
شيء. فكَذلك حبّهم عند المؤمنين حقّاً لا يعادله شيء، حتّى الأرواح والأبناء.
بهذا الحبّ، بهذا الإخلاص لأهل البيت، بهذه التضحية، بهذه الروح وحدها
يستعدّ المؤمنون الخالص لما بعد الموت.

وبهذا الزهد في العاجل يقفون غداً مرفوعي الرؤوس أمام جبّار السماوات
والأرض. لقد ترك الحسين وأصحابه الدنيا وما فيها لله وفي الله سبحانه وتعالى،
وضحّوا بالأرواح والأزواج والأبناء والأموال في حبّ الله وفي حبّ الحسين عليه السلام
وموّدّة القربى وإعلاء كلمة الحقّ وإدحاض كلمة الباطل. فكانوا مع الحسين وجدّه
في الآخرة، كما كانوا معه في الدنيا، وحسن أولئك رفيقاً.

قال الإمام الباقر عليه السلام :

إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحبّ أهل طاعة
الله عزّ وجلّ، ويبغض أهل معصيته، فإنّ فيك خيراً. وإن كان يحبّ أهل معصية الله
ويبغض أهل طاعته، فليس فيك خيراً، والله يبغضك. والمرء مع من أحبّ.

عجباً لقلبي وهو يألف حبّكم لم لا يذوب بحرقّة الأرزاء
وعجبت من عيني وقد نظرت إلى ماء الفرات فلم تسل في الماء
تبكيك عيني لا لأجل مثنوية لكنّما عيني لأجلك باكية

هذا والنفس الإنسانية في جوهرها عاشقة بالفعل للكمال المطلق ومطلق الكمال، فلا بدّ أن يكون المعشوق فعلياً كذلك، كما يكون العشق الرابط بينها فعلياً، فيتحد العاشق والمعشوق والعشق، ثمّ عشق الكمال في وجود الإنسان من جبلّته وفطرته، ولا يشبعه ولا يملئ فراغه، ولو ملك ما ملك من أقطار السماوات والأرض، إلّا حبّ الله سبحانه وتعالى، فيرجع الإنسان إلى ربّه، ويفنى فيه، وتصل نفسه المطمئنة بذكر الله إلى غايتها، فيأتيه الخطاب من مصدر الجلالة ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِ﴾ أي العباد المنسوب إلى (هو) إليه سبحانه، فيختلف عن خطاب عباد الله وعباد الرحمن، كما يأتيه خطاب ﴿وَأَدْخُلِي فِي جَنَّتِي﴾ لا في جنّة عرضها السماوات والأرض بل في جنّة (هو) فيقف على الأسرار والعلوم الإلهية التي هي في جنّة وحسن عن الغير، فيدخل في جنّته اللامتناهية، بعد أن يخرق حُجب النور والظلام، فيصل إلى معدن العظمة ومصدر الجلالة، ومن حجب النور وجود الإنسان نفسه، فإنّ الوجود نور، كما أنّ من حجب النور الصفات الحميدة، فلا بدّ للإنسان المتكامل أن يتجاوز عن وجوده وعن صفاته الحميدة، فيتجاوز عن الإخلاص ليصل إلى مقام المخلصين - بفتح اللام - الذين انتهت مجاهداتهم مع النفس، وتجاوزوا مراحل الإخلاص، وكذلك باقي الصفات الكريمة بعد تخلّيهم من الصفات الذميمة وحجب الظلام، بعد نزع لباس الماهية الظلمانية من وجودهم النوراني، ووصولهم إلى قاب قوسين أو أدنى، فلا يرون إلّا الحقّ وأنّ ما سواه باطل، وإنّ وجوده من وجود ربّه، فيتصبّع بصبغة الله، ولا يرى في الدير ديّاراً إلّا هو، ولا يرى شيئاً إلّا ورأى الله قبله ومعه وبعده، فإنّه داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء، وخارج عنها لا كخروج شيء عن شيء، فيرى الإنسان وجوده حقاً بعد سيره في القوس النزولي والصعودي، وظهوره إلى ميدان الموجودات بعدما لم يكن شيئاً مذكوراً، فتأمل وتفكّر فلا يناهاها إلّا ذو حظّ عظيم.

خاتمة المطاف

الإمام الحسين عليه السلام سيّد المحبّين

الأئمة الأطهار كجدهم المختار أسوة لنا في كلّ شيء، نهتدي بهداهم، ونسير على خطاهم، ونستنير بأنوارهم القدسيّة، فهم القدوة في كلّ المكارم والفضائل، وهم الأسوة في فضيلة حبّ الله. ومولانا الحسين إمام عشاق الله سبحانه.

جاء في مقتل الخوارزمي بسنده: إنّ الحسين عليه السلام خطب أصحابه - يوم عاشوراء - فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس خُطّ الموت على بني آدم كمخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولعني بالشوق إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وإنّ لي مصرعاً أنا لاقيه، كأني أنظر إلى أوصالي تقطعها وحوش الفلوات غبراً وعفراً، قد ملأت مني أكراشها، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ليوفّقنا أجور الصابرين، لن تشدّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته وعترته، ولن تفارقه أعضاؤه، وهي مجموعة له في حضيرة القدس، تقرّ بها عينه، وتنجز له فيهم عدته.

لقد ضرب الإمام الحسين عليه السلام أروع الأمثلة في حبّ الله وعشقه يوم عاشوراء، فإنّه قدّم كلّ ما يملك، قدّم الأهل والأصحاب والأقرباء، وآل الأمر إلى سبي الحرائر بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كلّ ذلك من أجل الولع والشوق والحبّ الإلهي، حتّى هوى على الأرض صريعاً مفضوح الهامة، قد نبت السهم المثلث في قلبه المقدّس، ظمآن عطشان ولسان حاله يترنّم:

تركت الخلق طرّاً في هواكا وأيتمت العيال لكّي أراكا
فلو قطّعتني في الحبّ إرباً لما مال الفؤاد إلى سواكا

الفهرست

٣	الإهداء
٤	حبّ الله نماذج وصور
٥	الحبّ في ثورة الإمام الحسين <small>عليه السلام</small>
٧	الحبّ في القرآن والروايات
٧	الحبّ لغةً واصطلاحاً
٢٥	على أبواب الحبّ
٢٥	١ - أحبّ الناس إلى الله
٢٦	٢ - أحبّ الأعمال إلى الله
٢٨	٣ - عبادة المحبّين
٢٩	٤ - إذا أحبّ الله عبداً
٣٠	٥ - علامة حبّ الله
٣٨	٦ - من شرائط الإيمان حبّ الله
٣٩	٧ - حبّ الله وحبّ الدنيا لا يجتمعان
٤١	٨ - محبّ الله يغفر له
٤٣	٩ - كيف يعرف العبد أنّ الله يحبّه
٤٥	١٠ - الناس يحبّون حبيب الله
٤٦	١١ - كيف ندعو الناس إلى حبّ الله
٤٧	١٢ - الحبّ في الله
٥٠	١٣ - حبّ النبيّ المصطفى وأهل بيته <small>عليهم السلام</small>
٥٨	١٤ - المرء مع من أحبّ
٥٩	زبدة المخاض
٦٧	مناجاة المريدين
٦٨	مناجاة المحبّين
٦٩	لقطات من العشق الإلهي
٧٩	خاتمة المطاف - الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> سيّد المحبّين

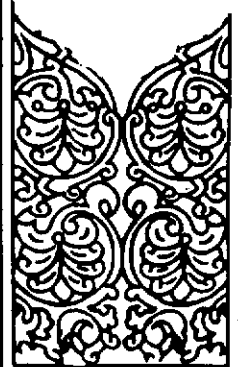
الذِّكْرُ الْأَهْمِيُّ
فِي الْمَفْهُومِ الْأَسْلَامِيِّ

السَّيِّدُ عَالِمُ الْعُلُومِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء العادي عشر

عرفان و اخلاق - ٢



علوي، عادل، ١٩٥٥ -

الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي / السيد عادل العلوي. - قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤١٩ ق. = ١٣٧٨.

١١٢ ص. - (موسوعة رسالات إسلامية)

ISBN 964 - 91907 - 8 - 3 : ٥٠٠٠ ريال

فهرستونوسی بر اساس اطلاعات فیبا.

عنوان دیگر: کتاب الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي.

عربی.

کتابنامه به صورت زیرنویس.

١. ذکر. ٢. ذکر - أحاديث. ٣. ذکر - جنبه های قرآنی. الف. عنوان. ب. عنوان: کتاب الذكر الإلهي في

المفهوم الإسلامي.

٢٩٧ / ٧٧

BP ٢٦٦ / ع ٨٤٨

م ٧٨ - ١٥٠٧٥

کتابخانه ملی ایران

موسوعة

رسالات إسلامية



کتاب

الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

تأليف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الأولى - ١٤١٩ هجري قمری

المطبعة - النهضة، قم

ISBN 964 - 91907 - 8 - 3

شابك ٣-٨-٩١٩٠٧-٩٦٤

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك X-١٨-٥٩١٥-٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

الأهداء :

إلى الذاكرين والذاكرات
إلى الصالحين والصالحات
إلى المخلصين والمخلصات
إليكم أقدم هذا الجهد المتواضع
برجاء القبول والدعاء والشفاعة

العبد

عادل العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

المقدمة

الحمد لله الذي جعل ذكره شرف للذاكرين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه المذكّر بالله محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

حقيقة الذكر وشرف الذاكرين :

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم ومبرم خطابه الحكيم :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(١).

الذكر من المفاهيم الإسلاميّة الأصليّة الذي ورد في النصوص الدينيّة من الآيات القرآنيّة والروايات الشريفة، وتعرّض علماء الإسلام لبيان حدوده ومعامله في علم الأخلاق والعرفان، كما بُحث عنه في علم التفسير وعلم الحديث، فما أكثر الآيات والأحاديث التي تنصّ على عظمة الذكر وأهمّيته البالغة في حياة المسلم وفي المجتمع الإسلامي.

فينبغي لكلّ مؤمن ومؤمنة أن يكثر من الذكر والدعاء، وقد ورد في فضلها

من الآيات والأخبار ما لا يمكن إحصاؤه، كما سنذكر نماذج منها.
والذكر لغة^(١): مصدر من ذكر - بفتح الذال المعجمة - يذكر ذكراً بمعنى الحفظ

(١) جاء في معجم المفردات لألفاظ القرآن للراغب الإصفهاني، الصفحة ١٨١ :

ذكر : الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ ، إلا أن الحفظ يقال باعتبار إحرازه والذكر يقال اعتباراً باستحضاره ، وتارة يقال لحضور الشيء في القلب أو القول ، ولذلك قيل الذكر ذكران : ذكر بالقلب وذكر باللسان ؛ وكل واحد منها ضربان ، ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ ، وكل قول يقال له ذكر ، فمن الذكر باللسان قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ، وقوله : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِي وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي ﴾ ، وقوله : ﴿ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ أي القرآن ، وقوله تعالى : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَإِنَّ لِدُكْرِكَ وَإِقْرَمِكَ ﴾ أي شرف لك ولقومك ، وقوله : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ أي الكتب المتقدمة ، وقوله : ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا ﴾ فقد قيل الذكر ها هنا وصف للنبي ﷺ كما أن الكلمة وصف لعيسى عليه السلام من حيث إنه بشر به في الكتب المتقدمة ، فيكون قوله رسولاً بدلاً منه ، وقيل رسولاً منتصب بقوله ذكراً ، كأنه قال : لقد أنزلنا إليكم كتاباً ذكراً رسولاً يتلوه نحو قوله : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ يَتِيمًا ﴾ فـتيماً نصب بقوله إطعام . ومن الذكر عن النسيان قوله : ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ ، ومن الذكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالى : ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْدَّ ذِكْرًا ﴾ ، وقوله : ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمُشْعَرِ الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ أي من بعد الكتاب المتقدم ، وقوله : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ أي لم يكن شيئاً موجوداً بذاته ، وإن كان موجوداً في علم الله تعالى ، وقوله : ﴿ أَوْ لَا يَذْكُرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ﴾ أي أو لا يذكر الجاحد للبعث أول خلقه ، فيستدل بذلك على إعادته ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا

في الذهن وتفظن الأمر ويقابله السهو والغفلة والنسيان مع اعتبارات خاصّة تميّز بعضها عن بعض.

واصطلاحاً: بمعنى ذكر الله سبحانه على كلّ حال وفي جميع الأحوال من الصلاة والدعاء وغيرهما باللسان وغيره، فإنّ الذّاكر لا يكون غافلاً عن ربّه، ولا ساهياً عن معبوده، ولا ناسياً لصانعه وخالقه، بل يرى نفسه دائماً في حضرته القدسيّة، وحرمة الشريف وساحته المقدّسة.

أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿، وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أي ذكر الله لعبده أكبر من ذكر العبد له، وذلك حتّى على الإكثار من ذكره، والذكرى كثرة الذكر وهو أبلغ من الذكر، قال تعالى: ﴿ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ * وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ في أي كثيرة، والتذكرة ما يتذكّر به الشيء وهو أعمّ من الدلالة والأمانة، قال تعالى: ﴿ فَالْهُمَّ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُغْرَضِينَ * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ أي القرآن، وذكرته كذا قال تعالى: ﴿ وَذَكَرْهُمْ يَا أَيُّمَ اللَّهِ ﴾، وقوله: ﴿ فَتَذَكَّرُوا إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ قيل: معناه تعيد ذكره، وقد قيل تجعلها ذكراً في الحكم، قال بعض العلماء في الفرق بين قوله ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ ﴾ وبين قوله: ﴿ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي ﴾ أي قوله اذكروني مخاطبة لأصحاب النبي ﷺ الذين حصل لهم فضل قوّة بمعرفته تعالى فأمرهم بأن يذكره بغير واسطة وقوله تعالى ﴿ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي ﴾ مخاطبة لبني إسرائيل الذين لم يعرفوا الله إلاّ بآلانه، فأمرهم أن يتبصّروا نعمته، فيتوصلوا بها إلى معرفته، والذكر ضدّ الأنثى قال تعالى: ﴿ وَكَيْسَ الذِّكْرِ كَالْأُنْثَى ﴾، وقال: ﴿ أَلَذَّكَرِينَ حَوْمَ أُمِّ الْأُنْثَيْنِ ﴾ جمعه ذكور وذكوران، قال تعالى: ﴿ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ وجعل الذكر كناية عن العضو المخصوص. والمذكّر المرأة التي ولدت ذكوراً، والمذكّار التي عادت أن تذكر، ونساقه مذكرة تشبه الذكر في عظم خلقها، وسيف ذو ذكر ومذكر صارم تشبيهاً بالذكر، وذكور البغل، ما غلظ منه.

٨ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

ومن كان هذا حاله، وإنه بعين الله ورحمته الواسعة، فإنه يعيش الحياة الطيبة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ (١)، والعيش الرغيد، ودنيا السعادة وسعادة الدنيا، التي تتبعها السعادة الأبديّة في جنّات عرضها السماوات والأرض أعدت للمتّقين الذاكرين في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

فيعيش حينئذٍ اللذائذ المعنوية والحياة الحقيقية.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: الذكر لذّة المحيّن (٢).

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: وأستغفرك من كلّ لذّة بغير ذكرك - وهذا يعني أنّ ما ليس فيه ذكر الله يكون من الذنوب عند أولياء الله وأنه بحكم الميتة التي يقسي القلب وينسي الربّ، فتدبّر -، ومن كلّ راحة بغير أنسك، ومن كلّ سرور بغير قربك، ومن كلّ شغل بغير طاعتك.

وقال عليه السلام: «إلهي ما ألدّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب، وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب».

وقال عليه السلام: واجعلنا من الذين اشتغلوا بالذكر عن الشهوات، وخالفوا دواعي العزّة بواضحات المعرفة، وقطعوا أستار نار الشهوات بنضح ماء التوبة، وغسلوا أوعية الجهل بصفو ماء الحياة.

(١) النحل: ٩٧.

(٢) الروايات في هذه الرسالة نقلتها من كتاب (ميزان الحكمة ٣: ٤٠٥ - ٤٣٧) وهو ينقل عن بحار الأنوار، الجزء ٩٣، كتاب الذكر والدعاء، الصفحة ١٤٨، والجزء ٨٦، الصفحة ٢٤٠، وكنز العمال ١: ٤١٣، والوسائل ٤: ١١٧٧.

وقال ﷺ: يا من ذكره شرف للذاكرين، ويا من شكره فوز للشاكرين، ويا من طاعته نجاة للمطيعين، صلّ على محمّد وآله، واشغل قلوبنا بذكرك عن كلّ ذكر.

« فطوبى لمن صمت إلا بذكر الله، فإنّ في الذكر مجالسة المحبوب والأنس به، فهو أفضل الغنيمتين، وإنّه شيمة المتّقين، وسجّيّة كلّ محسن، وشيمة كلّ مؤمن، ومسرّة كلّ متّقٍ، ولذّة كلّ مؤمن، وأحبّ الأعمال إلى الله: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾^(١).

عن رسول الله ﷺ: ليس عمل أحبّ إلى الله ولا أنجى لعبده من كلّ سيّئة في الدنيا والآخرة من ذكر الله، قيل: ولا القتال في سبيل الله؟ قال: لولا ذكر الله لم يؤمر بالقتال.

وقال ﷺ: «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من الدينار والدرهم، وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم، فتقتلونهم ويقتلونكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله عزّ وجلّ كثيراً». وهذا يعني أنّ ذكر الله سبحانه وتعالى خير الأعمال وأزكاها، توجب رفع الدرجات في الجنان كالإيمان والعلم، بل هو منها:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾^(٢).

وإنّ الذكر أفضل من الدنيا ومن الثروة، بل خير من الجهاد الذي يعدّ أفضل الفضائل، فإنّ الله سبحانه يرفع المجاهدين على القاعدين درجات، وأنّ

(١) العنكبوت: ٤٥.

(٢) المجادلة: ١١.

لهم أجراً عظيماً.

ولمثل هذه المقامات العظيمة، والدرجات الرفيعة، والمراتب السامية، والمدارج الشاخنة، نجد الإسلام في مصدره التشريعي المقدس - القرآن الكريم والسنة الشريفة - يحث المسلمين على ذكر الله، ويأمر بكثرتة والدوام عليه حتى الموت :

﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ^(١) - أي الموت - .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ^(٢) .

﴿ كَثِيَ نُسْبُحُكَ كَثِيرًا وَتَذْكُرُكَ كَثِيرًا ﴾ ^(٣) .

قال المحقق المولى محمد مهدي النراقي رحمته الله في كتابه القيم (جامع السعادات) ^(٤) :

أما الذكر : فالنافع منه هو الذكر على الدوام، أو في أكثر الأوقات، مع حضور القلب، و فراغ البال، والتوجه الكلي إلى الخالق المتعال، حتى يتمكن المذكور في القلب، وتتجلى عظمته الباهرة عليه، وينشرح الصدر بشروق نوره عليه، وهو غاية ثمرة العبادات. وللذكر أول وآخر، فأوله يوجب الأُنس والحب، وآخره يوجب الأُنس والحب، والمطلوب منه ذلك الحب والأُنس. فإن العبد في بداءة الأمر يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه من الوسواس والفضول إلى ذكر الله، فإن وُفق

(١) الحجر : ٩٩ .

(٢) الأحزاب : ٤١ .

(٣) طه : ٣٤ .

(٤) جامع السعادات ٣ : ٣٦٢ .

للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حبّ المذكور، ومن أحبّ شيئاً أكثر ذكره، ومن أكثر ذكر شيء، وإن كان تكلفاً، أحبّه، ومن هنا قال بعضهم: (كأثدت القرآن عشرين سنة، ثمّ تتعمت به عشرين سنة) ولا تصدر النعم إلا من الأنس والحبّ، ولا يصدر الحبّ إلا من المداومة على المكائدة والتكلف مدّة طويلة، حتى يصير التكلف طبعاً، وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول الطعام يستبشعه أولاً، ويكائد أكله، ويواظب عليه، فيصير موافقاً لطبعه حتى لا يصبر عليه؟ فالنفس تصير معتادة متحمّلة لما تكلفت (هي النفس ما عودتها تتعود).

ثمّ إذا حصل الأنس بذكر الله انقطع عن غير الله، وما سوى الله يفارقه عند الموت، ولا يبقى إلا ذكر الله، فإن كان قد أنس به تمتّع به وتلذّد بانقطاع العوائق الصارفة عنه، إذ ضرورات الحاجات في الحياة تصدّ عن ذكر الله، ولا يبقى بعد الموت عائق، فكأنّه خليّ بينه وبين محبوبه، فعظمت غبطته، وتخلّص من السجن الذي كان ممنوعاً فيه عمّا به أنسه، وهذا الأنس يتلذّد به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله، ويترقّى من الذكر إلى اللقاء.

قال الصادق عليه السلام: من كان ذاكرًا لله على الحقيقة فهو مطيع، ومن كان غافلاً عنه فهو عاص، والطاعة علامة الهداية، والمعصية علامة الضلالة، وأصلها من الذكر والغفلة فاجعل قلبك قبلةً للسانك، ولا تحركه إلا بإشارة القلب، وموافقة العقل، ورضا الإيمان، فإنّ الله تعالى عالم بسرّك وجهرك، وكن كالنازع روحه، أو كالواقف في العرض الأكبر، غير شاغل نفسك عمّا عناك ممّا كلّفك به ربّك في أمره ونهيه، ووعده ووعيده، ولا تشغلها بدون ما كلّفك به ربّك، واغسل قلبك بماء الحزن، واجعل ذكر الله تعالى من أجل ذكره تعالى إيتاك، فإنّه ذكرك وهو غنى عنك، فذكره لك أجلّ وأشهى وأتمّ من ذكرك له وأسبق، ومعرفتك بذكره لك

تورثك الخشوع والاستحياء والانكسار، ويتولد من ذلك رؤية كرمه وفضله السابق، وتصغر عند ذلك طاعتك وإن كثرت في جنب منته، وتخلص لوجهه، ورؤيتك ذكرك له، يورثك الرياء والعجب والسفه والغلظة في خلقه، واستكثار الطاعة ونسيان فضله وكرمه، ولا تزداد بذلك من الله تعالى إلا بعداً، ولا تستجلب به على مضيّ الأيام إلا وحشة. والذكر ذكران: ذكر خالص بموافقة القلب، وذكر صارف لك ينفي ذكره غيره، كما قال رسول الله ﷺ: «أنا لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، فرسول الله ﷺ لم يجعل لذكره الله عزّ وجلّ مقداراً عند علمه بحقيقة سابقة ذكر الله عزّ وجلّ من قبل ذكره، ومن دونه أولى، فمن أراد أن يذكر الله تعالى، فليعلم أنّه ما لم يذكر الله العبد بالتوفيق لذكره، لا يقدر العبد على ذكره - انتهى كلامه رفع الله مقامه -.

أقول: من الطبيعي والوجداني إذا تعلق القلب بمحبوب واحد فإنه لا يتعب من ذكره بل يأنس به ويفرّ ويستوحش من غيره، كما ورد في الخبر الشريف: من استأنس بالله استوحش من الناس، فمن يستأنس بالله يستأنس بكلّ ما فيه اسم الله، يستأنس بتلاوة القرآن الكريم ومجالس الذكر والدعاء ومحافل العلم والوعظ والإرشاد وما شابه ذلك، ونجد هذا المعنى يصدق في العشق المجازي والعشق الحقيقي، فإنّ قيس العامري مجنون ليلي كتب في الصحراء اسمها، ولما سئل عن عمله أجاب: أسليّ قلبي بذكرها، وما كان يفيق من جنونه إلا عندما يسمع اسم ليلي، وهكذا يفعل الحبّ والعشق بأهله، فإنّ العاشق موحد في قوله وفعله، لا يرى إلاّ محبوبه، فمن كان محبّاً لله يذكره، ولا يفتر ولا يتعب من ذلك، فإنّ من أحبّ شيئاً أحبّ ذكره، واستأنس به، ولا يهدأ إلاّ بقاء حبيبه، ولا يطمئنّ قلبه إلاّ بذكر محبوبه. أمّا إذا كان قلب الإنسان متعلقاً بألف محبوب فإنه يستعمل قاعدة (عني بعيد تكن

سعيد) وسرعان ما يتعب بذكر محبوبه الأول فينتقل إلى الثاني وهكذا، ومثل هذا لا يستأنس بذكر المحبوب.

وإذا أردت أن تعرف عظمة الذكر وقيمته، وأثر دوامه، فاسمع لقوله تعالى ولأحاديث رسوله الأعظم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١).

فالدنيا بمفاتنها ومظاهرها الخلابية، ومنها الأموال والأولاد، ربما تلهي المؤمن عن ذكر الله، ونتيجة الغفلة عن الذكر الإلهي هو الخسران في الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

قال رسول الله ﷺ: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً، فإنه ذكر لك في السماء، ونور لك في الأرض.

وقال الإمام العسكري عليه السلام: أكثرُوا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي.

ولا يخفى أن الله سبحانه واجب الوجود لذاته، مستجمع لجميع صفات الكمال والجمال بلا نهاية، فهو مطلق العلم والعلم المطلق، وقدرة وحياة سرمدية بلا نهاية ولا بداية، فهو الأول وهو الآخر، وهو الظاهر وهو الباطن جلّ جلاله وعظم شأنه، فأسماءه الحسنی وصفاته العليا كلّها من دون بداية ونهاية، وكذلك ذكره الجميل، فلا نهاية له.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ما من شيء إلا وله حدّ ينتهي إليه، إلا الذكر

١٤ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

فليس له حدّ ينتهي إليه، فرض الله عزّ وجلّ الفرائض، فن أداهنّ فهو حدّهنّ، إلّا الذكر فإنّ الله عزّ وجلّ لم يرض منه بالقليل، ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه، ثمّ تلا هذه الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ .

قال عليه السلام : أكثروا ذكر الله ما استطعتم في كلّ ساعة من ساعات الليل والنهار، فإنّ الله أمر بكثرة الذكر له .

وقال عليه السلام : إذا ذكر العبد في اليوم مئة مرّة كان ذلك كثيراً .

وعنه عليه السلام : تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذي قال الله عزّ وجلّ :

﴿ أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ .

فلا بدّ من الذكر الكثير والدوام عليه، وإن كان المئة من مصاديقه، وكذلك تسبيح سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، إلّا أنّه أكثروا ذكر الله ما استطعتم في كلّ ساعة من ساعات الليل والنهار، وإنه سبحانه لم يرض منه بالقليل، ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه .

والعجيب أنّ العلم الذي بيد الناس إنّما هو من القليل :

﴿ وَمَا أوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

وإنّ الدنيا التي يتكالب عليها أهلها إنّما هو من القليل :

﴿ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ .

ولكن فوق العلم البشري وفوق الدنيا، هو الذكر الإلهي، فإنّه من الكثير، ولذكر الله أكبر، ومن لم يذكر الله في ساعات حياته فإنّه يتحسّر يوم القيامة على ما فرّط .

قال رسول الله ﷺ: « ما من ساعة تمرّ بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حَسَرَ عليها يوم القيامة»، أي يتحسّر عليها لضياعها وإتلافها، حتّى ولو كسب فيها الدنيا وما فيها.

ومن دعاء علّمه أمير المؤمنين عليه السلام لنوف البطالي:

«إلهي من لم يشغله الولوج بذكرك، ولم يزدك السفر بقربك، كانت حياته عليه ميتة، وميته عليه حسرة»، أي لا حياة له في الدنيا وإن كان يمشي ويأكل، فإنّه بحكم الأموات، وأمّا آخرته، فإنّه يتحسّر على ما فرّط في جنب الله وذكره الجميل.

وفي المناجاة الشعبانيّة: «إلهي وألهمني ولهاً بذكرك إلى ذكرك - أي يصل إلى مقام الوله والعشق ومن خصائصه أن يديم ذكر المحبوب - وهمتي إلى روح نجاح أسألك ومحلّ قدسك».

«أسألك أن تصلّ على محمّد وآل محمّد وأن تجعلني ممّن يديم ذكرك ولا ينقض عهدك».

وفي دعاء كميل عن أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهمّ إنّي أتقرّب إليك بذكرك... وسكنت إلى قديم ذكرك لي ومثك عليّ... يا من بدأ خلقي وذكري وتربيّتي وبرّي وتغذيّتي...»

أتراك معذّبي بنارك بعد توحيدك وبعدهما انطوى عليه قلبي من معرفتك ولهج به لساني من ذكرك واعتقدك ضميري من حبّك... أتسلّط النار على وجوه خرت لعضمتك ساجدة وعلى ألسنٍ نطقت بتوحيدك صادقة وبشرك مادحة... أسألك بحقّك وقدسك وأعظم صفاتك وأسألك أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة... واجعل لساني بذكرك لهجاً وقلبي بحبّك متيمّاً ومنّ

١٦ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

عليّ بحسن إجابتك ... يا من اسمه دواء وذكره شفاء...»^(١).

وقال عليه السلام: «لسان البرّ مستشهد بدوام الذكر، ومداومة الذكر خلصان

الأولياء».

«المؤمن دائم الذكر كثير الفكر».

قال الإمام الصادق عليه السلام: أفضل الوصايا وألزمها أن لا تنسى ربك، وأن

تذكره دائماً ولا تعصيه، وتعبده قاعداً وقائماً.

في وصيّة لأمر المؤمنين عليه السلام حين شهادته: وكن لله ذاكراً على كلّ حال.

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾^(٢).

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾^(٣).

ومن الواضح أنّ الصلاة اليومية من الذكر أيضاً:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾^(٤).

فمن كان مشغولاً بذكر الله قولاً، أو فعلاً، أو حالاً، فإنّه كان في صلاة دائماً،

ومن هذا المنطلق ورد في الخبر الشريف في صفات المؤمنين والمتّقين: «وشغلهم في

صلاة» أي حين التجارة التي فيها معرفة الحلال والحرام وكانت لله سبحانه، وحين

(١) مفاتيح الجنان: ٦٢.

(٢) آل عمران: ١٩١.

(٣) النساء: ١٠٣.

(٤) طه: ١٤.

العمل الذي يقصد به التقرب إلى الله عزّ وجلّ، فإنّه يكون مشغولاً بذكر الله، مطيعاً له عارفاً بالحلال والحرام في كسبه، وكان حينئذٍ في صلاةٍ لربه.

قال الإمام الباقر عليه السلام : لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً، إن الله تعالى يقول :

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا ... ﴾ .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا تزال مصلياً قائماً ما ذكرت الله قائماً وقاعداً، أو في سوقك، أو في ناديك، أو حينما كنت ».

وهذا يعني أنّ الذكر ليس القول اللساني وأفعال الصلاة الظاهرية، بل ربما الإنسان يصلي وله النار، كمن كان غاصباً لحقوق الناس، أو كان ساهياً في صلاته :

﴿ وَيَلُ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ ^(١)، أو كان مرثياً في ركوعه وسجوده وقراءته وأذكاره.

فليس الذكر سبحانه الله والحمد لله وحسب، بل هذا وكلّ قول وفعل وحال يكون في خدمة الله سبحانه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أطاع الله عزّ وجلّ فقد ذكر الله، وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصى الله فقد نسى الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته، فالملك هو الإطاعة والعصيان.

عن الحسين البرزاق قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : ألا أحدثك بأشدّ ما فرض الله عزّ وجلّ على خلقه، قلت : بلى، قال : إنصاف الناس من نفسك ومواساتك

١٨ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

لأخيك وذكر الله في كلّ موطن، أما إنّي لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، وإن كان هذا من ذلك، ولكن ذكر الله في كلّ موطن إذا هجمت على طاعته أو معصيته.

قال الإمام الرضا عليه السلام: من ذكر الله ولم يستبق إلى لقائه فقد استهزأ بنفسه. فمن علامات قبول الذكر الإلهي أنّ الذّاكر يشتاّق إلى لقاء محبوبه ومونسه، وإلاّ مجرد لقلقة اللسان ليس إلاّ من الاستهزاء بالنفس.

قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ذكر الله عند ما أحلّ وحرّم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: الذكر ذكران: ذكر الله عند المعصية حسن جميل، وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرّم الله، فيكون ذلك حاجزاً.

وقال عليه السلام: من كان ذاكراً لله على الحقيقة فهو مطيع، ومن كان غافلاً عنه فهو عاص، والطاعة علامة الهداية، والمعصية علامة الضلالة، وأصلهما من الذكر والغفلة.

قال الإمام الباقر عليه السلام: ثلاث من أشدّ ما عمل العباد: إنصاف المرء من نفسه، ومواساة المرء أخاه، وذكر الله على كلّ حال، وهو أن يذكر الله عزّ وجلّ عند المعصية، يهّمّ بها فيحول ذكر الله بينه وبين تلك المعصية، وهو قول الله عزّ وجلّ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾.

فالمؤمن الواقعي من أبرز خصائصه ذكره الله جلّ وعلا دائماً وكثيراً وفي كلّ الأحوال، فلا يفتر عن تسيّحه وتحميده وتهليله وتكبيره، وإنّه دائماً يطرق باب الله في أدعيته ومناجاته وأوراده وأذكاره، يتقرّب إليه بالنوافل حتّى يصل

إلى مقام الحبّ الإلهي^(١)، وحينئذ ينظر بنور الله، ويكون الله سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، فتتجلّى فيه أسماؤه الحسنى، ويكون مظهراً لصفاته عزّ وجلّ.

ففي الحديث القدسي: «عبدى أطعني أجعلك مثلي، أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون»، و«العبودية جوهرية كنهها الربوبية»، ومن يصل إلى مثل هذا المقام العظيم والمنزلة الشاخصة كيف يغفل عن ذكر الله:

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾^(٢).

وهذه الآية الشريفة تعني أنّ الذكر الإلهي وأثره الشاخص إنّما هو باعتبار النفس الإنسانية التي ترجع بعد كمالها وتهذيبها إلى ربّها راضية مرضيّة، فهي تعمّ الرجال والنساء كمقام الولاية، فكلّ من الرجل والمرأة بإمكانها أن يكونا ولياً لله، وأن يكونا من الذاكرين والذاكرات.

ومن المعلوم أنّ متعلّق الذكر هو الله سبحانه، ثمّ كلّ ما ينسب إليه ويذكرنا به، كالآيات التي تتجلّى فيها قدرة الله وتدييره:

﴿ فَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾^(٣).

﴿ وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ اللَّهُ ﴾^(٤).

والنظر إلى وجه علي بن أبي طالب عليه السلام عبادة، لأنّه يذكر الناظر بالله،

(١) تعرّضت لبيان هذا المقام في (حبّ الله نماذج وصور)، مطبوع، فراجع.

(٢) الأحزاب: ٣٥.

(٣) إبراهيم: ٥.

(٤) الأعراف: ٨٦.

٢٠ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

وكذلك النظر إلى الكعبة والقرآن الكريم ووجه العالم وباب داره، كما ورد في الأخبار الشريفة.

ولما سأل الحواريون عيسى بن مريم: يا روح الله، من نعاشر؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيدكم في علمكم منطقته، ويرغبكم في الآخرة عمله.

هذا ومما يوجب سعادة الإنسان في الدارين هو الذكر الإلهي، وذلك في كل الأحوال، إلا أن هناك مواقف يتبلى الإنسان فيها بالغفلة والسهو والنسيان أكثر من غيرها، فلا بد أن يتلفت أن في تلك المواقف عليه أن يذكر الله كثيراً، حتى لا يكون مع الغافلين في تلك المواقف.

زيادة الذكر في هذه المواقف

١ - عند دخول الأسواق :

فإن السوق يعدّ من أتمّ مظاهر الدنيا، وكثيراً ما ينسى الإنسان نفسه ويغفل عن ربّه عند البيع والشراء، وهمة المتبايعين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« أكثروا ذكر الله عزّ وجلّ إذا دخلتم الأسواق وعند اشتغال الناس فإنّه كفارة للذنوب وزيادة في الحسنات، ولا تكتبوا في الغافلين.»

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب الله له ألف حسنة ويغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر.»

٢- عند اللذات وفي الخلوات :

أكثر الناس لا يعصي الله في محضر الآخرين حياءً وخوفاً من الفضيحة، ولكن لقلّة معرفته ولجهله يعصي الله في خلواته وفي محضر الله سبحانه، ففي مثل هذه المواقف من الطبيعي أن يحتاج الإنسان إلى الذكر الإلهي والمذكر الإلهي، ليعصمه عن الغفلة والسهو.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : «أسخن الخلوة بالذكر، وأصحاب النعم بالشكر».

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً».

وقال الإمام الباقر عليه السلام : «في التوراة مكتوب : يا موسى، اذكرني في خلواتك وعند سرور لذاتك، أذكرك عند غفلاتك».

٣- عند الغضب :

الغضب على نحوين : رحماني وشيطاني، فالغضب في غير محلّه، وما لم يكن لله سبحانه فهو من الشيطان الرجيم. والمؤمن لا يغضب إلاّ لله وفي الله، فلا تأخذه في الله لومة لائم. إلاّ أنّه في كثير من الأحيان تتغلب القوّة الغضبيّة في مقام الانتقام وما شابه على القوّة العاقلة، فيكون غضبه من الغضب الشيطاني الذي لا يحمد عقباه، ويحضره الشيطان مسروراً به، ليضلّه عن الصراط المستقيم ويغويه عن الحقّ، فيصمّ سمعه ويعمي بصره، ويتبع الباطل، متخبطاً في ظلام الجهل والعصيّة التي هي ضرب من الجنون.

في مثل هذا الموقف الخطير على الإنسان أن يذكر ربّه :

٢٢ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله إلى نبيّ من أنبيائه: ابن آدم اذكرني عند غضبك أذكرك عند غضبي فلا أحقك فيمن أحق»، وهذا من باب ﴿ اذْكُرُونِي اذْكُرْكُمْ ﴾.

٤- عن همك إذا همت :

العمل الذي يصدر من الإنسان اختياراً تتقدّمه الإرادة التي هي عبارة عن تصوّر الفعل، والتصديق بفائدته، والشوق، فالشوق المؤكّد المحرّك للعضلات الذي يصدر منه الفعل مباشرة، فيهمّ الفاعل على العمل، في مثل هذا الموقف عليه أن يذكر الله سبحانه ويحاسب نفسه في أفعاله وأعماله فإنّها لله أو لغيره، وكذلك إذا ابتلى بالهمّ والغمّ - الغمّ على ما مضى والهمّ على المستقبل المجهول - فعليه أن يذكر الله، وهكذا في كلّ موقف خطر كحضور القسمة والحكم بين المتخاصمين وما شابه ذلك.

قال رسول الله ﷺ: « اذكر الله عند همك إذا همت، وعند لسانك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت».

٥- عند لقاء العدو :

من المواقف الصعبة ساحات الوغى، فإنّ الشيطان يخوّف المؤمنين بكثرة الأعداء، فعليهم أن يذكروا الله كثيراً ويتخلّصوا من شروره وأحزابه وأعدائه من الجنّ والإنس، ووساوسهم وتثبيطهم العزائم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١).

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : « إذا لقيتم عدوّكم في الحرب فأقلّوا الكلام، وأكثرّوا ذكر الله ».

٦ - عند الطعام :

عن أمير المؤمنين عليه السلام : أكثرّوا ذكر الله على الطعام ولا تطغوا، فإنّها نعمة من نعم الله ورزق من رزقه، يجب عليكم فيه شكره وحمده.

٧ - عند حلق الذكر :

عن الحسن بن علي عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : بادروا إلى رياض الجنّة. فقالوا : وما رياض الجنّة ؟ قال : حلق الذكر.

وهذا لا يعني كما عند بعض الصوفيّة أن يتركوا الواجبات ويكتفوا بمحلقات ذكريّة بمركات خاصّة من الدروشة الباطلة الضالّة المضلّة.

وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج على أصحابه فقال : ارتعوا في رياض الجنّة.

قالوا : يا رسول الله، وما رياض الجنّة ؟ قال : مجالس الذكر، اغدوا وروحوا

واذكروا، ومن كان يحبّ أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإنّ

الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل العبد الله في نفسه، واعلموا أنّ خير أعمالكم عند

مليكمم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله

تعالى، فإنّه تعالى أخبر عن نفسه فقال : أنا جليس من ذكرني. وقال سبحانه :

﴿ فَأذْكَرُونِي أذْكَرُكُمْ ﴾ يعني اذكروني بالطاعة والعبادة أذكركم بالنعم والإحسان

والرحمة والرضوان^(١).

(١) البحار ٩٠ : ١٦٣، عن عدّة الداعي : ١٨٦.

٢٤ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

ومجالس الذكر يعني مجالس العلم النافع والعمل الصالح.

قال لقمان لابنه : يا بني، احذر المجالس على عينيك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله عزّ وجلّ فاجلس معهم، فإنّك إن تكن عالماً يزيدوك علماً، وإن كنت جاهلاً علّموك، ولعلّ الله أن يطلعهم برحمته فيعمّك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإنّك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعلّ الله أن يظلمهم بعقوبة فيعمّك معهم.

آثار الذكر وثمراته

الذكر من المعاني الإضافية التي يتوقف تعقلها وتصورها على تصوّر معانٍ أخرى، فالذكر واسطة بين الذاكر والمذكور، كالعلم بين العالم والمعلوم.

والإنسان المؤمن هو الذاكر لله، فالمذكور هو الله سبحانه، والذكر حالة الحضور واليقظة في خدمة رب العالمين بقولٍ أو فعل.

وللذكر الإلهي آثار وثمرات كلية وجزئية، روحية وجسدية، فردية واجتماعية، في الدنيا والآخرة. فالمجتمع الذاكر لله عزّ وجلّ يمتاز عن غيره بحكومة الفضائل الأخلاقية وتسوده السجايا الكريمة، حتى تكون الدنيا مزرعة الآخرة، فيعيش الإنسان تلك الحياة الطيبة التي وعدها الله سبحانه.

وإنما نعرف ثمرات الذكر ممّن يعلم بها، من خلال الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة الصادرة عن الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الأبرار الأئمة المعصومين الأطهار عليهم السلام.

فإليك نماذج من تلك الآثار التي لا تعدّ ولا تحصى، فإنّ الذكر من نعم الله، ﴿إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ﴿نعمة واحدة لا يمكن إحصاؤها، فكيف بالنعم الإلهية الأخرى؟!﴾

١- التفاعل بين الذاكر والمذكور :

ما يلفت النظر في الذكر الإلهي خاصة أنه هناك تفاعل بين الذاكر والمذكور كالحبّ والعشق والأنس بين الحبيبين، فربما في الناس من يذكر الآخرين إلا أنه يهمل من قبلهم، ولا يعتنى به، حتى يبيت وذكره لا ذكر، ولكن الذكر مع الله كما وعدنا سبحانه وتعالى يختلف، فإن من يذكر الله عزّ وجلّ فإن الله يذكره أيضاً، بل ويزيد برحمته الرحمانية والرحيمية، وبلطفه الخاصّ.

قال عزّ من قائل :

﴿ فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾^(١).

وليس هذا في الذكر الإلهي وحسب بل في النصرة الإلهية وغيرها كذلك :

﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾^(٢).

﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ ﴾^(٣).

فالحركة أولاً من الإنسان، فهو الذي يقبل على ربه، فإن تقدّم إليه خطوة فإنّ الله يتقدّم إليه بخطوات بل وأمتار، وأميال.

فمن لم يشكر فقد كفر بنعمة الله التي لا تعدّ ولا تحصى :

﴿ وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾^(٤).

(١) البقرة : ١٥٣.

(٢) محمد : ٧.

(٣) البقرة : ٤٠.

(٤) إبراهيم : ٧.

ومن يذكر الله فإنه يذكره ويضاعف له، فينقلب الأمر تفاعلاً بين العبد وربّه فيكون المذكور ذاكراً والذاكر مذكوراً، فما أعظم هذه المنزلة الرفيعة؟ وكأنّها من اتّحاد العقل والعامل والمعقول.

عن الإمام الصادق عليه السلام :

قال الله تعالى : يا ابن آدم، اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي - فيكون الإنسان مذكور الله جلّ جلاله - ابن آدم اذكرني في الخلاء أذكرك في خلاء، ابن آدم اذكرني في ملاء أذكرك في ملاء خير ملائك.

قال الله تعالى :

لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملاء من ملائكتي، ولا يذكرني في ملاء إلا ذكرته في الرفيق الأعلى.

قال الله تعالى :

عبدي إذا ذكرني خالياً، ذكرتك خالياً، وإن ذكرني في ملاءٍ ذكرتك في ملاءٍ خير منهم وأكثر.

هذا كلّ من فضل الله ورحمته الواسعة ولطفه العميم وربوبيّته القدسيّة، فذكره لعبده أن يجعله مثله - بفتح الميم - كما ورد في الخبر الشريف (عبدي أطعني حتى أجعلك مثلي...) فالعبد الذاكر المطيع لمولاه المخالف لهواه، الصائن لنفسه، يصل إلى قاب قوسين أو أدنى من رحمة الله جلّ جلاله. كلّ ذلك تشريفاً لبني آدم وتكريماً له :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ ^(١).

وفي مناجاة الذاكرين للإمام زين العابدين: «وقلت وقولك الحق ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ فأمرتنا بذكرك ودعوتنا عليه أن تذكرونا تشریفاً لنا وتفخيماً وإعظماً، وهانحن ذاكروك كما أمرتنا، فأنجز لنا ما وعدتنا يا ذاكر الذاكرين».

فربنا الكريم يذكر عبده المؤمن المطيع بالرحمة والبركة وخير الدنيا والآخرة، وأما من كان من الطغاة الجبابرة الجائرين، فإنه إن ذكر الله، فلا يزيده ذلك إلا خسراناً، ويكون بحكم القرآن الكريم الذي هو من مصاديق الذكر الأتمّ.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١).

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٢).

فمثل هؤلاء العصاة إن ذكروا الله، فإنه يذكرهم باللعنة والعذاب وبئس المصير.

قال الإمام الصادق عليه السلام: أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام: قل للجبارين لا يذكروني، فإنه لا يذكرني عبد إلا ذكرته، وإن ذكروني ذكرتهم فلعتهم.

والجبارية وإن كان المصداق الأتم لها فرعون وأمثاله، إلا أنها من الكلّي ذات التشكيك ذات مراتب طولية وعرضية، وكل من يعصي الله فهو جبار بالنسبة، فلا تغفل.

(١) الحجر: ٩.

(٢) الإسراء: ٨٢.

٢- يذكر الذاكر في السماء :

الإنسان الأرضي الترابي لو ذكر الله سبحانه، فإنه يخلّق في سماء الفضائل والمكارم حتى يذكر في السماء بين ملائكة الله عزّ وجلّ، وربما يكون في الأرض مجهولاً مغموراً لا يعرف، ولكن تعرفه ملائكة السماء ويكون من أهل النور في الأرض، فلا يعيش في ظلام الجهل والشقاء.

قال رسول الله ﷺ : عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً، فإنه ذكر لك في السماء ونورٌ لك في الأرض.

ومن يعيش والنور يسعى بين يديه، فإنه يأمن السقوط في الحفرة، ولا يرتطم بالجدار، وهذا أمر واضح البرهان.

٣- الاحتراس عن غضب الله :

المؤمن يخاف الله ويرجوه، فالرجاء والخوف نوران في قلبه، فلا يأمن مكر الله وغضبه، ويحترس من تقمته بلطفه وكرمه ورحمته، فيهرب منه إليه، كالطفل الذي يلقي بنفسه في حضن أمه، وإن كان تضربه تأديباً.

قال أمير المؤمنين عليه السلام : احترسوا من الله عزّ ذكره بكثرة الذكر.

وربما المعنى : اجعلوا لأنفسكم حارساً يحرسكم من البلايا والمصائب، وذلك بذكر الله سبحانه، فهو خير حارس.

٤- خواصّ العباد :

الناس مع الله سبحانه على نوعين : منهم من عامّة الناس، ومنهم من خواصّ

٣٠ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

عباد الله، وكلّ واحد بفطرته السليمة ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾^(١)، يجب أن يكون من خاصّة أولياء الله، وهناك عوامل تقربّه إلى هذا المقام الشايع، ومنها ذكر الله سبحانه.

قال النبي ﷺ عندما سأله رجل أن يكون أخصّ الناس إلى الله تعالى: «أكثر ذكر الله تكن أخصّ العباد إلى الله تعالى».

قيل له ﷺ: من أكرم الخلق على الله؟ قال: أكثرهم ذكراً لله وأعلمهم بطاعته.

٥- الارتواء عند الموت :

الذاكر يرتوي بشراب طهور عند موته. إنّ في الجنة شراباً طهوراً ولبناً وعسلاً، وإذا مات المرء قامت قيامته، وإنّ القبر إمّا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، وعند الاحتضار يفتح عين الإنسان البرزخية، كما يفتح سمعه، فيرى عوالم الآخرة من الثواب والعقاب، فمن كان ذاكراً لله سبحانه طيلة حياته، فإنّه لا يصاب بالعطش، بل يرتوي من كأسٍ دهاقاً، فيه لذة للشاربين، ويحلّو له الموت ونزع الروح، وأمّا من كان غافلاً عن ذكر الله، وكان من الفاسقين، فإنّه من شدّة هول المطلع يصاب بالعطش الشديد ويلهث عطشاً، فيسقى من ماء كالغسلين.

قال رسول الله ﷺ: كلّ أحد يموت عطشان إلاّ ذاكراً لله.

ومن لطف الله ما ذكرته في شرح الرواية مقدّمة كان من الإلهام أولاً، ثمّ

أخيراً سألني أحد^(١) الإخوة العاملين في مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامّة بقم المقدّسة عن رواية وجدّها في كتاب خطّي بأنّه ورد في الحديث الشريف أربعة يشربون من الكوثر قبل موتهم وفي آخر لحظة من حياتهم، وقد ذكر في الكتاب ثلاثة وكان يسألني عن الرابع وأمّا الثلاثة فهم: من برّ والديه، وأن لا يرّد سائلاً من بابه، وقرض الحسن.

وأما الرابع فلم يكتب عنه، فقلت له: لعلّه الذاكر لله لأنّه ورد في الخبر النبوي الشريف «كلّ أحد يموت عطشاناً إلا ذاكر الله»، فإنّه قبل موته يشرب من الكوثر حتّى لا يموت عطشاناً، ثمّ شكرت الله على ما تفضّل عليّ أن جعل ما خطر في ذهني مطابقاً للرواية.

٦- سلامة الموت :

الإنسان كما يحبّ أن يعيش بسلامة وصحّة وعافية، فإنّه يودّ أيضاً أن يكون موته بسلام :

﴿ سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾^(٢).

والمؤمن يموت بعافية وبسلامة الموت وحسن الميتة، ومن يتعسّر في موته من المؤمنين فإنّما ذلك كفّارة لذنوبه، فإنّ الله من حبّه له، وليدخله الجنّة، يطهره قبل موته بالمصائب والمتاعب والحياة الصعبة في الماديات من الفقر والأمراض وما شابه ذلك، وإذا لم يغفر له، فإنّه يبتلي بعسر الموت، حتّى لا يخرج من الدنيا

(١) الأَخ طالبِي.

(٢) مريم : ١٥.

إلا والله سبحانه راضٍ عنه :

﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾^(١).

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(٢).

فمن يذكر الله فإن الله يتفضل عليه بالنعم الجسيمة في الدنيا وفي الآخرة فمن آثار الذكر الدنيوية، أنه لا يموت بصاعقة سماوية من الرعد والبرق.

قال الإمام الصادق عليه السلام : الصاعقة تصيب المؤمن والكافر، ولا تصيب

ذاكراً.

٧- لسان الصدق :

من أدعية إبراهيم الخليل عليه السلام أن ﴿ أَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾^(٣) فالمرء يحب أن يذكر من بعد موته بالخير والإحسان وصدق الأقوال والأفعال، فن غرائزه (غريزة حبّ الخلود)^(٤)، والإسلام بنهجه القويم هدى هذه الغرائز إلى كمالها وجمالها، فجعل قوام غريزة حبّ الخلود في العلم النافع والولد الصالح والصدقة الجارية التي يتركها من بعد موته، فعلم الإنسان كيف يعيش صادقاً، وكيف يموت صادقاً، ويترك من بعده ثروة من الثناء الجميل والذكر الحسن ولسان صدق في الآخرين، وكيف يكون اسمه في عداد الطيبين الأخيار، الذين

(١) التوبة : ٧٢.

(٢) المائدة : ١١٩.

(٣) الشعراء : ٨٤.

(٤) لقد ذكرت تفصيل الغرائز في (علم النفس الإسلامي)، فراجع.

خدموا الله بخدمة دينه وخدمة خلقه .

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : « من اشتغل بذكر الله طيب الله ذكره » .

٨- الفوز في الدارين :

الفوز في الدارين - الدنيا والآخرة - أمنية كل مؤمن ومؤمنة .

﴿ مَنْ رُحِّحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ ^(١) .

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ ^(٢) .

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٣) .

﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٤) .

﴿ فَاسْتَبَشِرُوا بِنِعْمَتِكُمُ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٥) .

﴿ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٦) .

﴿ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٧) .

﴿ فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ ^(٨) .

(١) آل عمران : ٨٥ .

(٢) الأحزاب : ٧١ .

(٣) المائدة : ١١٩ .

(٤) التوبة : ٧٢ .

(٥) التوبة : ١١١ .

(٦) غافر : ٩ .

(٧) الدخان : ٥٧ .

(٨) الجاثية : ٣٠ .

﴿ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢).

﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

﴿ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٤).

﴿ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٥).

﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٦).

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ (٧).

وهناك الآيات القرآنية الأخرى التي تشير إلى مقام الفائزين، وعوامل فوزهم بالسعادة الأبدية :

﴿ أَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ (٨).

كما هناك المئات من الروايات الشريفة، ومنها :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : ذاكر الله من الفائزين .

فذكر الله يجعل الإنسان المؤمن من السعداء المتقين المطيعين المغفور لهم،

(١) الصف : ١٢ .

(٢) التغابن : ٩ .

(٣) النساء : ٧٣ .

(٤) المؤمنون : ١١١ .

(٥) النور : ٥٢ .

(٦) الحشر : ٢٠ .

(٧) النساء : ٣١ .

(٨) هود : ١٠٨ .

الداخل في رحمة ربه وفضله، ليسكن مساكن طيبة في جنّات عدن خالدين فيها أبداً، وذلك هو الفوز العظيم.

٩- الذكر جهاد :

الحياة عقيدة و جهاد، شعور وشعار، فالمؤمن الرسالي من يحمل المبادئ والعقائد الصحيحة، ويجاهد من أجل تثبيتها ورسوخها ودوامها في المجتمع وفي نفسه، وإن الله ليحبّ المجاهدين في سبيله، وإنه ليبغض من يهرب من ساحات الوغى جبناً وخوفاً، فإنه يحبّ المؤمن القويّ، ويبغض المؤمن الضعيف.

والغالب على المجتمعات البشرية في نواديها ومحافلها الغفلة والنسيان :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ (١).

فيخوضون في الملاهي والملاذ، وتغرّهم الدنيا بمفاتها الكاذبة وزخارفها الخادعة. إلا أنّ الذّاكر لله فيهم يعدّ كالمجاهد في سبيل الله سبحانه بل :

قال رسول الله ﷺ :

ذاكر الله في الغافلين، كالمقاتل عن الهاريين.

بل يكون الذكر حينئذٍ من أحبّ الأعمال لله.

قال ﷺ :

أحبّ الأعمال إلى الله سبحانه الحديث، قيل: وما سبحة الحديث؟ قال: يكون

القوم يحدثون والرجل يستبح.

١٠- الذكر مفتاح الصلاح :

أخبرنا أمير المؤمنين عليه السلام في نهجه البليغ: أن العلماء كانوا في كتابتهم الرسائل بعضهم لبعض يصدرونها - من باب التذكّر والموعظة وأنها تنفع المؤمنين - بهذه الكلمات الثلاثة: «من أصلح بينه وبين الله أصلح الله بينه وبين الناس، ومن أصلح سريره أصلح الله علانيته، ومن أصلح آخرته أصلح الله دنياه»، فإن الله يتكفل بإصلاح حال الإنسان المؤمن ويدبّر أمره ويدبّر شأنه، فيصلح حياته في الدارين، وفي الدنيا سواء الحياة الفردية بينه وبين ربّه، أو الحياة الاجتماعية بينه وبين الناس، فيحياه حياة طيبة، ويسعده في الدنيا والآخرة، وذلك هو الفوز العظيم.

ولكلّ شيء بداية ومفتاح لفتح الأبواب، ومفتاح باب الصلاح والإصلاح هو الذكر الإلهي.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: دوامة الذكر قوت الأرواح ومفتاح الصلاح.

وقال عليه السلام: أصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله.

وإذا صلح القلب صلحت الجوارح والجوانح الأخرى، فإن القلب سلطان البدن، والناس على دين ملوكهم، فصلاح الجوارح بصلاح القلب وعمارته بذكر الله.

قال عليه السلام: «من عمّر قلبه بدوام الذكر حسنت أفعاله في السرّ والجهر».

وفي الحديث القدسي: «أيّما عبد أطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك

بذكرى تولّيت سياسته، وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه».

الله أكبر ما هذه المنزلة العظيمة؟ الله خالق الكون الحيّ الحكيم، العالم بكلّ

شيء، والقادر على كل شيء، يكون جليس العبد المسكين الضعيف العاجز الجاهل، فيحادثه ويناجيه في سرّه ويستأنس به، ومن استأنس بالله استوحش من الناس^(١).

فيما أوصى الإمام عليّ^{عليه السلام} إلى ابنه الحسن المجتبي^{عليه السلام} : «أوصيك بتقوى الله يا بني، ولزوم أمره وعمارته قلبك بذكره».

١١ - الذكر حياة القلوب :

لقد مدح الله سبحانه في كتابه الكريم قلوباً^(٢) كالقلب السليم والمطمئن، كما ذم قلوباً كالمریض والقاسي.

والقلب المعنوي الذي يمثله القلب الصنوبري يحيى ويموت، فإنّ موته بالذنوب والآثام والمعاصي والفواحش ما ظهر وما بطن، فإنّها ممّا تميت القلب. كما أنّ العلم والمعرفة والأذكار والأوراد والأدعية وتلاوة القرآن وغيرها، من قالها خالصاً مخلصاً، فإنّها تحيي القلوب، وتنير العقول، وتزكي الأبواب، وتشرح الصدور، فيعيش الإنسان حينئذٍ أفضل حياة، وتكون حياته حياة طيبة، وإنه يسلك سبل النجاة، حتّى يفوز بسعادة الدارين.

قال أمير المؤمنين عليّ^{عليه السلام} : اذكروا الله ذكراً خالصاً، تحيوا به أفضل حياة، وتسلکوا به طرق النجاة.

(١) كتبت بالتفصيل عن الأنس بالله في (مقام الأنس بالله)، وهو مطبوع، فراجع.

(٢) لقد كتبت عن هذا بالتفصيل أيضاً في (حقيقة القلوب في القرآن الكريم)، وهو مطبوع،

وقال عليه السلام : في الذكر حياة القلوب .
 وقال عليه السلام : من ذكر الله سبحانه أحيا قلبه ، ونور عقله ولبه .
 وقال : «الذكر نور العقول وحياة النفوس وجلاء الصدور» .
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بذكر الله تحيي القلوب ، وبنسيانها موتها .

١٢- الذكر نور القلوب :

من لم يكن له نور يمضي به فإنه لا محالة يتخبط في الظلام الدامس ، وسرعان ما يقع في حفرة أو يصطدم بجدار ، أو يعثر بحجر ، أو يضل الطريق ، فيخسر ويهلك ، وهذا أمر بديهي ، يقرُّ به الوجدان .

فكل واحد في حياته يبحث عن نور يستضيء به في دهاليزها ودروجها ، ومن الواضح أن النور ظاهر بنفسه ومظهر لغيره ، والنور الأتم هو الله سبحانه :
 ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

ثم يتمثل هذا النور الإلهي في رسله وأنبيائه فيكون خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم :
 ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِضْبَاحٍ ﴾ .

فيكون الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم هو السراج المنير ، ثم من بعده أوصياؤه وخلفاؤه أئمة الحق عليهم السلام : «وكنتم أنواراً بعرشه محدقين»^(١) ، ويكون القرآن الكريم من مصاديق النور الإلهي كما يكون أحاديث النبي وأهل بيته كذلك «وكلامكم نور»^(٢) .

ومن مصاديق النور في حرم الله وعرش الرحمن ، أي في قلب المؤمن ،

(١) و (٢) من زيارة الجامعة الكبيرة في كتاب مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي عليه الرحمة .

هو الذكر الإلهي .

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام :

« عليك بذكر الله فإنه نور القلوب » .

« الذكر نور ورشد ، النسيان ظلمة وققد » .

« الذكر جلاء البصائر ونور السرائر » .

« الذكر هداية العقول ، استنارة القلوب » .

« ذكر الله تستنجح به الأمور ، وتستتير به السرائر » ، فمن ثمرات الذكر نجاح

الأمر أيضاً كما ينير البواطن والسرائر - سريرة الإنسان - .

« من كثر ذكره استنار لبه » .

« من ذكر الله استبصر » ، زاد الله في بصيرته للأمر ، فبرى حقائق الأشياء

وملكوتها .

« دوام الذكر ينير القلب والفكر » .

١٣ - الذكر جلاء القلوب :

من الأصول الأولية في علمي الأخلاق والعرفان لمن أراد السير والسلوك

إلى الله سبحانه ، أن يهذب نفسه ويزك قلبه بطيِّ مراحل ثلاثة :

١ - التخلية : بمعنى أن يطهر قلبه من الأوساخ ، ويخلي نفسه من الصفات

الذميمة والأخلاق السيئة ، كحب الدنيا والتكبر والحسد والرياء .

٢ - والتحلية : بمعنى أن يحلِّي قلبه ويزينه بأثواب إيمانية ، وحلل مطهرة ، من

الأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة ، كحب الله والتواضع والإخلاص وما شابه

- كما هو مذكور في كتب الأخلاق والعرفان - .

٤٠ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

٣- التجلية : لا توقّف في السير إلى الله بل بعد مجاهدة النفس بالجهاد الأكبر، وبعد التخلية والتحلية لا بدّ للسائر السالك أن يجلّي هذه الصفات الحميدة ومكارم الأخلاق، فيصيقها، وإلى ربك المنتهى، ولا نهاية في ذات الله وفي أسمائه وصفاته، فيكون السالك مجاهداً وكادحاً إلى ربّه كدحاً فلاقيه، في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر.

فلا بدّ للقلب من جلاء، فإنّه يعلوه غبار الغفلات والسهوات بارتكاب المكروهات والشهوات، فجلاءه بذكر الله عزّ وجلّ.

وإنّ القلب ليصدأ كالحديد، فجلاءه بالذكر، ومن الذكر القرآن، والأحاديث الصادرة عن رسول الله ﷺ وعن أهل بيته الأطهار، فإنّ حديثهم جلاء القلوب، وبالذكر تفتح القلوب والمسامع والأبصار، فينظر بنور الله، ويكون سبحانه سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، فيرى ما لا يرى غيره، ويسمع ما لا يسمعه غيره.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«إنّ الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العسوة، وتنقاد به بعد المعاندة».

«إنّ الله سبحانه لم يعط أحداً بمثل هذا القرآن، فإنّه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينايع العلم، وما للقلب جلاء غيره».

١٤- الذكر شفاء القلوب :

لا ينكر أنّ الإنسان ذو بعدين، فإنّه مركّب من روح وجسد، وللروح ما للجسد، وتزيد عليه من البقاء والخلود وما شابه، فكما أنّ الأجساد تبلى

بالأمراض والأسقام، كذلك الأرواح^(١) والقلوب والعقول^(٢).

وإذا كان القلب الصنوبري المادي يتلى بأمراض كسد الشرايين، ممّا يوجب الجلطة والسكتة القلبية وموت الفجأة، كذلك القلب المعنوي يتلى بأمراض روحية من الصفات الذميمة، كالحسد والحقد والبغض وما شابه.

وإذا كان شفاء القلب الصنوبري يتمّ بمراجعة الطبيب واستعمال نسخته والوقاية والمعالجة، كذلك القلب المعنوي، بلا فرق بل ويزيد المعنى على المادة لبقاءها وخلودها وفناء المادة.

فلا بدّ من المراجعة إلى أطباء الروح، وهم أنبياء الله ورسله وأوصيائهم عليهم السلام، ومن ثمّ ورثتهم من العلماء الصالحين. ثمّ استعمال العلاجات الطيبة، ولا يكتفى بالنسخة والوصفة، فإنّها لو كرّرها ألفاً لا تنفع، ولا توجب الشفاء، ما لم تستعمل كما يقوله الطبيب، ويتحمّل مرارة الأدوية وصعوباتها.

والذكر الإلهي فيه شفاء القلوب، وإنّ القرآن من الذكر فيه شفاء للمؤمنين، لأنّهم يطبّقون آياته في حياتهم، ولكن لا يزيد الظالمين إلاّ خساراً، فإنّهم كتبت لهم الوصفات الطيبة، إلاّ أنّهم لم ينجعهم ذلك، لتركهم الاستعمال.

في دعاء كميل لأمر المؤمنين عليهم السلام: «يا من اسمه دواء وذكره شفاء»، أي أنّ أسماء الله من الدواء، ولكن إنّما ينفع عند الاستعمال فذكره شفاء. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ذكر الله شفاء القلوب».

(١) ذكرت ذلك بالتفصيل في كتاب (أخلاق الطبيب في الإسلام)، مطبوع في المجلد الثالث من موسوعة (رسالات إسلامية)، فراجع.

(٢) في الكتب الأخلاقية المراد من الروح والقلب والعقل معنىً ومفهوماً واحداً.

«عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء» .
قال أمير المؤمنين عليه السلام : «ذكر الله دواء إعلال النفوس» .

١٥- الذكر اطمئنان القلوب :

العالم اليوم يعيش القلق والاضطراب، فالمجتمعات البشرية الصغيرة والكبيرة مع ما عندها من التقدم التكنولوجي والحضارة الصناعية، إلا أنها تعيش الدمار والدعارة والانحطاط، فما تفتح المذيع إلا وتسمع الحروب الدامية والقتل والنهب والتكالب على جيفة الدنيا الدنيّة، فأصبح العالم البشري يحكمه قانون الغابات، فإنّ القويّ يأكل الضعيف في كلّ شيء، في السياسة والاقتصاد والثقافة وغير ذلك، وكادت الدنيا تكون المستشفى الكبرى التي يسكنها أناس ابتلوا بأنواع الأمراض، فلا تجد الصاحي إلا النادر، والنادر كالمعدوم.

والحياة أيامها قصيرة، لها بداية ونهاية، إلا أنّه من الناس من كان بوعي كامل، عرف كيف يعيش في متن الحياة، وعرف قيمتها وأنها متجر أولياء الله، ومزرعة الآخرة، ومنهم من عاش في هامشها، ولم يفهم من الحياة إلا الأكل والشرب واتباع الملائد الحيوانيّة، فكانت حياته حياة حيوانية كالأنعام، بل أضلّ سبيلاً.

فتعال لنبدأ الحياة من جديد، ونستغلّ الساعة التي نحن فيها، فنُدع القلق لتعيش برغد وسعادة، وأمن وأمان واطمئنان القلوب وانسراح الصدور.
قال الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ذكر الله جلاء الصدور وطمأنينة القلوب.
 في دعاء للإمام زين العابدين عليه السلام: إلهي بك هامت القلوب الواهية، وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة، فلا تظمنّ القلوب إلا بذكراك، ولا تسكن النفوس إلا عند رؤياك.

ورؤية الله إنما تكون بالقلوب التي في الصدور مطلقاً، في الدنيا والآخرة، فإنه عزّ وجلّ لا يرى بالأبصار والعيون التي في الرؤوس، فإنه يلزمه الجسميّة التي تتنافى مع واجبيّة الوجود لذاته.

وأيضاً في الدعاء: «إلهي فاجعلنا من الذين توشّحت [ترسّخت - خ ل] أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، واطمأنت بالرجوع إلى ربّ الأرباب أنفسهم، وتيقّنت بالفوز والفلاح أرواحهم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في غرره: «بالذكر يشرح الصدر».
 «الذكر يشرح الصدر».

١٦- الذكر مفتاح الأنس :

والإنسان بطبعه المدني يألف ويؤلف، وسرعان ما يستأنس بشيء، فإنه اشتقّ من الأنس فسّمى إنساناً، وربما يأنس بما لا قيمة له، من الوهميات والأموال الزائلة، أو يأنس بصديق فيبيح له سرّه، فينقلب يوماً عدوّاً له، فيندم على أنسه وحبّه الذي كان في غير محله.

والأنس الواقعي الذي لا ندامة فيه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، هو الأنس بالله سبحانه، ومن كان الله مؤنسه وأنيسه، فأبى شيء يفقد حينئذٍ، فإذا فقد من وجده، وماذا وجد من فقده؟

٤٤ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

فمن سعادة العبد أن يأنس بحضور مولاه، ويكون بخدمته يناجيه ويلاطفه،
والعبد المؤمن إذا اشتاق أن يتحدث مع ربه قام فصلّى وناجاه في الخلاء والملاء، وإذا
اشتاق أن يسمع كلامه عزّ وجلّ، فتح كتابه الكريم القرآن الحكيم، فيتلو آياته
مستبشراً برحمة ربه وكلامه المقدّس.

وربما المرء بذنوبه وآثامه يغلق على نفسه باب الموانسة مع ربه، فيعيش
الضياع والبؤس والحرمان، فيبحث عن مفتاح يفتح به الأقفال التي وضعها على
قلبه :

﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾^(١)

فأغلق أبواب الأنس بالله، بعد أن كان قلبه حرم الله جلّ جلاله، وفيه عرش
الرحمن عزّ وجلّ، فكان يناجيه في سرّه وقلبه، حينما يدخل فيه، ويرجع إلى نفسه.
فإذا أردت مفتاح العشق بالله، فاسمع إلى ما يقوله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :
«الذكر مفتاح الأنس».

« ذكر الله ينير البصائر ويؤنس الضمائر ».

«الذكر يؤنس اللب».

« ذكر الله مؤانسة ».

«إذا رأيت الله يؤنسك بذكره فقد أحبك، وإذا رأيت الله يؤنسك بخلقه
ويوحشك من ذكره فقد أبغضك».

«كن مطيعاً لله سبحانه، وبذكره آنساً، وتمثّل في حال تولّيك عنه إقباله
عليك».

(١) محمد ﷺ : ٢٤ .

قال الإمام العسكري عليه السلام : « من استأنس بالله استوحش من الناس ».

١٧ - الذكر يثمر الحبّ الإلهي :

الإنسان بطبيعته الإنسانيّة يهوى ويحبّ، فمن الناس :

﴿ مَنْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ ^(١).

ومنهم :

﴿ وَمَسَاكِينٌ تَرِضُونَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾ ^(٢).

ومنهم :

﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ ^(٣).

ومنهم أغرّهم الشيطان ف :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾ ^(٤).

ومنهم :

﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴾ ^(٥).

فأحبّوا المقام والجاه والرئاسة، وعشقوا الدنيا الفانية، وكلّ هذه المصاديق

للحبّ زائل لا محالة، كما يزول الحبّ معه، فلا يبقى إلّا تبعاته وحسراته. إلّا حبّ الله

(١) البقرة : ١٦٥.

(٢) التوبة : ٢٤.

(٣) الفجر : ٢٠.

(٤) آل عمران : ١٤.

(٥) إبراهيم : ٢.

جلّ جلاله والحبّ في الله، فإنّه باقٍ ومخلّد ليسعد به الإنسان في الدارين :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ ^(١).

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢).

﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ ﴾ ^(٣).

فهناك عوامل توجب حبّ الله وحبّ ما يحبّه وحبّ ما يوصل إليه، كما توجب زيادة الحبّ وأولها الطاعة، فإنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع، ومنها الذكر الإلهي.

قال رسول الله ﷺ :

« من أكثر ذكر الله أحبه ».

وفي مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام :

« اللهم صلّ على محمد وآله ونهني لذكرك في أوقات الغفلة، واستعملني بطاعتك في أيام المهلة، وانهج لي إلى محبتك سبيلاً سهلاً، أكمل لي بها خير الدنيا والآخرة ».

عن النبي ﷺ أنّه قال :

يا ربّ، وددت أن أعلم من تحبّ من عبادك فأحبه؟ فقال: إذا رأيت عبدي يكثر ذكري فأنا أذنت له في ذلك وأنا أحبه، وإذا رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبته وأنا أبغضه.

(١) البقرة : ١٦٥.

(٢) المائدة : ٥٤.

(٣) البقرة : ١٧٧.

١٨ - الذكر مطردة الشيطان :

إنَّ الشيطان عدوٌّ للإنسان^(١) منذ اليوم الأوَّل، وقد أقسم بعزّة الله أن يغوي جميع الناس ويضلّهم عن السبيل ويصدّهم عن الصراط المستقيم، إلّا عباد الله المخلصين. فالشيطان لبا لمرصاد لإغواء الإنسان، والله لطيف بعباده، فأكرمهم بالعقل (الحجّة الباطنيّة) وأرسل إليهم الرسل والأنبياء (الحجّة الظاهريّة) وأنزل لهم الكتب السماوية، هدايتهم ونجاتهم من وساوس الشياطين من الجنّة والناس، كما جعل ذكره الأقدس يطرد الشيطان ويدخره :

﴿ وَإِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾^(٢).

قال رسول الله ﷺ :

«إنَّ الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإذا نسي التقم، فذلك الوسواس الخناس».

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

« ذكر الله مطردة الشيطان ».

« ذكر الله رأس مال كلّ مؤمن، ورجحه السلامة من الشيطان ».

« ذكر الله دعامة الإيمان وعصمة من الشيطان ».

« وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة ممتحناً لإخلاصها... فإنّها

عزيمة الإيمان، وفاتحة الإحسان، ومرضاة الرحمن، ومدخرة الشيطان ».

(١) لقد تحدّثت عن الشيطان بالتفصيل في كتاب (الشيطان على ضوء القرآن)، فراجع.

(٢) الأعراف : ٢٠٦.

في صحيفة الإمام السَّجَّاد عليه السلام : « وجعلت لنا عدوًّا يكيدنا ... فاقهر سلطانه عتًا بسلطانك، حتَّى تحبسه عتًا بكثرة الدعاء لك فنصبح من كيده في المعصومين بك ».

١٩ - الذكر أمان من النفاق :

النفاق بمعنى إبطان الباطل وإظهار الحقّ، يعني في باطنه يكفر بالله، وفي الظاهر يظهر الإيمان، وهو يعيش في المجتمع الإسلامي والإيماني، ويخدعون المؤمنين بالظاهر المقدّس، إلّا أنّ لهم علامتان :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالٍ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١).

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٢).

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾ ^(٣).

﴿ فَأَعْتَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٤).

﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ ^(٥).

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ ^(٦).

(١) النساء : ١٤٢.

(٢) الحشر : ١١.

(٣) التوبة : ١٠١.

(٤) التوبة : ٧٧.

(٥) التوبة : ٩٧.

(٦) التوبة : ٦٧.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ (١).
 ﴿ يَعْذِبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ﴾ (٢).
 ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ ﴾ (٣).
 ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (٤).

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٥).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٦).
 ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٧).
 ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨).
 ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
 السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ
 قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ

(١) التوبة : ٦٨ .

(٢) الفتح : ٦ .

(٣) الأنفال : ٤٩ .

(٤) الأحزاب : ١٢ .

(٥) المنافقون : ١ .

(٦) التوبة : ٧٣ .

(٧) المنافقون : ٧ .

(٨) المنافقون : ٨ .

٥٠ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١﴾.

هذا كله من النفاق في العقيدة، وهناك نفاق في العمل كما ورد في الخبر الشريف عن الأئمة الأطهار: «إِنَّ لِلنَّفَاقِ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ: إِذَا أَوْعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أَوْثَمَنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَّبَ».

ومن أراد أن يتخلص من النفاق بقسميه، ويامن شروره فعليه بالذكر

الإلهي.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«من أكثر ذكر الله فقد برئ من النفاق».

«أفيضوا في ذكر الله جلّ جلاله، فإنه أحسن الذكر وهو أمان من النفاق، وبراءة من النار، وتذكير لصاحبه عند كل خير يقسمه الله جلّ وعزّ، وله دويّ تحت العرش».

٢٠- الذكر يورث العصمة :

إنّ العصمة على نحوين: فتارة عصمة ذاتية كلية، وهي مختصة بالأنبياء والأوصياء عليهم السلام بلطف خاص من الله سبحانه وتعالى، فلا يفعل المعصوم عليه السلام ذنباً، لعلمه بمبدء الذنوب ونتائجها، واخرى عصمة جزئية فعلية، بمعنى أنه يعصم نفسه من البلوغ عن الذنوب والمعاصي في أفعاله وأقواله، وربما يصدر منه ذنباً وسرعان ما يتوب إلى ربه، فغير المعصوم غير معصوم، وإذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا، فيرجعون إلى خالقهم، ويتوبون من صفائر ذنوبهم، فكيف

آثار الذكر وثمراته ٥١

بالكبائر؟! حتى يصل بهم الأمر إلى أن يبغضوا الذنوب والدنيا، ويزهدوا فيها، فإنَّ حبَّ الدنيا رأس كلِّ خطيئة.

والمؤمن المتقي في جهاده الأكبر مع نفسه الأثمارة بالسوء، يحاول أن يعتصم من كلِّ ما لا يرضي الله سبحانه، ويوجب سخطه وغضبه، فيترك الذنوب، بل يبغض المعاصي ويفرّ منها كما يفرّ من الأسد، ويبحث عمّا يعصمه من الخطايا والفواحش ما ظهر منها وما بطن، وممّا يوجب العصمة الذكر الإلهي.

قال الله سبحانه في الحديث القدسي عن رسول الله ﷺ: «إذا علمت أنّ الغالب على عبدي الاشتغال بي نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي، فإذا كان عبدي كذلك فأراد أن يسهو حلت بينه وبين أن يسهو، أولئك أوليائي حقّاً، أولئك الأبطال حقّاً».

وقال ﷺ: يقول الله عزّ وجلّ: «إذا كان الغالب على العبد الاشتغال بي جعلت بغيته ولذّته في ذكري، فإذا جعلت بغيته ولذّته في ذكري عشقتني وعشقتة، فإذا عشقتني وعشقتة رفعت الحجاب فيما بيني وبينه، وصيرت ذلك تغالباً عليه، لا يسهو إذا سها الناس، أولئك كلامهم كلام الأنبياء، أولئك الأبطال حقّاً».

٢١- الذكر يثمر انشراح الصدر :

انشراح الصدر من النعم العظيمة، لا يلقاه إلاّ ذو حظّ عظيم، ومن دعوة

الأنبياء وطلبهم من الله سبحانه انشراح الصدر :

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾^(١).

وهو علامة الهداية الإلهية :

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ (١).

والله تفضل على نبيه الأكرم بذلك :

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (٢).

فالناس على قسمين : منهم من شرح صدره للكفر :

﴿ وَلَنْ كُنْ مِنْ شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ (٣).

ومنهم من شرح الله صدره للإسلام :

﴿ أَقْنِ شَرَحَ اللَّهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ (٤) ..

فضيق الصدر إنما يحدث أولاً من الكفر في العقيدة أو العمل، وعاقبته غضب من الله ونار جهنم، وأما انشراح الصدر فهو بالإسلام في العقيدة والعمل أيضاً، ونتيجته يسعى نورهم بين أيديهم، فهم على نور من ربهم، وهم جنات عرضها السماوات والأرض خالدين فيها أبداً.

فكل إنسان واع متفهم للحياة يتحسس عما يوجب سعادته وانشراح صدره، ليعيش بهدوء وطمأنينة وأمن وأمان وحياة طيبة وعيش رغيد، ومما يثمر الانشراح الذكر الإلهي.

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «الذكر يشرح الصدر».

(١) الأنعام : ١٢٥.

(٢) الشرح : ١.

(٣) النحل : ١٠٦.

(٤) الزمر : ٢٢.

٢٢ - الذكر يثمر مجالسة الله :

إنَّ الله سبحانه من لطفه وجوده يجالس عبده، فإنَّه أقرب إليه من حبل الوريد، ويحول بين المرء وقلبه، ومجالسة الله تعني الحضور القلبي والأنس الروحي والانشراح الصدري والاطمئنان النفسي والحياة الطيِّبة، فيسمع العبد النغبات الإلهية من مخلوقات مولاه، ولا يرى شيئاً إلاَّ ورأى الله قبله ومعه وبعده، لا تراه العيون، بل القلوب التي في الصدور، فيأنس بالله، ويرى نفسه حاضرأ في حضرته القدسيَّة، وإنَّ العالم محضره، فلا يعصيه، بل يعشقه ويتغازل معه في صلواته ودعائه ومناجاته وأذكاره.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «ذاكر الله مجالسه».

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ موسى بن عمران عليه السلام لما ناجى ربَّه عزَّ وجلَّ، قال: يا ربِّ، أبعيد أنت منِّي فأناديك، أم قريب فأناجيك؟ فأوحى الله جلَّ جلاله: أنا جليس من ذكرني».

وعنه أيضاً ﷺ: «قال موسى: يا ربِّ، أقرب أنت فأناجيك؟ أم بعيد فأناديك؟ فأني أحسَّ صوتك ولا أراك، فأين أنت؟ فقال الله: أنا خلفك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك، يا موسى، أنا جليس عبدي حين يذكرني، وأنا معه إذا دعاني».

٢٣ - الذكر جذبة من الله :

من مقامات العارفين الجذبة، فإنَّ تعب العاشق لا ينفع إذا لم يكن من المعشوق جذبة تجذبه، وجذوة تشعل في قلبه نيران اشتياق اللقاء. والذكر الإلهي

٥٤ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

كما ذكرنا إنما هو تفاعل متبادل بين الذكور والمذكور، وإن كانت الحركة من الإنسان باختياره، إلا أن الله بركة و لطف وجذبة روحانية توفّق العبد على الذكر ودوامه، وهو الذي يعلم العبد الواله العاشق كيف يذكره بحبّ وشوق وعشق.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الذكر ليس من مراسم اللسان، ولا من مناسم الفكر، ولكنه أول من المذكور، وثانٍ من الذكور».

قال الإمام الصادق عليه السلام: «اجعل ذكر الله من أجل ذكره لك، فإنه ذكرك وهو غنيّ عنك، فذكره لك أجلّ وأشهى وأتمّ من ذكرك له وأسبق، فمن أراد أن يذكر الله تعالى فليعلم أنه ما لم يذكر الله العبد بالتوفيق لذكره لا يقدر العبد على ذكره».

فتعالوا يا إخوان الصفا لتكون من الرجال الأبطال :

﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ^(١).

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢).

قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ الذكر أنا والأئمة عليهم السلام أهل الذكر ^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ عن الإمام الصادق عليه السلام: «الذكر: القرآن، ونحن قومه ونحن المسؤولون».

عن الإمام الباقر عليه السلام: «الذكر رسول الله وأهل بيته أهل الذكر، وهم المسؤولون».

(١) النور: ٣٧.

(٢) النحل: ٤٣.

(٣) تحدّثت عن هذا المعنى بالتفصيل في رسالة (السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة).

وعن الصادق عليه السلام :

«الكتاب الذكر وأهله آل محمد».

ففعالوا لتكون مثل سلمان المحمدي «منا أهل البيت» فنكون من أهل

الذكر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«وإنّ للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه،

يقطعون به أيام الحياة».

وفي حديث المعراج في صفة أهل الخير :

إذا كتب الناس من الغافلين كتبوا من الذاكرين، لا يشغلهم عن الله شيء

طرفه عين، الناس عندهم موتى والله عندهم حيّ قيوم كريم، لا أرى في قلبهم شغلاً

لمخلوق.

وقال عليه السلام : «أهل الذكر أهل الله وحامته».

وقال الإمام الباقر عليه السلام في صفة أبناء الآخرة : «لا يملون من ذكر الله».

وقال عليه السلام : «وكانّ المؤمنين هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة ولم يصتّم عن

ذكر الله ما سمعوا بأذانهم، ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة».

وفي حديث المعراج : «ودم على ذكري، فقال : يا رب، وكيف أدوم على

ذكرك ؟ فقال : بالخلوة عن الناس، وبغضك الحلو والحامض، وفراغ بطنك وبيتك

من الدنيا».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «من أحبّ شيئاً لهج بذكره».

وفي دعاء كميل :

«واجعل لساني بذكرك لهجاً، وقلبي بحبك متيمّاً».

٢٤- الذكر في ظلّ العرش :

المقصود من العرش علم الله سبحانه^(١) وتقام أسماؤه وصفاته، ومن ثمرات الذكر الإلهي أن يكون الذكر في ظلّ عرش الله.
فمّا ناجى به موسى ﷺ ربّه عزّ وجلّ :
إلهي ما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه ؟ قال : يا موسى ، أظله يوم القيامة بظلّ عرشي وأجعله في كنفى^(٢).
أي يكون في رحمة الله الرحيمية .

٢٥- الذكر جنّة من النار :

من زحزح عن النار وأدخل الجنّة فقد فاز فوزاً عظيماً، وممّا يوجب الخلاص من النار الذكر الإلهي ، فهو جنّة واقية وقلعة حصينة .
عن رسول الله ﷺ قال :
قراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءة القرآن في غير الصلاة، وذكر الله كثيراً أفضل من الصدقة، والصدقة أفضل من الصوم والصوم جنّة من النار.
ومع حذف الوسائط - الصدقة والصوم - تكون النتيجة : ذكر الله كثيراً جنّة من النار.

(١) ذكرت هذا المعنى بالتفصيل في (الإمام الحسين في عرش الله) ، فراجع .

(٢) البحار ٩٠ : ١٥٦ .

٢٦- الذكر يورث البركة :

البركة بمعنى الخير المستقرّ والمستمرّ^(١)، وإنّ من أسماء الله المبارك وتجلّى بركته في أنبيائه :

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ ﴾^(٢).

وفي بعض بقاع الأرض :

﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾^(٣).

وبعض الأزمنة :

﴿ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ﴾^(٤).

وهناك أمور تزيد البركة في حياة المؤمن، منها: الذكر الإلهي.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: وكان أبي كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله، وآكل معه الطعام وإنه ليذكر الله، ولو كان يحدث القوم ما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لاصقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله.

وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، وكان يأمر بالقراءة من كان يقرأ منّا، ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذكر، والبيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء

(١) ذكرت هذا المعنى بالتفصيل في كتاب (قبسات)، مطبوع، فراجع.

(٢) مريم: ٣١.

(٣) الإسراء: ١.

(٤) الدخان: ٣.

٥٨ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله فيه، تقلّ بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين.

٢٧ - تبديل السيئات بالحسنات :

الذين يعملون السوء والذنوب بجهالة، عندما تصيهم الرحمة الإلهية لما عندهم من الصفات الحميدة كالجود والعفو عن الناس وما شابه ذلك، فإنهم يزدادون معرفة بالله عزّ وجلّ، ويتوبون إلى خالقهم، ويندمون على ما فعلوا من الآثام، فينحثون عمّا يبدّل سيئاتهم حسنات من الأعمال الصالحة التي توجب رضوان الله سبحانه.

ففي عدّة الداعي بسنده عن النبي ﷺ قال : ما جلس قوم يذكرون الله عزّ وجلّ إلا ناداهم منادٍ من السماء : قوموا فقد بدّلت سيئاتكم حسنات وغفرت لكم جميعاً^(١).

(١) مكياال المكارم ١ : ٤٣٧.

عوائق الذكر

لقد وقفنا ولو إجمالاً، وفي نبذة يسيرة جداً من الآيات الكريمة والروايات الشريفة على فضيلة الذكر وثماره وآثاره، وشموخ مقام الذاكرين وشرفهم وقربهم من الله سبحانه، وأما من أعرض عن ذكره الأقدس فإنَّ حياته ستكون تعيسة، يبتلى بالبؤس والحُرمان المعنوي، وإن كان يملك الدنيا وما فيها، فإنَّ له معيشة ضنكاً وموتاً سوءاً.

قال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتِي فَانْسَيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١﴾ .

﴿ وَمَنْ يَغْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيْضُ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٢﴾ .

فالشیطان يكون ملازماً له كالصديق في الحضر، والرفيق في السفر، فهو له

(١) طه ١٢٤-١٢٦.

(٢) الزخرف ٣٦-٣٨.

٦٠ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

قرين، يوسوس في صدره، ويضلّه عن سواء السبيل، ويصدّه عن الحقّ ومتابعته، حتى يلزم الباطل في كلّ شيء، ويحسب أنّه يحسن صنعا، وإنّه من المهتدين.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾ (١).

قال الإمام الرضا عليه السلام: «كلّما ألهى عن ذكر الله فهو من الميسر.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «كلّما ألهى عن ذكر الله فهو إبليس»، ومن هذا الباب مسجد ضرار، فتدبّر.

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢).

عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في تفسير هذه الآية الشريفة: هم عباد من أمّتي، الصالحون منهم، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن الصلاة المفروضة الخمس.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس في الجوارح أقلّ شكراً من العين، فلا تعطوها سؤالها، فتشغلكم عن ذكر الله».

«ليس في المعاصي أشدّ من اتباع الشهوة، فلا تطيعوها، فتشغلكم عن ذكر الله».

«من اشتغل بذكر الناس، قطعه الله سبحانه عن ذكره».

(١) المائدة: ٩١.

(٢) المنافقون: ٩.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «إنَّ قسوة البطنة، وفترة الميله، وشكر الشبع، وغوة الملك، ممَّا يشبط ويبطئ عن العمل وينسي الذكر».

فيما ناجى الله تعالى موسى: يا موسى، لا تنسني على كلِّ حال، ولا تفرح بكثرة المال، فإنَّ نسياني يقسي القلب، ومع كثرة المال كثرة الذنوب.

أجل، من نسي الله فإنه ينسى نفسه، فلا يدري من أين أتى؟ وإلى أين يذهب؟ وماذا يراد منه؟ وما هي فلسفة الحياة وسرَّ الخليقة؟^(١).

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾^(٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من نسي الله أنساه نفسه».

«من نسي الله سبحانه أنساه نفسه وأعمى قلبه».

ومثل هذا النسيان ممَّا يوجب ابتلاء الإنسان بالحياة الصعبة والمعيشة الضنكة.

يقول العلامة الطباطبائي رحمته الله في تفسيره القيم: قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ أي ضيقة، وذلك أنَّ من نسي ربه وانقطع عن ذكره لم يبق له إلا أن يتعلَّق بالدنيا ويجعلها مطلوبه الوحيد الذي يسعى له ويهتمُّ بإصلاح معيشته والتوسُّع فيها والتمتُّع منها، والمعيشة التي أوتىها لا تسعه سواء كانت قليلة أو كثيرة، لأنَّه كلِّما حصل منها واقتناها لم يرضَ نفسه بها، وانتزعت إلى تحصيل ما هو أزيد وأوسع من غير أن يقف منها على حدٍّ، فهو دائماً في ضيق صدر وحنق عمَّا وجد متعلِّق القلب بما وراءه، مع ما يهجم عليه من الهمِّ والغمِّ والحزن والقلق والاضطراب والخوف

(١) كتبت هذا الموضوع بالتفصيل في (فلسفة الحياة وسرَّ الخليقة)، وهو مطبوع، فراجع.

(٢) الحشر: ١٩.

بنزول النوازل وعروض العوارض من موت ومرض وعاهة وحسد حاسد وكيد كائد وخيبة سعي وفراق حبيب.

ولو أنه عرف مقام ربه ذاكراً غير ناسٍ، أيقن أن له حياة عند ربه، لا يخالطها موت، وملكاً لا يعتره زوال، وعزة لا بها ذلة، وفرحاً وسروراً ورفعة وكرامة لا تقدّر بقدر، ولا تنتهي إلى أمد، وإنّ الدنيا دار مجاز وما حياتها في الآخرة إلاّ متاع، فلو عرف ذلك قنعت نفسه بما قدّر له من الدنيا، ووسعه ما أوتيه من المعيشة من غير ضيق وضمك^(١).

وقال في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَغْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا ﴾ أي من تعامى عن ذكر الرحمن ونظر إليه نظر الأعمى جئنا إليه بشيطان ﴿ فَهَوَّ لَهُ قَرِين ﴾ أي مصاحب لا يفارقه. قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ والمعنى: وإنّ الشياطين ليصرفون العاشين عن الذكر ومحسب العاشون أنهم - أي العاشين أنفسهم - مهتدون إلى الحق.

وهذا - أعني حسابهم أنهم مهتدون عند انصدادهم عن سبيل الحق - أمانة تقيض القرين ودخولهم تحت ولاية الشيطان، فإنّ الإنسان بطبعه الأوّلي مفطور على الميل إلى الحقّ ومعرفة إذا عرض عليه، ثمّ إذا عرض عليه فأعرض عنه اتباعاً للهوى ودام عليه، طبع الله على قلبه وأعمى بصره، وقبض له القرين، فلم ير الحقّ الذي تراءى له، وطبّق الحقّ الذي يميل إليه بالفطرة على الباطل الذي يدعوه إليه الشيطان، فيحسب أنه مهتدٍ وهو ضالّ، ويخيّل إليه أنه على الحقّ وهو على الباطل^(٢).

(١) الميزان ١٤ : ٢٤٣.

(٢) الميزان ١٨ : ١٠٢.

هذا ومن عوائق الذكر كثرة الكلام، فإنه قد أفلح التقي الصموت.
 وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾
 ورد في الخبر الشريف عن النبي ﷺ أنه قال: لا تكثرُوا الكلام بغير ذكر الله، فإن
 كثرة الكلام بغير ذكر الله يقسي القلب، وإن أبعد الناس من الله القاسي القلب.
 وعنه ﷺ أنه قال: كلام ابن آدم كله عليه لاله، إلا أمراً بمعروف أو نهياً
 عن منكر، أو ذكراً لله تعالى.

وقال عليه السلام: إن ربي أمرني أن يكون نطقي ذكراً، وصمتي فكراً، ونظري
 عبرة.

وقال عليه السلام: الكلام ثلاثة: فرائح وسالم وشاجب، فأما الرابح الذي يذكر الله،
 وأما السالم فالساكت، وأما الشاجب فالذي يخوض في الباطل^(١).
 قال زيد بن صوحان لأمير المؤمنين عليه السلام: أي الكلام أفضل عند الله؟ قال:
 كثرة ذكر الله والتضرع إليه والدعاء، قال: فأبي القول أصدق؟ قال: شهادة أن
 لا إله إلا الله^(٢).

هذا وعوائق الذكر الإلهي وموانعه كثيرة، إلا أنها ترجع كلها إلى الشيطان،
 فهو المانع الأول والأخير، وهو عدو الإنسان، فإنه أقسم بعزة الله ليغويه ويضله
 عن السبيل والصرراط المستقيم، فاتخذوه عدواً، ولا تتبعوا خطواته ووساوسه
 وأحزابه وأعوانه، عليهم لعائن الله أبد الأبدین.
 وخلاصة الكلام: من يذكر الله ذكراً حقيقياً، فلا ريب أنه يعيش حالة

(١) البحار ٩: ١٦٥، عن مشكاة الأنوار: ٥٦.

(٢) البحار ٩٠: ١٥٦، عن معاني الأخبار: ١٩٩.

٦٤ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

الاطمئنان والهدوء، ومن أغفل عن ذكره، فإنه ينسى نفسه، فتغره الدنيا الدنيّة وزيرجها وزخرفها، فيركض وراءها ليل ونهار، ولا يشبع، لما عند النفس الأُمارة بالسوء من الحالة الجهنمية، التي تخاطب: هل امتلئت؟ تقول: هل من مزيد. فيكون له حياة مرّة، يسودها الحرص والطمع والتكالب والنزاعات والقييل والقال وتشتت البال، ومن ثمّ يعيش عيشة ضنكة حتى يفكر بالانتحار، عسى أن يتخلص من عذاب الدنيا، وأنى له ذلك، فإنه قد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

﴿ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١).

وتقديم الجار والمجرور يدلّ على حصر الاطمئنان القلبي بذكر الله، وإذا اطمئنّ القلب اطمئنّت جميع الجوارح والجوانح، فإنّ القلب سلطان البدن، وأما من لم يذكر الله ويعشّ ويعمى عن ذكره تعالى فسوف يكون قرينه الشيطان ثم يتولّى أمره وسياسته ومن كان وليّه الشيطان فإنه يخيفه لأنّه عدوّه:

﴿ إِنَّمَا ذُكِرَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ (٢).

بينما يقول سبحانه:

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣).

فغير المؤمن الذاكر يعيش حالة الخوف والاضطراب.

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) آل عمران: ١٧٥.

(٣) يونس: ٦٢.

الذكر الإلهي في القرآن الكريم^(١)

هذه موعظة حسنة ونصيحة بليغة :

﴿ لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾^(٢).
أنه :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾^(٣).
وقد خسر من :

﴿ إِذَا ذُكِرَتَ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخُذَهُ وَلَوْ أَعْلَىٰ أُدْبَارِهِمْ تُفُورًا ﴾^(٤).
﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾^(٥).

(١) نقلت الآيات الكريمة من المعجم المفهرس على الترتيب الوارد فيه، والعجيب أنك تجد وكأنه هناك ارتباط وثيق بين الآيات في موضوع واحد وهو الذكر، فتدبر.

(٢) الأحزاب : ٢١.

(٣) الأعلى : ١٥.

(٤) الإسراء : ٤٦.

(٥) المدثر : ٥٥.

أولئك :

﴿ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِحَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ (١).

فإن الإنسان في خسر :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢).

فعلينا أن نسمع لقوله تعالى :

﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ (٣).

ولا تتبع خطوات الشيطان :

﴿ فَلْيَنِّي نَسِيَتِ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ (٤).

فنسألك يا رب العالمين التوفيق والتسديد :

﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ (٥).

وعجيب أمر الناس :

﴿ أَوْ لَا يَذْكُرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴾ (٦).

فهلّا تذكر وذكر الله كثيراً وكان من الذين :

﴿ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (٧).

(١) آل عمران : ١٢٥.

(٢) الشعراء : ٢٢٧.

(٣) البقرة : ١٥٢.

(٤) الكهف : ٦٢.

(٥) طه : ٣٤.

(٦) مريم : ٦٧.

(٧) آل عمران : ١٩١.

ولا يكون من المنافقين :

﴿ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١).

ولا كالذين يفترون على الله :

﴿ وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ﴾ (٢).

وعلينا أن نذكر الله على كلِّ حال وفي جميع الأحوال :

﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَكُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ (٣).

فإنَّ الله سبحانه يقول :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ (٤).

فعلينا أن نذكر الله في كلِّ شيء وفي كلِّ حال ولا نكون من الذين :

﴿ إِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴾ (٥).

بل :

﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ (٦).

﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ (٧).

(١) النساء : ١٤٢.

(٢) الأنعام : ١٣٨.

(٣) الحج : ٢٨.

(٤) الحج : ٣٤.

(٥) الصافات : ١٣.

(٦) آل عمران : ٤١.

(٧) الأعراف : ٢٥.

﴿ وَأَذْكُرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾^(١).

فاذكر الأنبياء وحياتهم وسيرتهم وخذ العبر والدروس من حياة الصالحين
والصالحات :

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾^(٢).

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾^(٣).

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾^(٤).

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾^(٥).

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾^(٦).

﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴾^(٧).

﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ﴾^(٨).

﴿ وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾^(٩).

﴿ وَأَذْكُرْ أَسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكَوْلاً مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾^(١٠).

(١) الكهف : ٢٤ .

(٢) مريم : ١٦ .

(٣) مريم : ٤١ .

(٤) مريم : ٥٤ .

(٥) مريم : ٥٤ .

(٦) مريم : ٥٦ .

(٧) ص : ١٧ .

(٨) ص : ٤١ .

(٩) ص : ٤٥ .

(١٠) ص : ٤٨ .

﴿ وَأذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ ^(١).

ويذكرهم نذكر الله سبحانه :

﴿ وَأذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَيَّلْ إِلَيْهِ تَبْيِيلًا ﴾ ^(٢).

﴿ وَأذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ^(٣).

ومن الذكر تلاوة القرآن الكريم :

﴿ وَأذْكُرْ مَا يَنْتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُمْ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ ^(٤).

﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَأذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ^(٥).

﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَافَاتٍ فَأذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ ^(٦).

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾ ^(٧).

﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ ^(٨).

﴿ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٩).

﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ ^(١٠).

(١) الأحقاف : ٢١ .

(٢) المرسل : ٨ .

(٣) الإنسان : ٢٥ .

(٤) الأحزاب : ٣٤ .

(٥) البقرة : ٦٣ .

(٦) البقرة : ١٩٨ .

(٧) البقرة : ٢٠٠ .

(٨) البقرة : ٢٣١ .

(٩) البقرة : ٢٣٩ .

(١٠) آل عمران : ١٠٢ .

- ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ (١).
- ﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ ﴾ (٢).
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ (٣).
- ﴿ يَا قَوْمِ أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ ﴾ (٤).
- ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ (٥).
- ﴿ فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٦).
- ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ ﴾ (٧).
- ﴿ فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَفْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٨).
- ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ (٩).
- ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (١٠).

(١) النساء : ١٠٣ .

(٢) المائدة : ٧ .

(٣) المائدة : ١١ .

(٤) المائدة : ٢٠ .

(٥) الأعراف : ٦٩ .

(٦) الأعراف : ٦٩ .

(٧) الأعراف : ٧٤ .

(٨) الأعراف : ٧٤ .

(٩) الأعراف : ٨٦ .

(١٠) الأنفال : ٢٦ .

فهذه كلها من نعم الله وآلائه، وعلى كل مؤمن أن يذكر نعمة الله، فإنها تذكره بلطف الله وعنايته ورحمته الواسعة، فيتوب العبد ويرجع إلى ربه، ويجاهد في الله بالجهاد الأصغر والأكبر:

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ۗ ﴾^(١).
 - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾^(٢).
 - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾^(٣).
 - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۗ ﴾^(٤).
 - ﴿ وَاتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۗ ﴾^(٥).
 - ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ۗ ﴾^(٦).
 - ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ۗ ﴾^(٧).
 - ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ۗ ﴾^(٨).
- فهلهم لنكون من المؤمنين :
- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ۗ ﴾^(٩).

(١) الأنفال : ٤٥ .

(٢) الأحزاب : ٩ .

(٣) الأحزاب : ٤١ .

(٤) فاطر : ٣ .

(٥) الجمعة : ١٠٠ .

(٦) البقرة : ١٩١ .

(٧) الأنعام : ١١٨ .

(٨) الأنعام : ١١٩ .

(٩) الأنفال : ٢ .

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ ﴾ (١)

وندعو الله سبحانه أن لا نكون من الذين :

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَخَذَهُ أَشْمَازَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ (٢)

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٣)

ولا يخفى لما كان الذكر الإلهي بالمعنى الأعمّ يشمل كلّ ما يذكر الإنسان بالله وكان من مصاديقه الأئمة الأنبياء والأوصياء وسيدهم رسول الله وأمير المؤمنين عليه السلام ، فإذا ذكر اسم علي عليه السلام عند بعض يشتمز ويمتعض ويحاول أن ينكر مناقبه وفضائله ، وأما إذا ذكر دونه من أعدائه فإذا هم يستبشرون ويبهجون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ، ولهم عذاب أليم . فعلينا أن نوالي الله ونوالي أنبياءه ورسله وأوصياءهم ونعادي أعداء الله وأعداء نبيّه وأوصيائه الأطهار عليهم السلام ، بل نترك كلّ ما لم يكن عليه اسم الله ، فإنّه من الفسق والفجور :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثَالَهُمْ يَذُكَّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ (٤)

بل ندخل تلك البيوت التي رفع الله بيوت الأنبياء وإن بيت علي وفاطمة لمن

أفضلها ، كما ورد عند السنة والشيعة :

﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (٥)

(١) الحج : ٣٥ .

(٢) الزمر : ٤٥ .

(٣) الزمر : ٤٥ .

(٤) الأنعام : ١٢١ .

(٥) النور : ٢٦ .

فذكر بأيام الله ونعمة الله :

﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾^(١).

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُتَنَفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢).

﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾^(٣).

﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾^(٤).

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾^(٥).

فالولاية نور :

﴿ أَنْ أُخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَّرْتَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾^(٦).

ولكن ما لنا وأولئك الذين :

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَمًّا دُكِّرُوا بِهِ ﴾^(٧).

أجل أولئك من الظالمين :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾^(٨).

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾^(٩).

(١) ق : ٤٥ .

(٢) الذاريات : ٥٥ .

(٣) الطور : ٢٩ .

(٤) الأعلى : ٩ .

(٥) الغاشية : ٢١ .

(٦) إبراهيم : ٥ .

(٧) المائدة : ١٢ .

(٨) الكهف : ٥٧ .

(٩) السجدة : ٢٢ .

أولئك من المسرفين :

﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ (١).

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾ (٢).

نعم الناس على طائفتين منهم من كفر ولم تنفعه الذكرى :

﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٣).

ومنهم من آمن فكان من أولئك الذين :

﴿ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخَوِّرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (٤).

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا ﴾ (٥).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٦).

﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٧).

﴿ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٨).

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا

مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٩).

(١) يس : ١٩ .

(٢) الأعراف : ١٦٥ .

(٣) الصافات : ١٣ .

(٤) الفرقان : ٧٣ .

(٥) السجدة : ١٥ .

(٦) الأعراف : ٢٠١ .

(٧) الأنعام : ٨٠ .

(٨) السجدة : ٤ .

(٩) غافر : ٥٨ .

﴿ وَيَعْبُدِ اللَّهَ أُوْفُوا ذُلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(١).
 ﴿ أَتَبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٢).
 ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤَقِّ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٣).
 ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٤).
 ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٥).

﴿ يَا قَوْمِ مَنْ يَبْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٦).
 ﴿ وَيَسْمَى عَنِ الْفَخْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٧).
 ﴿ سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٨).
 ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٩).
 ﴿ ذُلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(١٠).

(١) الأنعام : ١٥٢ .

(٢) الأعراف : ٣٠ .

(٣) الأعراف : ٥٧ .

(٤) يونس : ٣ .

(٥) هود : ٢٤ .

(٦) هود : ٣٠ .

(٧) النحل : ٩٠ .

(٨) المؤمنون : ٨٥ .

(٩) النور : ١ .

(١٠) النور : ٢٧ .

﴿ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(١).

﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتَ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢).

﴿ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٣).

﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٤).

﴿ وَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٥).

فهذه دعوة الله إلى التذكر بكل شيء يوجب الذكر والذكرى، ولكن إنما يتذكر العقلاء :

﴿ أَفَنَنْتَعِلُمْ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَسْتَدَكِّرُ أُولُو

الْأَلْبَابِ ﴾^(٦).

وما علينا إلا البلاغ المبين حتى لمثل فرعون اللعين :

﴿ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَبِيبًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾^(٧).

فأروع هذا القرآن الكريم كتاب الحياة والسعادة :

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(٨).

(١) النمل : ٦٢ .

(٢) الصافات : ٥٥ .

(٣) الجماعية : ٢٣ .

(٤) الذاريات : ٤٩ .

(٥) الواقعة : ٦٢ .

(٦) الرعد : ١٩ .

(٧) طه : ٤٤ .

(٨) ص : ٢٩ .

أولئك العقلاء أصحاب الحجى تنفعهم الذكرى، ولا مساواة بينهم وبين الجاهلاء :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١).

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ (٢).

وكلّ هذا يعلم يوم القيامة، يوم تبلى السرائر، ويرى الإنسان ما قدمت

يداه :

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾ (٣).

ولكن الذكرى إنما تنفع في الدنيا، وأما الآخرة :

﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى ﴾ (٤).

﴿ وَسَيُنْزَلُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٥).

كلّ هذا من لطائف الله سبحانه :

﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٦).

﴿ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٧).

(١) الزمر : ٩.

(٢) غافر : ١٢.

(٣) النازعات : ٣٥.

(٤) الفجر : ٢٣.

(٥) البقرة : ١٢١.

(٦) إبراهيم : ٢٥.

(٧) القصص : ٤٣.

﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢).

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٣).

﴿ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُمْ بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٤).

فهذا كله من الحكمة الإلهية التي تنير القلب والدرب، أي تنير الحياة الفردية والاجتماعية الباطنية والظاهرية :

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٥).

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو

الْأَلْبَابِ ﴾ (٦).

﴿ وَرَتَّبْنَا الْجِبَالَ فِي الْأَرْضِ لِحُدُودِ الْعِلْمِ وَأُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٧).

فن واجبنا الديني والاجتماعي أن نذكر أنفسنا ونذكر الناس بالله سبحانه :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ ﴾ (٨).

﴿ وَمَا يُذَكِّرْكَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَذَكَّرَ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾ (٩).

(١) القصص : ٤٦.

(٢) القصص : ٥١.

(٣) الزمر : ٢٧.

(٤) الدخان : ٥٨.

(٥) البقرة : ٢٦٩.

(٦) آل عمران : ٧.

(٧) إبراهيم : ٥٢.

(٨) الفرقان : ٦٢.

(٩) عبس : ٤.

﴿ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ﴾ ^(١).

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا ﴾ ^(٢).

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا بِهِمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً ﴾ ^(٣).

فإنه سبحانه بلطفه العميم ورحمته الواسعة وهدايته العامة يهدي الناس

ويذكرهم :

﴿ لَقَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٤).

ويخافون يوم الوعيد فيتقون الله حق تقاته :

﴿ وَلِبَاسِ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٥).

﴿ وَإِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ مُصِيبَةٌ فَمِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ

وَيَخْشَى ﴾ .

كما :

﴿ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الْقُرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٦).

﴿ أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ

يَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٧).

(١) الأعلى : ١٠ .

(٢) الإسراء : ٤١ .

(٣) الفرقان : ٥٠ .

(٤) الأنعام : ١٢٦ .

(٥) الأعراف : ٢٦ .

(٦) الأعراف : ١٣٠ .

(٧) التوبة : ١٢٦ .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾^(١).

﴿ ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾^(٢).

فالله سبحانه يذكر الإنسان رحمةً به، إلا أن الشيطان عدو الإنسان يصدّه عن ذكر الله :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(٣).

﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾^(٤).

أخي المسلم، إن في قصص الأنبياء لعبرة لمن اعتبر، فتعال لنعتبر بقصة يوسف عليه السلام، فإنه ترك الأولى في نسيانه فلبث في السجن بضع سنين سبعة سنوات أو أكثر، فهذا لمن يغفل عن ذكر الله طرفة عين، فكيف بمن يكن غافلاً طيلة حياته، أليس هذه الحياة تكون جهنمه ويعيش البؤس والشقاء والضنك، فتعال لنذكر الله كثيراً ليل نهار :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(٥).

والذكر هو القرآن الصامت والقرآن الناطق، فعليك بتلاوة القرآن الكريم واتباع سنة رسول الله وأهل بيته الأطهار وأصحابه الأبرار، ولا تكون من أولئك

(١) النحل : ١٣ .

(٢) آل عمران : ٥٨ .

(٣) المائدة : ٩١ .

(٤) يوسف : ٤٢ .

(٥) الرعد : ٢٨ .

الذين :

﴿ قالوا يا أيها الذي نزلَ عليه الذكرُ إنَّكَ مُجَنُّونٌ ﴾^(١).

فإنَّ القرآنَ من الله الحافظ :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٢).

﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٣).

فإنَّ علينا السؤالَ وعليهم البيان إن شاؤوا :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٤).

ولا نكون من أولئك :

﴿ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾^(٥).

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي ﴾^(٦).

﴿ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾^(٧).

﴿ أهذا الَّذي يذكُرُ آهَتَكُمْ وَهُمْ يذكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴾^(٨).

(١) الحجر : ٦.

(٢) الحجر : ٩.

(٣) النحل : ٤٣.

(٤) النحل : ٤٤.

(٥) الأنبياء : ٢.

(٦) الأنبياء : ٢٤.

(٧) الأنبياء : ٢٤.

(٨) الأنبياء : ٣٦.

﴿ قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (١).
 ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (٢).

وعاقبة الدنيا أنّ حكومة الأرض تكون بيد الصالحين، هذا ما وعدنا الله به :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٣).
 ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾ (٤).

وقبل هذا استملى الأرض ظلماً وجوراً فنتعّروهم الدنيا :

﴿ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ (٥).
 فأولئك من الضالّين المضلّين :

﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ (٦).

وفي مثل هذا العصر المكفهرّ الظلوم الجهول لا حيلة لنا إلا الذكر الإلهي وإقامة الصلاة :

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٧).

أو تدري أيها القارئ الكريم من يتعظ بموعظتي هذه ويتخذ إلى ربه سبيلاً،

(١) الأنبياء : ٤٢ .

(٢) الأنبياء : ٥٠ .

(٣) الأنبياء : ١٠٥ .

(٤) النور : ٢٧ .

(٥) الفرقان : ١٨ .

(٦) الفرقان : ٢٩ .

(٧) العنكبوت : ٤٥ .

فيخاف يوم القيامة :

- ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ﴾ ^(١).
- ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ ^(٢).
- ﴿ ص وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ ^(٣).
- ﴿ أَوْ نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ﴾.
- ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّا لَكُمُّتَقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ ﴾ ^(٤).
- ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٥).
- ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(٦).
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ ^(٧).
- ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ ^(٨).
- وإن المسرفين إخوان الشياطين :
- ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ ^(٩).

(١) يس : ١١ .

(٢) يس : ٦٩ .

(٣) ص : ١ .

(٤) ص : ٤٩ .

(٥) ص : ٨٧ .

(٦) الزمر : ٢٢ .

(٧) فصلت : ٤١ .

(٨) الزخرف : ٥ .

(٩) الزخرف : ٣٦ .

﴿ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (١).

فهذا كله من القرآن الكريم :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (٢).

يا صاحبي العزيز :

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٣).

﴿ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٤).

أم :

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ (٥).

﴿ وَمَنْ يَعْزُضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ (٦).

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٧).

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٨).

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الذِّكْرِينِ قُلْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ (٩).

(١) الزخرف : ٤٤ .

(٢) القمر : ١٧ + ٢٢ + ٣٢ + ٤٠ .

(٣) الحديد : ١٦ .

(٤) الزمر : ٢٣ .

(٥) المجادلة : ١٩ .

(٦) الجن : ١٧ .

(٧) الأنبياء : ١٠ .

(٨) التكويد : ٢٧ .

(٩) الكهف : ٨٣ .

- ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ (١).
- ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (٢).
- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣).
- ﴿ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُنَّ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٤).
- ﴿ فَالْتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ (٥).
- ﴿ فَالْمُتَّقِيَاتِ ذِكْرًا عَذْرَاءٌ أَوْ تُذْرًا إِمَّا تَوْعَدُونَ لَوَاقِعَ ﴾ (٦).
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (٧).
- ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (٨).
- ﴿ وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أَعْفَافِنَا فَكْبَهَتْ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ (٩).
- ﴿ فَأَعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (١٠).
- ﴿ بَلْ آتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ (١١).

(١) طه : ٩٥ .

(٢) طه : ١١٣ .

(٣) الأنبياء : ٤٨ .

(٤) الصافات : ١٦٨ .

(٥) الصافات : ٣ .

(٦) المرسلات : ٥٠ .

(٧) الأحزاب : ٤١ .

(٨) البقرة : ٢٠٠ .

(٩) الكهف : ٢٨ .

(١٠) النجم : ٢٩ .

(١١) المؤمنون : ٧٠ .

﴿ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ^(١).

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾ ^(٢).

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ^(٣).

﴿ إِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ ^(٤).

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ ^(٥).

وكان يسخر من المؤمنين :

﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ ^(٦).

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ﴾ ^(٧).

﴿ فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٨).

﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ^(٩).

وكان الأنبياء يذكرون الناس بالله من دون أجر على ذلك :

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١٠).

(١) المؤمنون : ٧١.

(٢) الكهف : ١٠١.

(٣) طه : ١١.

(٤) طه : ٤٢.

(٥) طه : ١٢٤.

(٦) المؤمنون : ١١٠.

(٧) ص : ٨.

(٨) الأنعام : ٦٨.

(٩) الأنعام : ٦٩.

(١٠) الأنعام : ٩٠.

﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١).
 فعلينا أن نتذكر ونتوب إلى الله ونعمل الصالحات، فإنه بلفظه ورحمته يبذل
 المعاصي خيرات :

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾^(٢).
 ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣).
 وارجع مرة أخرى إلى حياة الأنبياء لتأخذ من الذكريات الذكري، فهذا
 أيوب المبتلى عافاه الله :

﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِّلْعَابِدِينَ ﴾^(٤).
 ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمٍ إِلَّا هَا مُنذِرُونَ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾^(٥).
 ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٦).
 ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(٧).
 ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾^(٨).
 ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(٩).

(١) الأعراف : ٢.

(٢) هود : ١١٤.

(٣) هود : ١٢٠.

(٤) الأنبياء : ٨٤.

(٥) الشعراء : ٢٠٩.

(٦) العنكبوت : ٥١.

(٧) ص : ٤٣.

(٨) ص : ٤٦.

(٩) الزمر : ٢١.

- ﴿ وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١).
- ﴿ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴾ (٢).
- ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (٣).
- ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْسِنٌ سَمِعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٤).
- ﴿ وَذَكَرُوا فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥).
- ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ (٦).
- ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾ (٧).
- ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرَةً وَتَتَاعًا لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٨).
- ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذَكُّرَةً وَتَعْيِهَا أُذُنٌ وَاَعْيَةٌ ﴾ (٩).
- ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذَكُّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٠).
- ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذَكُّرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ (١١).

(١) غافر : ٥٤.

(٢) الدخان : ١٣.

(٣) ق : ٨.

(٤) ق : ٣٧.

(٥) الذاريات : ٥٥.

(٦) المدثر : ٣١.

(٧) طه : ٣٠.

(٨) الواقعة : ٧٣.

(٩) الحاقة : ١٢.

(١٠) الحاقة : ٤٨.

(١١) المدثر : ٤٩.

﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾ (١).

فهذه موعظتي ونصيحتي لك أيها القارئ الكريم، إنما هي موعظة الله، وموعظة القرآن، وموعظة الأنبياء والأوصياء والعلماء والصلحاء:

﴿ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكَيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ (٢).

و:

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾ (٣).

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٤).

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ (٥).

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (٦).

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ﴾ (٧).

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ

الْجَنَّةَ ﴾ (٨).

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ (٩).

(١) المدثر: ٥٤، عبس: ١١.

(٢) يونس: ٧١.

(٣) الإنسان: ١.

(٤) العاشية: ٢١.

(٥) المزمل: ١٩.

(٦) الأحزاب: ٣٥.

(٧) آل عمران: ١٩٥.

(٨) النساء: ١٢٤.

(٩) النحل: ٩٧.

﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ (١).

فهذه موعظة القرآن الكريم :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (٢).

﴿ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا شَيْعَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (٣).

﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (٤).

وأخيراً :

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ (٥).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) غافر : ٤٠ .

(٢) القمر : ١٧ .

(٣) القمر : ٥١ .

(٤) القمر : ١٥ .

(٥) الإنسان : ٢٩ .

أسماء الله الحسنى

قال الله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾^(١).

من الواضح والمعلوم أنّ الله سبحانه وتعالى أسماءً تدلّ على ذاته وصفاته وأفعاله، وهذه الأسماء توقيفية، متوقّفة على إذن من الشارع المقدّس، وقد ورد منها ألفاً وواحد في دعاء جوشن الكبير^(٢)، ومن هذه الأسماء ورد تسعة وتسعون اسماً في القرآن الكريم، تسمّى بالأسماء الحسنى.

في الدرّ المنثور للسيوطي عن أبي نعيم بإسناده عن محمد بن جعفر قال :
سألت أبا جعفر بن محمّد الصادق عن الأسماء التسعة والتسعين التي من
أحصاها دخل الجنة ؟

فقال : هي في القرآن :

(١) الأعراف : ١٨٠ .

(٢) راجع مفاتيح الجنان لخاتم المحدثين الشيخ عباس القمي رحمته الله .

في الفاتحة خمسة أسماء :

يا الله، يا ربّ، يا رحمان، يا رحيم، يا مالك.

وفي البقرة ثلاثة وثلاثون اسماً هم :

يا محيط، يا قدير، يا عليم، يا حكيم، يا عليّ، يا عظيم،
يا توّاب، يا بصير، يا وليّ، يا واسع، يا كافي، يا رؤوف،
يا بديع، يا شاکر، يا واحد، يا سميع، يا قابض، يا باسط،
يا حيّ، يا قيّوم، يا غنيّ، يا حميد، يا غفور، يا حلیم، يا إله،
يا قريب، يا مجيب، يا عزيز، يا نصير، يا قويّ، يا شديد،
يا سريع، يا خبير.

وفي آل عمران :

يا وهّاب، يا قائم، يا صادق، يا باعث، يا منعم،
يا متفضّل.

وفي النساء :

يا رقيب، يا حسيب، يا شهيد، يا مقيت، يا وكيل، يا عليّ،
يا كبير.

وفي الأنفال :

يا نعم الوليّ، ويا نعم النصير.

وفي هود :

يا حفيظ، يا مجيد، يا منّان، يا وارث.

وفي الحجر :

يا خلاق.

وفي مريم :

يا فرد .

وفي طه :

يا غفار .

وفي قد أفلح :

يا كريم .

وفي النور :

يا حقّ، يا مبین .

وفي الفرقان :

يا هادي .

وفي سبأ :

يا فتّاح .

وفي الزمر :

يا عالم .

وفي غافر :

يا غافر، يا قابل التوب، يا ذا الطول، يا رفيع .

وفي الذاريات :

يا رزّاق، يا ذا القوّة، يا متين .

وفي الطور :

يا برّ .

وفي اقتربت :

يا مقتدر، يا ملك .

وفي الرحمن :

يا ذا الجلال والإكرام، يا ربّ المشرقين وربّ المغربين، يا باقي،
يا معين.

وفي الحديد :

يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن.

وفي الحشر :

يا ملك، يا قدّوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزيز،
يا جبّار، يا متكبر، يا خالق، يا بارئ، يا مصوّر.

وفي البروج :

يا مبدئ، يا معيد.

وفي الفجر :

يا وتر.

وفي الإخلاص :

يا أحد، يا صمد^(١).

وقد شرحها الأعلام بشروح وافية، وبيّنوا فضائلها وآثارها، لا سيّما
بأعدادها - كالحساب بالحروف الأبجدية - وتعدّ هذه الأسماء الحسنى من الأذكار
الإلهية المجربة - لا سيّما لو كانت مع إجازة الذكر العامّ أو الخاصّ، كما هو معلوم عند
أهله.

وقد استجزت سيّدنا الأستاذ آية الله العظمى السيّد شهاب الدين المرعشي

(١) بحار الأنوار ٩٠ : ٢٧٢، عن الدر المنثور ٣ : ١٤٨.

النجفي رحمته الله في ذلك وفي غيرها مطلقاً من الأوراد والأذكار والختومات ^(١) .-

يقول المحقق النراقي معلّم الأخلاق الشهير في كتابه القيم ^(٢) :

«الأذكار كثيرة: كالتهليل والتسبيح والتحميد والتكبير والحوقلة والتسبيحات الأربع وأسماء الله الحسنى، وغير ذلك، وقد وردت في فضيلة كلّ منها أخبار كثيرة، والمواظبة على كلّ منها توجب صفاء النفس وانسراح الصدر، وكلّما كانت أدلّ على غاية العظمة والجلال والعزّة والكمال، فهي أفضل، ولذا صرّحوا بأنّ أفضل الأذكار التهليل، لدلالته على توحدّه في الألوهيّة، واستناد الكلّ إليه، وربما كان بعض أسماء الله تعالى في مرتبته أدلّ، والعارف السالك إلى الله يعلم: أنّه قد ينبعث في القلب من عظمة الله وجلاله وشدّة كبريائه وكماله ما لا يمكن التعبير عنه باسم.

فلذكر الله أنواع، فعن بعض الصادقين عليهم السلام :

«ذكر اللسان الحمد والثناء، وذكر النفس الجهد والعناء، وذكر الروح الخوف والرجاء، وذكر القلب الصدق والصفاء، وذكر العقل التعظيم والحياء، وذكر المعرفة

(١) لقد سلكت في مؤلفاتي المنهج النظري والعملّي معاً، فلا أكتفي بالجانب العلمي أو النظري، بل أردفه ولو بنبذة يسيرة بالجانب العملي أيضاً، حتّى يكون ما أمله من العلم النافع والعمل الصالح إن شاء الله تعالى، فيكون ذخراً لمعادي يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فهذا الفصل من الرسالة استلّيتها من كتابي (زبدة الأسرار) مخطوط في الختومات والعلوم الغريبة، ليكون ختاماً وهو مسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون العاملون المخلصون، وقد أجزت كلّ مؤمن ومؤمنة في إتيان هذه الأذكار الشريفة مع أعدادها الخاصّة تقرّباً إلى الله تعالى.

(٢) جامع السعادات ٣ : ٣٦٤.

التسليم والرضا، وذكر السرّ الروية واللقاء».

وإنما يكون الذاكر لله ذاكرًا حقًا عندما تتجلى فيه كل هذه الحالات، وتتوحد فيه هذه الأذكار، حتى يكون مظهرًا لذكر الله، ويجسد الذكر في وجوده:

﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (١).

عن الإمامين الصادقين عليهما السلام :

لا يكتب الملك إلا ما يسمع، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ أَدْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾

قال: لا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس العبد غير الله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر:

« يا أبا ذرّ، اذكر الله ذكرًا خاملًا. قال أبو ذرّ: قلت: وما الخامل؟ قال:

الخفي».

«خير الذكر الخفي».

«يفضّل الذكر الخفيّ الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه سبعين

ضعفًا».

وفي الدعاء:

«إلهي فألهمنا ذكرك في الخلاء والملاء، والليل والنهار، والإعلان والإسرار،

وفي السرّاء والضراء، وأنسنا بالذكر الخفي».

وعظمة الذكر بالمعرفة، فكلما ازداد الإنسان معرفة الله سبحانه ازداد تعظيمًا

لذكره وأسمائه.

قال رسول الله ﷺ :

يا أبا ذرّ، ليعظم حلال الله في صدرك فلا تذكره كما يذكره الجاهل عند الكلب اللهم أخزه، وعند الخنزير اللهم أخزه.

وكلّ شيء لم يذكر عليه اسم الله فهو بحكم الميتة يقسي القلب، ويكون من رزق الشيطان وحظه.

«قال إبليس : يا ربّ، ليس أحد من خلقك إلّا جعلت لهم رزقاً ومعيشة فما رزقي ؟ قال : ما لم يذكر عليه اسمي.»

وهذا يعني أنّ كلّ ما لم يذكر عليه اسم الله فهو من حصّة الشيطان، وما كان للشيطان فليس فيه البركة، وإنّه يقسي القلب، فيحرم ذلك على أولياء الله، كالذبيحة التي لم يذكر عليها اسم الله، فإنّها ميتة ويحرم أكلها.

فلنذكر الله على كلّ شيء وفي كلّ الأحوال، كما علّمنا الإسلام بذلك، حتّى المرافق الصحيّة والحّمّات عندما يدخلها الداخل، فإنّه يستحبّ له أن يذكر الله، حتّى حين التخلّي، بل يستحبّ له عندما يرى غائطه أن يقول : الحمد لله الذي أطعمني في عافية وأخرجني في عافية، «اللهم ارزقني الحلال وجنّبي الحرام»، وعندما يغسل الموضع ويرى الماء يقول : الحمد لله الذي جعله طاهراً، ولم يجعله نجساً، وعندما يرفع ثوبه يسلم، وعندما يقضي حاجته يمسح على بطنه ثلاث مرّات قائلاً : «الحمد لله الذي أმაط عني الأذى»، وهناك مستحبات أخرى مذكورة في كتب الآداب والسنن، كمكارم الأخلاق للمرحوم المحدث الشيخ الطبرسي عليه الرحمة.

وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على كمال الدين الإسلامي، وإنّه قد جعل لكلّ أبعاد حياة الإنسسان وتام حقوله وفي كلّ لحظاته وأعماله وحالاته وحركاته

٩٨ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

وسكناته برامج تربويّة توجب السعادة والحياة الطيّبة، وبهذا يبقى الإسلام هو الدين الحاكم، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه.

هذا وفي بعض الأماكن عندما يأمن الذاكر من الرياء ينبغي له أن يذكر الله جهرًا، حتّى يذكر غيره بالله، بل قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «سامع ذكر الله ذاكر»، فيجعل المحفل محفلاً نورانياً يفوح منه عطر الذكر الإلهي.

أمّا أسماء الله الحسنى وبعض آثارها فهي كما يلي:

١٤١	وعدده	الاسم (مَنَّان)	١- في سورة إبراهيم
٧٤٤	عدده	(مقتدر)	٢- في سورة كهف
٥٢٣	وعدده	(باعث)	٣- في سورة الحجّ
٣٠٦	عدده	(قَهَّار)	٤- في سورة طه
٢٧٠	وعدده	(كريم)	٥- في سورة المؤمنين
٢٠	عدده	(هادي)	٦- في سورة الفرقان
٤٨٩	عدده	(فَتَّاح)	٧- في سورة سبأ
٥٢٦	عدده	(شكور)	٨- في سورة ملائكة
١١١	عدده	(كافي)	٩- في سورة زمر
٢٠٢	عدده	(برّ)	١٠- في سورة طور
١٠٠	عدده	(مليك)	١١- في سورة اقترّب
١٠٥٤	عدده	(ذي المعارج)	١٢- في سورة معارج
١٠٦	عدده	(أعلى)	١٣- في سورة أعلى
٢٦١	عدده	(أكرم)	١٤- في سورة قلم
٦٦	عدده	(الله)	١٥- في سورة الفاتحة
٢٩٨	عدده	(الرحمن)	١٦- وكلمة
٢٥٨	وعدده	(رحيم)	١٧- في سورة الفاتحة
٩١	عدده	(مالك)	١٨- وكلمة
٢٠٢	عدده	(ربّ)	١٩- وكلمة
٥٧	عدده	(محيط)	٢٠- في سورة البقرة
١٧٠	عدده	(قدّوس)	٢١- وكلمة

١٥٠	عدده	(عليم)	٢٢- وكلمة
٧٨	عدده	(حكيم)	٢٣- وكلمة
٤٠٩	عدده	(توَّاب)	٢٤- وكلمة
٣٠٢	عدده	(بصير)	٢٥- وكلمة
١٢٧	عدده	(واسع)	٢٦- وكلمة
٨٦	عدده	(بديع)	٢٧- وكلمة
٢٨٦	عدده	(رؤوف)	٢٨- وكلمة
٣٦	عدده	(إله)	٢٩- وكلمة
٢١	عدده	(واحد)	٣٠- وكلمة
١٢٨٦	عدده	(غفور)	٣١- وكلمة
٣١٢	عدده	(قريب)	٣٢- وكلمة
٨١٢	عدده	(خبير)	٣٣- وكلمة
٧٨	عدده	(حليم)	٣٤- وكلمة
٩٠٣	عدده	(قابض)	٣٥- وكلمة
٨٢	عدده	(باسط)	٣٦- وكلمة
١٨	عدده	(حيّ)	٣٧- وكلمة
١٥٦	عدده	(قيوم)	٣٨- وكلمة
١١٠	عدده	(عليّ)	٣٩- وكلمة
١٠٢٠	عدده	(عظيم)	٤٠- وكلمة
٣٦	عدده	(وليّ)	٤١- وكلمة
١٠٦٠	عدده	(غنيّ)	٤٢- وكلمة

أسماء الله الحسنى ١٠١

٦٢	عدد	(حميد)	٤٣- وكلمة
٥٢١	عدد	(شاكر)	٤٤- وكلمة
١٤	عدد	(وهّاب)	٤٥- وفي سورة آل عمران
١٥١	عدد	(قائم)	٤٦- وكلمة
٢٦٦	عدد	(سميع الدعاء)	٤٧- وكلمة
٣١٩	عدد	(شهيد)	٤٨- وكلمة
٣١٢	عدد	(رقيب)	٤٩- وفي سورة النساء
١٤٦	عدد	(عفو)	٥٠- وكلمة
٦٦	عدد	(وكيل)	٥١- وكلمة
٥٥٠	عدد	(مقيت)	٥٢- وكلمة
١٦٠/١١٧	عدد	(نعم المولى)	٥٣- وفي سورة الأنفال
٣٨١/١٦٠	عدد	(نعم النصير)	٥٤- وكلمة
١١٦	عدد	(قوي)	٥٥- وكلمة
٥٨	عدد	(محيي)	٥٦- وفي سورة الأعراف
٤٩٠	عدد	(مميّت)	٥٧- وكلمة
٩٩٨	عدد	(حفيظ)	٥٨- وفي سورة هود
٥٥	عدد	(مجيب)	٥٩- وكلمة
٥٩	عدد	(مجيد)	٦٠- وكلمة
١٦	عدد	(ودود)	٦١- وكلمة
١٠٣٣	عدد	(غالب)	٦٢- وفي سورة يوسف
٦٢١	عدد	(مستعان)	٦٣- وكلمة

٣٠٦	عدده	(قَهَّار)	٦٤- وكلمة
٩٨٩	عدده	(حافظ)	٦٥- وكلمة
٢٣٧	عدده	(كبير)	٦٦- وفي سورة الرعد
٥٤١	عدده	(متعال)	٦٧- وكلمة
٧٠٧	عدده	(وارث)	٦٨- وفي سورة الحجر
١٩٥	عدده	(صادق)	٦٩- وكلمة
٧٣١	عدده	(خلاق)	٧٠- وكلمة
١٠٨	عدده	(حقّ)	٧١- وكلمة
١١٢	عدده	(مبين)	٧٢- وكلمة
٢٥٦	عدده	(نور)	٧٣- وكلمة
١٠٦٣	عدده	(غافر الذنب)	٧٤- وفي سورة المؤمن
١٤٤٢	عدده	(قابل التوب)	٧٥- وكلمة
٥١٢	عدده	(شديد العقاب)	٧٦- وكلمة
٧٧٦	عدده	(ذو الطول)	٧٧- وكلمة
١٧٦٧	عدده	(ذا القوّة المتين)	٧٨- وفي سورة الذاريات
٣٠٨	عدده	(رزاق)	٧٩- وكلمة
١١٣	عدده	(باقي)	٨٠- وفي سورة الرحمن
٧٩٤	عدده	(ذا الجلال)	٨١- وكلمة
٣٧	عدده	(أول)	٨٢- وفي سورة الحديد
٧٠١	عدده	(آخر)	٨٣- وكلمة
١١٠٦	عدده	(ظاهر)	٨٤- وكلمة

أسماء الله الحسنى ١٠٣

٦٢	عدده	(باطن)	٨٥- وكلمة
١٧٠	عدده	(قدوس)	٨٦- وفي سورة الحشر
١٣١	عدده	(سلام)	٨٧- وكلمة
١٣٦	عدده	(مؤمن)	٨٨- وكلمة
١٤٠	عدده	(مهيمن)	٨٩- وكلمة
٩٤	عدده	(عزيز)	٩٠- وكلمة
٢٠٦	عدده	(جبار)	٩١- وكلمة
٦٦٢	عدده	(متكبر)	٩٢- وكلمة
٧٣١	عدده	(خالق)	٩٣- وكلمة
٢١٣	عدده	(بارئ)	٩٤- وكلمة
٣٢٦	عدده	(مصور)	٩٥- وكلمة
٤٦	عدده	(مبدئ)	٩٦- وفي سورة البروج
١٢٤	عدده	(معيد)	٩٧- وكلمة
١٣	عدده	(أحد)	٩٨- وفي سورة الإخلاص
١٣٤	عدده	(صمد)	٩٩- وكلمة

ولهذه الأسماء الشريفة آثار وأسرار عجيبة، كما إن لكل اسم أثر خاص، فلا تغفل واجتهد عند أهله وفي مصادره، واغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وحياتك قبل مماتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك.

فن قال اسم الجلالة (الله) جلّ جلاله من دون (ياء النداء) عند زوال

١٠٤ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

الشمس وآخر ثلث الليل (٦٦) مرة فإنه تقضى حاجته. ومن قاله (٢٥٦٠) مرة بعدد ما كثر في القرآن الكريم، فإنه تقضى حوائجه الشرعية، بشرط الطهارة واستقبال القبلة.

ومن قال (الرحمن الرحيم) بعد الفرائض مئة مرة، تشمله الرحمة ولطف الله الخاص.

ومن قال (الملك) (٦٤) مرة مداوماً عليه لم تذهب عزته وماله.
ومن قال (القدوس) (١٧٠) مرة يوم الجمعة فإنه يتخلص من الوسواس والشرك وضمي قلبه.

ومن قال (السلام) مئة مرة على المريض فإنه يبرأ من مرضه بإذن الله.
ومن قال (المؤمن) (١٣٦) مرة فإنه يحفظ من شر الجن والإنس.
ومن قال (المهيمن) (١٢٥) مرة فإنه يصفو باطنه ويقف على حقائق الأشياء.

ومن قال (العزیز) (٩٤) مرة بعد الفرائض فإنه يطلع على الأسرار، ومن قاله أربعين مرة في أربعين يوم فإنه لا يحتاج إلى الخلائق.

ومن قال (الجبار) (٢١) مرة كل يوم أمن من شر الظالمين.
ومن قال (المتكبر) عند ملاقاته الظالم فإنه يأمن من شره.
ومن قال (الخالق) مداوماً عليه فإنه يتنور قلبه.

ومن قال (البارئ) مع الدوام فإنه لا يبلى جسده في القبر.
واسم (المصور) للمرأة التي لم تلد تصوم سبعة أيام متوالية وتكتب هذا الإسم المبارك في إناء نظيف، وتقول حين الكتابة (١٣) مرة (المصور) ثم تغسل المكتوب بماء المطر وتشربه صباحاً فإنها ترزق مولوداً بإذن الله تعالى.

ومن قال عند صلاة الجمعة مئة مرّة (اللهم اغفر لي يا غفار) فإنه يغفر له.

ومن أدام على اسم (القهار) يخرج حبّ الدنيا من قلبه.

ومن قال (يا وهّاب) (١٤) مرّة في سجدة الشكر بعد كلّ صلاة بنفس واحد

فإنّه يصبح غنياً، وفي قواميس الدرر من ذكر (الوهّاب) فإنه لا يسأل من أحد شيئاً

إلا أعطاه، ولا يسأل الله حاجة إلا نالها، وهو كبريت أحمر (وقد جرّبت كلمة

الوهّاب).

ومن داوم على كلمة (الرزاق) فإنه يزداد في رزقه.

ومن قال (يا فتّاح) (٧٠) مرّة بعد صلاة الصبح كلّ يوم ترفع أستار الغفلة

من قلبه، ولو وضع يده على صدره وقال ذلك فإنه يزيد في رزقه.

ومن داوم على (العليم) تفتح له أبواب العلم في قلبه.

ودوام (الحكيم) لقضاء الحوائج المشروعة.

و (الحليم) لتسهيل الأمور.

و (الباسط) في السحر عشر مرّات رافعاً يده إلى السماء لزيادة الرزق.

(عالم الغيب) بعد الصلاة مئة مرّة يلهم العلوم الغيبية.

(المنافض) (٧٠) مرّة للحفاظ من شرّ الظالم.

(الرافع) مئة مرّة بعد صلاة الظهر للجاء ورفع المنزلة.

(المعزّ) مع الدوام للهيبية والعزّة بين الناس.

(المذلّ) في ظلمة الليل ساجداً على التراب يقول (ألف مرّة يا مذلّ) ثمّ

يقول: (يا مذلّ الجبارين ومبير الظالمين إنّ فلاناً - يذكر اسم الظالم - أدلّني فخذ لي

حقّي منه) فإنه يجزى بظلمه سريعاً.

(السميع) من قال بعد صلاة سبع مرّات (فسيكفيكم الله وهو السميع

١٠٦ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

العليم) فإنه تقضى حوائجه وتكفي مهمّاته.

ومع المداومة على كلمة (البصير) يوم الجمعة، يكون سبباً لنيل عناية الله وحسن الطافه.

(الحكيم العدل) بعدده في الليالي طاهراً في خلوة، فإنه يصبح قلبه خزانة أسرار الله عزّ وجلّ.

(اللطيف) عند المصائب والشدائد من داوم منادياً (يا لطيف) فإنه ينفع.
(الخبير) عند اليقظة من النوم ويكون جائعاً لو قال (الهادي الخبير المبين) فإنه يقف على الأسرار المكنونة، وكذا قوله (النور الهادي) ثمّ يقول (يا هادي أخبر يا خبير بين لي يا مبين).

(الحكيم) يكتب في إناء ثمّ يغسل فيرشّ ماءه على الزرع فإنه ينفع في زيادة البركة.

(المجيب القريب) مع المداومة ينفع للمسرّة ودفع المكروهات.

(الواسع) ينفع لزيادة الرزق مع الدوام.

(الودود) لو كتب على طعام أو قرئ عليه ونفخ فيه، فإنه ينفع للصلح بين اثنين.

(الشافى) مع الاستدامة عليه ينفع للشفاء من الأمراض والأسقام.

(الباعث) من قاله وقت النوم (مئة مرّة) ثمّ يمسح يده على صدره، نور الله قلبه، ورزقه الحياة الباطنيّة.

(الشهيد الحقّ) من كتبه في أربعة أطراف ورقة، ويكتب اسم الغائب أو المفقود في الوسط، ثمّ يقف نصف الليل تحت السماء وينظر إلى الورقة ويقول (الشهيد الحقّ) (سبعين مرّة) فإنه يطّلع على الغائب أو المفقود.

(الوكيل) مع المداومة يحترق من الحرق والغرق.

(القوي) من كان له عدو لا يقدر عليه، يأخذ عجيناً من الحنطة ثم يجعلها (ألف حبة) مثل الحمصة، ويقرأ على كل حبة (القوي) وينفخ عليها، ثم يطعم الحبات طيوراً، فإنه يأمن عدوه.

(المعيد) في منتصف الليل في زوايا البيت (الحجرة) من وقف وقال (يا معيد ردّ عليّ كذا) - ويذكر اسم الغائب - يقو لها سبعين مرة فإنه يصل إليه خبراً من غائبه عاجلاً.

(المحيي الميت) ينفع لإحياء القلب ورغبته للعبادة إذا قالها عند النوم واضعاً يده على صدره.

(الحي) نافع مع المداومة لشفاء المريض.

(القيوم) من اشتغل آخر الليل بذكر (الحي القيوم) فإنه يحصل على منافع كثيرة وكبيرة.

(الماجد) من قاله بعدده في الخلوات فإنه يصفو قلبه.

(الواحد) من قاله على كل لقمة نور الله قلبه.

(الأحد) ألف مرة في خلوة أربعين يوماً، يرى الملائكة بصور نورانية في المنام أو المكاشفة.

(القادر) من قاله عند وضوئه فإنه يزداد في توفيقه وحسن عاقبته.

(المنتقم) من قاله كثيراً أمن شرّ الأعداء.

(الرؤوف) من قاله عند لقاء الظالم فإنه يغلبه.

(السبوح) بعد صلاة الجمعة يكتب على قطعة خبز فيأكله فإنه يصفو

قلبه.

١٠٨ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

(الرب) من قاله كثيراً فهو في حصار أمان الله سبحانه.
(مالك الملك) مع الدوام عليه ينفع في الاستغناء عن الخلق.
(النور الباسط القاهر) من قاله عند النوم يطلع في منامه على أمره
المجهول.

(يا معطي السائلين) من قاله كثيراً يوجب الغناء.
(المانع) من قاله عند النوم كثيراً فإنه يوجب قضاء دينه.
(النور) من قاله ألف مرة في مجلس واحد يهتدي إلى الحق.
(الهادي) مع المداومة يوجب زيادة المعرفة.
(يا الله يا هو) ألف مرة كل يوم ينفع لزيادة اليقين، ويصبح من الموحدين
ويفاض عليه ما يزيد ويستجاب دعاؤه.

هذا وخير ما تختتم به المقال ما ورد عن مولانا وجدنا الأعظم زين العابدين
وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام من المناجاة التاسعة - من
المناجيات الخمسة عشر - مناجاة الذاكرين ^(١):

(١) مفاتيح الجنان، المناجاة الخامسة عشر، مناجاة الذاكرين.

المناجاة التاسعة - مناجاة المحبين

بسم الله الرحمن الرحيم

إلهي، من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرامَ منك بدلاً، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك جِوْلاً.

إلهي، فاجعلنا ممن اصطفيتهم لقربك وولايتك، وأخلصته لودك ومحبتك، وشوقته إلى لقائك، ورضيته بقضائك، ومنحته بالنظر إلى وجهك، وحبوته برضاك، وأعدته من هجرك وقلاك، وبوأته مقعد الصدق في جوارك، وخصصته بمعرفتك، وأهلته لعبادتك، وهيمت قلبه لإرادتك، واجتبيته لمشاهدتك، وأخليت وجهه لك، وفرغت فؤاده لحبك، ورغبت فيه فيما عندك، وأهمته ذكرك، وأوزعته شكرك، وشغلته بطاعتك، وسيرته من صالح بريتك، واخترت له مناجاتك، وقطعت عنه كل شيءٍ يقطع عنك.

اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح إليك والحنين، ودهرهم الزفرة والأنين، جباههم ساجدة لعظمتك، وعيونهم ساهرة في خدمتك، ودموعهم سائلة من خشيتك، وقلوبهم متعلقة بمحبتك، وأفئدتهم منخلعة من مهابتك.

يا من أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة، وسُبُحات وجهه لقلوب عارفيه شائعة، يا منى قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبين، أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصلني إلى قربك، وأن تجعلك أحب إليّ ممّا سواك، وأن تجعل حبيّ إيتاك قائداً إلى رضوانك، وشوقي إليك ذاتداً عن عصيانك، وأمنن بالنظر إليك عليّ، وانظر بعين الودّ والعطف إليّ، ولا تصرف عني وجهك، واجعلني من أهل الإسعاد والحظوة عندك، يا مجيب، يا أرحم الراحمين.

فهرس

الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي

٣	الإهداء
٥	المقدمة
٥	حقيقة الذكر وشرف الذاكرين
٢٠	زيادة الذكر في هذه المواقف
٢٠	١- عند دخول الأسواق
٢١	٢- عند اللذات وفي الخلوات
٢١	٣- عند الغضب
٢٢	٤- عن همك إذا هممت
٢٢	٥- عند لقاء العدو
٢٣	٦- عند الطعام
٢٣	٧- عند حلق الذكر
٢٥	آثار الذكر وثمراته
٢٦	١- التفاعل بين الذاكر والمذكور
٢٩	٢- يذكر الذاكر في السماء

- ٣- الاحتراس عن غضب الله ٢٩
- ٤- خواصّ العباد ٢٩
- ٥- الارتواء عند الموت ٣٠
- ٦- سلامة الموت ٣١
- ٧- لسان الصدق ٣٢
- ٨- الفوز في الدارين ٣٣
- ٩- الذكر جهاد ٣٥
- ١٠- الذكر مفتاح الصلاح ٣٦
- ١١- الذكر حياة القلوب ٣٧
- ١٢- الذكر نور القلوب ٣٨
- ١٣- الذكر جلاء القلوب ٣٩
- ١٤- الذكر شفاء القلوب ٤٠
- ١٥- الذكر اطمئنان القلوب ٤٢
- ١٦- الذكر مفتاح الأنس ٤٣
- ١٧- الذكر يثمر الحبّ الإلهي ٤٥
- ١٨- الذكر مطردة الشيطان ٤٧
- ١٩- الذكر أمان من النفاق ٤٨
- ٢٠- الذكر يورث العصمة ٥٠
- ٢١- الذكر يثمر انشراح الصدر ٥١
- ٢٢- الذكر يثمر مجالسة الله ٥٣
- ٢٣- الذكر جذبة من الله ٥٣

١١٢	الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي
٥٦	٢٤-الذاكر في ظلّ العرش
٥٦	٢٥-الذكر جُنَّة من النار
٥٧	٢٦-الذكر يورث البركة
٥٨	٢٧-تبديل السيئات بالحسنات
٥٩	عوائق الذكر
٦٥	الذكر الإلهي في القرآن الكريم
٩١	أسماء الله الحسنى
١٠٨	المناجاة التاسعة للإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small>
١٠٩	الفهرست

لِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

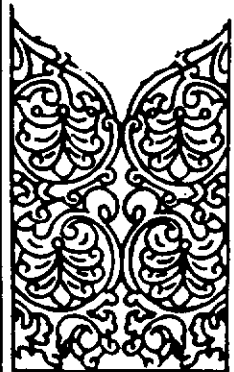
رَحَابُ الْقُرْآنِ وَالْعِتْرَةِ

السِّيَرُ الْعِلْمِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الحادي عشر

عرفان و اخلاق - ٢



علوي، عادل، ١٩٥٥ —

السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة / تأليف السيد عادل العلوي . — قم : المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٣٧٨.

٦٤ ص. — (موسوعة رسالات إسلامية: ٢: فقه استدلائي)

ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دورة) . ISBN

964 - 5915 - 06 - 6 : ١٥٠٠ ريال

فهرستونویسی بر اساس اطلاعات فیبا .

عنوان دیگر: رسالة السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة .

عربی .

کتابنامه .

١. ذکر — جنبه های قرآنی . ٢. اسلام — پرسشها و پاسخها — جنبه های قرآنی . ٣. ذکر — احادیث . ٤.

اسلام — پرسشها و پاسخها — احادیث . الف. عنوان . ب. عنوان : رسالة السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة .

٢٩٧ / ١٥٩

BP ١٠٤ / ذ ٨٤٨

٢٧٨ — ٢١١٨٦ م

کتابخانه ملی ایران

موسوعة

رسالات إسلامية



رسالة

السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

تأليف — السيد عادل العلوي

نشر — المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الأولى — ١٤١٨ هجري قمری

الکمية المطبوعة — ١٠٠٠ نسخة

المطبعة — النهضة، قم

ISBN 964 - 5915 - 06 - 6

شابک ٦-٦-٥٩١٥-٩٦٤

EAN 9789645915061

ای.ای.ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٠٦١

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابک X-١٨-٥٩١٥-٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

الإهداء

إلى الذِّكْرِ وأهله .

إلى من يطمئن قلبه بذكر الله سبحانه .

إليك أيها القارئ العزيز .

أقدم هذه الرسالة المختصرة ، برجاء القبول والدعاء والشفاعة .

العبد

عادل العلوي

فاسألوا أهل الذكر^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وآله الطاهرين.

أمّا بعد، فقد قال الله تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٢).

خلق الله سبحانه الإنسان مفطوراً على التفكير وطلب العلم والكمال :

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾^(٣).

﴿ إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ

مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾^(٤).

فقد افتتح ربنا الكريم كتابه المجيد بالعلم والقراءة، فقد ذكر في صدر الآيات

خلق الإنسان من علق ثمّ تعليمه ما لم يعلم، إذ :

(١) طبع هذا الموضوع في مجلة «نور الإسلام» البيروتية في عددین سنة ١٤١٢، فجدد طبعه

مع إضافات جديدة.

(٢) النحل : ٤٣. الأنبياء : ٧.

(٣) الرحمن : ٢ - ٣.

(٤) العلق : ٥.

٦ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ (١).

﴿ وَقَفَّوْا كُلُّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

﴿ وَقُلْ رَبِّي رُزِّدْنِي عِلْماً ﴾ (٣).

فذكر في سورة العلق أول حال الإنسان، وهو كونه علقة، وهي أحسن الأشياء، ثم ذكر آخر حاله، وهو صيرورته عالماً، وهو أجلّ المراتب، فكأنه قيل للإنسان: لقد كنت في غاية الخساسة وصرت في آخر حالك في هذه الدرجة العالية التي هي الغاية في الشرف والكرامة، بل جعل سبحانه العلم هو السبب الكلي لخلق هذا العالم في قوله تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِسَعَلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ (٤).

والعلم ميزانه الخشعية والعبادة:

﴿ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥).

أي ليعرفون كما ورد في الخبر الشريف.

فالإنسان منذ نعمة أظفاره يطلب العلم^(٦)، ولكن العلم خزائن وكنوز،

(١) النساء : ٢٣.

(٢) يوسف : ٧٦.

(٣) طه : ١١٤.

(٤) الطلاق : ١٢.

(٥) الذاريات : ٥٦.

(٦) لقد ذكرت تفصيل ذلك في «طالب العلم والسيرة الأخلاقية» و«خصائص القائد

الإسلامي» و«رسالتنا»، وكلها مطبوعة، فراجع.

فاسألوا أهل الذكر ٧

وجعل مفتاحه السؤال، والسؤال من المعاني الإضافية، يتوقف تعقله وتصوره على معانٍ أخرى، فإنّ السؤال رابط بين السائل والمسؤول، وهو باعتبار المسؤول على نحوين :

١- طلب العلم.

٢- طلب الحاجة.

ودراستنا هذه في القسم الأوّل، فإنّ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم، واطلبوا العلم ولو في الصين، واطلبوا العلم من المهد إلى اللحد، ولو علمتم ما في طلب العلم لطلبتموه ولو بخوض اللجج وسفك المهج، و:

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾^(٢).

ولقد حثّ الإسلام واهتمّ غاية الاهتمام بطلب العلم وآداب المعلّم والمتعلّم، وأتته أيّ العلوم تنفع وأيّها لا تنفع... وعشرات المباحث الأخرى في هذا المجال. والذي نقصده من هذه العجالة هو مفتاح العلوم، وهو السؤال، فلماذا نسأل؟ وماذا نسأل؟ وبأي مقدار نسأل؟ وما قيمة السؤال؟ وما آداب السائل والمسؤول؟ إضافةً إلى آداب المتعلّم والمعلّم التي ذكرها علماء الأخلاق في مصنفاتهم؟ ثمّ ممّن نسأل؟

فالجواب: إنّما نسأل لأنّنا بطلب العلم الذي في الصدور والقلوب، فإنّ العلم ليس بكثرة التعلّم، إنّما العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء، ذلك

(١) الزمر : ٩.

(٢) المجادلة : ١١.

٨ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

القلب^(١) الذي يكون حرم الله وعرشه، بهذيبه وصفائه وتخليته من الصفات الذميمة، وتخليته بالصفات الحميدة، وتجليتها، فيزكي النفس التي خلقها الله وسواها :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾^(٢).

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٣).

فأخذ العلم من أفواه الرجال ومن صدورهم :

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾^(٤).

ومن قلوبهم وعقولهم، فإن الكلام إذا خرج من القلب دخل في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان.

وحينئذٍ ورد في غرر الحكم عن أمير المؤمنين علي^{عليه السلام} : «القلوب أقفال، ومفاتيحها السؤال»^(٥).

ولمثل هذا، ولدرك سعادة الدارين، والوصول إلى الكمال المطلق المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال، لا بد لنا في الحياة من السؤال وأخذ العلم من أفواه

(١) لقد ذكرت تفصيل ذلك في كتاب «حقيقة القلوب في القرآن الكريم»، وهو مطبوع، فراجع.

(٢) الشمس : ٨ - ٩.

(٣) المؤمنون : ١.

(٤) العنكبوت : ٤٩.

(٥) ميزان الحكمة ٤ : ٣٣٠.

العلماء والرجال، ومصنّفاتهم الثمينة ومؤلّفاتهم القيّمة.

وأما قيمة السؤال: فقد قال الإمام الرضا عليه السلام: العلم خزائن ومفتاحها السؤال، فاسألوا يرحمكم الله فإنّه يؤجر فيه أربعة: السائل والمعلّم والمستمع (والسامع)، والمحبّ لهم^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: العلم خزائن ومفاتيحه السؤال، فاسألوا يرحمكم الله فإنّه يؤجر أربعة: السائل والمتكلّم والمستمع والمحبّ لهم^(٢).

وقال عليه السلام: هلك كثير من الناس بتركهم السؤال.

وناهيك عن هذا الحديث الشريف في أجر وأهميّة السؤال والجواب:

حضرت امرأة عند فاطمة الصديقة عليها السلام فقالت: إنّ لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاحها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك؟ فأجابتها عن ذلك، فثنت فأجابت، ثمّ ثلثت فأجابت إلى أن عشّرت فأجابت، ثمّ خجلت من الكثرة وقالت: لا أشقّ عليك يا بنت رسول الله، قالت فاطمة عليها السلام: هاتي سلي عمّا بدا لك، رأيت من اكرى يوماً يصعد إلى سطح بحملٍ ثقيل، وكراه مائة ألف دينار أيتقل عليه ذلك؟ فقالت: لا، فقالت: اكريت أنا لكلّ مسألة بأكثر من ملء ما بين الترى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى ألاّ يتقل عليّ، سمعت أبي صلى الله عليه وآله يقول: إنّ علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله، حتّى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور^(٣).

(١) بحار الأنوار ١: ١٩٦.

(٢) بحار الأنوار ١: ١٩٦.

(٣) المحجّة البيضاء ١: ٣٠.

١٠ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

فطلباً للعلم، ولكي لا نهلك علينا أن نسأل. ولكن ماذا نسأل؟ وبأيّ

مقدار؟

ورد في الخبر الشريف: سل عن أمور دينك حتى يقال عنك مجنون، وهذا كناية عن كثرة السؤال، وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «سل عمّا لا بدّ لك من علمه ولا تُعذر في جهله»^(١).

أي العلم الذي ينفع من علمه، ويضّرّ من جهله، وهو علم العقائد الصحيحة والفقهِ السليم والأخلاق الطيّبة، بدليل الحديث النبويّ الشريف:

دخل رسول الله المسجد، فإذا جماعة قد أطافوا برجلٍ، فقال: ما هذا؟ فقيل: علامة. قال: وما العلامة؟ قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية وبالأشعار والعربية. فقال النبي صلى الله عليه وآله: ذاك علمٌ لا يضّرّ من جهله، ولا ينفع من علمه، إنّما العلم ثلاثة: آيةٌ محكمة، أو فريضةٌ عادلة، أو سنّةٌ قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل^(٢).

وعن الصادق عليه السلام، قال: عليكم بالتفقه في دين الله تعالى، ولا تكونوا أعراباً - أي لا تكونوا كالأعراب جاهلين بالدين غير متعلّمين، غافلين عن أحكامه، معرضين عنها وعن تعلّمها - فإنّ من لم يتفقه في دين الله تعالى لم ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة، ولم يترك له عملاً^(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أيّها الناس، اعلّموا أنّ كمال الدين طلب

(١) ميزان الحكمة ٤ : ٣٣٠.

(٢) الكافي ١ : ٣٢.

(٣) الحجّة ٢ : ٢٧.

فاسألوا أهل الذكر ١١

العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم، وقد ضمنه وسيّني لكم، والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه»^(١).

«فلا تزهد في مراجعة الجهل وإن كنت قد شهرت بخلافه»، و «السؤال نصف العلم»، ولكن :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾^(٢).

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾^(٣).

﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾^(٤).

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾.

لأن الله سكت عن أشياء فاسكنوا عمّا سكت الله، كما ورد في الخبر :
«وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً، فلا تتكلفوها».

وفي قصة نوح قال الله تعالى :

﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٥).

(١) الحجّة ١ : ٢٥، عن الكافي ١ : ٣٠.

(٢) المائدة : ١٠١.

(٣) البقرة : ١٠٨.

(٤) هود : ٤٦.

(٥) هود : ٤٦ و ٤٧.

فإنَّ الله يسأل عن أعمال عباده :

﴿ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ .

فهو سبحانه يسأل ولا يُسأل عن أمره وخلقته، فهو العالم بكلِّ شيء والقادر على كلِّ شيء العزيز المدبّر الحكيم العليم اللطيف الخبير، سبحانه وتعالى عمّا يصفون، فإنّه لا يفعل إلاّ عن حكمة تامّة، فإنّ المؤمن لو يسأل عن فعل الله فيما شاء الله، فكأنّه يشتمّ منه رائحة الاعتراض على أمر الله، وعدم التسليم التامّ لحكم الله وقضائه وقدره :

﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ .

﴿ وَلَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ .

فهناك أمور لا بدّ أن تبقى مخزونة محفوظة، لا يعلمها إلاّ الله، والراسخون في العلم.

وقد خطب رسول الله ﷺ فقال: إنَّ الله كتب عليكم المحجّ، فقام عكاشة

ابن محصن، ويروى سراقه بن مالك، فقال: أفي كلِّ عام يا رسول الله؟

فأعرض عنه حتّى عاد مرّتين أو ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: ويحك

وما يؤمنك أن أقول: نعم، والله لو قلت: نعم، لوجبت، ولو وجبت، ما استطعتم،

ولو تركتم لكفرتكم. فاتركوني ما تركتكم، فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم

واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم

عن شيء فاجتنبوه^(١).

والكليني بإسناده عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: « جاء رجل إليه فسأله

فاسألوا أهل الذكر ١٣

عن مسائل فأجاب، ثم عاد ليسأل عن مثلها، فقال علي بن الحسين عليه السلام :
مكتوب في الإنجيل : لا تطلبوا علم ما لا تعلمون، ولما تعملوا بما علمتم، فإن العلم
إذا لم يعمل به لم يزد صاحبه إلا كفرًا، ولم يزد من الله إلا بُعداً^(١).

فعلية : إنما نسأل لتعلم، وإنما نعلم لنعمل، ولا بد من الإخلاص في العمل،
والمخلصون على خطرٍ عظيم.

فالمقصود من السؤال هو الفهم والعلم وزيادة اليقين والمعرفة، ومثل
هذا السؤال له أجرٌ عظيم وثوابٌ جسيم. ووردت النصوص الدينية تحثنا
على ذلك. أما السؤال عمّا لا يزيدك علمًا، ولا نفع فيه ديناً ودنياً، فإنه لا خير
فيه.

وأما آداب السائل والمسؤول والسؤال : فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام :
من أحسن السؤال علم، ومن علم أحسن السؤال^(٢).

وقال عليه السلام : إذا سألت فسل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً، فإنّ الجاهل المتعلم شبيه
بالعالم، وإنّ العالم المتعنت شبيه بالجاهل^(٣).

«فالناس منقصون مدهولون إلا من عصم الله، سائلهم متعنت ومجيبهم
متكلف»^(٤).

وقال عليه السلام : «إنّ من حقّ العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته

(١) الحجّة البيضاء ١ : ١٢٧.

(٢) ميزان الحكمة ٤ : ٣٣١.

(٣) الإرشاد؛ للشيخ المفيد : ١١١.

(٤) بحار الأنوار ٢ : ١١٩.

١٤ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

في الجواب، ولا تلحّ عليه إذا كسل، ولا تأخذه بثوبه إذا نهض، ولا تفشّ له سرّاً، ولا تغتابنّ عنده أحداً، ولا تظلبنّ عثرته، وإن زلّ قبلت معذرتة، وعليك أن توقّره وتعظّمه لله ما دام حفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته»^(١).

فإنما يسأل إذا أذن له، فإنّ السؤال عمّا لم يبلغ رتبته إلى فهمه، لا يمدح عقباه، ولمثل هذا منع الخضر موسى عليه السلام عن السؤال قبل أوانه، وقال له: إنك لا تستطيع معي صبراً.

هذا؛ وأمّا المسؤول: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يستحي العالم إذا سئل عمّا لا يعلم أن يقول: لا أعلم له به^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: من أجاب في كلّ ما يسأل عنه لمجنون.

ومن ترك قول: لا أدري، أصيب مقاتله، وقول لا أعلم، نصف العلم.

عن قاسم بن محمد بن أبي بكر - أحد فقهاء المدينة المتفق على علمه وفقهه بين المسلمين - أنه سئل عن شيء فقال: لا أحسنه، فقال السائل: إنّي جئت إليك لا أعرف غيرك! فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي، وكثرة الناس حولي، والله ما أحسنه. فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي ألزمها! فقال: فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم! فقال القاسم: والله لأن يقطع لساني أحبّ إليّ أن أتكلّم بما لا أعلم لي به!!^(٣).

(١) ميزان الحكمة ٤: ٣٣٥، عن بحار الأنوار ٢: ١١٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ميزان الحكمة ٤: ٣٣٥، عن بحار الأنوار ٢: ١٢٣.

ومن وصايا النبي ﷺ لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: يا أبا ذر، إذا سئلت عن علم لا تعلمه فقل: لا أعلم، تنج من تبعته، ولا تفت بما لا علم لك به، تنج من عذاب الله يوم القيامة.

وعن الصادق عليه السلام: إذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل: لا أدري، ولا يقل: الله أعلم، فيوقع في قلب صاحبه شكاً، وإذا قال المسؤول: لا أدري فلا يتهمه السائل^(١).

فن الأدب:

- ١- حسن السؤال وحسن الجواب.
- ٢- السؤال للفهم والعمل، لا للتعنت والإعجاز والأذى والاستهانة.
- ٣- لا تكثر السؤال إلا إذا أذن لك.
- ٤- لكلّ مقام مقال، وإنما يسأل في أوانه.
- ٥- لا يخجل من لا يدري أن يقول: لا أعلم، فإن لا أدري نصف العلم.
- ٦- أن تكلم الناس على قدر عقولهم.

هذا بعض ما يستنبط من الروايات الشريفة التي مرّت، وهناك آداب أخرى ذكرها العلماء في كتبهم القيّمة، فراجع في مظاته.

وأخيراً إلى من نرجع في أسئلتنا؟ وممن نسأل؟
إنما نرجع إلى أهل الخبرة، ويسأل في كلّ فنّ أهله، وفي كلّ علم أصحابه، وربّنا الله العالم بكلّ شيء سبحانه وتعالى، أمرنا في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفيه فرقان كلّ شيء، هدى للمتقين ورحمةً للمؤمنين،

(١) الميزان والبحار.

أن نسأل فيما لا نعلم أهل الذكر، في قوله تعالى :
﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

آداب المعلم والمتعلم في درسيهما

هذا، وبإحسان أن تتحلّى هذه الرسالة المختصرة بما قاله آية الحقّ الشهيد الثاني رحمته في كتابه القيم (منية المرید في أدب المفيد والمستفيد)، حينما يذكر آداب المعلم والمتعلم في أنفسهما، وذلك في القسم الأوّل، وفي الثاني: آدابهما في درسيهما، وهي أمور:
فيقول:

الأوّل: أن لا يزال كلّ منهما مجتهداً في الاشتغال بقراءة ومطالعة وتعليقاً ومباحثة ومذاكرة وفكراً وحفظاً وإقراء^(١) وغيرها، وأن تكون ملازمة الاشتغال بالعلم هي مطلوبه ورأس ماله، فلا يشتغل بغيره من الأمور الدنيويّة مع الإمكان، وبدونه يقتصر منه على قدر الضرورة. وليكن بعد قضاء وظيفته من العلم بحسب أوراده، ومن هنا قيل: أعطِ العلم كلّك يُعْطِكَ بعضه^(٢).

(١) «إذا قرأ الرجل القرآن والحديث على الشيخ، يقول: أقرأني فلان، أي حملني على أن أقرأ عليه» (لسان العرب ١: ١٣٠، قرأ).

(٢) في (محاضرات الأدباء ١: ٥٠): «قال الخليل: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلّك»؛ ومثله في (إحياء علوم الدين ١: ٤٤)؛ و (ميزان العمل ١١٦)، ونسبه إلى القليل.

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله عزّ وجلّ يقول : تذاكر العلم بين عبادي ممّا تحيا عليه القلوب الميتة إذا هم انتهوا فيه إلى أمري ^(١).

وعن الباقر عليه السلام :

رحم الله عبداً أحيا العلم . فقيل : وما إحياءه ؟ قال : أن يذاكر به أهل الدين والورع ^(٢).

وعنه عليه السلام :

تذاكر العلم دراسة، والدراسة صلاة حسنة ^(٣).

الثاني : أن لا يسأل أحداً تعنتاً وتعجزاً، بل سؤال متعلّم لله أو معلّم له منبّه على الخير، قاصدٍ للإرشاد أو الاسترشاد، فهناك تظهر زيادة التعليم والتعلّم وتثمر شجرته .

فأمّا إذا قصّد مجرد المراء والجدل، وأحبّ ظهور الفلج والغلبة فإنّ ذلك يثمر في النفس ملكةً رديّةً وسجيّةً خبيثةً، ومع ذلك يستوجب المقت من الله تعالى . وفيه مع ذلك عدّة معاصي : كإيذاء المخاطب وتجهيل له وطعن فيه، وثناء على النفس وتزكية لها، وهذه كلّها ذنوب مؤكّدة، وعيوب منهية عنها في محالّها من السنّة المطهّرة، وهو مع ذلك مشوّش للعيش، فإنّك لا تماري سفيهاً إلاّ ويؤذيك،

(١) الكافي ١ : ٤٠ - ٤١، كتاب فضل العلم، باب سؤال العالم وتذاكره، الحديث ٦.

(٢) الكافي ١ : ٤١، كتاب فضل العلم، باب سؤال العالم وتذاكره، الحديث ٧.

(٣) الكافي ١ : ٤١، كتاب فضل العلم، باب سؤال العالم وتذاكره، الحديث ٩.

١٨ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

ولا حليماً إلا ويقليك .

وقد أكد الله سبحانه على لسان نبيّه وأئمّته عليهم السلام تحريم المراء، قال

النبيّ صلّى الله عليه وآله :

لا تمار أخاك ولا تمازحه، ولا تعدّه موعداً فتُخلفه .

وقال صلّى الله عليه وآله :

ذروا المراء، فإنّه لا تُفهم حكمته، ولا تؤمن فتنته .

وقال صلّى الله عليه وآله :

من ترك المراء وهو محقُّ بُني له بيت في أعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطلٌ

بُني له بيتٌ في ربض الجنة .

وعن أمّ سلمة رضي الله عنها، قالت : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

إنّ أوّل ما عهد إليّ ربّي، ونهاني عنه - بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر -

ملاحة الرجال .

وقال صلّى الله عليه وآله :

ما ضلّ قومٌ [بعد أن هداهم الله] إلا أوتوا الجدّل .

وقال صلّى الله عليه وآله :

لا يستكمل عبداً حقيقة الإيمان حتّى يدع المراء وإن كان محقّاً .

وقال الصادق عليه السلام :

المراء داءٌ دويّ، وليس في الإنسان خصلةٌ شرٌّ منه، وهو خلق إبليس

ونسبته، فلا يماري في أيّ حالٍ كان إلا من كان جاهلاً بنفسه وبغيره، محروماً

من حقائق الدين .

وروي أنّ رجلاً قال للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: إجلس حتى نتناظر في الدين. فقال:

يا هذا، أنا بصير بديني مكشوفٌ عليّ هُدًى، فإن كنت جاهلاً بدينك فاذهب فاطلبه، مالي وللمهارة؟ وإنّ الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه ويقول: ناظر الناس لئلا يظنّوا بك العجز والجهل. ثمّ المرء لا يخلو من أربعة أوجه: إمّا أن تتأرّى أنت وصاحبك فيما تعلمان، فقد تركتما بذلك النصيحة، وطلبتما الفضيحة، وأضعمتا ذلك العلم؛ أو تجهلانه، فأظهرتما جهلاً وخاصمتا جهلاً؛ وإمّا تعلمه أنت فظلمت صاحبك بطلب عثرته؛ أو يعلمه صاحبك فتركت حرمته، ولم تُنزله منزلته. وهذا كلّ محال، فمن أنصف وقيل الحقّ وترك المهارة، فقد أوتق إيمانه وأحسن صُحبة دينه وصان عقله^(١).

هذا كلّ^(٢) من كلام الصادق عليه السلام.

واعلم أنّ حقيقة المرء الاعتراض على كلام الغير بإظهار خللٍ فيه لفظاً أو معنىً أو قصداً لغير غرضٍ ديني أمر الله به، وترك المرء يحصل بترك الإنكار والاعتراض بكلّ كلام يسمعه، فإن كان حقّاً وجب التصديق به بالقلب وإظهار صدقه حيث يطلب منه، وإن كان باطلاً ولم يكن متعلّقاً بأمور الدين، فاسكت عنه ما لم يتمخّض النهي عن المنكر بشروطه.

والطعن في كلام الغير إمّا في لفظه بإظهار خللٍ فيه من جهة النحو أو اللغة أو جهة النظم والترتيب بسبب قصور المعرفة أو طغيان اللسان؛ وإمّا في المعنى

(١) بحار الأنوار ٢: ١٣٥، الحديث ٣٢.

(٢) أي: من قوله: «قال الصادق عليه السلام» إلى هنا.

٢٠ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

بأن يقول: ليس كما تقول، وقد أخطأت فيه لكذا وكذا؛ وإمّا في قصده مثل أن يقول: هذا الكلام حقّ ولكن ليس قصدك منه الحقّ، وما يجري مجراه.

وعلامة فساد مقصد المتكلم تتحقّق بکراهة ظهور الحقّ على يد غير يده ليتبيّن فضله ومعرفته للمسألة؛ والباعث عليه الترفع بإظهار الفضل والتهجّم على الغير بإظهار نقصه، وهما شهوتان رديّتان للنفس: أمّا إظهار الفضل فهو تزكية للنفس، وهو من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلوّ والكبرياء، وقد نهى الله تعالى عنه في محكم كتابه، فقال سبحانه: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(١)؛ وأمّا تنقيص الآخر فهو مقتضى طبع السبعيّة، فإنّه يقتضي أن يمزق غيره ويصدمه ويؤذيه، وهي مهلكة.

والراء والجدال مقويان لهذه الصفات المهلكة، ولا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهيج الغضب وحمل المعارض على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حقّ أو باطل، ويقدم في قائله بكلّ ما يتصوّر، فيثور التشاجر بين المتمازيين، كما يثور التهارش بين الكلبيين، يقصد كلّ منهما أن يعضّ صاحبه بما هو أعظم نكايّة وأقوى في إفحامه وإنكائه.

وعلاج ذلك أن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعيّة الباعثة له على تنقيص غيره، بالأدوية النافعة في علاج الكبر والغضب من كتابنا المتقدّم ذكره في أسرار معالم الدين^(٢) أو غيره من الكتب المؤلّفة في ذلك.

ولا ينبغي أن يخدعك الشيطان، ويقول لك: أظهر الحقّ ولا تدهن فيه.

(١) سورة النجم: ٣٢.

(٢) يعني: كتاب (منار القاصدين في أسرار معالم الدين).

فاسألوا أهل الذكر ٢١

فإنه أبدأ يستجّر الحمق إلى الشرّ في معرض الخير، فلا تكن ضحكة الشيطان يسخر بك. فإظهار الحقّ حسن مع من يقبل منه، إذا وقع على وجه الإخلاص، وذلك من طريق النصيحة بالتي هي أحسن لا بطريق الممارسة.

وللنصيحة صفة وهياة، ويحتاج فيها إلى التلطّف، وإلاّ صارت فضيحة، فكان فسادها أعظم من صلاحها.

ومن خالط متفقّه هذا الزمان، والمتّسمين بالعلم غلب على طبعه المرء والجدال، وعسر عليه الصمت إذا ألقى عليه قرناء السوء أنّ ذلك هو الفضل. ففترّ منهم فرارك من الأسد.

الثالث: أن لا يستنكف من التعلّم والاستفادة ممّن هو دونه في منصب أو سنّ أو شهرة أو دين أو في علمٍ آخر، بل يستفيد ممّن يمكن الاستفادة منه، لا ينعه ارتفاع منصبه وشهرته من استفادة ما لا يعرفه، فتخسر صفقته ويقلّ علمه ويستحقّ المقت من الله تعالى، وقد قال النبي ﷺ:

الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقّ بها^(١).

وقال سعيد بن جبیر رضي الله عنه: لا يزال الرجل عالماً ما تعلّم، فإذا ترك التعلّم وظنّ أنّه قد استغنى واكتفى بما عنده، فهو أجهل ما يكون.

وأنشد بعضهم في ذلك:

وليس العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل
ومن هذا الباب أن يترك السؤال استحياءً، ومن هنا قيل: من استحيا

(١) بحار الأنوار ٢: ٩٩، الحديث ٥٨.

من المسألة لم يستحي الجهل منه .

وقيل أيضاً : من رقّ وجهه رقّ علمه^(١) .

وقيل أيضاً : لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر .

وروى زرارة ومحمد بن مسلم وبُريد العجلي ، قالوا : قال أبو عبد الله عليه السلام :

إنما يهلك الناس ، لأنهم لا يسألون^(٢) .

وعنه عليه السلام :

إنّ هذا العلم عليه قُفْل ، ومفتاحه المسألة^(٣) .

الرابع : وهو من أهمّها ، الانقياد للحقّ بالرجوع عند الهفوة ، ولو ظهر على يد من هو أصغر منه ، فإنّه مع وجوبه من بركة العلم ، والإصرار على تركه كبر مذموم عند الله تعالى ، موجب للطرد والبعد ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله :

لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر . فقال بعض أصحابه : هلكنّا يا رسول الله ! إنّ أحدنا يحبّ أن يكون نعله حسناً وثوبه حسناً . فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : ليس هذا الكبر ، إنّما الكبر بطر الحقّ وغمص الناس^(٤) .

والمراد ببطر الحقّ ردّه على قائله ، وعدم الاعتراف به بعد ظهوره ، وذلك أعمّ من ظهوره على يدي الصغير والكبير والجليل والحقير ، وكفى بهذا زجراً وردعاً .

(١) الكافي ٢ : ٨٧ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الحياء ، الحديث ٣ .

(٢) الكافي ١ : ٤٠ ، كتاب فضل العلم ، باب سؤال العالم وتذاكره ، الحديث ٢ .

(٣) الكافي ١ : ٤٠ ، كتاب فضل العلم ، باب سؤال العالم وتذاكره ، الحديث ٣ .

(٤) الكافي ٢ : ٣١٠ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الكبر ، الحديث ٩ .

فاسألوا أهل الذكر ٢٣

الخامس : أن يتأمل ويهذب ما يريد أن يورده أو يسأل عنه قبل إيرازه والنفوه به ليأمن من صدور هفوة أو زلة أو وهم أو انعكاس فهم، فيصير له بذلك ملكةً سالحة، وخلاف ذلك إذا اعتاد الإسراع في السؤال والجواب فيكثر سقطه ويعظم نقصه ويظهر خطأؤه، فيُعرف بذلك، سيّما إذا كان هناك من قرنائه السوء من يخشى أن يُصير ذلك عليه وصمة، ويجعله له عند نظرائه وحسدته وسمه.

السادس : أن لا يحضر مجلس الدرس إلاّ متطهراً من الحدث والخبث متنظفاً متطيباً في بدنه وثوبه، لابساً أحسن ثيابه، قاصداً بذلك تعظيم العلم وترويح الحاضرين من الجلساء والملائكة، سيّما إن كان في مسجد. وجميع ما ورد من الترغيب في ذلك لمطلق الناس، فهو في حقّ العالم والمتعلّم آكد.

هذا ما بيّنه شهيدنا الثاني قدّس الله سرّه وأسكنه فسيح جنانه، في كتابه القيم (منية المرید)، وإني لأنصح إخوتي الكرام بمطالعة هذا الأثر العظيم، ليس للمرّة الواحدة، بل تكراراً ومراراً، لما فيه من الفوائد الثمينة والأخلاق الطيبة والآداب الرفيعة.

ثمّ يا ترى بعد أن عرفنا أثر السؤال وأهميته البالغة في حياة الإنسان، ووقفنا ولو إجمالاً على بعض آداب السؤال، وعلمنا أنّ الله أمرنا في كتابه الكريم بقوله تعالى :

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ .

فحيثنذ لنا أن نسأل : ومن هم أهل الذكر ؟

والجواب إنّما يكون من نفس القرآن المجيد، ومن عنده علم الكتاب .

فن هم أهل الذكر ؟

هؤلاء أهل الذكر

قال الله سبحانه :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١)
والدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون، والله بلطفه وعنايته حذر
المؤمنين من الخسران، وبين أسبابه في قوله تعالى:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢).

فأولى صفات أهل الذكر: الإيمان، ثم التقوى، لقوله تعالى:
﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٣)
فالتذكر هو الحدّ الوسط، مقدّماته التقوى، ونتيجته البصيرة والإبصار،
فالتقى أهل الذكر صاحب البصيرة، يقف على حقائق الأشياء كما هي، بحسب

(١) الرعد : ٢٨ .

(٢) المنافقون : ٩ .

(٣) الأعراف : ١ - ٢ .

الطاقة البشرية .

أهل الذكر هم أولو الألباب والفكر والدعاء :

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١).

هم أهل الصلاة :

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ (٢).

﴿ أقيم الصلاة لذكري ﴾ (٣).

أجل، الشيطان الرجيم هو الذي يصدّ عن ذكر الله :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ

عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾ (٤).

أتدري ماذا يقطف من يعرض عن ذكر الله ويغفل عن ربّه وينساه ؟

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (٥).

أتعلم ماذا يكون عاقبة المعرضين عن ذكر الرحمن ؟

قال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ

(١) آل عمران : ١٩١ .

(٢) النساء : ١٠٣ .

(٣) طه : ١٤ .

(٤) المائدة : ٩١ .

(٥) الحشر : ١٩ .

لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتِي فَانْسِيْتُهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١﴾ .

﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ... ﴾ (٢)

فعلى كل واحد منّا أن يكون من الذاكرين :

﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٣) .

وعلينا أن نترّه أنفسنا من النفاق، إذ قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاوُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤) .

فالعبد والمحِبُّ حقاً من كان يذكر معبوده ومعشوقه ومحبوه دوماً، ولا يغفل

عن ذكره طرفة عين، وقد وعدنا الله سبحانه أن يذكرنا لو ذكرناه في قوله تعالى :

﴿ فَأَذْكُرُوا لِي آيَاتِي وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ﴾ (٥) .

وإنما يذكر الله من كان يرجو لقاء الله ويؤمن بالمعاد :

﴿ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٦) .

(١) ص : ١٢٤ - ١٢٦ .

(٢) الزخرف : ٣٦ - ٣٨ .

(٣) الأعراف : ٢٠٥ .

(٤) النساء : ١٤٢ .

(٥) البقرة : ١٥٣ .

(٦) الأحزاب : ٢١ .

ونتيجة الذكر الفلاح :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (١).

ويكون من المتقين الذين جاء في وصفهم في قوله تعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ أَن يَبْصِرَ وَأَعْلَىٰ مِمَّا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (٢).

كما أن الشاعر المبدئي والفقير الرسالي من استثناءه الله عن الشعراء الذين يتبعهم الغاؤون، فقال سبحانه :

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٣).

فلا بد من الذكر الكثير بكرةً وأصيلاً، ومثل هذا يطلب موسى كليم الله من ربه وزيراً :

﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ (٤).

(١) الأعلى : ١٥.

(٢) آل عمران : ١٣٢ - ١٣٦.

(٣) الشعراء : ٢٣٤ - ٢٣٧.

(٤) طه : ٣٤.

ومن فلسفة العبادات هو ذكر الله سبحانه فهذا الحجّ في قوله تعالى :

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّغْلُومَاتٍ ﴾ (١).

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا ﴾ (٢).

وما أكرم أولئك الذين وهبهم الله العقل فاستعملوه في موضعه (العقل ما عبّد

به الرحمن واكتسب به الجنان)، وقال الله عنهم :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا

مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٣).

﴿ وَاذْكُرِ اللَّهُ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ (٤).

﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (٥).

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ (٦).

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٧).

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ (٨).

(١) الحجّ : ٢٨.

(٢) البقرة : ٢٠٠.

(٣) آل عمران : ١٩٠ - ١٩١.

(٤) آل عمران : ٤١.

(٥) الأعراف : ٢٠٥.

(٦) المزمل : ٨.

(٧) الإنسان : ٢٥.

(٨) النساء : ١٠٣.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١).
 ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ ﴾ (٢).
 ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٣).
 فالآيات في ذكر الله كثيرة، وما أكثر الروايات في ذلك، لم نتعرض لها طلباً للاختصار.

وزبدة المخاض: أهل الذكر هم أولياء الله الكرام البررة، هم أهل القرآن الكريم، إذ من أسماء القرآن الذكر، لقوله تعالى:
 ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٤).
 ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾ (٥).
 ﴿ أَوْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ (٦).
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ (٧).
 ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾ (٨).
 وآيات أخرى تدل على ذلك، كما إن من مصاديق الذكر الرسول الأعظم

(١) الأنفال: ٢.

(٢) الحج: ٣٥.

(٣) الرعد: ٢٨.

(٤) الحجر: ٩.

(٥) المدثر: ٥٥ + عبس: ١٢.

(٦) ص: ١.

(٧) فصلت: ٤١.

(٨) القلم: ٥١.

محمد ﷺ كما ورد في الروايات.

وكذلك أهل الذكر هم الأئمة الأطهار عترة النبي المختار، ومن كان منهم يحدو حدوهم كسلمان المحمدي، الذي قال في حقه النبي ﷺ: سلمان مئتا أهل البيت، ودليلنا على أن أئمة مصداق لأهل الذكر هم أئمة الحق المعصومون من عترة النبي الأعظم ﷺ آيات من القرآن الكريم والروايات الكثيرة من النبي وأهل بيته عليه السلام في كتب الفريقين - السنة والشيعه - فمن الآيات قوله تعالى:

﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾ (١).

ولقول النبي الأكرم محمد ﷺ في حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (٢)، فكل ما في القرآن من العلوم والمعارف فهو عند أهل البيت، وكل ما عندهم فهو في القرآن إلى يوم القيامة، إذ لن يفترقا في كل شيء.

أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة، قالا: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها - لبيت علي وفاطمة -؟ قال: نعم من أفاضلها (٣).

في بيوت نزل فيهم القرآن الكريم، وما هي بيوت حجارة ولا طين، إنما هي

(١) النور: ٣٦.

(٢) لقد ذكرت مصادر الرواية عند الفريقين والمقارنة بين القرآن والعترة بالتفصيل في كتاب «في رحاب حديث الثقلين»، فراجع.

(٣) ميزان الحكمة ٣: ٤٣٦.

٣٢ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعتره

بيوت الأنبياء والمرسلين، والعلماء ورثة الأنبياء، وأتمّ مصاديق العلماء هم أهل البيت عليهم السلام، ثمّ من يحذو حذوهم ويهتدي بهداهم ويقتدي بآثارهم ويتأثّر بهم، ولكم في رسول الله أسوة حسنة.

عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام لقتادة: من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصري.

فقال له أبو جعفر الصادق عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم... فسكت قتادة طويلاً، ثمّ قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدأمهم، فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم كما اضطرب قدّامك!!

فقال له أبو جعفر عليه السلام: أتدري أين أنت؟ بين يدي ﴿بيوتِ أذنِ الله أنْ تُرْفَعُ﴾، فأنت ثمّ، ونحن أولئك.

فقال له قتادة: صدقت والله، جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين^(١).

وأما الروايات الواردة في خصوص الآية الشريفة: ﴿فاسألوا أهل الذّكر﴾، فاليك جملة منها من كتب الفريقين - السنة والشيعة - حتّى لا يكون بعد الحقّ إلاّ الضلال.

فن يرى هذه الروايات الشريفة وأمثالها، هل ينجو لو ذهب إلى زيد وعمرو؟!!

وهل يصحّ أن يطلب الإنسان العلم من غير أهل البيت عليهم السلام، وهم معدن العلم الصافي والمعارف الصحيحة؟!!

(١) ميزان الحكمة ٣: ٤٣٧.

ولماذا نختار مذهب أهل البيت عليهم السلام، وإنّ أتباعهم هم الفرقة الناجية،
وهم أهل القرآن والسنة، وهم أصحاب الحقّ والحقيقة.

وقفوهم إنهم مسؤولون، فهل سألوا وحقّقوا في دينهم ومذهبهم؟ أم قلّدوا
آباءهم، وكانوا على آثارهم من دون علم وتحقيق.

فهل سألوا أهل الذكر الواقعيّين؟ كما أمرنا الله سبحانه وأراد!
أم سألوا أبحارهم الضالّين المضلّين - ضعف الطالب والمطلوب - .
فن هم أهل الذكر؟

أهل الذكر في كتب العامة

أنقل هذه الأحاديث الشريفة من كتاب «تعليقات إحقاق الحق» لسيدنا الأستاذ آية الحق السيد النجفي المرعشي قدس سره الشريف.

فقد جاء في المجلد الثالث، الصفحة ٤٨٢ :

قال المصنّف رفع الله درجته :

الثالثة والثمانون - روى الحافظ محمد بن موسى الشيرازي من علماء الجمهور، واستخرجه من التفاسير الاثني عشر^(١) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾^(٢)، قال: هو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، هم أهل

(١) المراد من التفاسير الاثني عشر على ما صرح به بعد مطاعن معاوية «تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان» و«تفسير ابن حجر جريح» و«تفسير مقاتل بن سليمان» و«تفسير وكيع بن جراح» و«تفسير يوسف بن موسى القطان» و«تفسير قتادة» أبي علي بن عبيدة القاسم بن سلام و«تفسير حرب الطائي» و«تفسير السدي» و«تفسير مجاهد» و«تفسير مقاتل بن حيان» و«تفسير أبي صالح» و«تفسير محمد بن موسى الشيرازي».

(٢) النحل: ٤٣.

أورده من حفاظ القوم وأعيانهم عدّة، ونحن نشير إلى بعضٍ منهم فنقول :

منهم: العلامة الطبري في تفسيره (١٤ : ٦٩، طبعة الميمنية بصر) حدّثنا ابن وكيع، قال :

ثنا ابن يمان عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

الذكر والعلم والعقل والبيان، وهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة،

لا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾، قال: نحن أهل الذكر.

ومنهم: العلامة الثعلبي، كما في العمدة للعلامة ابن بطريق (الصفحة ١٥٠، طبعة تبريز) في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾، قال: قال جابر الجعفي: لما نزلت هذه الآية قال علي عليه السلام: نحن أهل الذكر.

ومنهم: العلامة ابن كثير في تفسيره (٢: ٥٧٠، طبعة مصطفى محمد بمصر) نقل عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: نحن أهل الذكر.

ومنهم: العلامة النطنان في تفسيره (كما في كفاية الخصام: ٣٣٨، طبعة طهران) روى عن الوكيع عن الثوري عن السدي نزول الآية في علي عليه السلام.

ومنهم: الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي في كتاب المستخرج من التفسير الاثني عشر (كما في كفاية الخصام ٣٣٨، طبعة طهران)، قال في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾: أي فاسألوا عن أهل البيت، والله ما سمي المؤمن مؤمناً إلا بسبب حبّ عليّ بن أبي طالب.

ومنهم: العلامة أبو الثناء الألويسي في روح المعاني (١٤: ١٣٤، طبعة المنيرية بمصر)، أورد عن جابر ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر، اختصاص أهل الذكر بأئمة أهل البيت. روى ابن مردويه عن أنس قال: سمعت رسول الله يقول: إن الرجل ليصلي ويصوم ويحج ويعتمر وإنه لمنافق. قيل: يا رسول الله، بماذا دخل عليه المنافق؟ قال: يطعن على إمامه، وإمامه من قال الله تعالى في كتابه: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

ومنهم: العلامة الشيخ السيد سليمان القندوزي في ينابيع المودة (الصفحة ١١٩، طبعة إسلامبول)، أخرج الثعلبي عن جابر بن عبد الله، قال: قال علي بن أبي طالب: نحن أهل الذكر، بكلامه، فقول تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾، وأما معناه محمد فالآية في سورة الطلاق، فاتقوا الله يا أولي الألباب، إلى آخرها.

٣٦ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

والله ما سمى المؤمن مؤمناً إلا كرامةً لأمر المؤمنين. ورواه سفيان الثوري عن السدي عن الحارث، انتهى.

قال الناصب خفضه الله :

أقول : ليس هذا من روايات تفاسير أهل السنة، وهي أشياء تدلّ على فضيلة آل العباء، وهذا أمر لا ريب فيه، ولا ينكرها إلا المنافق ولا يعتقدونها إلا المؤمن الخالص، ولكن لا يبتّ به النصّ. انتهى.

أقول :

لا يخفى أنّ الحافظ المذكور من مشاهير أهل السنة والتفاسير التي استخرج منها من تفاسيرهم، فالقول بأنّ هذا ليس من روايات تفاسير أهل السنة لا وجه له، وكأنّه إنّما أنكر كون تلك التفاسير من تفاسير أهل السنة؛ لأنّه لكمال عداوته مع الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، لمّا رأى لفظ التفاسير في كلام المصنّف مضافاً إلى اثني عشر توخّش طبعه وانتشر كذي نابٍ أهره الشرّ، أو عاصٍ أحضر في المحشر، فتوهم أنّ تلك التفاسير تفاسير الأئمة الاثني عشر أو الاثني عشرية القائلين بإمامة ذلك المعشر، ومن كرامات المصنّف عليه السلام أنّه ألهم بأنّ مثل هذا الناصب الجاهل ربما يأتي بمثل هذا الإنكار، ففضّل فيما بعد عند ذكر مطاعن بعض الصحابة أسامي مؤلّفي تلك التفاسير ليعلم أنّهم من أهل السنة والجماعة، ولا يبقّى مجال للإنكار والمنازعة.

وأما وجه الاستدلال بالآية فظاهر جدّاً؛ لأنّ من سمّاه الله تعالى بأهل الذكر وأمر سائر الأئمة بالسؤال عنه لا يكون إلا إماماً.

قال المصنّف رفع الله درجته :

الرابعة والثمانون - عن الحافظ^(١) في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾^(٢)، بإسناده إلى السدي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ولاية علي، يتساءلون عنها في قبورهم، فلا يبقُ ميّت في شرق ولا في غرب، ولا في برّ ولا في بحر، إلا ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين بعد الموت، يقولان للميّت: مَنْ ربّك؟ وما دينك؟ ومَنْ نبيّك؟ ومَنْ إمامك؟ وعنه، عن ابن مسعود، قال: وقعت الخلافة من الله تعالى لثلاثة نفر، آدم في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وداود: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٣)، وأمير المؤمنين: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، داود وسليمان: ﴿وَلْيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ يعني الإسلام ﴿وَلْيُعِدِّلَنَّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من أهل مكّة ﴿أُفْنَأُ﴾ يعني في المدينة ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ يعني

(١) هو أبو بكر بن مؤمن الشيرازي في رسالة الاعتقاد (كما في مناقب الكاشي، المخطوط)، قال: روى عن عبد الخير، عن علي عليه السلام، قال: سألت صخر بن حرب عن رسول الله عن الأمر بعده، قال: يا صخر، الأمر بعدي لمن هو منّي بمنزلة هارون من موسى، فنزلت ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، فلا يبقُ ميّت في شرق الأرض ولا غربها في بحر ولا برّاً إلا منكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين وخلافته، يقولان للميّت: مَنْ ربّك، وما دينك، ومن إمامك؟

(٢) النبأ: ١.

والنبأ محرّكة الخبر، والنبي الخبر عن الله تعالى من نبأ وترك الهمزة.

(٣) يعني أرض بيت المقدس، كذا في شواهد التأويل.

يُوْحَدُونَنِي ﴿ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ لولاية علي ﴿ فَأَوْلَيْنِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ يعني العاصين لله تعالى ولرسوله، وهذا كله نقله الجمهور واشتهر عنهم وتواتر عنهم، انتهى.

وجاء في المجلد التاسع، الصفحة ١٢٥ :

ومنها : قوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

رواه جماعة من أعلام القوم :

منهم : العلامة محمد بن مؤمن الشيرازي في كتابه «المستخرج من التفسيرات

الاثني عشر» (كما في كفاية الخصام : ٣٣٨، طبعة طهران).

قال في قوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ ، أي : فاسألوا عن أهل البيت ،

والله ما سمى المؤمن مؤمناً إلا بسبب حبّ علي بن أبي طالب .

ومنهم : العلامة الطبري في تفسيره (١٤ : ٦٩ ، طبعة الميمنية بمصر) قال :

حدّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن اسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، قال : نحن أهل الذكر .

ومنهم : العلامة الثعلبي في تفسيره كما في «العمدة» لابن بطريق (الصفحة

١٥٠ ، طبعة تبريز) ، في قوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ ، قال جابر الجعفي :

لما نزلت هذه الآية قال علي : نحن أهل الذكر .

ومنهم : العلامة ابن كثير في تفسيره (٢ : ٥٧٠ ، طبعة مصر) ، روى الحديث

بعين ما تقدّم عن «تفسير الطبري» .

ومنهم : العلامة الألوسي في «روح المعاني» (١٤ : ١٣٤ ، طبعة مصر) ، ورد

عن جابر ومحمد بن مسلم ، عن أبي جعفر ، اختصاص أهل الذكر بأئمة أهل البيت .

أهل الذكر في كتب العامة ٣٩

ومنهم : العلامة القندوزي في «ينابيع المودة» (الصفحة ١١٩، طبعة إسلامبول)، روى عن الثعلبي بعين ما تقدّم عن «العمدة» .

وجاء في المجلد الرابع عشر، الصفحة ٣٧١ :

الآية السابعة والخمسون، قوله تعالى ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

قد تقدّم ما ورد في نزولها في شأنه عليه السلام في ٣ : ٤٨٢، و ٩ : ١٢٥، عن جماعة من العامة في كتبهم، ونستدرك النقل ها هنا عمّن لم نقل عنهم . وفيه أحاديث :

الأوّل - ما رواه السدي .

رواه القوم :

منهم : العلامة الثعلبي في «الكشف والبيان» (مخطوط)، قال :

روى في تفسير يوسف القطّان، عن وكيع، عن الثوري، عن السدي، قال : كنت عند عمر بن الخطّاب إذ أقبل عليه كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيّ بن أخطب، فقالوا : إنّ في كتابك ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ إذا كانت سعة جنة واحدة بسبع سماوات وسبع أرضين، فالجنان كلّها يوم القيامة أين تكون ؟ فقال عمر : لا أعلم . فبينما هم في ذلك إذ دخل عليّ عليه السلام، فقال : أفي شيء كنتم ؟ فألقى اليهوديّ المسألة عليه، فقال لهم : خبروني أنّ النهار إذا أقبل الليل أين يكون ؟ قالوا له : في علم الله تعالى . فقال عليّ عليه السلام : كذلك الجنان، تكون في علم الله . فجاء عليّ عليه السلام إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وأخبره بذلك . فنزل : ﴿ فَاسْأَلُوا

٤٠ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ .

ومنها الحاكم الحسكاني في «شواهد التنزيل» (١ : ٣٣٤، طبعة بيروت)، قال :

حدَّثنا عبدويه بن محمد بشيراز، حدَّثنا سهل بن نوح بن يحيى، حدَّثنا أبو الحسن الحبابي، حدَّثنا يوسف بن موسى القظان، عن وكيع، عن سفيان، عن السدي، عن الحرث، قال : سألت علياً عن هذه الآية : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ ، قال : والله إنا لنحن أهل الذكر، نحن أهل العلم، ونحن معدن التأويل والتنزيل، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابها .

الثاني - ما رواه جابر .

رواه جماعة من أعلام القوم :

منهم العلامة الشيخ عبيد الله الحنفي الأمتسري من المعاصرين في «أرجح

المطالب» (الصفحة ٨٥، طبعة لاهور)، قال :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : قال علي بن أبي طالب : نحن أهل الذكر -

أخرجه الثعلبي في تفسيره وصاحب «معالم التنزيل» .

ومنهم العلامة الخثعمي السهيلي في «التكلمة» (الصفحة ١٣٦، مخطوط) :

روى الحديث عن عليّ بعين ما تقدّم عن «أرجح المطالب» .

ومنها : الحاكم الحسكاني في «شواهد التنزيل» (١ : ٣٣٥، طبعة بيروت)،

قال :

أخبرنا أبو بكر الحرشي، أخبرنا أبو منصور الأزهرى، أخبرنا أحمد بن نجدة

ابن العريان، أخبرنا عثمان بن أبي شيبة، أخبرنا يحيى بن يمان، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر، في قوله: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾، قال: نحن أهل الذكر. أخبرنا أبو سعد المعادي، أخبرنا أبو الحسين الكهيلي، أخبرنا أبو جعفر الحضرمي، أخبرنا إسماعيل بن أبي الحكم الثقفى، أخبرنا يحيى بن يمان به لفظاً سواء، وأخبرنا أبو الحسن الأهوازي، أخبرنا أبو بكر القاضي بن الجعابي، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن هلال، أخبرنا أبو هشام بن يمان به لفظاً سواء.

ورواه أيضاً سفيان بن وكيع، عن يحيى في العتيق، ورواه أيضاً أبان ابن تغلب، عن أبي جعفر.

أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي، أخبرنا أبو بكر المجرجاني، أخبرنا أبو أحمد البصري، أخبرنا أحمد بن عمار، أخبرنا عبد الرحمن بن صالح، عن موسى ابن عثمان الحضرمي، عن جابر، عن محمد بن علي، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قال عليّ عليه السلام: نحن أهل الذكر الذي عنانا الله جلّ وعلا في كتابه.

أخبرنا أبو الحسين (الحسن «خ») الفارسي، أخبرنا أبو بكر الفارسي ببيضاء فارس، أخبرنا محمد بن القاسم، أخبرنا أبو نعيم إبراهيم بن ميمون، عن عليّ ابن عباس، عن جابر، عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾، قال: نحن هم.

وأخبرنا أبو الحسن، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن زيدان، أخبرنا محمد ابن ثواب الهبازي، كذا أخبرنا عبد الله بن الزبير، أخبرنا أبو موسى، عن سعد الإسكاف، عن محمد بن علي في قوله عزّ ذكره: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾، قال: نحن هم.

٤٢ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

أخبرنا أبو العباس الفرغاني، أخبرنا أبو المفضل الشيباني، أخبرنا أبو زيد محمد بن أحمد بن سلام الأديبي بالمراغة، أخبرنا السري بن خزيمة الرازي، أخبرنا منصور بن أبي مويرة كذا عن محمد بن مروان، عن السدي، عن الفضيل ابن يسار، عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾، قال: هم الأئمة من عترة رسول الله، وتلا: ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا ﴾ (الطلاق: ١٠).

الثالث - ما رواه ابن عباس .

رواه القوم :

منهم : العلامة علي بن عبد العالي المحقق الكرخي المتوفى سنة ٩٤٠ في كتابه «نفحات اللاهوت» (الصفحة ٤١)، قال :

ونقل أن المحافظ محمد بن موسى الشيرازي وهو من علماء أهل السنة روى واستخرجه من اثني عشر تفسيراً عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، قال: هم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، هم أهل الذكر والعلم والعقل والبيان، وهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، والله ما سمي المؤمن مؤمناً إلا كرامةً لأمر المؤمنين.

أهل الذكر في كتب الخاصة

يُعدّ بحار الأنوار لشيخنا الأجلّ العلامة المجلسي قَبِيْرُ من أنفس وأوسع الموسوعات الروائية لأصحابنا الكرام، لجامعيته وسعته، وإِنَّه اسمٌ على مسمًى، وإن كان فيه الضعاف من الأحاديث، إلا أن كثرة الروايات في كلِّ باب، يغبينا عن المراجعة إلى المصنّفات الأخرى، ولمثل هذا أكتفي بذكر الروايات المتعلّقة بالموضوع من هذا السفر القيم والكتاب العظيم.

١- في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾، قال علي ع: نحن أهل الذكر^(١).

٢- في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾، قال: آل محمّد هم أهل الذكر^(٢).

٣- في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾، أي أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم، أو أهل الكتاب، أو أهل القرآن، لأنّ الذكر القرآن^(٣). ويقرب منه ما رواه جابر ومحمّد بن مسلم عن أبي جعفر ع: نحن أهل الذكر،

(١) البحار ٩: ١٢٥.

(٢) المصدر ٩: ٢٢٤.

(٣) قد استعمل الذكر بهذا المعنى في مواضع كثيرة من القرآن، منها: في آل عمران: ٥٨، ٦٣ و ٦٩، وسورة الحجر: ٥ و ٩، ويس: ٦٩، وفصلت: ٤٠، والقمر: ٢٥، والطلاق: ١٠، والقلم: ٥١.

وقد سُمِّيَ الله رسوله ذكراً في قوله: ﴿ذِكْرًا رَسُولًا﴾ على أحد الوجهين^(١).

٤- في تفسير القمي، في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا﴾، قال: (الذكر) اسم رسول الله ﷺ، ونحن أهل الذكر^(٢).

٥- عن الكلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: كم لمحمد اسم في القرآن؟ قال: قلت: إسمان أو ثلاث. فقال: يا كلبي، له عشرة أسماء:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

﴿وَلَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾.

﴿طه ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾.

﴿يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا﴾، فالذكر اسم من أسماء محمد ﷺ،

ونحن أهل الذكر، فسل يا كلبي عما بدا لك. قال: فأنسبت والله القرآن كله، فا حفظت منه حرفاً أسأله عنه^(٣).

٦- عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

(١) البحار ١١ : ١٧ .

(٢) البحار ١٦ : ٩٠ .

(٣) البحار ١٦ : ١٠١ .

لا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ، قال رسول الله ﷺ : الذكر أنا، والأئمة عليهم السلام أهل الذكر، وقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِلسَّوْمِكِ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ ، قال أبو جعفر عليه السلام : نحن قومه ونحن المسؤولون^(١).

٧- عن شعيب قال : كنت عند الصادق عليه السلام إذ دخل عليه يونس فسأله - وذكر الحديث ، وهو مفصل ، فراجع - إلا أنه يقول في حديث شعيب عند قوله ليونس : إذا أردت العلم الصحيح فعندنا، فنحن أهل الذكر الذي قال الله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٢).

٨- عن جابر الجعفي في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ ، قال : قال علي عليه السلام : نحن أهل الذكر^(٣).

٩- عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث طويل في احتجاجه مع المأمون حول الآية الشريفة: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ أن المراد هم العترة، فيستدل الإمام عليه السلام على ذلك بآيات من القرآن الكريم، فقال: وأما التاسعة: فنحن أهل الذكر الذين قال الله عز وجل: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، فنحن أهل الذكر، فاسألونا إن كنتم لا تعلمون. فقالت العلماء - الذين كانوا مع المأمون -: إنما عني بذلك اليهود والنصارى! فقال أبو الحسن عليه السلام : سبحان الله، وهل يجوز ذلك؟ إذا يدعوننا إلى دينهم ويقولون: إنه أفضل من دين الإسلام! فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوا يا أبا الحسن؟ فقال عليه السلام :

(١) البحار ١٦ : ٣٥٩.

(٢) البحار ٣٦ : ٤٠٥.

(٣) البحار ٣٦ : ١٧٧.

٤٦ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

نعم، الذكر رسول الله، ونحن أهله، وذلك بين في كتاب الله عز وجل حيث يقول في سورة الطلاق: ﴿ فَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْسَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾، فالذكر رسول الله ﷺ، ونحن أهله، فهذه التاسعة^(١).

١٠ - بحار الأنوار ٢٣ : ١٧٢، الباب ٩: «إِنَّهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ الذِّكْرُ وَأَهْلُ الذِّكْرِ وَإِنَّهُمْ الْمَسْئُولُونَ، وَإِنَّهُ فَرَضَ عَلَى شِيعَتِهِمُ الْمَسْأَلَةَ، وَلَمْ يَفْرَضْ عَلَيْهِمُ الْجَوَابَ»، وفي الباب ٦٥ رواية، منها:

في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾، تفسير: قيل: المراد بأهل الذكر أهل العلم، وقيل: أهل الكتاب، وستعلم من الأخبار المستفيضة أَنَّهُمُ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْجِهَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدَ تِلْكَ الْآيَةِ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ ﴾، والثاني: أَنَّهُمْ أَهْلُ الرَّسُولِ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ ذِكْرًا فِي قَوْلِهِ: ﴿ ذِكْرًا رَسُولًا ﴾، وهذا مما روتَه الْعَامَّةُ أَيْضًا. روى الشهرستاني في التفسير المسمى بمفاتيح الأسرار عن جعفر بن محمد عليه السلام أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَقَالَ: مَنْ عِنْدَنَا يَقُولُونَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أَنَّ الذِّكْرَ هُوَ التَّوْرَةُ، وَأَهْلُ الذِّكْرِ هُمُ عُلَمَاءُ الْيَهُودِ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاللَّهِ إِذَا يَدْعُونَنَا إِلَى دِينِهِمْ، بَلْ نَحْنُ وَاللَّهِ أَهْلُ الذِّكْرِ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِرَدِّ الْمَسْأَلَةِ إِلَيْنَا، قَالَ: وَكَذَا نَقَلَ عَنِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ.

١١ - في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾، قال الإمام الباقر عليه السلام: نحن أهل الذكر.

١٢ - قال أبو جعفر الطوسي: سَمِيَ اللهُ رسوله ذكراً، قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا﴾، فالذكر رسول الله، والأئمة أهله، وهو المروي عن الباقر والصادق والرضا عليهم السلام.

١٣ - قال سليمان الصهرشتي: الذكر القرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ وهم حافظوه والعارفون بمعانيه، تفسير يوسف القَطَّان ووكيع بن الجراح واسماعيل السدي وسفيان الثوري إنه قال الحارث: سألت أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية، قال: والله إنا لنحن أهل الذكر، نحن أهل العلم، نحن معدن التأويل والتنزيل.

١٤ - عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المعنون بذلك؟ قال: نحن. قلت: فأنتم المسؤولون؟ قال: نعم. قلت: ونحن السائلون؟ قال: نعم. قلت: فعلينا أن نسألكم؟ قال: نعم. قلت: وعليكم أن تجيبونا؟ قال: لا، ذاك إلينا، وإن شئنا فعلنا وإن شئنا تركنا، ثم قال: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب.

١٥ - عن البرنطي، فيما كتب إليه الرضا عليه السلام، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، فقد فرضت عليكم المسألة، والرد علينا، ولم يفرض علينا الجواب.

١٦ - عن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾، قال: الذكر القرآن، ونحن قومه، ونحن المسؤولون. ومثله عن أبي جعفر عليه السلام، وعن زرارة مثله.

١٧ - عن عمر بن يزيد، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾، قال: رسول الله صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الذكر، وهم المسؤولون.

٤٨ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

قال العلامة في بيان ذلك : فسّر المفسّرون الذكر بالشرف، والسؤال بأنهم يسألون يوم القيامة عن أداء شكر القرآن والقيام بحقه، وعلى هذه الأخير المعنى أنكم تسألون عن علوم القرآن وأحكامه في الدنيا.

١٨ - عن أبي بصير في قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ

تُسْأَلُونَ ﴾، قال: رسول الله ﷺ، وأهل بيته هم المسؤولون، وهم أهل الذكر.

١٩ - عن صفوان عن الرضا عليه السلام، في قول الله: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ

وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾، قال: نحن هم.

٢٠ - بالإسناد عن الرضا عليه السلام، قال: قال الله: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾

وهم الأئمة، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فعليهم أن يسألوهم وليس عليهم أن يجيبوهم، إن شاؤوا أجابوا وإن شاؤوا لم يجيبوا.

٢١ - عن أبي بكر الحضرمي، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام ودخل عليه

الورد أخو الكهيت، فقال: جعلني الله فداك، اخترت لك سبعين مسألة وما يحضرنى

مسألة واحدة منها، قال: ولا واحدة يا ورد؟ قال: بلى! قد حضرنى واحدة. قال:

وما هي؟ قال: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾،

قال: يا ورد، أمركم الله تبارك وتعالى أن تسألونا، ولنا إن شئنا أجبتكم، وإن شئنا

لم نجيبكم.

٢٢ - عن الوشاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: سمعته يقول: قال

علي بن الحسين عليه السلام: على الأئمة من الفرض ما ليس على شيعتهم، وعلى شيعتنا

ما ليس علينا، أمرهم الله أن يسألونا، فقال: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ ﴾، فأمرهم أن يسألونا وليس علينا الجواب، إن شئنا أجبتنا، وإن شئنا

أمسكنا.

٢٣ - عن هشام بن سالم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من هم؟ قال: نحن. قال: قلت: علينا أن نسألكم؟ قال: نعم، قلت: عليكم أن تحيونا؟ قال: ذلك إلينا. ومثله عن ابن أبي عمير.

٢٤ - عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من هم؟ قال: نحن. قلت: فمن المأمورون بالمسألة؟ قال: أتم. قال: قلت: فإننا نسألك كما أمرنا، وقد ظننت أنه لا يمنع عني إذا أتيت من هذا الوجه. قال: فقال: إنما أمرتم أن تسألونا، وليس لكم علينا الجواب، إنما ذلك إلينا. ٢٥ - عن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، قال: هم آل محمد، فعلى الناس أن يسألوهم، وليس عليهم أن يجيبوا، ذلك إليهم، إن شاؤوا أجابوا، وإن شاؤوا لم يجيبوا.

٢٦ - عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: إن من عندنا يزعمون أن قول الله ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أنهم اليهود والنصارى. قال: إذا يدعونهم إلى دينهم، ثم أشار بيده إلى صدره فقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون.

٢٧ - عن عمّار الساباطي، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه سئل عن قول الله عز وجل: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، قال: هم آل محمد، وأنا منهم.

٢٨ - عن عبد الحميد، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، قال: كتاب الله الذكر، وأهله آل محمد الذين أمر الله بسؤالهم، ولم يؤموا بسؤال الجهال، وسمى الله القرآن ذكراً فقال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

٥٠ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

الذَّكْرَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٩﴾ .

٢٩ - عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذَّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، قال: الذكر القرآن، وآل رسول الله أهل الذكر، وهم المسؤولون.

٣٠ - عن عبد الله بن عجلان، في قوله: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذَّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، قال: رسول الله صلى الله عليه وآله، وأهل بيته من الأئمة هم أهل الذكر.

٣١ - عن حماد بن بريد، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذَّكْرِ ﴾، قال: الذكر القرآن، ونحن أهله.

٣٢ - عن عبد الله بن جعفر، بسندة، وعن عبد الله بن عطا، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: نحن أولو الذكر، وأولو العلم، وعندنا الحلال والحرام.

٣٣ - عن حمزة بن محمد الطيَّار، قال: عرضت على أبي عبد الله عليه السلام بعض خطب أبيه حتى انتهى إلى موضع، فقال: كفت فاسكت، ثم قال لي: اكتب، وأملئ عليّ: إنّه لا يسعكم فيما نزل بكم ممّا لا تعلمون إلاّ الكفّ عنه والتشبّث فيه، وردّه إلى أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد، ويحلّوا عنكم فيه العمى، قال الله: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذَّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

٣٤ - عن أحمد بن محمد، قال: كتب إليّ أبو الحسن الرضا عليه السلام: عافانا الله وإيتاك أحسن عافيته، إنّما شيعتنا من تابعنا ولم يخالفنا، وإذا خفنا خاف، وإذا أمنا أمن، قال الله: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذَّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، وقال: ﴿ فَلَوْلَا نَفْرَمِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ ﴾ الآية. فقد فرضت عليكم المسألة، والردّ إلينا، ولم يفرض علينا الجواب أو لم تنهوا عن كثرة المسائل فأبيتهم أن تنتهوا؟ إيتاكم وذاك، فإنّه إنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم لأنبيائهم،

أهل الذكر في كتب الخاصة ٥١

قال الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنِّ أَسْئَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْوَكُمْ ﴾ .

٣٥- عن أبان بن تغلب، عن جعفر بن محمد عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ ، قال: نحن.

٣٦- في تفسير الثعلبي، قال علي عليه السلام في قوله: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ : نحن أهل الذكر.

٣٧- عن أبان بن العباس الفلكي، قال علي عليه السلام : ألا إن الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن أهله، ونحن الراسخون في العلم، ونحن منار الهدى وأعلام التقى، ولنا ضربت الأمثال.

٣٨- ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ، قال: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الشيعة، و ﴿ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، ثم قال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

٣٩- قال العلامة بهره في كتاب كشف الحق، روى الحافظ محمد بن موسى الشيرازي من علماء الجمهور، واستخرجه من التفاسير الاثني عشر عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ ، قال: هو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وهم أهل الذكر والعلم والعقل والبيان، وهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، والله ما سمي المؤمن مؤمناً إلا كرامةً لأمر المؤمنين عليهم السلام. ورواه سفيان الثوري عن السدي عن الحارث، انتهى.

٤٠- عن ابن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام، في قوله عز وجل: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ ، قال: نحن أهل الذكر.

٤١- عن سليم بن قيس، عن علي عليه السلام، قال: قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ لَدِكُّوْكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ ، فنحن قومه ونحن المسؤولون.

٤٢- عن محمد الحلبي، قال: قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾، فرسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم أهل الذكر، وهم المسؤولون، أمر الله الناس أن يسألوهم فهم ولاية الناس وأولاهم بهم، فليس يحل لأحدٍ من الناس أن يأخذ هذا الحق الذي افترضه الله لهم.

٤٣- عن صفوان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ من هم؟ قال: نحن هم.

٤٤- عن عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾، قال: قوله ﴿ وَلِقَوْمِكَ ﴾ يعني علياً أمير المؤمنين عليه السلام، وسوف تسألون عن ولايته.

٤٥- عن خالد بن نجیح، عن جعفر بن محمد عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾، قال: بمحمد صلوات الله عليه تطمئن القلوب، وهو ذكر الله وحجابه.

٤٦- عن الحسين بن سعيد، بإسناده، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، قال: نحن أهل الذكر^(١).

٤٧- وفي تعقيبات الصلوات، جاء في الدعاء: «... اللهم صلّ على محمد وآله، وتقبلها منّي بأحسن قبولك، ولا تؤاخذني بنقصانها وما سها عنه قلبي منها، فتممه لي برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم صلّ على محمد وآل محمد، أولي الأمر الذين أمرت بطاعتهم، وأولي الأرحام الذين أمرت بصلتهم، وذوي القربى الذين أمرت بمودّتهم، وأهل الذكر الذين أمرت بمسألتهم، والموالي الذين أمرت

بموالاتهم ومعرفة حقهم، وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(١).

٤٨- عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، أنه قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: ولئن تقصصها - أي الخلافة - دوني الأشقيان، ونازعاني فيما ليس لهما بحق، وركبها ضلالة، واعتقداها جهالة، فلبئس ما عليه وردا، ولبئس ما لأنفسها مهّدا، يتلاعنان في دورهما، ويتبرأ كل من صاحبه، يقول لقرينه إذا التقيا: (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين)، فيجيبه الأشقى على رثوته: يا ليتني لم أتخذك خليلاً، لقد أضللتني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولاً، فأنا الذكر الذي عنه ضلّ، والسييل الذي عنه مال، والإيمان الذي به كفر، والقرآن الذي إياه هجر، والدين الذي عنه مال، والإيمان الذي به كفر، والقرآن الذي إياه هجر، والدين الذي به كرب، والصراط الذي عنه نكب... إلى تمام الخطبة المنقولة في روضة الكافي^(٢).

٤٩- في قوله تعالى: ﴿ ذَكَرَ رَسُولًا ﴾، عن الرضا عليه السلام: أن الذكر هنا هو الرسول، ونحن أهل الذكر^(٣).

٥٠- عن هارون بن حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾، قال: هي الأئمة خاصة^(٤).

(١) البحار ٨٣ : ١٥ .
 (٢) البحار ٢٤ : ١٩، عن روضة الكافي : ٢٧ و ٢٨ .
 (٣) البحار ٦٤ : ٥٦ .
 (٤) البحار ٢٣ : ٢٠١، الباب ١٠ أئمتهم عليهم السلام أهل علم القرآن والذين أوتوه والمنذرون به والراسخون في العلم، وفي الباب ٥٤ رواية، وكذلك الأبواب، يدلّ على المراد، فراجع .

نستنتج من الروايات التي مرّت وإتّما متواترة معنىً وبالإجمال، أنّ الذكر هو القرآن الكريم والرسول الأكرم ﷺ، وأهل الذكر هم أهل العلم والقرآن آل النبي الأطهار الأئمة الأبرار عليهم السلام، فكلمهم نور واحد، ومن أصل واحد، في بيوتهم نزل الكتاب، وبهم يعرف الصواب، فنرجع إليهم في كلّ شيء في حضورهم، وفي عصر غيبتهم نرجع إلى من أرشدونا وأمرونا أن نرجع إليهم، وهم الفقهاء العظام والعلماء الكرام.

وهذا هو الحقّ، وهل بعد الحقّ إلاّ الضلال؟!!

أكرّر لزيادة التقرير :

إنّما نسأل أهل الذكر، وهم أهل القرآن وأهل بيت رسول الله ﷺ، فإنّما يعرف القرآن من خوطب به ونزل في بيته، ثمّ نرجع إلى رواة أحاديثهم ومن يحمل علومهم، من فقهاءهم الكرام، من صان نفسه وحافظ على دينه، وأطاع مولاه وخالف هوى، وأحیی سنة النبي في زهده وورعه وتقواه، أصحاب الإيمان والتوحيد والبكاء والخشوع والخشية، كما ذكرهم الله في كتابه الكريم، الذي يدعو إلى الله بإخلاص ويعمل لله بإخلاص، فإنّ من استمع إلى ناطق فقد عبده، فإنّ نطق عن الله فقد عبد الله، وإنّ نطق عن الهوى وعن الشيطان فقد عبد هواه وأطاع شيطانه، فنأخذ العلم ونسأل العلماء الذين مدادهم أفضل من دماء الشهداء.

نحضر مجالس العلم والذكر كما أمرنا رسول الله ﷺ في قوله: «إذا مررتم في رياض الجنة فارتعوا، قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر، فإنّ لله سيّارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حقّوا

بهم»^(١). وحلق الذكر مجالس الحلال والحرام والعلم مخزون عند أهله، وقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسّمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله، وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه»^(٢).

وعنه عليه السلام: «لمجلس أجلسه إلى من أثق به أوثق في نفسي من عمل سنة»^(٣).

ومن الحكمة القديمة: قال لقمان لابنه: «يا بني، اختر المجالس على عينك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله تعالى فاجلس معهم، فإن تكن عالماً ينفعك علمك وإن تكن جاهلاً علّموك، ولعلّ الله تعالى أن يظلمهم برحمته فتعمك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله تعالى فلا تجلس معهم، فإن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعلّ الله أن يظلمهم بعقوبة فتعمك معهم»^(٤).

فنجالس ونسأل من زهر مصباح الهدى في قلبه، وخلع سراويل الشهوات، وخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى، ومغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره، واستمسك من العرى بأوثقها، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل

(١) الحجّة ١ : ٢٣ .

(٢) الكافي ١ : ٣٠ .

(٣) الكافي ١ : ٣٩ .

(٤) الحجّة ١ : ٣٣ .

ضوء الشمس، أحيا قلبه وأمات نفسه الأمارة بالسوء، حتى دقّ جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعت الأبوّاب إلى باب السلامة ودار الإقامة.

قال النبي ﷺ: لا تجلسوا عند كلّ داعٍ مدّعٍ يدعوكم من اليقين إلى الشكّ، ومن الإخلاص إلى الرياء، ومن التواضع إلى الكبر، ومن النصيحة إلى العداوة، ومن الزهد إلى الرغبة، وتقرّبوا إلى عالمٍ يدعوكم من الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الشكّ إلى اليقين، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن العداوة إلى النصيحة»^(١).

فترجع إلى الفقيه كلّ الفقيه: ذلك الذي لم يقنط الناس من رحمة الله سبحانه، ولم يؤمنهم من مكر الله عزّ وجلّ، ولم يؤيِّسهم من روح الله عزّ وجلّ، ولم يدع القرآن رغبةً عنه إلى ما سواه، كما ورد في الخبر الشريف.

ولا نطلب العلم ممّن طلبه لياهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف وجوه الناس إليه، فإنّه يتبوّء مقعده من النار، وإنّ الرئاسة لا تصلح إلّا لأهلها. ولا نأخذ ديننا ممّن أقبل على الدنيا، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياه فأتهموه على دينكم، فإنّ كلّ محبّ للشيء يحوط ما أحبّ»^(٢).

وعنه عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، قيل: يا رسول الله، وما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتّباع السلطان.

(١) الحجّة ١: ٦٩.

(٢) الحجّة ١: ١٢٧.

فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم»^(١).

روى الشيخ الصدوق في كتابه الحصال بإسناده إلى أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام، قال: إن من العلماء من يحب أن يجمع علمه ولا يحب أن يؤخذ عنه، فذاك في الدرك الأول من النار. ومن العلماء من إذا وُعط أنف وإذا وُعط عتف، فذاك في الدرك الثاني من النار. ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف ولا يرى له في المساكين وضعاً، فذاك في الدرك الثالث من النار. ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابة والسلاطين، فإن ردّ عليه من قوله أو قصر في شيء من أمره غضب، فذاك في الدرك الرابع من النار. ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزبه علمه - أي ليكثر به علمه - ويكثر به حديثه، فذلك في الدرك الخامس من النار. ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول: سلوني، ولعلّه لا يصيب حرفاً واحداً، والله لا يحب المتكلفين، فذاك في الدرك السادس من النار. ومن العلماء من يتخذ العلم مروءة وعقلاً - أي يطلب العلم ويبدله ليعده الناس من أهل المروءة والعقل - فذاك في الدرك السابع من النار. أجل من طلب العلم لله سبحانه، وعمل به مخلصاً، وعلمه متواضعاً، دُعي في السماوات عظيماً، ويستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر.

كما وردت النصوص الكثيرة في هذا المعنى، ويتبادر إلى ذهني، أن العالم والكون كله مجموعة واحدة مرتبطة بعضها مع بعض، فوقائع الأرض تؤثر في السماء، وسير الكواكب وحوادثها تؤثر في الأرض، وكل شيء له دور في هذه المجموعة الكونية، وحتى أفعال الناس تؤثر في هذه المجموعة، فإن كثرة الزنا

في الأرض يحبس مطر السماء وبركاتها.

والقوة المحركة والمسيرة لهذا الكون الرّحّب بنظم دقيق وحكمة متقنة هو العلم، وجميع صفات الله سبحانه ترجع إلى العلم، وكأنّ العلم هو كلّ شيء، فهو الأساس وهو النتيجة، وهو الأوّل وهو الآخر، وهو الظاهر وهو الباطن، وإنّ الله يحبّ بغاة العلم وأهله، فإنّهم يحملون القوة الأساسية في حركة الكون، ومن هذا المنطلق (إذا صلح العالم صلح العالم، وإذا فسد العالم فسد العالم)، وكما أنّ الدماغ هو الحاكم والمختار والمدبّر في البدن، ولولاه لاختلّ النظام الجسدي، فكذلك العالم فإنّه الأساس، وهو المظهر لعلم الله سبحانه، فإذا أذنب، فإنّ ذنبه لا ينحصر به، بل يعمّ المخلوقات الأخرى في هلاكها، ولهذا يغفر للجاهل سبعين ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنباً واحداً، فإنّ ذنبه عظيم جداً، ويؤثر على هلاك نفسه وهلاك غيره، فالكلّ يدعون له في صلاحه وعدم هلاكه، حتّى الحوت في البحر يستغفر لطالب العلم، حتّى يتوقّق في حياته ويتكامل وينصلح، وإذا صلح فقد أصلح العالم والكون معه، وإذا هلك فإنّه يهلك معه حتّى الحوت في البحر؛ للوحدة الحاكمة في المجموعة الكونيّة، ولأنّ العالم الدماغ والقوة المحركة لهذه المجموعة الكبرى.

فما أعظم العالم مقاماً؟! وما أعظم العلم شأناً؟! وما خطر العالم

والعلم؟!

وربما من هذا المنطلق يقول الإمام السجّاد زين العباد علي بن الحسين عليه السلام:

«لو علمتم ما في طلب العلم لطلبتموه ولو بخوض اللجج وسفك المهج»، أي لو يخوض الإنسان البحار ويسفك دمه ومهجة حياته في طلب العلم، لما كان ذلك كثيراً، لجلالة العلم وعظمته.

والله سبحانه ورسوله صلّى الله عليه وآله وعترة الطاهرين عليهم السلام أوضحوا لنا الطريق

المستقيم وسبيل العلم النافع، ومنهاج العلماء والصالحين، وإِنَّه مَمَّن نَأْخُذُ عِلْمَنَا
وَدِينَنَا.

قال الإمام الصادق عليه السلام: أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك
علماً مفتوناً بالدنيا، فيصدك عن طريق محبتي، فإن أولئك قطع طريق عبادي
المريدين، إن أدنى ما أنا صانع بهم - من باب العقوبة - أن أنزع حلاوة مناجاتي
عن قلوبهم»^(١).

هذه الرواية الشريفة من تلك الروايات التي ترتعد الفرائص منها، فكثيراً
ما نسأل: لماذا طالب العلم في بداية طلبه يحس بروحانية خاصة وقرب إلى الله
ويستلذ من عباداته، ويتوفق إلى صلاة الليل والأعمال الصالحة والأدعية
والأوراد، ولكن كلما ازداد علماً، كأنما يحس أنه يزداد بعداً من الله سبحانه،
ويفقد تلك الروحانيات والمعنويات الأولية، والمفروض أنه بزيادة العلم يزداد
عملاً وقربةً وروحانيةً.

فلماذا هذا الانتكاس والتراجع إلى القهقري؟

فالجواب يعلم من هذه الرواية الشريفة «إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع
حلاوة مناجاتي من قلوبهم».

فإن طالب العلم كلما ازداد علماً، ازدادت مسؤولياته الفردية والاجتماعية،
إلا أنه لما لا يقوم بها وأمام مجتمعه كما هو المطلوب، وتغزه الدنيا الدنيّة بزخرفها
وزيرجها، وتحوطه الماديات من كل صوب، فإنه من سنة العلم أن يفقد المعنويات،
وينزع من قلبه حلاوة المناجاة - والعباد بالله -.

٦٠ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة

فمن مولانا الصادق عليه السلام : أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام : إن أهون ما أنا صانع بعالم غير عامل بعلمه أشدّ من سبعين عقوبة باطنية، أن أخرج من قلبه حلاوة ذكرى.

وفي مصباح الشريعة عنه عليه السلام : «إنّه قال : العالم حقاً هو الذي ينطق عنه أعماله الصالحة، وأوراده الزاكية، وصدقه وتقواه، لا لسانه وتطاوله ودعواه، ولقد كان يطلب هذا العلم في غير هذا الزمان من كان فيه عقل ونسك وحكمة وحياء وخشية، وأنا نرى طالبه اليوم من ليس فيه من ذلك شيء، والعالم يحتاج إلى عقل ورفق وشفقة ونصح وعلم وصبر وبذل، والمتعلّم يحتاج إلى رغبة وإرادة وفراغ ونسك وخشية وحفظ وحزم».

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، وهم في زماننا هذا العلماء العاملون المخلصون، لا علماء السوء والدنيا الذين هم شرّ الناس، كما ورد في الخبر الشريف، بل علماء الآخرة والإصلاح والخير، فإن الأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة، لأنهم يتعلّمون القرآن والسنن للعمل، لا للدراسة والمباحثة ولقلقة اللسان وحسب، وأهل البيت أدري بما في البيت، وحتى القرآن الكريم يذكر العلامات والصفات لكل طائفة، كصفات المنافقين وصفات المؤمنين، حتى لا يتيه طالب الحق والحقيقة، ويكون على بصيرة من أمره في معاشرته ومجالسته ورجوعه وطلبه العلم وغير ذلك.

فإليكم خصال خمسة من الأخلاق الإسلامية، هي من علامات علماء الآخرة، يفهم من خمس آيات كريمة، وهي: الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد.

أمّا الخشية، فمن قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(١).

وأما الخشوع، فمن قوله تعالى:

﴿ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْفَعُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ثَمًّا قَلِيلًا ﴾ ^(٢).

وأما التواضع، فمن قوله سبحانه:

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣).

وأما حسن الخلق، فمن قوله عز وجل:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ ^(٤).

وأما الزهد، فمن قوله عز من قائل:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيُؤَلِّمُ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ ﴾ ^(٥).

ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ لِلْإِيمَانِ يَشْرَحْ

صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ ^(٦)، فقيل: ما هذا الشرح يا رسول الله؟ فقال: إنَّ النور إذا قُدِّف

في القلب انشرح له الصدر وانفسح. قيل: فهل لذلك علامة؟ قال: نعم، التجافي

عن دار الغرور، والإجابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله ^(٧).

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) آل عمران: ١٩٩.

(٣) الشعراء: ٢١٥.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

(٥) القصص: ٨٠.

(٦) الأنعام: ١٢٥.

(٧) الدر المنثور ٣: ٤٤.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قيل له : يا رسول الله ، أي الأعمال أفضل ؟ قال : اجتناب المحارم ، ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله تعالى . قيل : فأبي الأصحاب خير ؟ قال : صاحبٌ إن ذكرت الله أعانك وإن نسيتك ذكرك . قيل : فأبي الأصحاب شرٌّ ؟ قال : صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك . قيل : فأبي الناس أعلم ؟ قال : أشدهم لله خشية . قالوا : فأخبرنا بخيارنا نجالسهم ؟ قال : الذين إذا رؤوا ذكر الله عزّ وجلّ برؤيتهم ، وإذا ذكر الله اقشعرّ جلودهم . قالوا : فأبي الناس شرٌّ ؟ قال : اللهم غفراً . قالوا : أخبرنا يا رسول الله . قال : العلماء إذا فسدوا^(١) .

فتعالوا يا إخوان الصفا ، أيها المؤمنون والمسلمون ، وكلّ من يبحث عن الحقّ ويطلب الحقيقة ، ويريد النجاة في الدارين ، تعالوا إلى كلمة الحقّ ، إنّما نسأل في أمور ديننا ودينانا أهل الذكر ، أولئك الذين أمرنا الله سبحانه بمودّتهم وإطاعتهم واتباعهم والافتداء بهم ، وهم النبي المختار محمد ﷺ ، والأئمة الأطهار عليهم السلام ، وعلماؤنا الأبرار الصلحاء الأخيار ، وهذا ما يحكم به العلم والدين ، ويدلّ عليه النقل والعقل ، ويصدّق به من له قلب سليم ووجدان حيّ وألقى السمع وهو شهيد .

هذا ولنا عشرات الآيات ومئات الروايات في هذا المجال ، إنّما نصفح عنها طلباً للاختصار ، ونستنتج منها : إنّنا طلب العلم النافع ، والعلم خزان ، ومفتاحها السؤال ، وإنّما نسأل من أهل الذكر ، وهم في عصرنا هذا علماء الآخرة ، علماء الخير والصلاح ، العاملون المخلصون الزاهدون الخاشعون المتواضعون ، أولئك الذين قذف الله العلم في قلوبهم ، وناجاهم في سرّهم ، الذين صانوا أنفسهم ،

أهل الذكر في كتب الخاصة ٦٣

وحافظوا على دينهم، وأطاعوا مولاهم، وخالفوا أهواءهم، وخافوا مقام ربهم،
رواة الأحاديث، فقهاء آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب

العالمين.

العبد

عادل العلوي

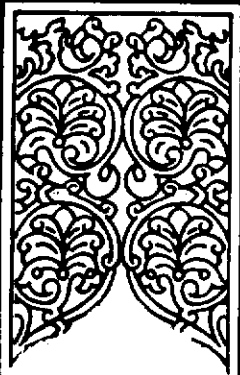
٩ شهر رمضان ١٤١٢

الفهرست

٣	الإهداء
٥	فاسألوا أهل الذكر
١٦	آداب المعلم والمتعلم في درسيهما
٢٥	هؤلاء أهل الذكر
٣٤	أهل الذكر في كتب العامة
٤٣	أهل الذكر في كتب الخاصة
٥٦	الفهرست

شَهْرُ رَمَضَانَ
رَبِيعُ الْقُرْآنِ

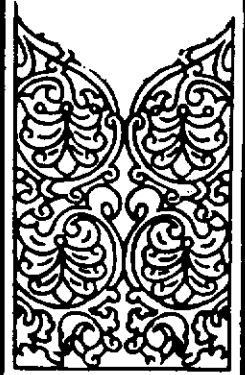
السَّيِّدِ عَالِمِ الْعَالَمِينَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الحادي عشر

عرفان و اخلاق - ٢



علوي، عادل، ١٩٥٥ -

شهر رمضان ربيع القرآن / إعداد السيد عادل العلوي . - قم : المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤٢٠ ق. = ١٣٧٨.

٢٠ ص. - (موسوعة رسالات إسلامية)

ISBN 964 - 5915 - 04 - X : ٤٠٠ ريال

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیما .

عربی .

کتابنامه به صورت زیرنویس .

١. قرآن - فضایل . ٢. رمضان . ٣. الف . عنوان .

٩ ش ٨ ع / ٤ / ٨٦ BP

کتابخانه ملی ایران

٢٩٧ / ١٥٨

٢٠٨٥٣ - ٧٨ م

موسوعة

رسالات إسلامية



رسالة

شهر رمضان ربيع القرآن
تأليف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الأولى - ١٤١٩ هجري قري

المطبعة - النهضة، قم

ISBN 964 - 5915 - 04 - X

شابك X - ٠٤ - ٥٩١٥ - ٩٦٤

EAN 9789645915047

اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٠٤٧

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن في شهر رمضان، والصلاة والسلام على سيّد الأكوان قطب عالم الإمكان محمّد وآله الطاهرين، واللعن على أعدائهم أجمعين. لا شك ولا ريب أنّ القرآن الكريم كتاب الله الحكيم، ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه هدىً للمتّقين، وفرقان للمؤمنين، إنّ كتاب الله المجيد الذي حفظه بقدرته وعلمه من الضياع والتحرّيف، وإنّه معجزة النبيّ الأعظم محمّد ﷺ الخالدة، وإنّه واضح في ذاته وجوهريّته، وبيان لكلّ شيء في نفسه، وفيه التبيان الأكمل، والسلوك الأفضل، إلا أنّ التّالي للقرآن ربما يكون بعيداً عن رحمة ربّه، فإنّ الرحمة قريبة من المحسنين، فيحرم من فهمه، والغور في بحر معانيه، ودرك لطائفه وإشاراته ونكاته الظريفة والعميقة، (وربّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه)^(١) لعدم تمسّكه بآياته الشريفة في مقام العمل والتطبيق، فيحجب حينئذٍ عن معانيه السامية، وحقائقه

(١) حديث نبوي شريف، البحار ٩٢ : ١٨٤، وقد ورد في الخبر الشريف إنّهُ يوم القيامة يأتي الخطاب للمؤمن: اقرأ وارقا، فالرقيّ يكون لمن يقرأ القرآن الكريم، والمراد من القراءة هنا ليس التلاوة بلا عمل بالقرآن. فاقرأ أي اقرأ ما عملت من الآيات الكريمة وارقا.

٤ شهر رمضان ربيع القرآن

الرفيعة، ومطالبه الشاخصة، لأنّه كما في الأوامر الإلهية التشريعية والدساتير التدوينية، والأحكام الظاهرية، يحرم كتابة القرآن الكريم على جلد الميتة، كما يحرم أن يكتب بدواة ومركّب نجس، أو قلم متلوّث بالنجاسة والقذارة - كما أجمع عليه فقهاء الإسلام - فإنّه يلزمه هتك حرمة القرآن الكريم وهو محرّم، فكذلك في الأحكام الواقعية، فإنّه من كان قلبه ميّناً بالذنوب والمعاصي والآثام، هيهات أن يقف على أسرار القرآن، فإنّه يحرم من فهمه ودركه ومعرفته الكمالية والجمالية والحقيقية والواقعية، وإن كان يفسر القرآن، ويكشف القناع عن وجهه الظاهري، ويعرفه بالمعرفة الجلالية والصورية والشكلية والبلاغة الظاهرية واللسانية، كأكثر المفسرين للقرآن الحكيم، فإنّهم إنّما يفهموا حسن القرآن في بلاغته اللفظية، ويسبروا في أعماق المشتقات، وعالم الألفاظ من دون أن يكون لهم نصيب من المعاني التي أراد الله سبحانه من تلك الألفاظ القدسيّة، فإنّهم في معزل عنها بعداء عن درك لطائفها، فن كان ميّت القلب بالذنوب، وأنكر الحقّ وقفل قلبه :

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (١).

فإنّه بلا شكّ يمنع ويحرم عن كتابة القرآن على قلبه، وإنّه لا يمسّ جواهره الباطنية، إذ :

﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٢).

وفرق بين اللمس الذي هو عبارة عن محاذاة مادية وتماس جسدي كما في قوله تعالى :

(١) محمّد : ٢٤ .

(٢) الواقعة : ٧٩ .

﴿ أَوْلَامِسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾^(١).

وبين التماسّ الروحي واللقاء المعنوي، كما في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾^(٢).

فلا يمَسُّ حقائق القرآن الكريم، إلا من كان مطهراً عن الدنس والأرجاس والخبائث والفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومن كان معصوماً من الذنوب والجهل والنسيان، وكلّ ما به شين ونقص، وهم أهل البيت الأئمة الهداة الأطهار، من عترة الرسول المختار ﷺ :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(٣).

ومن يحدو حدوهم، في عقائدهم وسلوكهم ومعارفهم، وكان من شيعتهم الأبرار العلماء الأخيار، كسلمان المحمّدي، فإنه كان من العلماء فصار من أهل البيت ﷺ - كما ورد في الخبر الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام - .

وهذه المعرفة الجمالية والكمالية والنورية ليست منحصرة بالقرآن الكريم وحسب، بل تجري في كلام الثقل الثاني للقرآن الكريم - كما في حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين - وهم عترة النبي الهادي عليه السلام، فإنها لن يفترقا في كلّ شيء إلى يوم القيامة، فكلّ ما في القرآن فهو عندهم، وكلّ ما عندهم ولديهم، فهو في القرآن الكريم إلى يوم الدين، فهم لسان الله وقرآنه الناطق، وهم ترجمان القرآن الصامت وتطبيقه وتجسيده ونزوله إلى الواقع العملي.

(١) النساء : ٤٢ .

(٢) الأعراف : ٢٠١ .

(٣) الأحزاب : ٣٣ .

٦ شهر رمضان ربيع القرآن

وإذا كان القرآن يحمل وجوهاً وسبعين بطناً، وأنه غضّ جديد لا يبلى، وأنه للبشريّة جمعاء، فيه سعادة الدارين، وهداية الإنسان وصلاحه وإصلاحه، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه لا يمسه إلا المطهّرون، وأنه شفاء للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً، وهدى للمتّقين وفرقان وتبيان وبيان لكلّ شيء، وأنه نور الله أنزله لهداية الناس، فكذلك كلمات النبي المصطفى ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وإنما يعرف القرآن حقّ معرفته وكهاها، من خوطب به، ونزل الكتاب في بيوتهم الرساليّة، وهبط الوحي في منازلهم المقدّسة، وإنما يعرف كلام أهل البيت عليهم السلام من خوطب به، طابق القُدّة بالقُدّة.

وإذا كان هناك من يعرف حقائق القرآن الكريم، وهم الأربعة عشر معصوم عليهم السلام - فاطمة الزهراء وأبيها وبعلمها وبينها الأئمة الأحد عشر عليهم السلام - فكذلك هم الذين يعرفون أنفسهم وحقيقتهم، ومن أراد أن يعرف القرآن ويعرفهم، إنّما يمكنه ذلك من خلاصهم، فهم باب الله الذي منه يؤتى، والسبب المتّصل بين الأرض والسماء، ووجه الله الذي يتوجّه إليه الأولياء.

هذا كله في المعرفة الجماليّة الحقيقيّة والنوريّة، أمّا المعرفة الجلالية والظاهريّة فما من وضع ولا شريف، ولا صالح ولا طالح، ولا عالم ولا جاهل، إلا عرف جلاله أمرهم، فطأطأوا لهم الرؤوس - كما في زيارة الجامعة الكبيرة - «حتّى لا يبقى ملكٌ مقرب، ولا نبيٌّ مرسل، ولا صدّيق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دنيّ ولا فاضل ولا مؤمن صالح، ولا فاجر طالح، ولا جبار عنيد ولا شيطان مرید، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد، إلا عرفهم جلاله أمرهم».

وإذا كانت القلوب الميّنة، والتي عليها الأقفال الغليظة جرّاء اتّباع الهوى والأباطيل والمنى، وحبّ الدنيا الذي رأس كلّ خطيئة، وإنّه يُعَمّي عن الحقّ، ويصمّ

عن الحقيقة، والذنوب التي توجب رين القلوب :

﴿ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾^(١).

تمنع عن معرفة الحقّ والحقيقة المتجسّدة في القرآن الكريم.

وإذا كانت العجلة التي هي من الشيطان، ومن مظاهر الدنيا الدنيّة، تحجب

عن فهم القرآن، بل :

﴿ وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ تُرْتِيلاً ﴾^(٢).

بتدبّر وتعمّق وتفكّر، فإنّه خير من عبادة سبعين سنة، وبذلك يفتح له أبواب إشارات القرآن ولطائفه ودقائقه، وإذا كانت مثل هذه القلوب العجولة والميّنة، تُحیی بالتدبّر والتوبة والتوجّه إلى الله سبحانه وتعالى، وتفهم القرآن وتتفتّح أزهاره ووروده لا سيّما في ربيع، و(لكلّ شيءٍ ربيعٌ وربع القرآن شهر رمضان - كما في الخبر النبويّ الشريف -)^(٣)، فكذلك معرفة الأئمّة عليهم السلام ودرك مقامهم والإذعان لها، وقبول ولايتهم، وسلوك منهجهم، والاقتراء بهم في سيرتهم وكلامهم الذي هو من كلام الله سبحانه، إنّما يكون ذلك، والانصياع لمذهبهم وودّهم وحبّهم لمن طابت وطهرت نطفته، وتزكّى قلبه وتنور باطنه، فإنّ الطيّبين للطيّين، وأما من خبث بالذنوب والمعاصي فلا يخرج منه إلّا نكداً، ولا يحسّ الحقائق ولا يقف على الدقائق، وإنّما يعرف بالمعرفة الجلالية والهندسيّة والشكليّة والظواهر، من دون الكمال والجمال والحقيقة والبواطن.

(١) المطففين : ١٤ .

(٢) المزمل : ٤ .

(٣) ؟؟؟ .

٨ شهر رمضان ربيع القرآن

أجل: إذا كان بصر يعقوب عليه السلام، يردّ إليه، ويفتح وينظر الأشياء كما هي بقميص يوسف بعد أن وضعه على عينيه، فكيف لا يفتح بصيرة من يمسّ بصره ويمسحه بضمح نبيّه وأوليائه المقربين؟! إلاّ أنّه لا بدّ من معرفة يعقوبيّة نبويّة، حتّى تنال مثل هذه الآثار والكرامات الإلهيّة.

ثمّ من المفروض المحتمّ في مجتمعنا الإسلامي، في كلّ أبعاده ومجالاته وحقوقه - لا سيّما الحوزات العلميّة والجامعات الإسلاميّة - من محورية القرآن الكريم، وتطبيق آياته في حياتنا الفرديّة والاجتماعيّة، ومعرفة القرآن وتفسيره كما هو المطلوب، من منابعه الصافية ومناهل العذبة.

كما أنّ التفسير وعلمه - وعلوم القرآن بصورة عامّة - لا بدّ أن يكون من أهمّ الأصول في الحوزة، ولا تكون دراسة التفسير من الدروس الهامشيّة والجانيّة. وما أعجب ما يقال بأنّ القرآن ظنيّ الدلالة قطعيّ السند، وذلك لوجود بعض التشابهات التي نرجعها إلى المحكمات، بل القرآن أصل وبرهان ونور وفرقان وشفاء وهداية، وإرشاد ووقاية من الأمراض الاجتماعيّة والانحطاط الخلقي، فكيف يكون ظنيّ الدلالة؟ فتأمل.

وإنّ بالقرآن الحكيم، صار سلمان المحمّدي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، سلمان منّا أهل البيت.

ومّا يحرق قلب كلّ مسلم رسالي غيور هجران المسلمين قرآتهم الكريم:
﴿ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾^(١)، وعدم دخوله في مدارسنا وجامعاتنا، وهذا من مخطّط الاستعمار، كما لم تدخل الصلاة ولا نهج البلاغة

(١) الفرقان: ٢٠.

والدعاء والصحيفة السجّادية !!

ولا يخفى أنّ ثمرة العلم العبوديّة، وحقيقة العبوديّة في القرآن الكريم والسنة الشريفة، وكلّ العلم فيهما، فلا بدّ من الإيمان بهما، وتطبيقهما في الحياة حتّى يكون العلم في الجامعات والمعاهد والمدارس الأكاديميّة من العلم النافع للمتعلّم نفسه وللبشريّة.

ثمّ لغة القرآن الكريم، لغة العلوم والآداب والفنون، ولسانه لسان الهداية والإرشاد إلى شاطئ السلام والسعادة، إضافة إلى الفرائض والسنن والأخلاق، وإنّ المسلمين ليسودوا العالم بقرآنهم، كما يشهد لهم ماضيهم التليد، وما داموا يترنّمون بالقرآن ويتعبّدون به ويتّخذونه وسيلة لإظهار ما يكتّون وما يسرّون، وازدادوا به لصوقاً وتفاعلاً مع سوره وآياته، ازدادوا كرامة وعلوّاً وسعادةً وشرفاً، كما كان في صدر الإسلام يوم كان خلق المسلمين القرآن، وكانوا في واقعهم ترجمان له، مندفعين لإقامة دولة الحقّ والعدالة، فأصبحوا سادة الأمم وقادة المجتمعات، وبين أضلعهم وجوانحهم خفقات أشواق وخلجات أشتياق للسور والآيات، يحنّون إليها حين يُريحون وحين يسرحون، ويستلذّون بترتيلها حينما يرحلون ويحلّون، يوم كانوا بعروته الوثقى متمسّكين، ولأوامره مطبّقين، وعلى ربّهم يتوكّلون، يوم تدرّعوا لبوس الحرب للجهاد، وامتطوا الصافنات الجياد، وامتشقوا الأسنة والسيوف، باذلين المهج للرماح والحتوف، من أجل نشر الإسلام ودعوته المخالدة بين المشرقين، ولا يخافون غير الله فأخاف منهم كلّ شيء، فسحقوا حصون كسرى المترامية الأطراف، وكسروا قلاع قيصر المشيّد الأطناب.

ولكن سرعان ما انقلبوا على أعقابهم، وخلفوا من بعدهم خلف، حليت الدنيا وزبرجها في أعينهم، فتقاعسوا عن نصره الحقّ وأداء واجباتهم، ونسوا الله

١٠ شهر رمضان ربيع القرآن

فأنساهم أنفسهم، ونزع الشيطان بينهم، فشتتهم شيعاً وأحزاباً وثلاث وسبعين فرقة وطرائق قِدَدًا، يطمع بهم الشريف والوضيع، ويقتطع أراضيم القريب والبعيد، قد تداعت عليهم الأمم كتداعي الآكلة على قصعتها، فتسلط عليهم من لا يرحمهم، ممن قست قلوبهم، فهي كالحجارة أو أشدَّ قسوةً من أولئك المنافقين الذين وصفهم الله بقوله :

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ^(١).

وقد انتخبتهم دوائر المستعمرين لتطبيق مخططاتها الصليبيّة، لتهديم وإزالة أي أثر للشريعة المحمّدية السمحاء، بأساليب شرسة، وعلى مختلف الأصعدة والميادين، في محاربة القرآن الكريم، والسنة الشريفة.

ولكن أنى للمستكبرين والاستعمار بمعسكريه الشرقي والغربي من الزلزال الذي زعزع عروش الطغاة، والبركان النائر والمتفجّر والصحوّة الإسلاميّة العامرة، والنهضات والثورات الدينيّة المتتالية في بقاع العالم بين حينٍ وحين، (أليس الصبح بقريب).

أجل حكومة القرآن هي حكومة الله في الأرض، وإنّ الأرض سيرتها عباد الله الصالحون.

وإذا حدث في فرنسا حادث للقضاء على القرآن الكريم عند الجزائريين، فقد انتقت فرنسا عشر فتيات جزائريات أدخلن المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب والزيّ الفرنسي، ولقنتهن الثقافة واللغة الفرنسية، ليصبحن فرنسيات، وبعد جهود

مضنية وسنين عشرة، هيأت حفلة تخريج رائعة لهن، دعي إليها الوزراء والمفكرّون والصحفيّون، ليروا ما حقّوه، ولكن فوجئوا بدخول الفتيات بلباسهن الإسلامي، فضجّت الصحف الفرنسية وثارَت، ثمّ تساءلت ماذا فعلت فرنسا بالجزائر بعد قرن تقريباً؟ فأجابهم وزير المستعمرات لاكويت: (ماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟).

نعم، القرآن أقوى من كلّ قوَيّ، لأنّه الكتاب المهيمن على كلّ الكتب والعلم المحاكم على كلّ العلوم والمعارف والفنون، لأنّه نزل من العليم القويّ القدير الحكيم العزيز.

وعلى كلّ مسلم ومسلمة أن يعي الدين ويفهم القرآن المبين كتاب الله الحكيم، كما يدرك معالم السنّة الشريفة كما هي، فإنّها مصدر المعارف الإلهيّة الإنسانيّة، والتشريع الإسلاميّ الحنيف، وإنّ أشدّ داء المسلمين، والذي هوى بهم إلى الذلّة والانحطاط، بعدما كانوا أعزّة العالم، وإنّ أهمّ عامل في كسر شوكتهم وانحطاطهم وتأخّرهم هو جهلهم بدينهم وقرآنهم.

يقولون في الإسلام ظلماً بأنّه	يصدّ ذويه عن سبيل التقدّم
فإن كان ذا حقّاً فكيف تقدّمت	أوائله في عصرها المتقدّم؟
وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله	فماذا على الإسلام من جهل مسلم

فلا بدّ لنا أن نرجع إلى إسلامنا العزيز وكتابه الكريم، ونبذل النفس والنفيس، ونجاهد ونكافح ونعدّ ما استطعنا من قوّة، من أجل نشر دعوته السمحاء في كلّ ربوع الأرض، فإنّ الدين عند الله الإسلام، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه، وإنّ الله متمّ نوره ولو كره المشركون، وما النصر إلاّ من عند الله.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ^(١).

فالقرآن الكريم كتاب الذكرى والموعظة والحياة الطيبة والأخلاق الكريمة والمعارف الربانية.

ثم سبحانه وتعالى دعا المؤمنون إلى ضيافته المباركة في شهر رمضان، فالعباد كلهم ضيوف الرحمن، وهذه ضيافة عامة لكل مكلف من الرجال والنساء، ومن راعى آدابها وأدرك سعادتها، فإنه يُدعى لضيافة خاصة، ويكتب له الدعوة في ليلة القدر، ليحج بيت الله الحرام، ليكون ضيفاً على الله سبحانه مرةً أخرى.

والضيافة الإلهية إنما هي ضيافة الأسماء الحسنى والصفات العليا، فهي مأدبة الله وطعامه، في مائدته الرمضانية الروحانية، فإنّ الجسد يمنع عنه المفطرات من الأكل والشرب، ليجرد روحه من المادّة والعالم العنصري، ليفرح عند إفطاره (للمؤمن فرحتان: عند الإفطار وعند لقاء ربه)، فيكون المؤمن في شهر رمضان ضيف الله سبحانه على مواعده الكريمة، وعلى كتابه المقدّس القرآن المجيد.

وإذا كان لكلّ شيء ربيع، يحكي عن طراوته ونشاطه، وتفتح فيه أزهاره ووروده، فإنّ للقرآن الكريم ربيع أيضاً، فإنّ شهر رمضان هو ربيع القرآن، وهذا يعني أنّ العارف بالله إنّما يقف على أسراره، وتتفتح له عبائق من أرائجه، ويفهم من القرآن في شهر رمضان المبارك غير ما يفهمه في أيام أخرى، فإنّه غضّ جديد، تتجدّد علومه في ليالي القدر، فربيعه شهر الصيام والتقوى وتربية الروح وتنوير العقل.

عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أيتها الناس

إنكم في دار هدنة وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كلَّ جديد، ويقربان كلَّ بعيد، ويأتیان بكلَّ موعود، فأعدّوا الجهاز لبعث المجاز.

قال : فقام المقداد بن أسود فقال : يا رسول الله، وما دار الهدنة ؟ قال : دار بلاغ وانتطاع فإذا التبتست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشقّع وماحل مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وبطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جالٍ بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينبج من عطب، ويتخلّص من نشب، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلّص وقلة التربّص^(١).

فعلينا أن نرجع إلى كتاب الله في كلّ شيء، فنخذ منه كلّ شيء لكلّ شيء، سيّما أيام الفتنة.

عن الحارث الأعور قال : دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين، إنا إذا كنّا عندك سمعنا الذي نسدّ به ديننا، وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة، لا ندرى ما هي ؟ قال : أو قد فعلوها ؟ قال : فقلت : نعم . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أتاني جبرئيل فقال : يا محمّد،

(١) البحار ٩٢ : ١٧، و ٧٧ : ١٣٤، وكنز العمال : خ ٤٠٢٧ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

سيكون في أمتك فتنة، قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم^(١).

عن الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام قال: قيل لرسول الله ﷺ: إن أمتك ستفتن، فسئل ما المخرج من ذلك؟ فقال: كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، من ابتغى العلم في غيره أضله الله.

ولا يخفى أن الرجوع إلى عدل القرآن الكريم وهم عترة النبي ﷺ كما في حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين هو رجوع إلى القرآن نفسه، فإنها في كل شيء لن يفترقا، منذ البداية وإلى يوم القيامة، وكل ما جاء في وصف القرآن فهو جارٍ بعينه في عدله أهل البيت عليهم السلام.

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصف القرآن: جعله الله ربياً لعطش العلماء، وريباً لقلوب الفقهاء، ومحاجاً لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة.

اعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان من عمى.

إنه سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فإنه حبل الله المتين وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينايع العلم، وما للقلب جلاء غيره.

فالقراءتـن أمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه، أخذ عليهم ميثاقه، وارتمن عليهم أنفسهم.

(١) تفسير العياشي ١: ٣.

أفضل الذكر القرآن به تشرح الصدور وتستنير السرائر.
فتجلى له سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته.
القرآن أفضل الهدايتين.
وقال زين العابدين عليه السلام: لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت
بعد أن يكون القرآن معي ^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: من لم يعرف الحق من القرآن، لم يتكذب الفتن.
﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا وَيُثْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٢).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالقرآن فاتخذوه إماماً وقائداً.
وقال علي عليه السلام: إنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه أخق من الحق،
ولا أظهر من الباطل، فالكتاب وأهله في الناس وليسوا فيهم، ومعهم وليسوا معهم،
لأن الضلالة لا توافق الهدى، وإن اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا على
الجماعة كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلا اسمه،
ولا يعرفون إلا خطه وزبره ^(٣).

قال الله تعالى:

﴿ اللهُ أَنْزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ ﴾ ^(٤).

(١) البحار ٤٦: ١٠٧.

(٢) الأحقاف: ١٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٧.

(٤) الزمر: ٢٣.

١٦ شهر رمضان ربيع القرآن

قال رسول الله ﷺ: إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها^(١).

(أصدق القول وأبلغ الموعظة وأحسن القصص كتاب الله).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: تعلّموا كتاب الله تعالى فإنه أحسن الحديث وأبلغ الموعظة، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص.

(أحسنوا تلاوة القرآن فإنه أنفع القصص، واستشفوا به فإنه شفاء الصدور)^(٢).

والقرآن في كلّ زمان جديد، قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تخلقه كثرة الرّدّ وولوج السمع^(٣).

وعن الإمام الصادق لما سئل: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ قال: لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامة.

قال الإمام الرضا عليه السلام في وصف القرآن الكريم: هو حبل الله المتين، وعروته الوثقى، وطريقته المثلى، المؤدّي إلى الجنّة، والمنجي من النار، لا يخلق على الأزمنة، ولا يغتّ على الألسنة، لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليل البرهان، والحجّة على كلّ إنسان، لأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل

(١) البحار ٧٧: ١٢٢.

(٢) غرر الحكم: ٢٥٤٣.

(٣) نهج البلاغة: ١٥٦.

من حكيم حميد^(١).

وفي القرآن شفاء من أكبر الداء : قال الله تعالى :

﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾^(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوعِظَةٌ مِن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣).

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَلَعَجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾^(٤).

قال رسول الله ﷺ : القرآن هو الدواء .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنَّ فيه شفاء من أكبر داء وهو الكفر والنفاق ، والغيب والضلال .

وعن الإمام الحسن عليه السلام : إنَّ هذا القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصدور ، فليجل جال بضوئه ، وليلجم الصفة ، فإنَّ التلقين حياة القلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور^(٥).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٣٠ .

(٢) الإسراء : ٨٢ .

(٣) يونس : ٥٧ .

(٤) فصلت : ٤٤ .

(٥) البحار ٧٨ : ١١٢ .

١٨ شهر رمضان ربيع القرآن

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : اعلّموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم^(١).

وعليكم بكتاب الله، فإنّه الحبل المتين والنور المبين والشفاء النافع، من قال به صدق ومن عمل به سبق.

قال الإمام الصادق عليه السلام : من قرأ القرآن فهو غنيّ لا فقر بعده.
قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا أحبّ أحدكم أن يحدث ربّه فليقرأ القرآن.
عليك بقراءة القرآن، فإنّ قراءته كفّارة للذنوب وستر في النار وأمان من العذاب.

قال الإمام عليّ عليه السلام : لقاح الإيمان تلاوة القرآن.
قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَاجِلِيَّةً يُرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ نَّبُورَ ﴾^(٢).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حمّلة القرآن هم المحفوفون برحمة الله الملبوسون بنور الله عزّ وجلّ.

« حمّلة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة ».

« أشرف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل ».

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : أهل القرآن أهل الله وخاصّته^(٣).

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

(٢) فاطر : ٢٩.

(٣) الروايات من ميزان الحكمة، حرف القاف : القرآن.

هذا والآيات الكريمة والروايات الشريفة في القرآن الكريم لكثيرة جداً، ولها مداليل متعدّدة، وموضوعات مختلفة وجهات عديدة وأبحاث متفاوتة، لم نعرّض لها طلباً للاختصار، وإنّما خارجه عن موضوع الرسالة، فالمقصود أنّ الشيء الجديد من القرآن الكريم باعتبار أنّه غضّ ويتماشى مع كلّ عصر، يتحلّى لأهله أكثر فأكثر في شهر رمضان المبارك، فهو ربّيع القرآن، كما نزل فيه القرآن.

وأخيراً قال صهر الرسول وزوج البتول سيّد الوصيّين وإمام المتّقين وأمير المؤمنين أسد الله الغالب مولانا وإمامنا خليفة رسول الله عليّ بن أبي طالب عليه السلام :
 الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم^(١).

ويستحبّ ختم القرآن في شهر رمضان تكراراً ومراراً، فمن السلف الصالح من كان يختمه في كلّ يوم، ومنهم من كان يختمه أربعين مرّة، ومنهم من يزيد على ذلك، ولا بدّ من مراعاة آداب التلاوة كما هو المذكور في محلّه.

وكان عليه السلام يقول عند ختمه القرآن: اللهمّ اشرح بالقرآن صدري، واستعمل بالقرآن بدني، ونور بالقرآن بصري، وأطلق بالقرآن لساني، وأعنيّ عليه ما أبقيتني، فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بك^(٢).

(١) ميزان الحكمة ١ : ٦٧، عن نهج البلاغة في خطب عديدة.

(٢) البحار ٩٢ : ٢٠٩.

موسوعة رسالت إسلامية

مائة وأربعون كتاباً ورسالة في مائة مجلد

طبع من الموسوعة الكبرى :

المجلد الأول - عقائد ، ١ ، دروس اليقين في معرفة أصول الدين .

المجلد الثاني - فقه استدلالى ، ١ ، ١ - زبدة الأفكار في طهارة أو نجاسة الكفار . ٢ - التقية في رحاب العلمين . ٣ - التقية بين الأعلام .

المجلد الثالث - أخلاق ، ١ ، ١ - طالب العلم والسيرة الأخلاقية . ٢ - خصائص القائد الإسلامى فى القرآن الكريم . ٣ - أخلاق الطبيب فى الإسلام . ٤ - دور الأخلاق المحمدية فى تحكيم مباني الوحدة الإسلامية . ٥ - رسالتنا .

المجلد الرابع - أخلاق ، ٢ ، التوبة والتائبون على ضوء القرآن والعتره .

المجلد الخامس - ولىايات ، ١ ، ١ - هذه هى الولاية . ٢ - جلوة من ولاية أهل البيت عليهم السلام .

المجلد السادس - ولىايات ، ٢ ، ١ - وميض من قبسات الحق . ٢ - الدر الثمين . ٣ - على المرتضى نقطة باء البسملة . ٤ - فاطمة الزهراء ليلة القدر . ٥ - الدررة البهية فى الأسرار الفاطمية . ٦ - الإمام الحسين فى عرش الله . ٧ - زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ .

المجلد السابع - ولىايات ، ٣ ، ١ - السيرة النبوية فى السطور العلوية . ٢ - الأنوار القدسية . ٣ - أهل البيت سفينة النجاة . ٤ - آثار الصلوات فى رحاب الروايات . ٥ - الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر فى نظرة جديدة . ٦ - الأنفاس القدسية فى أسرار الزيارة الرضوية . ٧ - السر فى آية الاعتصام .

المجلد الثامن - فقه استدلالى ، ٢ ، القصاص على ضوء القرآن والسنة / المجلد الأول .

المجلد التاسع - فقه استدلالى ، ٣ ، القصاص على ضوء القرآن والسنة / المجلد الثانى .

المجلد العاشر - فقه استدلالى ، ٤ ، القصاص على ضوء القرآن والسنة / المجلد الثالث .

المجلد الحادى عشر - عرفان - أخلاق ، ٢ ، ١ - من وحي التربية والتعليم . ٢ - حب الله نماذج وصور .

٣ - الذكر الإلهى فى المفهوم الإسلامى . ٤ - السؤال والذكر فى رحاب القرآن والعتره . ٥ - شهر رمضان ربيع القرآن . ٦ - النبوغ وسر النجاح فى الحياة . ٧ - كيف أكون موقفاً فى الحياة .

٨ - معالم الصديق والصداقة فى رحاب الروايات .

المجلد الثانى عشر - تراجم ، ١ ، ١ - النفحات القدسية فى تراجم أعلام الكاظمية . ٢ - بيوتات

الكاظمية المقدسة .

جمعية السؤال والجواب

من أجل إثارة الفكر وزيادة المعلومات العامة وتصعيد ثقافة الشباب وجميع الناس

تعلن

المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

عن إجابتها عن كل سؤال يرد إليها في شتى العلوم والفنون من المعارف الإسلامية والمذهبية كالتفسير وعلوم القرآن والفلسفة والمنطق والطب والهندسة والجبر والفيزياء والكيمياء والتاريخ والجغرافية واللغة والأدب والأخلاق والسياسة وغير ذلك .

مع مراعاة الشرائط التالية :

١ - الاسم الثلاثي واسم العائلة .

٢ - ميزان الدراسة المدرسية ونوع المهنة والحرفة .

٣ - العمر .

٤ - الخطّ الواضح مع العنوان الكامل .

يرسل بهذا العنوان :

إيران - قم - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد - ص . ب ٣٦٣٤ - جمعية السؤال والجواب .

ويرسل إليكم الجواب ، وفي المستقبل نأمل أن نجتمع الأسئلة والأجوبة وتطبع في

كتب لتتفع عامّة الناس ، ودمتم بخير وعافية .



«مؤسسة اسلامی تبلیغ و ارشاد - ایران»

قم ص ب ۳۶۳۴

**The Public Islamic Institution
Propagation and Guidance ,**

p . O . Box : 3634 , Ghom - Iran

التَّبَوُّغُ وَسِرُّهُ
النَّجَاحُ فِي الْحَيَاةِ

السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ

مَدَارُ الْعِلْمِ فِي الْأُمَّةِ
رَبِّيَّةُ الْأُمَّةِ

الجزء الحادي عشر

عرفان و اخلاق - ٢



علوي، عادل، ١٩٥٥ -

التبوع وسرّ النجاح في الحياة / السيّد عادل العلوي. - قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٣٧٨.

٢٤ ص. - (موسوعة رسائل إسلامية)

ISBN 964 - 5915 - 12 - 0 : ٤٠٠ ريال

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

عربی.

کتابنامه به صورت زیرنویس.

١. موفقیت - جنبه های مذهبی - اسلام. الف. عنوان.

١٥٨ / ١

٨٤ ع ٤ / ١٦١٨ BJ

٢١١٤٨ - ٧٨ م

کتابخانه ملی ایران

موسوعة

رسائل إسلامية



رسالة

التبوع وسرّ النجاح في الحياة

تأليف - السيّد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الثانية - ١٤١٩ هجري قري

المطبعة - النهضة، قم

ISBN 964 - 5915 - 12 - 0

شابك ٠ - ١٢ - ٥٩١٥ - ٩٦٤

EAN 9789645915122

ای.ای.ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥١٢٢

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

بسم الله الرحمن الرحيم

النبوغ وسرّ النجاح في الحياة^(١)

ما هو النبوغ^(٢) ومن هو النابغة؟

في كلّ عصر ومصر، ومنذ الصدر الأوّل للتأريخ البشري، يظهر على صفحة الوجود شخصيّة بارعة يشار إليها بالبنان، ويفوق أقرانه وأترابه، ويُخلّد في تأريخ العلم والأدب والفنّ والصناعة، بعد ما كان في بداية حياته مغموراً مطموراً لا يعرف عنه شيء، فيتلاً لأكوكبه في سماء الحضارة والتدّن، ويصل إلى قمة الشهرة والخلود، فيترجم حياته، ومن بين السطور يشعّ هذا الوسام بأنّه (نابغة).

(١) رسالة طبعت في مجلّة الذكر الصادرة بقم المقدّسة، العدد ١٦، السنة الثانية ١٤١٥ هـ.

(٢) النبوغ لغةً: من نبغ بمعنى خرج وظهر، ونبغ الرجل نبغاً لم يكن في إرثه الشعر ثمّ قال وأجاد ومنه سمّي النوايغ من الشعراء نحو الجعدي والذبياني وغيرهما، ونبغ فيهم النفاق إذا ظهر بعدما كانوا يخفونه منه. (لسان العرب ١١ / ٢٤) و (لغت نامه دهخدا ٤٣ / ٣١٩).

ويقال: نبغ في العلم وفي كلّ صناعة إذا أجاد، ونبغ في الدنيا اتسع، والنبوغ بمعنى الجديد تفوّق المرء في العلم والأدب والفنّ، وبمعنى الذكاء المفرط والاستعدادات العجيبة، والناطقة الرجل العظيم الشأن (دائرة معارف وجدي ١٠ : ٣٠).

٤ النبوغ وسرّ النجاح في الحياة

ويُستل حينئذٍ ما هو النبوغ؟

وقد بحث العلماء في الشرق والغرب ذلك، واختلفوا في تعريفه وبيان حدّه، بعدما وضع النبوغ والنابغة على طاولة التشريح، وسلّط عليها أضواء التحقيق. والتعاريف لم يكن من الحدّ التامّ المنطقي المطرد المنعكس الجامع للأفراد والمانع من الأغيار، وذلك بالجنس القريب والفصل القريب، بل هي من باب شرح الاسم، والإشارة إلى ما هو مركز في النفس من قبل، والمتكفّل لبيانها معاجم اللغة، فتدبّر. فمن علماء الغرب قال (استفن تسوابك): النبوغ: شعلة في وجود النابغة تحرق أعماق وجوده.

وقال (كارلايل): النبوغ: قبل كلّ شيء تحمّل المشاقّ والصعاب في الحياة على نحو خارق للعادة.

وقال (أديسون): النبوغ: واحد بالمائة إلهام، وتسعة وتسعين بالمائة عرق الجبين.

وعند بعض: النبوغ: استعداد عجيب لتمرّكز الحواسّ في موضوع وهدف واحد.

و (زان بول) يقول: التفكّر والتعلّل جوهر النبوغ، فالنابغة من يفكّر في الموضوعات العلميّة والفنيّة.

وعند (هلو سيوس): النبوغ: نتيجة الدقّة الممتدّة.

ويعتقد (مايتو أونولد) إنّ النبوغ: يتعلّق بالقوّة الخارقة للعادة.

و (بوفون) يقول: لم يكن النبوغ سوى الصبر العجيب.

و (راسكن) يرى النبوغ: نفوذ في جذور وأعماق الأشياء.

و (ميل) يذهب إلى أنّ النبوغ: موهبة إدراك الحقائق أعمق ممّا يراه

الآخرون.

و (كلريج) يراه: الاستعداد في الرشد والتكامل.

و (جان فاستر): القدرة على اشتعال النفس.

و (فلورانس): الرشد والتكامل في القوى العاقلة الإنسانية بحظّ وافر، وعند بعض: قدرة إدراك الشيء الذي يكون أساس في كلّ شيء، وقبل أن يخلق النابغة المجتمع، لا بدّ للمجتمع من أن يخلق النابغة، وكلاهما مؤثّران في تمدّن البشر.

وعند بعض: النبوغ: جلوة القوّة العصبية، والمحيط هو المؤثّر الأوّل في إيجاد النوابع. وبعض يرى النبوغ: تجلّيات الغرائز المكونة في بواطن النابغة، وقيل: الفرق بين النابغة والشخص العادي هو حدّة النظر، فالنابغة يتأثّر بالحوادث والوقائع، ولا زال الشخص العادي في رؤياه وغفلته.

والدكتور (آدلر) يرى النبوغ نتيجة وجود نقص في التركيب الجسماني، ويثبت أنّ من به نقص فإنّه يحاول رفعه بتشغيل قوى الدماغ بحدّ وافر في العلم أو الفنّ، فهذه (كهلمن كلر) العمياء الصمّاء الحرساء نبغت في عصرها، وهذا (بتهوفن) نبغ في الموسيقى وهو أصمّ، وما أكثر العلماء والفنّانين الذين نبغوا مع ما عندهم من نقص في التركيب.

ولم يكن النبوغ وراثياً، ولكن للوراثة تأثير في تحقّقها وتبلورها، كما نشاهد ذلك في أسر وعوائل نبغوا في العلوم والفنون، وربما ينضج ويطبخ النبوغ قبل أوانه، كما نرى ذلك في كثير من نوابغ العالم كالشيخ الرئيس ابن سينا.

وكثيراً ما يبتلى النوابغ بالأمراض العصبية كالصرع، كما يظهر النبوغ في الرجال أكثر من النساء، وفيهم الخبط الدماغي أكثر.

و (باسكال) يصرّ على أنّ النبوغ مثل الجنون، وأنّ النابغة أقرب الناس إلى

٦ النبوغ وسرّ النجاح في الحياة

الأمراض الروحيّة، وإصابتهم بالماليخوليا الجنونيّة.

والنوابغ منذ الصغر ينجذبون إلى مكنونات بواطنهم من النبوغ، وربما يتأخّر النبوغ بعد أوانه مثل ما نجد ذلك في (بلزاك) و (كولد سميث)، ويعتقد البعض أنّ سبب ذلك عدم اعتناء المرّيين، أو من تأثير المحيط الفاسد، أو الفقر المقيت المدقع. ويقال إنّ للنابغة دماغين: دماغ في خدمة نفسه، ودماغ في خدمة نبوغه، وربما يمنع الأوّل الثاني أو بالعكس، وإنّما يتولّد النبوغ من البواطن وبمعايير خارجيّة، ويعيش النوابغ حالة الانعزال عن الناس، وكثيراً ما لا يعرف قدرهم في حياتهم، ولكن عدم اعتناء الآخرين لم يزلزل ويشبط عزمهم، بل دائماً هم في بوتقة العمل، وبكلّ شوق وإخلاص، فإنّهم يعيشون للأجيال القادمة لا لمعاصريهم، ولم ينحصر ذلك في قوم أو شعب ووطن خاصّ، بل هو للعالم أجمع، ويسمع نداءهم جيلاً بعد جيل، ولم يدرك المعاصرون نوابغهم.

ويختلف النابغة في حياته العلميّة والعملية عن الناس، فإنّ الناس يفكّرون بالمقام والمال واللذائذ الشهوانيّة، ولكن النابغة يستغلّ الفرص وساعات الفراغ من أجل نبوغه ونشاطه العلمي أو الفنّي أو الصناعي، يتعمّق في الفكر وإن لم يكن فيه المنافع الماديّة بخلاف الآخرين، فنوره من نفسه، ومنار الآخرين منه، فهو كالظاهر بنفسه والمظهر لغيره.

وأما الفرق بين العالم والنابغة: فإنّ العالم يتعلّم منه ما تعلّم واكتسب، والنابغة إنّما يكسب منه ما ترشّح من فيض وجوده، ولم يتعلّمه من الآخرين. والعالم كرامي السهم فإنّه يعلمّ الهدف والرمي، فيكرم عند الناس، والنابغة أهدافه غير جليّة فهي في خبايا وجوده، فلا يعرف قيمته، ولا يجلّل ويحترم من قبل الناس إلّا بعد ظهور رميته وأهدافه.

ويختلف النابغة مع الناس في كلّ شيء حتّى الأخلاقيّات، ويبقى عمله جديداً وطرياً متى ما كان وأينما كان.

والمطالعة المستمرّة للنوابع موادّ أوليّة لمكوناتهم الباطنيّة وبنائهم الفكري، وجمل القول: أنّ النابغة عمله كحلّة العسل، وباقي الناس كالنمل، فهو يصنع وينتج بعد ما يجمع، وهم يحافظون على ما يجمعون. فالنابغة تقدّم الشيء الجديد، وباقي الناس يقدّمون ما كان قديماً، فهو ذو بصيرة نافذة وحده نظر، يرى ما لا يراه غيره، فيكشف الستار عن المجهولات في لوحته الغنيّة، وشعره الموزون وكتابه القيم، وغير ذلك.

وإنّ إدراك العلوم والفنون يفتقر إلى بصيرة وقّادة يفقدها العوامّ، والنابغة يدرك بعد ما ينسى نفسه ويدخل في عالم المثل والصور، فعنده قدرة العقل والتفكير أقوى وأعظم من قدرة النفس، والناس عقولهم في خدمة نفوسهم وملذّاتهم، والنابغة كلّ شيء في خدمة عقله، ويضحّي بكلّ شيء من أجل عقله، ولا يرى منافعه الشخصيّة، ويعيش في العالم الأكبر المتبلور في وجوده، النوابع خلصت آثارهم من الماديّات فتلقاهم في عالم الوجود والانجذاب ولو في لحظات، فهو كالشجرة اليانعة الخضراء تسرّ الناظرين، وتنبسط النفوس في عالم الوجد والانجذاب ولو في لحظات، وتنبسط النفوس بجوارها وفي دوحها وظلّها.

الناس يعيشون من أجل أهدافهم الشخصيّة، وهم أغراض في منافعهم وأعمالهم، والنوابع لما عندهم من العقل الكبير والفكر العملاق كأنّهم في حياتهم المعاشيّة بلا غرض، ويصابون بالعجز في إدارة أنفسهم حتّى في أعمالهم الفرديّة والشخصيّة، وقد يصدر منهم ما يضحك الآخرون حتّى ينسب إليهم الجنون، إذ هم في كشف أسرار الكون، وينسون أنفسهم، وينكرون الذات، وعندهم العلم والفنّ

٨ النبوغ وسر النجاح في الحياة

الهدف، وباقي الناس كلهم يعتبرونها وسيلة لتحصيل الثروة والمقام والملاد، فالنوابغ عشاق الفكر والعلم والتجربة والوصول إلى أسرار الخليقة والمعاني، وربما يصل إلى مرحلة العجز في حياته الطبيعية، ونجدهم قد حلّقوا في أجواء العلم وآفاق الأدب وسماء الفن، ويستلذّون بذلك غاية اللذة، ولا ينتظر مدح الآخرين وإطرائهم وثنائهم.

النابعة كالطفل يعيش في الوداعة والبساطة وعدم الاغترار بزينة الدنيا وزخرفها، إذ تغلب على نفسه قوّة العقل، وينمو عنده الجهاز العصبي أكثر من غيره، ويعيش في عزلة، وربما يصاب بالجنون، وقد قال أرسطو المعلم الأول: من نبغ في الفلسفة والسياسة والشعر والفن فإن له طبع ماليخوليائي، ومن يراجع مستشفى المجانين يجد كثيراً منهم لديهم نوعاً من النبوغ، وكثير منهم يصابون بعقدة الانتحار. النبوغ تربية القوّة الدراكة فوق الإرادة، والنابعة يفكر دائماً بما هو الأساس والمخالد في الكون، وغيره يفكر بأمر آنية سريعة الزوال، فهو ابن الوقت، والنابعة ابن الزمن، ولذة النابعة من نبوغه، وتجبر عزلته وتنسي همّه وغمّه، فالناس سكون بلا حركة، إرتجاع وتقليد من غير حجة، والنوابغ في حركة متواصلة من الاكتشافات والاختراعات والإبداعات، وتزيد عندهم الإرادة والتصميم والعزم والعمل الدؤوب مع نفوذ البصيرة.

فسقوط التفاحة من الشجرة عند الناس لا تحكي عن شيء، وعند النابعة، تحكي عن جاذبيّة الأرض، وينظر إلى الكويّات معتبراً متعلّماً، وينتفع ما ينتفع غيره، فالقصاب ينظر إلى جسد الشاة ينتفع منها المنافع الماديّة، والنابعة ينظر إليها ليكشف أسرارها، ويغفل عن نفسه في خضمّ تجاربه، كما له قوّة التمرکز على موضوع واحد ساعات وأيام وشهور وسنين، وهو جديد في كلّ جديد، ويطيّر في سماء

التفكير حتى يصل القمة، ولا تته في الأفكار، وهذا الحبّ الدفين يدفعه بكلّ جدّ وإخلاص إلى الاكتشافات والاختراعات والتصنيف، وينظر إلى العالم بإعجاب ودقّة، فهو كالشمس نوره من نفسه، وباقي الناس كالقمر نورهم من غيرهم.

النابعة ينبوع الحياة، ويتفجّر منه ما فيه الحياة والتطوّر، ويطوي المسير الكوني والتأريخ البشري قبل غيره بقرون وسنين، فهو وإن عاش منعزلاً عن المجتمع، ولكن يعيش في خضمّ الكون وأسراره وحقائقه المستورة، فهو قوي الإحساس ومرهف الشعور، ويعيش في حزن وكآبة ويتمتّع خلاص روحه من جسده الضيق.

وقيل: أكثر النوابع من قصيري القامة، كأرسطو وبانكور وأرخميدس وآتيليا وبتهوفن ونابليون وغيرهم، والغالب على النابعة أنّه نحيف الجسم يتألّم من محيط المدرسة في بداية عمره، كأينشتاين وروسو وديكارت وفرويد وكالريج، حتىّ بعضهم ترك المدرسة كبرناردشو وهتلر وأديسون، وحتىّ برناردشو عندما كتب عن حياته رسم مدرسته خلف قضبان الحديد كناية عن السجن، وقال: قضيت أفضل عمري في هذا السجن، والغالب على أولاد النوابع البلاهة، فأرسطوله خمسة أولاد اشتهروا بالبلاهة، وابن سيسرون كان دائم الخمر، وابن الترکان يفتخر أنّه لم يقرأ مزخرفات أبيه، وعندما سألوا ابن موزارت أتحبّ الموسيقى؟ ألقى مجموعة من النقود على الطاولة وقال: الموسيقى الوحيدة المفضّلة عندي هذه النقود، وحتىّ بعض أقارب النوابع ابتلوا بالحماقة والجنون كصبية فيكتور هيغو.

وكثيراً ما يورث النبوغ من الأمّهات، كسيسرون وكندرسة وبوفون كونة ونابليون وشوبنهاور ولامارتين وكنت والشيخ الرئيس، وبعض من الآباء كشييلر وميلتون وبيكون وثاسو.

١٠ النبوغ وسرّ النجاح في الحياة

ويندر نبوغ النساء، إذ شرط النبوغ الابتكار، وشرط الابتكار الشجاعة والتهوّر، والنساء يفقدون ذلك في الغالب، وشوبنهاور يعتقد أنّ المرأة ذاتاً تفقد النبوغ.

والغالب على النوابع التضحية والفداء من أجل الشعوب والأوطان وإصلاح المجتمعات. وهم غالباً في سفر ورحلات كئاسوا الشاعر والناو وادكار الن بو وروسو، ويشتغلون بأشغال مختلفة ومهن عديدة، كسويفت وروسو وكاردان وليوناردو دافنشي احترفوا الهندسة والتحقيق والرسم والعلم، وابن سينا طبيب وفيلسوف وسياسي، وأبو ريحان فيلسوف وأديب وطبيب، ويغلب عليهم الحزن والغمّ، حتّى أنّ (فلوبر) يكتب: إنّني لم أخلق للفرح، وشوبان حسّاس إلى درجة تبكيه الوردة الذابلة والذبابة الميتة، وكثيراً ما يتلى النوابع بالانتحار ويفكّرون بذلك.

هذا خلاصة ما يقال في النبوغ والنوابع وخصائصهم، وإنّهم في الأعصار والأمصاف يعدّون بالأصابع، والمطلوب منّا أن نكشف سرّ النجاح ورموز الموقّية في الحياة لجميع الناس على حدّ سواء.

فما هي عوامل النجاح في الحياة؟

سرّ النجاح في الحياة

كلّ واحد من الناس يحاول منذ نعومة أظفاره في جميع حقول حياته، أن يكون ناجحاً في أعماله، موقفاً في أفعاله، متفوقاً على أقرانه، متميّزاً بين أصحابه، سعيداً في حياته، رغيداً في عيشه، فنذ الصغر يفكر الإنسان كيف ينجح في عمله وحياته الفردية والاجتماعية، فيبذل ما في جهده وطاقته ليحوز على النجاح الباهر، وربما يخسر المعركة وربما يفوز، فهو دائماً بين اليأس والأمل، وربما يبتلى بالقلق والاضطراب، وأخيراً: الخيبة والرسوب، وربما يُقدم على الانتحار لضعف همّته، ولكن النجاح الأكيد يكمن في عوامل لو التزم بها الإنسان، وجعلها نصب عينيه، لنجح في حياته، ولنال ورقة النجاح وضمن ذلك منذ البداية، وأهمّ عوامل النجاح في حياتك، كما في علم النفس، فهو كما يلي :

أولاً: أن تعرف ذوقك واستعدادك الذي أودعه الله في جبلتك وباطنك، ولا بدّ لك أن تكشف ذلك مهما كلّف الأمر، فلو ملكت قوّة الرسم ووجدت في نفسك أنّه يمكنك أن تكون رسّاماً قديراً، وعندك موهبة (فنّ الرسم) واستعداده، فحينئذٍ لا تتعب نفسك في الدخول في سلك الأدباء والشعراء، لو لم تملك القريحة الشعرية، فإنّه ضياع للجهود، ولن تنال السبق في وادي الشعر. وإذا كنت تملك في

١٢ النبوغ وسرّ النجاح في الحياة

نفسك حرفة صناعية، أو وجدت ذلك في ولدك أو تلميذك، فلا تتعب النفس حينئذ بتعليمها الفلسفة والمفاهيم العقلية الثقيلة، فإنك وإن تعلمتها، إلا أنك لا تفوق الآخرين ولا تتال النجاح الباهر، فإنك خلقت لشيء آخر، كما نقف على هذا المعنى دليلاً وشاهداً وشهوداً من خلال مطالعة حياة عظماء العالم، وعباقرة الناس، ونوابغ العلوم والفنون.

ثانياً: العمل الكثير الدؤوب والمستمرّ، فليس للإنسان إلا ما سعى، وبقاء ناموس الحياة على قانون الجهد والعمل، فما أروع مقولة (الكسندر هاميلتون) نابغة عصره حينما قال: «يقولون إنك نابغة، ولكن لا أعلم من نبوغي شيئاً، إنما أنا رجلٌ أعمل».

وعظماء الدنيا على الإطلاق إنما حازوا السبق، وتربّعوا على عرش النجاح بعملهم وجهدهم المتواصل إلى آخر لحظة من حياتهم، فهذا أبو ريحان البيروني يتعلّم مسألة فقهية في آخر لحظة، ويقول: أموت عالماً بهذه المسألة أفضل من أن أموت جاهلاً بها، وإليك ابن سينا وابن رشد، وهذا أديسون، وذاك باستور، ومئات من الشخصيات الاجتماعية الفذة في الشرق والغرب، كانوا أهل عمل وتفكير وتخطيط في الحياة، حتى في السجون والظروف الصعبة والحرجة، فالسعادة والنجاح تطرق باب الساعي المجدّ والمجتهد، وعلى المرء أن يسعى فإنّ اليوم يوم عمل وغداً الحساب.

ثالثاً: الإيمان بالهدف، فإنّه المحرك الباطني الذي يدفع الإنسان نحو التقدّم والازدهار، والمؤمن بالهدف يسهل عليه تحمّل المصاعب والمشاكل في مسيره، ولا تعيقه العوائق، ولا يخاف من قول حذار، ولا يبالي بما قيل ويقال من الافتراء والكذب والتهمة، فإنّه يعتقد بسير عربته وأنّه في الشارع المستقيم والطريق القويم،

فلا يهيمه نباح الكلاب كما جاء في المثل: «عربته تسير والكلاب تنبح» ويفدي النفس والنفيس من أجل الوصول إلى المراد والمقصود، وحتى نهاية المطاف والهدف، وربما تكون الأهداف مقطعية لا بدّ أن يطويها حتى يصل إلى قمة أهدافه في الحياة، ولكلّ امرئ ما نوى، وقُل: كلّ يعمل على شاكلته.

رابعاً: الصبر والاستقامة، فإنّ ذلك من أهمّ عوامل النجاح، وهو رمز الموقّية في العمل، وإنّ الصبر أساس الأخلاق الحميدة، وإنّ التوفيق في الحياة والنجاح في العمل، منه قريب ومنه بعيد وطويل المدى، فلا بدّ من المقاومة والصبر، كما أنّ النبوغ على قسمين: سريع وبطيء، فكذلك التوفيق والنجاح بعيد وقريب، فإنّ السكّاني معلّم البلاغة صاحب كتاب مفاتيح العلوم، لولا استقامته وصبره في طلب العلم لما فاق أقرانه وشاع صيته، فالاستقامة عنصر مهمّ لمن طلب النجاح سيّما من كان في مقام إصلاح المجتمع وقيادته، فقد قال الله تعالى لنبيّه الأكرم في القرآن الكريم:

﴿ أَشْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ (١).

خامساً: التمرکز الفكري، فإنّ قطرات المطر لو انضمت بعضها مع بعض، وجمعت في مكان، لجرى الماء وأصبحت نهراً، ثمّ شطّاً، ثمّ بحراً، وإلاّ فإنّ الأرض تبتلع القطرات المتناثرة.

كذلك الأفعال الفكرية والأعمال البدئية، فإنّ التمرکز الفكري يفتح آفاقاً جديدة للإنسان في ميادين العمل، ويحلّ المشاكل، ويزيل العوائق في طريق الموقّية.

١٤ النبوغ وسرّ النجاح في الحياة

فالدقّة من أهمّ العوامل في حياة المخترعين والمكتشفين، وإنّ الاختلال الفكري ممّا يحطّم المرء في حياته، وقد سئل نيوتن المكتشف الكبير: كيف وصلت إلى تلك الاكتشافات الجمّة؟ فأجاب: بالتأمّل المستمرّ.

سادساً: النظم والانضباط في الحياة، فإنّ العالم الناسوتي بل الوجود كلّه يتأطرّ بإطار النظم، فالنظام هو الحاكم على الكون، فمن المجرّات السماويّة وإلى الكواكب السيّارة، وحتىّ الذرّات الصغيرة، مسوّرة بالنظم، ونظام العالم أعظم معلّم ومرّيّ لحياتنا اليومية. وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في آخر وصيّته لولديه الحسن والحسين عليهما السلام: أوصيكما بتقوى الله ونظم أمركما^(١). ومن علامة النظم تقسيم أعمالنا (لساعاتنا) اليوميّة، فإنّ العاقل الذي يضع الأشياء في مواضعها، فنظّم أمرك وحياتك لتنجح وتساعد، فإنّ الوقت من ذهب، وإضاعة الفرصة غصّة، وقد فاز باللذات من كان منظماً في حياته وعيشه.

سابعاً: الشروع في العمل من الصفر، فإنّ أوّل الغيث قطرة، وأوّل مسيرة ألف ميل خطوة، فإنّ العمل الناجح والعامل الناجح: من يبدأ من الصفر ومن الشيء الضئيل، فالنجاح حليف من كان له همم شاحخة، فإنّ همم الرجال تزيل الجبال، ونجح من خطّط في حياته، يبدأ بالمسير الطويل بخطوة، وهي من أصعب الخطوات، فإذا رفع القدم الأوّل، فإنّ القدم الثاني يكون خلفه بسهولة، فيشرع من مكان صغير، وعمل ضئيل، ثمّ يواصل حتىّ النهاية، راجع سيرة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وطالع حياة العظام لتقف على ما أقول.

ثامناً: عدم التقليد الأعمى والأصمّ، فمن قلّد الآخرين من دون وعي وعلم،

(١) نهج البلاغة.

فإنّه لن ينال النجاح المطلوب، فعليك أن تكون ذا فكر وقّاد، وعمل مستقلّ، ولا تميل مع كلّ ريج، ولا يحقّ ان ينعق الإنسان مع كلّ ناعق، بل عليك بكسب المعرفة والعلم، ثمّ العمل بإيمان وصبر وحكمة وتمركز فكري، ونظم، والشروع من النقطة ومن الصفر، وإيتاك والتقليد المحض، وكن خلاقاً في حياتك، واسلك الطريق الجديد الذي لم يفتح، كما فعل كبارنا ذلك، فإنهم فكّروا أحراراً، وعاشوا أحراراً، وماتوا أحراراً.

وقد خلقك الله حرّاً فلا تكن عبد غيرك، فإنّه لا يستحقّ الخضوع والخشوع والعبوديّة إلاّ الله سبحانه وتعالى:

﴿ قولوا لا إله إلاّ الله تفلّحوا ﴾ .

ومن الله التوفيق والسداد، أي منك الحركة ومن الله البركة، فاستعن بالله عزّ وجلّ، وقم وطبّق هذه العوامل الأساسيّة لتكون ناجحاً في حياتك العلميّة والعملية، فاستقم كما أمرت .

كيف تكون عاملاً وصانعاً^(١) ناجحاً في عملك ؟

إنَّ الله يحبُّ الشابَّ الذي يعمل، ويكره من كان فارغاً لا شغل له، فإنَّ الرسول الأكرم ﷺ لما رأى شاباً وأعجبه فسأل عن عمله فقالوا: لا شغل له. فقال: «سقط من عيني»، وهذا يعني أنَّ رسول الاسلام يحثُّ المسلمين على العمل، ولا بدَّ من شغل شاغل، فلا كسل ولا ضجر، فإنَّهما يضيِّعان الحقَّ، فمن الإنسان الحركة ومن الله البركة، وهذا أصل أصيل يقرِّبه العقل النبي الباطني، كما يحثُّ عليه الدليل النقلي أي الرسول الظاهري، فالْحُجَّتَانِ الظاهرية والباطنية متعاضدتان ومتفقتان على أنَّ الإنسان لا بدَّ له من شغل وعمل متواصل، وأنَّ الكاسب حبيب الله، والساقط من لا عمل له، ويقضي نهاره وساعاته عاطلاً باطلاً، يذرع ويهندس الشوارع والطرق، أو بين النوم والخلسة، أو لقاء المقاهي والكاзиноهات. ثمَّ الاعمال مختلفة ومتفاوتة، ولما كان المقصود بقاء النوع الإنساني،

(١) المراد من الصانع هنا أي العامل الذي يعمل في حانوت أو معمل أو ما شابه ذلك، فالصانع على اللهجة العراقية، وقد طبع هذا الموضوع في صحيفة (صوت الكاظمين)، العدد؟؟؟، سنة

١٨ النبوغ وسرّ النجاح في الحياة

وحكومة النظام والقانون البشري، وإنّ الانسان مدني الطبع، وكلّ واحد يحتاج إلى الآخر، وأنّ المقاصد مختلفة، والاحتياجات متعدّدة، لتعدّد جوانب الحياة وتركّب الانسان من روح وجسد، واختلاف مقتضياتها، وإنّ المجتمع يحتاج إلى طبيب كما يحتاج إلى عالم ديني، ليكون الأوّل معالج الجسد في أمراضه وأسقامه، والثاني معالج الروح في صفاتها الذميمة ورذائل الأخلاق وكلاهما يسعيان في سعادة الإنسان، كما يحتاجان إلى البناء والقصّاب والبقال وغيرهم، وكذلك هم يحتاجون إليها، فكلّ واحد يفتقر إلى شغل الآخر، وهذه سنّة الحياة وضرورة العيش التي لا يمكن إنكارها، فإنّها من القضايا التي قياساتها معها، كما هو واضح.

ثمّ الناس في جرّفهم وأشغالهم وفنونهم بين مدير وعامل، وتاجر وصانع، وربّ عمل ومربوب، وأستاذ وتلميذ، وعالم ومتعلّم، وطبيب ومريض، فليس الكلّ سواسية، بل اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الاختلاف في العقول والنفوس والاستعدادات والنشاطات والتقدّم والازدهار، إلّا أنّ الطريق مفتوح أمام الجميع على حدّ سواء.

﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾^(١).

وهو الذي يقرّر مصيره بلا جبر ولا قسر، بل بيده الاختيار، وبيده مفتاح التوفيق في الحياة، وإتّه هو الذي يسعد نفسه، أو يجعلها من الأشقياء والتعساء.

﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾^(٢).

والتوفيق إنّما هو خير رفيق في حياة الانسان بشرط أن يكون هو من أهل

(١) النجم : ٣٩ .

(٢) الإنسان : ٣ .

كيف تكون عاملاً وصانعاً ناجحاً في عملك ؟ ١٩

التوفيق، ويجلب لنفسه التوفيق، ويفكر ويدبر ويعمل بكياسة وسياسة وحنكة وحزم وعزم وصبر حتى يطوي مدارج التوفيق، وحتى يفوق أقرانه ويصعد القمّة بعد جهد جهيد، وعمل دؤوب، ويكون سعيداً في حياته، كما يُسعد به الآخرون.

هذا وهناك عوامل أساسية للتوفيق والتقدّم والسعادة، وكأنها قوانين رياضية وحسابات جبرية غير قابلة لتخلف، فإن الواحد زائد واحد يساوي إثنان، وهذا لا يمكن تغييره وتبدّله، لأنّه قانون رياضي حاكم على الكون كلّه، وكذلك هناك عوامل في نجاح الانسان في حياته العلمية والعملية، يفوز وينجح من طبّقها وعمل بها وجعلها نصب عينيه في حياته الفرديّة والاجتماعيّة.

ومقصودنا من هذه المقالة القصيرة أن نذكر أهمّ العوامل التي توجب تقدّم

العامل الصانع في عملٍ ما أو معمل أو دكان في حرفة أو مهنة، بل في أيّ مجال من مجالات الحياة العماليّة، كصانع التاجر أو صانع النجار أو بائع الأحذية أو الذي يشتغل في طبع الكتب أو الصحافة أو ما شابه ذلك، فإنّ من لم يوقّق في إكمال دراسته أو أراد أن يتّجه إلى عمل من الأعمال لضرورة الحياة وصعوبتها ومشاكلها التي ربما تمنع طالب المدرسة أن يكمل دراسته، فتسوقه المشاكل وصعوبة العيش إلى أن يدخل في حرفة أو يختار مهنة، ليزاول صنعة وفنّ وعمل، فعليه أولاً أن لا يضجر ولا يكسل ولا ييأس، بل بإمكانه أن يعوّض دراسته بمهنته الجديدة بعد أن يتفوّق بها، ويتقدّم وتزدهر حياته العمليّة والصناعية أو التجارية أو ما شابه ذلك، ولا بدّ لمن أراد النجاح في مهنة وصنعة أن يكون صانعاً أولاً حتى يكسب الخبرة والتجربة في تلك الصنعة وفي ذلك العمل، وهذا أمر طبيعي يعترف به الوجدان، وكفى به دليلاً وشاهداً، ثمّ إذا أراد أن يسعد في عمله ويتقدّم ويتفوّق ويتوقّق، فعليه أن يراعي هذه الاصول الأولى والعوامل الأساسية، وهي عبارة عن النقاط التالية :

٢٠ النبوغ وسرّ النجاح في الحياة

١- الاخلاص في العمل (أخلص تنل - قالها أمير المؤمنين علي عليه السلام) وهذا من أهمّ الأصول في نجاح الإنسان، فإنّه إنّما ينال ويصل ويحلّق في آفاق الفلاح والصلاح والنجاح بالإخلاص، من دون أن يسرق من العمل أو ربّ العمل، ويستعمل الحيلة والمكر والخديعة والغشّ ويتصوّر ذلك أنّه من الشطارة والكياسة، فإنّه بهذا يحفر قبره بنفسه ليسقط فيه، وإنّ الموت أولى له من الحياة، وبطن الأرض خير له من ظهرها.

٢- غنى الطبع، فالعامل الناجح لا بدّ أن يكون غنياً في طبعه، فلا ينظر إلى يد أستاذه، ويركض وراء لقمته، ويطمع في ماله، فإنّ الطمّاع لا قيمة له في الحياة، وهو مهان في المجتمع، حتّى عند من يشتغل عنده، والمدير أو صاحب المعمل أو التاجر يمتحن ويختبر العامل، فإنّ وجده غنيّ الطبع عزيز النفس، أمين، صائن النفس عن الهوى، فإنّه يكبر بعينه، ويرتاح إليه، ويصل الأمر به إلى أن يقلّده مقادير الأمور ومفاتيح العمل.

٣- الابداع في العمل، فالعامل الموقّ من يفكّر بإخلاص وغنى أن يبدع في عمله ويطوّره، ويفكّر في خدمة أستاذه ومديره وتقدّمه ونجاحه، ويرى أنّ نجاحه في نجاح أستاذه ومن يشتغل عنده.

٤- نسيان النفس، بعد أن يختار العامل الأستاذ الجيّد والنظيف والموقّ في عمله وتجارته وصنّعه ومعمله ومهنته، فبعد أن يرى ربّ العمل الصالح والناجح، فعلى الصانع والعامل أن ينسى نفسه أمامه، ولا يرى لنفسه وجوداً أمام وجود أستاذه، بل كأنّه يفنى في الأستاذ ويكون كالعاشق والمعشوق، يتّحدان روحاً، ويختلفان جسداً.

٥- الأخلاق الطيّبة في العمل، وهذا أيضاً من أهمّ العوامل التي توجب الرضا

كيف تكون عاملاً وصانعاً ناجحاً في عملك ؟ ٢١
والنجاح في الحياة العلميّة والعملية، فإنّ العامل ذو الأخلاق الطيبة يجلب الزبائن
إلى حانوت أستاذه وربّ عمله.

٦- شعور الأستاذ بوجود الصانع، أي لا يكون وجود الصانع وعدمه
بالنسبة إلى أستاذه واحداً، فإنّ من كان كذلك فلا خير فيه، بل لا بدّ للصانع
والعامل أن يثبت وجوده وضرورة العمل إليه، كأن يكون مفتاح العمل بيده،
ولولاه لا اختلّت الأعمال، وتوقّفت ولو برهة من الزمن، ومن كان يومه أفضل من
أمسه فهو الناجح، ومن ساوى يومه فهو مغبون، ومن كان أمسه أفضل من يومه،
فهو ملعون بعيد عن رحمة ربّه، والموت خير له من الحياة.

٧- بناء الشخصية قبل المال، يعني على من يريد أن يوفّق في حياته أن يبني
شخصيته أولاً قبل أن يفكر بالثروة وجلب المال، فمن كان له شخصيّة إجتماعية كلّ
حسب شأنه ومقامه وظروفه، فإنّه سيخلص في عمله، ولا يطمع في مال مديره
وربّ عمله، كما أنّه يبدع في العمل، ويحسّس الأستاذ بوجوده، ويفوح منه نسيم
الأخلاق الطيبة، والسجايا الحميدة، فيأنس به من يجاوره، ويشمّ عطره وطيبه.

٨- التخطيط في العمل ليلاً ليطبّق ذلك في نهار عمله، فلا تكون تصرّفاته
وحركاته وسكناته عفوية وخلق الساعة، بل لا بدّ له من الحذاقة واللباقة والتأمّل
والتدبّر والتخطيط في الليل على أنّه كيف يبدع؟ وكيف يعمل؟ وكيف يتحدّث؟
وكيف يتعامل مع فلان وفلان؟ وهكذا، وكلّما كبر العمل زاد التخطيط، وزادت
ساعاته كما هو واضح.

٩- الصبر الجميل مع الأستاذ الناجح، فإنّ الصانع بعد اختياره ربّ العمل
والأستاذ الناجح، لا بدّ أن يصبر معه صبراً جميلاً، ويتحمّل ذلّ التعلّم ومسكنة
العَماليّة، فلا يتبَطّر ولا يفتَر، فإنّ التبَطّر والعجب والغرور من العوامل المهذّمة في

٢٢ النبوغ وسرّ النجاح في الحياة

تقدّم الإنسان، بل عليه أن يصبر ولو لسنين وسنين، حتى يتعلّم كلّ أطراف العمل وجوانبه وخفاياه وأسراره، ويتسلّط على الصنعة والمهنة والحرفة كاملاً، ولا يفوته شيء ولو كان صغيراً، فربّ مسمار صغير يوقف ماكنة جبّارة وكبيرة عن العمل.

١٠- لا ينسى فضل أستاذه بل يبجله ويعظّمه ويرجع إليه دائماً، ويقدره

ويحترمه، فإنّ بركة العلم في تعظيم الاستاذ.

﴿ لنن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (١).

ومن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق (٢).

والحمد لله ربّ العالمين.

(١) إبراهيم : ٧.

(٢) حديث نبويّ شريف.

الفهرست

- ما هو النبوغ ومن هو النابغة ؟ ٣
- سرّ النجاح في الحياة ١١
- كيف تكون عاملاً وصانعاً ناجحاً في عملك ؟ ١٧

كَيْفَ أَكُونُ
مُوقِفًا فِي الْحَيَاةِ

السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

الجزء الحادي عشر

عرفان و اخلاق - ٢



علوی، عادل، ۱۹۵۵ -

کیف أكون موفقاً في الحياة؟ / السيد عادل العلوي، - قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ۱۳۷۸.

۸۸ ص. - (موسوعة رسالات إسلامية)

ISBN 964 - 5915 - 03 - 1 : ۲۰۰۰ ریال

فهرستتویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

عربی.

۱. موفقیت - جنبه های مذهبی - اسلام. الف. عنوان.

۱۵۸ / ۱

ع ۴ ع / ۱۶۱۸ BJ

۲۰۸۵۲ - ۷۸ م

کتابخانه ملی ایران

موسوعة

رسالات إسلامية



رسالة

کیف أكون موفقاً في الحياة؟
تأليف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ۳۶۳۴

الطبعة الثانية - ۱۴۱۸ هجري قمری

الكمية المطبوعة - ۱۰۰۰ نسخة

المطبعة - النهضة، قم

ISBN 964 - 5915 - 03 - 1

شابك ۱-۰۳-۵۹۱۵-۹۶۴

EAN 9789645915030

ای.ای.ان. ۰۳۰-۵۹۱۵۰۹۶۴۹۷۸

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك X-۱۸-۵۹۱۵-۹۶۴ (دورة ۱۰۰ جلد)

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ووفقه لمعرفة بلطفه وإحسانه،
والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله الأطهار.

أما بعد :

فاعلم أنّ الإنسان ذلك الكائن المجهول، الذي هو أشرف المخلوقات، ومن
أجله خلقت الأرض والسموات، يمتاز عن الكائنات الحيّة بعقله وقلبه، ويتبلور
ويزدهر العقل بالفكر، وأما القلب فأتما يتصيفل ويتهدّب بالذكر. والطريق إلى ذلك
بالعلم والانكشاف والشهود، إلاّ أنّه طريق الفكر هو الدراسة والمطالعة والتنقيف
العامّ، وبداية التعليم والتعلّم الدرسي إنّما يكون من أيام الصبا إلى أواسط العمر،
ولكن طريق القلب إنّما هو بالموعظة والذكر والمناجاة، وذلك من المهد إلى اللحد،
فلا يكسل الإنسان في طلبه وممارسته حتّى سنّ الكهولة، فهو يتشوّق إلى الدعاء
والمناجاة، وإن كان يملّ من تلقّي الدروس، فالروايات التي تقول بطلب العلم من
المهد إلى اللحد، وأنّ الجنين بعد ولادته يؤذن في أذنه اليمنى، ويقام في اليسرى
(الأذان والإقامة) ناظرة إلى هذا العلم في طريق القلب، ولا يحقّ للمرء أن يأخذ
هذا العلم من أيّ كان، بل فلينظر إلى طعامه، أي إلى علمه ممّن يأخذه، وإنّما يعاشر

٤ كيف أكون موفقاً في الحياة؟

من يذكره الله رؤيته، ويزيد في علمه منطقته، ويرغبه في الآخرة عمله. وقد ورد في الأخبار: من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن نطق عن الله فقد عبد الله، وإن نطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان. وأما الروايات التي تقول: انظر إلى ما قال لا إلى من قال. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(١)، ناظرة إلى طريق العقل والتفكير، فيحق للمرء أن يستمع الأقوال والآراء ليأخذ منها النافع، وإنه يتعوذ من العلم الذي لا ينفع، وإذا كانت الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ولو من رأس مجنون، إنما هي ناظرة إلى هذا المعنى، فتدبر.
وبعبارة أخرى:

الرؤية الكونية، ومشاهدة هذا العالم، إما أن تكون بزعة مادية أو بزعة إلهية، والتفكير المادي سير من الخلق إلى الخلق بالخلق، فالسائر يدور في عالم المادة المحضة والهيوالاتية المظلمة. وأما التفكير الإلهي النوراني فهو سير من الحق إلى الحق، ومن الحق إلى الخلق ومن الخلق إلى الحق، وكل ذلك بالحق، فهذه أسفار أربعة، وهي إما من طريق العقل، أو من طريق القلب، فالأول يتلقى المعارف والعلوم بالعقل والفكر والنظر، وبالحركة من المراد إلى المبادي ومنها إليه. والثاني يتلقاها بالقلب والمكاشفة، وطريق الأول مسلك الحكماء والفلاسفة، والثاني مسلك العرفاء وأصحاب الكشف والشهود، وفرق عميق بين المسلكين، فالحكيم يفكر فيهم، والعارف يبصر فيشاهد، فالأول سير غيبي، والثاني سير شهودي. وما يقدمه العارف أهم وأكثر مما يقدمه الفيلسوف، وربما الإنسان بلطف من الله سبحانه يجمع بين المسلكين ويصبح عارفاً حكيماً، وهو الذي يسمى بالكون

الجامع، فيجمع بين الفلسفة والعرفان وبين البرهان والشهود.
والسلوك العرفاني: تارةً بالأسباب والعلل الظاهرية، أي بمظاهر أسماء الله
الحسنى، صفارها تحت الكبار، وكبارها تحت الإسم الأعظم، وأخرى بالقلب.
والأول طريق عامّ، والثاني طريق خاصّ للخواصّ.

وبالأول يصل الإنسان إلى مقام يفيض عليه سرّاً، فيلهم القلب الذي هو
حرم الله وعرش الرحمن. وعنده مفاتيح الغيب، والمفتاح بيد القلب، والله يكلم
الناس من وراء حجاب أو من الوحي والإلهام، ويناجيهم في سرّهم، ولكنّ
الإنسان يتكلم مع ربّه من دون واسطة فيناديه: يا ربّاه، وتجاب دعوته. وهذا
طريق الغيب وهو مفتوح دائماً ولا يُغلق، وبه القلب يطمئنّ في كلّ الأحوال
والظروف، وحيثنّ لا حجاب بين الإنسان وبين ربّه إلاّ الذنوب والمعاصي، وأقرب
الطرق إلى الله هو الحبّ والعشق القلبى، وعزم الإرادة القلبية إلى الله سبحانه،
جامعاً بين الشريعة والطريقة والحقيقة، وذلك العارف بالله حقّاً. ويعبد الله مخلصاً،
فإنّ العبادة بعد المعرفة، ولمّا لم يمكن معرفة كنه الذات الربوبية، فلا يمكن أن يعبد
الله حقّ عبادته، سواء النبيّ أو الوليّ أو العارف أو الحكيم، فشعارهم ما عبدناك
حقّ عبادتك، وأن عبدوا الله حتّى أتاهم اليقين.

بعد بيان هذه المقدّمة الموجزة التي تشير إلى أهمّ العنصرين في الإنسان
وهما: العقل والقلب، وإشارة عابرة وخاطفة إلى لوازمها وكيفية تربيتها لمن ألقى
السمع وهو شهيد، وتكفي الإشارة لمن يعقل ويريد.

نذكر أهمّ العوامل والأسباب التي لا بدّ من مراعاتها والالتزام بها لمن أراد
أن يكون موقفاً في حياته العلمية أو العملية، الفردية أو الاجتماعية. كلّ حسب حاله
وما تقتضيه حياته الخاصّة والعامّة.

٦ كيف أكون موقفاً في الحياة ؟

ولا يخفى أنّ كلمة (التوفيق) مشتقة من الوفق، وهي لغة: بمعنى أن تكون الظروف والأعمال على وفق ومرام ما يبيغيه المرء في حياته، أي: كان الأمر صواباً موافقاً للمراد. مثلاً: لو أراد الإنسان أن يسافر، فإن تهيأت الراحلة والزاد بسهولة وكما يرام، فما أن خرج من داره إلا وحصل على سيّارة، ثم رافقه في الطريق مصاحب أريحيّاً فاهماً، ولم يعترضه ما يسيئه في السفر، ووصل إلى مقصوده، ونال ما ينتظره ويبيغيه، ورجع بسلامة، فإنّه يقول: كنت موقفاً في سفرتي هذه. ولكن إذا داهمت المصاعب، وفشل في الوصول إلى مقصوده، ورجع خائباً، فإنّه يتأفف ويتأسّف على أنّه لم يكن موقفاً في سفره.

والتوفيق اصطلاحاً بهذا المعنى اللغوي، إلا أنّه مع نظرة إلهية ويد غيبية ولطف خاص من الله سبحانه، فإنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يقول: «عرفت الله بفسخ العزائم ونقض الهمم»، وهذا يعني أنّ هناك قدرة حكيمة مدبرة، هي أولى بالتدبير، وربما يعزم الإنسان على أمر فيفسخ، ويهمّ بشيء فينقض، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو كره لكم، وأن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، فمن فوّض أمره إلى الله سبحانه فإنّه يتوفّق في حياته وينجح في مسعاه، وتتسهّل له طرق الخير، فإنّ الله إذا أراد بعيداً خيراً هيأ له الأسباب، فيسعد في نجاح سؤله ومأموله ويرشد في أمره، ويسدّد خطاه، ويصيب الخير، ويكون مظهراً لتوفيق الله سبحانه وتعالى.

والإنسان في حياته إنما هو في رحلة وسفر، يحاول أن يكون موقفاً في عمله، وناجحاً في أسرته ومجتمعه، ولكن على المرء أن يسعى ليكون من أهل الخير حتى تتاح له الظروف وتتهيأ له الأسباب ويكون موقفاً وناجحاً.

مع هذا هناك أسباب عامّة اتفق عليها العقلاء أنّ من التزم بها، مع حقّ المراعاة، فإنّه يتوفّق في الحياة، نشير إلى أهمّها، وهي كما يلي:

الأول

اغتنام الوقت والفرصة

المعروف أن كلَّ شيء عند ضياعه وتلفه، يمكن أن يعوّض ويُجبر، إلاّ الوقت والزمان، فهيهات للمرء أن يعوّض الوقت الضائع، وقد يتصوّر الشباب أنّهم خالدون في الحياة، وتبقى لهم قوّة الشباب والنشاط، فلا يثمنون وقتهم الغالي وحيويّة نشاطهم، ولكن من عرف الوقت وعرف قيمته وأنّه يمرّ كما يمرّ السحاب فإنّه يغتنمه، فأنطوان تشيخوف الكاتب الشهير قد كتب أكثر من ألف قصّة، وخلف من ورائه العدد الكبير من المؤلّفات، والعدد الكثير يتألّف من الصغار، فالعمر من السنين، والسنون من الشهور، والشهور من الأيام، والأيّام من الساعات، والساعات من الدقائق، والدقائق من الثواني، والثواني من الآنات، والآنات من اللحظات، واللحظات كالمح البصر أو هو أقرب.

فاغتنم لحظات عمرك وشبابك قبل هرمك، وسلامتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك. والوقت كالسيف إذا لم تقطعه قطعك، ورأس المال عمرك الغالي، فلا تضيّع وقتك فيضيع عمرك، ولا تضيّع عمرك فتندم، يوم لا ينفع الندم، فحاسب وقتك أشدّ الحاسب، ولا تبطله بالأباطيل والقال والقيل، واللهو واللعب، فما خلق الإنسان لذلك، وخير الأوقات وقت الشباب، وفاز ونجح من نظّم وقته، وقسّمه

٨ كيف أكون موقفاً في الحياة ؟

على أعماله، وإنما حاز السبق ووصل إلى قمة المجد والخلود من نظم وقته، كابن سينا وباسكال وشوبرت، فعرف العطاء قيمة وقتهم، فنظموا أعمالهم، وما أروع مقولة أمير المؤمنين عليه السلام موصياً ولديه الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام في آخر لحظات حياته الشريفة: «اتقوا الله، وعليكما بنظم أمركما»، فلا بد من تنظيم الوقت، ومن ثم نحاسب أنفسنا، ونضع علامة الزائد (+) للساعات التي استفدنا منها، وعلامة الناقص (-) لتلك التي ذهبت من أيدينا هدرًا، ثم نسعى في المستقبل أن نبدل النواقص بالزوائد، فإن بعض الساعات تسرق منا، وبعضها تؤخذ، وبعضها تفرّ؛ فالتى تفرّ لا سبيل لنا في قيدها، ولكن يمكن الوقوف أمام سرّاق الوقت بكلّ بسالة، فإنهم سرّ السراق: فزان الرسّام الكبير الفرنسي كان يفرّ من الناس ليغتتم الفرص، فإنه كان يعتقد أنّهم علائق وعوائق من اغتنام الفرص، وتضييع الفرصة غصّة، فلا بدّ أن نتحدّر ممّن يريد أن يملي ساعات فراغه باللعب واللهو، ويسرق أوقاتنا الغالية، فلا نفتح لهم المجال ليعثوا في ساعات الحياة، ويفسدوا عمُرنا الغالي العزيز، وأخيراً من أتعب نفسه في شبابه استراح في شبابه.

الثاني

الأمل والرجاء في الحياة

من يئس من حياته فقد خسر، وانتهوى من شموخ إنسانيته، والموت الحقيقي للإنسان هو موت اليأس، فإنه السيف البتار، واليأس إنما هو القدم الأول إلى القبر، وأنّ الأمل والمني في الحياة كجناحي الطائر، لولاها لما حلّق الإنسان في سماء العظمة والخلود، فإنّ الأمل القوّة المحرّكة نحو الأهداف السامية، والدنيا قامت على الآمال المعقولة، وستبقى على الآمال الصحيحة. وإنّما ينفع الأمل لو كان صادقاً مستقيماً نابعاً من الحقائق والواقعيات، لا ما كان كاذباً منسوجاً بخيوط الأوهام والخيالات، فإنّ مثل هذا الأمل كمثل سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، وكمثل نقش ورسم الخبز بعين البؤساء الجياع، فإنه لا يُغني ولا يُسمن من جوع. والأمل الصادق ما يتعقّبه السعي والعمل المتواصل، ولا تيأس في حياتك، فلعلّ آخر مفتاح لا زال في جيب فكرك، ليفتح لك أقفال مشاكل الحياة. ولا تيأس من روح الله، فتوكل على الله وتأمل به، وإلا فن ضاع منه الأمل سينتني أمام مشاكل الحياة وصعابها ويفشل في مقاومتها ومكافحتها، ويصاب بالانهيار وضعف الأعصاب، وأخيراً الانتحار، أو يعيش على هامش الحياة تافهاً عاطلاً كلاً على المجتمع.

الثالث

الهدف في الحياة والصبر من أجله

كل واحدٍ منا لا بدّ أن يكون له هدف في حياته، يبرمج أوقاته بروح الأمل ليصل إلى الهدف المنشود، والأهداف تختلف باختلاف الهمم والنفوس، ومن لم يكن له هدف مقدّس في حياته، فإنّه ضائع حيران في ألوان الإرادة والتصميم، ومن يبغى القمّة والعظمة في حياته العلمية أو العملية، فلا بدّ أن يكون له هدف واحد، وتصميم واحد، وأمل واحد، ولا يصل الإنسان إلى ما يبغيه بالتمني والترجّي وبلعلّ وليت، إنّما بالسعي المتواصل والعمل الدؤوب والجهود المستمرة، ولا ينال وسام الموقّية بسهولة، بل بالجهد والنصب، ولا بدّ من تربية الحواس الخمسة الظاهرية لكسب العلوم والفنون، وكلّ من عظمت روحه، فشعاره في الحياة إمّا الموت دون الهدف الصادق وإمّا الفوز والنصر بوصول الهدف الفائت، فلا بدّ من إحدى الحسينيين. والرجل الواقعي من كان له شجاعة القول، ومن قدّر أن يقتل اليأس في نفسه، فإنّه لا يؤخّر عمل اليوم إلى غده، فإنّ عمل اليوم لهذا اليوم، وللغد أعماله، ولا بدّ من الإرادة والتصميم والصدق والصبر والشجاعة.

فإنّ طارق بن زياد حين فتح الأندلس، أحرقت السفن من خلفه، خاطباً في عسكره، هاتفاً: «أيّها الناس أين المفرّ، البحر من ورائكم، والعدوّ من إمامكم،

١٢ كيف أكون موفقاً في الحياة؟

وليس لكم والله إلا الصدق والصبر»، ومن طلب العليّ سهر الليالي، واشترى الآلام بنفسه ووجوده.

الحيوان ابن الدبّ حين مشيه أخذ يتفلسف مع أمّه قائلاً: أبغي المشي ولكن لا أدري هل أضع رجلي اليسرى على الأرض أو الرجلين الخلفية أو أمشي على الأربع؟ فقالت له أمّه: دع عنك التفلسف وسر.

إن كنت ترقى سلّم الإكبار فاختر لنفسك مركب الأخطار
سر لا تعيق في المسير عوائق سر فلا يُجديك قول حذار^(١)

(١) من أشعار والدي العلامة المرحوم السيّد علي بن الحسين العلوي قدّس سرّه وأسكنه الله فسيح جنانه وحشره مع أجداده محمّد وآله.

الرابع

معرفة الطريق ووضوح المسلك

بعد تشخيص الهدف في الحياة لا بدّ من معرفة طريقة وكيفية السلوك والوصول إليه، فمن عرف الطريق السليم، وعمل وسار حتّى النهاية، بكلّ نظم واستغلالاً للفرص والوقت الثمين، فإنّه يفوز وينجح في حياته، فالحذر من تضييع الوقت والتبذير فيه، وإنّ الحياة تعلّمنا كيف نعيش وكيف نموت، وما دورنا في الحياة، على الهامش، أو من السطور وفي متن الحياة، فإنّها تظهر المكنونات والاستعداد الباطني من القوّة إلى الفعل، وإنّ الرجل مولود أفكاره وآماله وأمانته الصادقة، التي يجذب بكلّ إخلاص ودقّة، أن ينالها بعدما عرف صوابها وسلامتها، وطوبى لمن عرف قدر نفسه، كفى البكاء على الماضي، ولا تغفل عن يومك هذا، فإنّ الوقت أعزّ الأملك، وكم تغفل عن زراعة هذه الأرض الخصبة، ونفلحها بالعمل الصالح والعلم النافع، فلا بدّ لنا من اغتنام الوقت والأمل والرجاء ونصب الهدف والصبر ومعرفة الطريق. ولا بدّ من مراعاة هذه النقاط التالية :

- ١- العمل الفوري، فخير البرّ عاجله.
- ٢- لا ندع عمل اليوم إلى غدٍ، فإنّ غدًا له أعماله وأفعاله.
- ٣- ما نستطيع إتيانه لا نكلّف الآخرين إتيانه.

١٤ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

٤ - لا بدّ من الطمأنينة في سرعة العمل ، فإنّ عدم الطمأنينة والعجلة ، ربما تورث الندم ، ويوجب تكرار العمل ، فلا بدّ لك أن تعتمد على نفسك بعد التوكّل على الله سبحانه وتعالى . وهذا أمر مهمّ جدّاً الاعتماد على النفس والتوكّل على الله ، فهما معاً ، والأوّل في طول الثاني ، والثاني مدبّر الأوّل ، فلا تغفل .

٥ - كلّ وقت له عمله الخاصّ ، فلا بدّ من وحدة العمل حتّى نهايته .

٦ - لا تذبذب ولا ترديد بعد معرفة سلامة الطريق وقدااسة الهدف ، فإنّ التذبذب علامة ضعف الأخلاق ، والتصميم على العمل وإن كان ضعيفاً ، فإنّه أنجح ممّن لا تصميم له .

٧ - لا تخف من الأمر العظيم ، فإنّ طلب ما هو عظيم ، يولّد فيك القوّة العظيمة .

٨ - لا بدّ من معرفة مكانة العمل ومحاسبة كلّ شيء ، فكثير من هوى وسقط في حياته إثر العجلة أو التأخير ، وفي التأخير آفات .

٩ - انتهاز الفرص فإنّها زهور الحياة ، لولاها لذبلت ، ويمكن للمرء أن ينال ثروته المفقودة بالعمل ، وعلمه المنسي بالمطالعة ، ولكن لا سبيل له إلى الوقت المنقضي ، فإنّه مفقود الأثر في عالم الأبد . وإنّ الوقت يمرّ كما تمرّ السحاب .

١٠ - لا بدّ من إحساس اللذة والشوق في العمل ، فمن لم يستلذّ بعمله ، فقد سدّ على نفسه طريق تقدّمه وازدهاره ، والتدبّر والكسل سمّ قاتل لسلامة الروح والجسد ، وربما يتعب الإنسان من كسله أكثر من عمله ، وممّا يضيع الحقّ التضجّر والكسل .

١١ - لا تنتظر الفرص ، بل عليك بخلقها ، ولا تياس ، فإذا يتست فأدم العمل ، فالرجل العظيم من كان قويّ الإرادة ، سالم الفكر ، سريع العمل ، قادر على تمركز

قواه الدماغية، معتمداً على نفسه، متوكلاً على ربه، ينتفع من تجارب الآخرين، يعيش بكل أمل وثقة. وأما ضعيف النفس فإنه ينتظر الخوارق والمعاجز، وقوي النفس من يخلق المعاجز والخوارق، والناجح في الحياة يعمل ثم ينتظر، وغيره ينتظر ولا يعمل.

والتسليم إلى التقدير والحظ حجة من يفر من الجهد والعمل، لا يسعى من أجل رفع الأخطاء في حياته، والرجل الواقعي من يفكر برفع مشاكله الحاضرة، منتفحاً من الاشتباهات الماضية، وليكن الفشل جسر النصر، والعلم بالخطر قبل حلوله، بمنزلة السلاح لرفعه، وضعيف النفس إنما يفرش طريق سقوطه بمثل (لو) و(إذا) و(لعل) و(ربما)، وقويها من يتسلق سلم الصعود، ولا يبالي بالانكسار، فإن الكسر الكبير للرجل الكبير، وإنما الانكسار الواقعي عند قبوله الانكسار، وإنهاك القوى أمامه. فلا بد من تحجيم وتحديد الانكسار، فإنه مثل باقي الأمور من النسبيات، يمكن التغلب عليها بالمثابرة والاستقامة والتفكير السليم، ومن ثم من العقل حفظ التجارب، ويكون الانكسار تجربة الانتصار.

١٢ - الحذر من التقليد الأصم الأبكم الأعمى، فالرجل ذو الفكر السليم وقوي التصميم، لا يتحكم في كيانه قيود الناس، إذ القانون ينبع من فطرته، ويتفجر في أعماقه، والتوفيق في الحياة ليس الذكاء الحارق، بل استثمار الذكاء، كالتاجر إنما يربح في تجارته، لو عرف كيف يستغل رأس ماله، وإن كان قليلاً، فالتفكير الصحيح مفتاح الرقي، فمن أراد العمل لا بد أن يعرف ما العمل، وكيف العمل، وماذا يعمل، وما الهدف من العمل؟ حتى يتسلق سلم الشموخ والعظمة والموقية، ومن انكساره في الحياة يصنع جسراً ليعبر عليه ليصل إلى النصر المنشود، والعطاء إنما جنوا ثمار النصر من الانكسار في حياتهم، فإتهم كسبوا التجارب وخططوا في

١٦ كيف أكون موقفاً في الحياة؟

الزنانات والسجون، والعامل من يحفظ التجارب ويستخدمها، والطفل إنما يتعلم المشي على القدم بعد السقوط والعثرات عشرات المرات.

فلا بد أن نقف أمام رياح المحن، كالجبل الراسخ، وأمام سيل البلاء كالسد الرصين. ولا يحكم في وجودك التقليد الأعمى، كما لا تخاف السقوط، بل بكل شهامة وبسالة تقاوم ونجاهد.

وإن التاريخ ليشهد أن آثار العظماء إنما هي حصيلة السجون والمنفى والمهجر، فتصنيف كتاب البؤساء إنما كان في المنفى، وتاريخ العالم كتب في السجن، وترجمة الإنجيل كان في قلعة وارتبورغ.

ويحق لنا أن نقلد الآخرين في تتاجهم مع وعي وبصيرة. ولا نتوقف في فلكتها بل نتجاوزها للإبداع والخلق الجديد.

الخامس

الانتصار على الأتعاب الكاذبة

كلّ يعلم أنّ العمل متعب، وربما يصاب المرء بالكسل والتضجّر والتعب، وربما يكون ذلك كاذباً. فلا تلقِ نفسك في أحضان التعب، لا سيّما الكاذب منه، ولا تنتظر منه العطفة، بل لا بدّ من مصارعة مثل هذه الأتعاب حتّى الوصول إلى النهاية المقصودة، وعلينا أن نفكّر بالانتصار دائماً، فإنّ نابليون قبل انتصاراته في الحروب كان يفكّر في النصر ويخطّط لذلك، إذ علم أنّ النصر لمن فكّر بالنصر، والفكر إمّا من مقولة الفعل وذلك ما تخلقه، وإمّا من مقولة الانفعال وذلك ما تتأثر به من الآخرين، والأوّل أفضل من الثاني، والعاقل من يفكّر في أعماله ليل نهار، ويعجز منه التعب، ويميلّ الصبر من صبره، لقوّة إرادته وحدّة نشاطه وديموميّة عمله، وضعيف النفس يبرء نفسه في كسله وانحطاطه، بمثل هذه الكلمات: (أتصوّر أنّ الحظّ لا يكون حليبي)، (الأحوال ليست على ما يُرام)، (لا وقت لي)، (ما الفائدة من العمل في مثل هذه الظروف)، (ما الفائدة من السعي والجهود إذا لم يكن التوفيق)، وأمثال ذلك.

ومن اعتقد أنّ التقدير هو الحاكم المطلق في حياته، فإنّه اعترف بضعف إرادته. فلا جبر ولا تفويض، إنّما هو أمرٌ بين الأمرين.

١٨ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

أديسون المخترع امتحن اختراع الكهرباء أربعين مرّة، حتّى أضاء الدنيا بصبره وضوئه .

وكبلر بعد تسعة عشر مرّة من إصلاح نظريّته أثبت حركة السيّارات، وهذا بمعنى أنّه انتصر بعد سقوطه ثمانية عشر مرّة. وأخيراً لا بدّ من الفوز على الأتعاب بكلّ حيلة ووسيلة .

السادس

تلقين النفس بالنجاح

من العوامل المؤثرة في حياة من يبغي الكمال وفوز العمل وأن يكون موقفاً، هو تلقين النفس بالنجاح والانتصار، فهو من مقومات الإرادة الفولاذية، والإنسان مخلوق إرادته، وتأريخ التمدن البشري يشهد أن النجاح لمن قال في نفسه (أقدر)، وغلب من غلبته نفسه، وأشجع الناس من غلب هواه، والساقط من كان متزلزل الإرادة، وعاشق الهدف تبقى شعلة العشق وهاجة في وجوده، وتضطرم بنفخها بأنفاس تلقين النجاح، ويبقى الشعار: الإرادة ثم السعي ثم الوصول، وهيمات منّا التسليم للانكسار والسقوط. وبيدك عزتك وشرفك، والعافل غرائزه في خدمة إرادته، والجاهل إرادته في خدمة غرائزه.

السابع

الإخلاص في العمل

فإن من أخلص في حياته في فكره وسلوكه مع ربه ونفسه وأُمَّته، فقد نال المنى وفاز بالمقصود، ومن غرر الكلمات (أخلص تتل)، ومن عاش بالحيلة والمكر والخديعة يموت بالفقر والهلاكة والحياة. وأما من أخلص في علمه وعمله فإنه ينال ما يبغيه من كماله وسعادته، ويُخلق في سماء الفضائل بجناحي التقدم والازدهار، حتى يصل إلى إنسانيته العليا، وتتجلّى فيه أسماء الله الحسنة، ويقترّب من ربه قاب قوسين أو أدنى...

وأخيراً طوبى لمن عرف قدر نفسه وحياته، عاش سعيداً ومات سعيداً، ودخل الجنة سعيداً.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (١).

وقفنا الله وإياكم لمحابه.

الخاتمة

لا يخفى أن ما ذكرناه من عوامل التوفيق، وأنه كيف يكون الإنسان موفقاً في حياته، إنما هو باعتبار ما ثبت صحته في علم النفس واتفق عليه العقلاء، كما دلت عليه التجارب، وأنه يتماشى مع فطرة الإنسان، ولا يختصّ بقوم دون قوم، أو فرد دون فرد، أو دين دون دين، أو عمل دون عمل، أو حرفة ومهنة دون غيرها، بل أسباب سيّالة لكلّ الأشغال والمهن، ولكلّ الملل والنحل، حتّى الدهريين والمادّيين بمثل هذه الأمور يتوفّقون في حياتهم المادّية، فإنّ مثل ماركس ولينين يعتبران موفقين في حياتهما الدنيوية، فإنها وصلا إلى ما يبغيان، وإن كان ذلك باطلاً ومزيّفاً وشيطانياً. فالكلّ يوفّق لو استعمل هذه العوامل السبعة، بما يراه من معنى التوفيق.

ولكن في خاتمة المطاف حبّذا أن ننظر إلى التوفيق بمنظار ديني ومن خلال الإسلام وعلى ضوء مذهب أهل البيت عليهم السلام، لما نعتقده من أن العلم الصافي والمنهل العذب إنّما هو عندهم، فهم معدن العلم وأساسه وأركانه ودعائه وحقيقته وجوهره، فمن أراد الحقّ والحقيقة والسعادة في الدنيا والآخرة إنّما عليه أن يطرق أبوابهم - أبواب الله جلّ جلاله - ويلج وليجتهم ويتمسّك بعروتهم ومجبلهم - حبل الله - فهم الصراط المستقيم، وفي بيوتهم نزل الكتاب الكريم.

٢٢ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

فن هذا المطلق الإسلامي نسلط الأضواء مرّة أخرى على مفهوم التوفيق وعوامله، وذلك من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة التي تعني قول المعصوم عليه السلام - النبي والإمام عليهما السلام - وفعله وتقريره، وما توفيقنا إلا بالله الموفق للصواب.

قال الله تعالى في كتابه الكريم عن لسان نبيه : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِن رَّبِّي وَرَزَقْتُمْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ ﴾ (١).

وصريح هذه الآية يدل على أنّ التوفيق إنما هو من الله سبحانه، ومن هذه الزاوية نرى أولياء الله سبحانه يدعون ربهم بتضرّع وخفية، أن يوفقهم، ويزيد في توفيقاتهم.

وإليك النماذج التالية :

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في غرر الحكم :

التوفيق عناية .

التوفيق رحمة .

التوفيق من جذبات الرب .

التوفيق عناية الرحمن .

وقال عليه السلام :

عباد الله، سلوا الله اليقين، فإنّ اليقين رأس الدين، وارغبوا إليه في التوفيق،

فإنّه أسّ وثيق .

إنَّ الله إذا أراد بعبدٍ خيراً وَّقَّه لإِنْفَازِ أَجْله في أَحْسَنِ عَمَله، ورزقه مبادرة مهله في طاعته قبل الفوت.

قال الإمام الباقر عليه السلام - لَمَّا سئل عن (لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)، معناه :
لا حول لنا عن معصية الله إِلَّا بعون الله، ولا قُوَّةَ لنا على طاعة الله إِلَّا بتوفيق
الله عزَّ وجلَّ.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام :

إنَّ أيوبَ النَّبِيِّ عليه السلام قال : يا رَبِّ، ما سألتك شيئاً من الدنيا قطَّ وداخلي شيء، فأقبلت إليه سحابة حتى نادته : يا أيوب، من وَّقَّك لذلك ؟ قال : أنت يا رب.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

نحمده على ما وَّقَّ له من الطاعة، وذاد عنه من المعصية.

عنه عليه السلام - في وصيته لابنه الحسن عليه السلام في الاجتناب عن الشبهات - :
وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإهلك، والرغبة إليه في توفيقك، وترك
شائبة أولجتك في شبهة، أو أسلمتك إلى ضلالة.

كان الإمام زين العابدين والإمام الباقر عليهما السلام يدعوان بهذا الدعاء في كلِّ
يوم من شهر رمضان المبارك :

«اللهمَّ صلِّ على محمد وآله، ووقِّفني فيه لليلة القدر على أفضل ما تحبُّ أن
يكون أحد من أوليائك وأرضائها لك».

وفي دعائم مكارم الأخلاق لزین العابدين عليه السلام :

«اللهمَّ وأنطقني بالهدى وألهمني التقوى، ووقِّفني للتي هي أركنى، واستعملني
بما هو أرضى».

٢٤ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام في ختام كتابه للأشتر :
«وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقني وإيتاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه» .
وفي ختام كتابه إلى قثم بن العباس قال عليه السلام :
وَقَفْنَا لِلَّهِ وَإِيَّاكُمْ لِحَابِهِ .

وعن الإمام الكاظم عليه السلام لرجلٍ سأله : أليس أنا مستطيع لما كلفت ؟
ما الاستطاعة عندك ؟ قال : القوّة على العمل . قال له عليه السلام : قد أعطيت القوّة إن أعطيت المعونة . قال له الرجل : فما المعونة ؟ قال : التوفيق . قال فلم إعطاء التوفيق ؟ قال : لو كنت موفقاً كنت عاملاً ، وقد يكون الكافر أقوى منك ولا يعطى التوفيق فلا يكون عاملاً . ثمّ قال عليه السلام : أخبرني عنك من خلق فيك القوّة ؟ قال الرجل : الله تبارك وتعالى . قال العالم : هل تستطيع بتلك القوّة دفع الضرّ عن نفسك وأخذ النفع إليها بغير العون من الله تبارك وتعالى ؟ ثمّ قال : أين أنت عن قول العبد الصالح ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ .

وعن الإمام الصادق عليه السلام :

ما علم رسول الله صلى الله عليه وآله أن جبرئيل من قبل الله عزّ وجلّ إلا بالتوفيق ^(١) .

وفي دعاء يوم السبت :

«اللهمّ إنّ هذا يوم قد أقبل ... أن تجعلني فيه ممّن استعصمك فعصمته ...

واستوففك فوقفته ...» ^(٢) .

(١) الروايات نقلتها عن ميزان الحكمة ١٠ : كلمة التوفيق فراجع .

(٢) البحار ٨٧ : ٢٨٣ .

وفي مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام :

«إلهي خلقت لي جسماً، وجعلت لي فيه آلات أطيعك بها وأعصيك وأغضبك بها وأرضيك، وجعلت لي من نفسي داعية إلى الشهوات، وأسكنتني داراً قد ملئت من الآفات، ثم قلت لي: انزجر، فبك أنزجر، وبك أعتصم، وبك أستجير، وبك أحترز، وأستوفئك لما يرضيك، وأسألك يا مولاي، فإن سؤالي لا يحفيك»^(١).
وقال عليه السلام في وصيته لولده الإمام الحسن عليه السلام :

«واعلم يا بني، إن أحب ما أنت آخذ به من وصيتي تقوى الله والاعتصار على ما افترضه الله عليك، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آباتك والصالحون من أهل بيتك - إلى أن يقول : - وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة عليه بإهلك، والرغبة إليه في توفيقك...»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام في بيان خلق العقل والجهل وجنودها، يقول في آخر الحديث الشريف : «وقفنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته»^(٣).

وفي حديث عنوان البصري لما يحدثه ويوصيه بوصايا لمريدي الطريق، فيقول عليه السلام : «والله أسأل أن يوفقك لاستعماله ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم، فاحفظها وإياك والتهاون بها - إلى آخر الحديث الشريف -»^(٤).

(١) البحار ٩١ : ١٠٧.

(٢) البحار ١ : ٢٢٣.

(٣) المصدر : ١١١ و ١٥٩.

(٤) المصدر : ٢٢٦.

٢٦ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

وقال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام لرجلٍ : أيهما أحب إليك : استنقاذك أسيراً مسكيناً من أيدي الكافرين ، أو استنقاذك أسيراً مسكيناً من أيدي الناصبين ؟ قال : يا ابن رسول الله ، سل الله أن يوفقني للصواب في الجواب . قال : اللهم وفقه . قال : بل استنقاذي المسكين الأسير من أيدي الناصب ، فإنه توفير الجنة عليه وإنقاذه من النار ، وذلك توفير الروح عليه في الدنيا ، ودفع الظلم عنه فيها ، والله يعوّض هذا المظلوم بأضعاف ما لحقه من الظلم ، وينتقم من الظالم بما هو عادل بحكمه . قال : ووقفت لله أبوك ، أخذته من جوف صدري لم تخرم بما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله حرفاً واحداً^(١) .

وفي خبر اليهودي لما سئل رسول الله عن فائدة حروف الهجاء ، فقال النبي لعلي عليه السلام : أجه . وقال : اللهم وفقه وسدده . فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : ما من حرف إلا وهو اسم من أسماء الله عزّ وجلّ ، ثمّ قال : ألف فالله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، وأما الباء فباقٍ بعد فناء خلقه ، وأما التاء فالثواب يقبل الثوبة عن عباده - إلى آخر الخبر ، فراجع^(٢) .

وعن الإمام العسكري عليه السلام لما سئل عن الجبر والتفويض ، قال بعد بيانها : «ونحن نسأل الله أن يوفقنا للثواب ويهدينا للرشاد»^(٣) .

وعن الإمام الصادق في كتاب في التوحيد :
«بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد ، وفقنا الله وإيّاك لطاعته وأوجب بذلك

(١) البحار ٢ : ٩ .

(٢) المصدر : ٢٢٠ .

(٣) المصدر : ٢٢٦ .

رضوانه برحمته...»^(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام :

« الحمد لله الذي منّ علينا ووفّقنا لعبادته، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»^(٢).

هذا ولكي أجمل لك القول مع تعميم الفائدة أكتفي بذكر الجملة التي فيها كلمة التوفيق بصيغة الدعاء المأثور عن الأئمة الأطهار أهل بيت رسول الله المختار عليه السلام ، ناقلًا ذلك عن بحار الأنوار كما جاء في (المعجم المفهرس لألفاظ أحاديثه ٢٩ : ٢١٧٠٢) :

س	ص	ج	
٣	٢٨٣	٩٠	١- استوفقك فوقّفته
١٠	١٠٧	٩٤	٢- بك أحترز وأستوفقك لما يرضيك
١٠	٢٢	٥	٣- بالله العصمة والتوفيق
٨	٣٧٩	٢٢	٤- ألهمني حسن اليقين والتوفيق
٩	٦٢	٢٨	٥- يا ربّ، سلّمت وقبلت ومنك التوفيق
٢١	١٠٢	٣٢	٦- لأجهدنّ أن أبينّ لك والله وليّ التوفيق
٥	٢٨٢	٤٩	٧- سل وأسأل الله العصمة والتوفيق
١١	٧٦	٥٠	٨- الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق
١٧	٦٩	٧٠	٩- ما أنعم - بمثل ما أنعم به من التوفيق

(١) البحار ٣ : ١٥٢ .

(٢) المصدر : ٢٢٥ .

٢٨ كيف أكون موقفاً في الحياة ؟

- | | | | |
|----|-----|-----|---|
| ١٠ | ٢٩٣ | ٧٧ | ١٠- ارغبوا إليه في التوفيق |
| ٥ | ٦٠ | ٨٢ | ١١- إن شاء الله تعالى وبه التوفيق |
| ١٣ | ٣٥٦ | ٨٦ | ١٢- أسألك شكر نعمتك في التوفيق |
| ٣٤ | ٦٥ | ٨٧ | ١٣- أسألك التواضع واليسر والتوفيق |
| ٢٠ | ١٠٩ | ٨٧ | ١٤- من الله القوة والتوفيق |
| ٩ | ٣٤٠ | ٨٧ | ١٥- إن لم تبندثني الرحمة منك بحسن التوفيق |
| ٢٢ | ٣٩ | ٩٤ | ١٦- اللهم- واملاً- عزمي نور التوفيق |
| ١٦ | ٢٤٣ | ٩٤ | ١٧- إلهي للرحمة منك بحسن التوفيق |
| ١٥ | ١٤٠ | ٩٧ | ١٨- اللهم منّ علينا بالتوبة والتوفيق |
| ٦ | ١٦٠ | ٩٧ | ١٩- الرغبة والإنابة إليك والتوبة والتوفيق |
| ١٠ | ٥٦ | ٩٨ | ٢٠- ارزقني يا ربّ التوبة والتوفيق |
| ١٠ | ٢٧١ | ٩٨ | ٢١- ترزقني حسن التوفيق |
| ٢ | ٨٤ | ١٠٠ | ٢٢- عصمه الله بنور التأييد وحسن التوفيق |
| ٤ | ١٧١ | ١٠٠ | ٢٣- فاشفع لي بالرحمة والتوفيق |
| ١٦ | ٢١٨ | ١٠٠ | ٢٤- اللهم وأحسن لي التوفيق |
| ١٨ | ٩٥ | ١٠٢ | ٢٥- إملاً عزمي نور التوفيق |
| ١٩ | ٥٧ | ٩٨ | ٢٦- اللهم أسألك التوفيق أن أطيعك |
| ٢١ | ٣٢٧ | ١٠١ | ٢٧- أسأل الله التوفيق بحسن العمل |
| ١٢ | ٢٨٤ | ٩٧ | ٢٨- ارزقني التوفيق في جميع أموري |
| ١٠ | ٢٩٨ | ٨٧ | ٢٩- التوفيق في جميع أموري كلّها للآخرة |
| ٢٥ | ١٨٦ | ٩٠ | ٣٠- العلم والحكم والتوفيق في قلوبنا |

- ٣١- نسألك أن تجعل التوفيق لرضوانك ٩٠ ١٥١ ١٨
- ٣٢- إليه أرغب في التوفيق لطاعته ٧٤ ٧٤ ١٧
- ٣٣- لك الحمد والتوفيق للحمد منك ١٠٠ ١٦٥ ١٦
- ٣٤- التوفيق للشكر نعمة يجب الشكر عليها ٧١ ٥٢ ١٠
- ٣٥- أسألك التوفيق لما تحب ربنا وترضى ٩٤ ٣٧٦ ١٥
- ٣٦- ارزقني التوفيق لما تحبه وترضاه ٩٨ ١٥٤ ٢١
- ٣٧- التوفيق لما دعا إليه من سييله ١٠٠ ٣١٧ ١٥
- ٣٨- التوفيق لما وقفت له شيعة آل محمد ٩٨ ٥٨ ١٨
- ٣٩- أنلتني من الدفاع عني والتوفيق لي ٩٥ ٢٤٢ ٤
- ٤٠- أحسنت إلي من التوفيق لي ٩٥ ٢٥٣ ١٢
- ٤١- لم أذكر من إحسانك إلا التوفيق لي ٩٥ ٢٥٧ ١٩
- ٤٢- حسن التوفيق لي وإسباغ النعمة علي ١٠٢ ١٠٣ ٢١
- ٤٣- فكمل بالعون والتوفيق ما قصر عنه عملي ٩٥ ٤١٥ ١٥
- ٤٤- منك التوفيق والرضا والعون على الصبر ٢٨ ٦٣ ٧
- ٤٥- يا رب قبلت ومنك التوفيق والصبر ٢٨ ٦٢ ٦
- ٤٦- سلمتُ ومنك التوفيق والصبر ٢٨ ٦٢ ١٦
- ٤٧- ارزقني فيه التوفيق والعصمة ٩٨ ٦٨ ٥
- ٤٨- ارزقنا فيه الإنابة والتوفيق والقربة ٩٨ ١٠٢ ٤
- ٤٩- عن الإمام الرضا عليه السلام سبعة أشياء بغير سبعة أشياء من الاستهزاء...
ومن سأل الله التوفيق ولم يجتهد فقد استهزأ بنفسه ٧٨ ٣٥٦ ١٧
- ٥٠- الله الموفق ٦ ٨٥ ٥١

٣٠ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

- ٥١- اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق ٢٤ ١٠ ٣
- ٥٢- عرّفه الله الخير كلّهُ وأسعده بالتوفيق ٥١ ٣٥٦ ١٠
- ٥٣- إنّ للحقّ أهلاً أصابوه بالتوفيق ٣٣ ٣٩٣ ١٧
- ٥٤- ممّن سهّلت له طريق الطاعة بالتوفيق ٩٤ ١٢٨ ١٣
- ٥٥- اللهمّ اقرن اختياري بالتوفيق ٩٤ ٣٨٣ ٢٠
- ٥٦- اللهمّ صلّ نبيّي بالتوفيق ١٠٢ ١٦٢ ٢٣
- ٥٧- والله يلطّف لكم بالتوفيق برحمته ٥٣ ١٧٦ ٧
- ٥٨- حتّى بادرتني بالتوفيق رأفتك ٩٤ ١٢٠ ٦
- ٥٩- فأعنيّ بالتوفيق على بلوغ رضاك ٩١ ٩ ١٦
- ٦٠- أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك ٦٨ ٧٨ ١٨
- ٦١- امتحن فعضدته بالتوفيق والصواب ٨٦ ٣٥١ ١٨
- ٦٢- أنعم الله عليها بالتوفيق والعصمة ١٣ ١٨٨ ١٩
- ٦٣- تصديقاً لما أدركته العقول بتوفيق الله ٣ ١٦٧ ١٤
- ٦٤- قولوا الخير بتوفيق الله ٥ ٩٥ ٨
- ٦٥- كان تركه لها بتوفيق الله ٥ ٩٥ ٨
- ٦٦- لا قوّة لنا على طاعة الله إلاّ بتوفيق الله ٥ ٢٠٣ ١١
- ٦٧- منهم من ثبت على دينه بتوفيق الله ٥٠ ٣٣٥ ١
- ٦٨- مشمولاً بحفظ الله مؤيداً بتوفيق الله ٦٧ ٣١١ ١٠
- ٦٩- ذلك بتوفيق الله لهم ٥ ٣١ ٣
- ٧٠- فكانوا مؤمنين بتوفيق الله لهم ٥ ٢٢١ ٢٣
- ٧١- فقل ذلك بتوفيق الله واحمده عليه ١٠٠ ٢٤٣ ٦

- ٥ ٢٢٨ ٨٥ - ٧٢- اللهم لا تنال طاعتك إلا بتوفيقك
- ١٢ ٥١ ٩٠ - ٧٣- لم يبلغ ذلك إلا بك وبتوفيقك
- ١٣ ٣١٢ ٩٦ - ٧٤- اللهم لك صُمننا بتوفيقك
- ٤ ٤١ ٩٨ - ٧٥- أمّا إيماني فلا يضيع عندك وهو بتوفيقك
- ١ ٧٠ ٩٨ - ٧٦- إقبالي بالثناء عليك فهو بتوفيقك
- ٢ ٢٤١ ١٠٢ - ٧٧- عرفت من ضعفي عن عبادتك إلا بتوفيقك
- ٢٢ ٢٦٢ ٩٥ - ٧٨- اللهم بتوفيقك أحضرتني النجاة
- ١١ ١٧٥ ٩٨ - ٧٩- تولّينا بتوفيقك صيامه وقيامه على تقصير
- ١ ٢٧١ ٩١ - ٨٠- اشدد بتوفيقك عزمي وسدّد فيه رأبي
- ٣ ٢٥٩ ٩٥ - ٨١- ما قدرت لي من أمر بتوفيقك فتّمه
- ١٨ ٢٤٣ ٩٥ - ٨٢- اللهم بتوفيقك قد أحضرتني الرغبة
- ٥ ٤٣ ٩٨ - ٨٣- تُعبد بتوفيقك وتُجحد بخذلانك
- ٣ ٢٦٣ ٩٧ - ٨٤- آثرتهم بتوفيقك ورعايتك
- ١٩ ٢٧١ ٩١ - ٨٥- اللهم أسعدني بتوفيقك وعصمتك
- ٢٤ ١٥٢ ٩٤ - ٨٦- اللهم فزهدنا فيها بتوفيقك وعصمتك
- ١٥ ١٧٢ ١٠٠ - ٨٧- أقمّني بتوفيقك وعونك وإحسانك
- ١٣ ١٨٧ ٩١ - ٨٨- بتوفيقك يفوز الفائزون
- ٨ ٣٤٤ ١٠١ - ٨٩- بتوفيقك يفوز المتّقون ويتوب التائبون
- ١٨ ٣٢٢ ٥٠ - ٩٠- سدّدكم جميعاً بتوفيقه
- ٩ ٣٠٨ ٨٥ - ٩١- لا وسيلة إلى طاعته إلا بتوفيقه
- ١١ ٤٥ ٩٨ - ٩٢- الحميد المجيد نحمده بتوفيقه

٣٢ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

- ٩٣ - توفّق لنا ما وقّقت لهم من عبادك ٩٩ ٣٤٧ ٢٠
- ٩٤ - اجعلني من أفضل - عمل صالح توفّق له ٩٧ ١٦٠ ١
- ٩٥ - توفّق لي صحبتهم مع أنبيائك المرسلين ٩٥ ٢٧٠ ١٩
- ٩٦ - أسألك أن توفّقنا وتخلّصنا بحجّتنا عندك ٩٨ ٣٦٣ ٥
- ٩٧ - توفّقني لابتغاء الزلفة بموالاتة أوليائك ٨٦ ٣٥٠ ١٤
- ٩٨ - توفّقني لتأديتها كما فرضت وأمرت به ١٠٢ ١٧٠ ٢
- ٩٩ - توفّقني لسلوك محبّتك ومرضاتك ٨٦ ٣٥٢ ٢
- ١٠٠ - توفّقني لصالح العمل ٩٠ ٢٨٢ ٢١
- ١٠١ - توفّقني للاعتراف بأياديك ونعمك ٨٦ ٣٥٣ ٧
- ١٠٢ - إنّي أسألك - أن توفّقني للأعمال الصالحة ٩٧ ١٦٣ ١١
- ١٠٣ - توفّقني للرشد وترشدني إليه ٨٧ ٣١٧ ٨
- ١٠٤ - توفّقني لما يرضيك عنيّ ٩٨ ٢٦٦ ٢
- ١٠٥ - تطيل عمري وتوفّقني لما يرضيك عنيّ ١٠٠ ١٦٤ ١٣
- ١٠٦ - توفّقني لما ينفعني ما أبقيتني ٩٠ ١٥٣ ٥
- ١٠٧ - توفّقهم على ما وافق الحقّ والعدل ٧٧ ١٩٢ ١٠
- ١٠٨ - توفّقها لطاعتك - وتنجيها من عذابك ٨٩ ٣٨٠ ١٦
- ١٠٩ - استرشدوه توفّقوا وترشدوا ٣٩ ٢٩٣ ٢
- ١١٠ - نفسي - أعنيّ عليها بعصمة منك وتوفيق ٩٥ ٤١٥ ١٨
- ١١١ - اللهمّ إنّي أسألك - توفيق الحمد ٨٦ ٣٢٦ ١٢
- ١١٢ - أدركته القلوب - توفيق الله إيّاها ٣ ١٦٥ ١٨
- ١١٣ - اللهمّ إنّي أسألك لهم توفيق أهل الهدى ٨٥ ٢٢٧ ٢٣

- ١١٤- اللهم إني أسألك توفيق أهل الهدى ٩١ ١٩٨ ٢١
- ١١٥- المؤمن يحتاج إلى - توفيق من الله ٧٥ ٦٥ ١٧
- ١١٦- يهب لنا في سفرنا - فقهاً وتوفيقاً ٧٦ ٢٥١ ٦
- ١١٧- فكان توفيقاً من ربّي أن غمضت عيني ٣٦ ١٦٢ ١٥
- ١١٨- ارزقني شكراً وتوفيقاً وعبادة وخشية ٩٨ ٢٤٧ ١٤
- ١١٩- فقلت: أحسن الله توفيقك ٤٥ ٣٧٦ ٨
- ١٢٠- الحمد لله على توفيقك ٤٩ ٧٩ ١٦
- ١٢١- بالاستعانة بإهلك عليه - وفي توفيقك ٧٧ ٢٠٤ ٨
- ١٢٢- أرني مصاديق إجابتك بحسن توفيقك ٧٨ ١٥٣ ١٨
- ١٢٣- تسدّ فاقتي لهداك وتوفيقك ٨٧ ٦٨ ١٥
- ١٢٤- افتح لي أبواب توفيقك ٨٩ ٣٧٦ ٥
- ١٢٥- تمنّ عليّ - تسهيل أسباب توفيقك ٩١ ٢٠ ٢٢
- ١٢٦- أدم لنا توفيقك ٩٢ ٣٥٤ ٧
- ١٢٧- إن لم تؤدّبني بصحبة توفيقك ٩٤ ١٦٠ ٢١
- ١٢٨- أدم لنا توفيقك الذي به أطعناك ٢٤ ٩ ١٢
- ١٢٩- إلهي - إن قطعت توفيقك خذلتني ٩٤ ١٢٢ ٥
- ١٣٠- سيدي لولا توفيقك ضلّ الحائرُونَ ٩٤ ١٧٠ ٤
- ١٣١- عجلّ توفيقك فإنّي أسعد الناس بذلك ٣٣ ٧٩ ١١
- ١٣٢- ولولا توفيقك لم أهنّد إلى معرفة التأويل ٩٤ ١٦١ ٢
- ١٣٣- اللهم فأذقني من توفيقك ورفدك ٩٤ ٢٣٨ ٣
- ١٣٤- أنلني من توفيقك وهداك ما نسلك به ٩٨ ١٦١ ١٨

٣٤ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

- ١٣٥ - حسن توفيقك ويسرك موفوراً عليّ ١٠٢ ١٦٨ ١٢
- ١٣٦ - والله جلّ ثناؤه وليّ توفيقكم ٥٣ ١٥١ ٤
- ١٣٧ - من الله أسأل توفيقكم وإرشادكم ٥١ ١٤٧ ٥
- ١٣٨ - الله عوننا وعونك في إرشادنا وتوفيقنا ٤ ١٧٩ ١٠
- ١٣٩ - لا نجد على الصبره قوّة إلاّ بمعونته وتوفيقه ١٢ ٣٥٢ ١٤
- ١٤٠ - قتل الشطر - بمعونة الله - وتوفيقه ١٢ ٣٥٢ ١٢
- ١٤١ - فلن يخليه من توفيقه ٢١ ١٢٣ ٩
- ١٤٢ - سأيّب ذلك بعون الله وتوفيقه ٢٦ ٣ ١٣
- ١٤٣ - كلّما ذكرته من تأييده وتوفيقه ٤٦ ٥٧ ٩
- ١٤٤ - زاد الله في توفيقه ٥١ ٣٥٩ ١١
- ١٤٥ - الحوائج - تقضى كلها بمشيئة الله وتوفيقه ٥٩ ٩٥ ٩
- ١٤٦ - حمد الله عزّ وجلّ وكبره على توفيقه ٧٠ ٧٠ ٨
- ١٤٧ - إنّ ما تأتيه من خير فبفضل الله وتوفيقه ٧٠ ٣٩٢ ١١
- ١٤٨ - لا تطيق شكرها إلاّ بعون الله وتوفيقه ٧٤ ٦ ٨
- ١٤٩ - يا كميل أنا أحمد الله على توفيقه ٧٧ ٤١٩ ٥
- ١٥٠ - يستحبّ صيامه شكراً لله على توفيقه ٩٨ ٣٥٧ ٩
- ١٥١ - إنّه ليس له قوّة - إلاّ بعصمة الله وتوفيقه ٩٩ ١٢٤ ١٣
- ١٥٢ - الحمد لله على هدايته وتوفيقه ١٠٠ ٢٨٣ ٢٢
- ١٥٣ - امضِ على بركة الله - وحسن توفيقه ١٠١ ٢٥٢ ١٠
- ١٥٤ - فائزاً برضوان الله - وكلاءته وتوفيقه ١٠٢ ١٥٨ ٤
- ١٥٥ - إحمدوا الله على توفيقه إيتاكم ٢٦ ٢٨٩ ٥

٢٠	٢١٣	٤٤	١٥٦- أسأله توفيقه لإرشاد أمري
١٧	٢١١	٨٥	١٥٧- زاد الله توفيقه للناس
١٤	١٨٣	٩٢	١٥٨- رحمته توفيقه لمولاه محمد وآله
١١	٢٣	٧٠	١٥٩- فاشكر الله على توفيقه وعصمته
١٨	١٧٥	٤٠	١٦٠- ربّي الله وما توفيقيّ إلا بالله
٩	١٤	٤٦	١٦١- نقش خاتمه - وما توفيقيّ إلا بالله
٢١	٥٩	٣٣	١٦٢- وما توفيقيّ إلا بالله عليه توكلت
١١	١٣٤	٩٤	١٦٣- وما توفيقيّ إلا بك فلا تكلني إلى نفسي
٩	١٦٣	٩٤	١٦٤- فأسألك توفيقيّ لما يوجب ثوابك
١٢	٢٨٣	٩٠	١٦٥- فإنك وليّ توفيقيّ وبيدك أمري وناصيتي
١	١٦٩	١٠٢	١٦٦- بك - ثقتي وتوفيقيّ وحولي وقوّتي
١٢	٤٥٣	٩٥	١٦٧- فبتوفيقه قام القائمون بطاعته
١٥	٢١٧	٩٨	١٦٨- وقتلاً في سبيلك مع وليّك فوقّ لنا
٤	٢٨٣	٩٠	١٦٩- استوفّك فوقّفته
١٧	٢٨٦	٢٤	١٧٠- عرفت - أصل الدين فوقّك الله
٦	٢١٢	٨٦	١٧١- لمحاسن الأخلاق فوقّفتني
٢	٣٤	٩٨	١٧٢- اللهم فوقّفتني بما سبق لي من الحسنيّ
١٠	١٣٥	٩٠	١٧٣- اللهم وما كتبت عليّ من خير فوقّفتني فيه
٢١	١٣١	٤٩	١٧٤- فوقّفتني لإقامة دينك وإحياء سنّة نبيّك
١٢	٩٤	٩٤	١٧٥- إلهي أنت لما أحبّ فوقّفتني لما تحبّ
٢٢	١٣	٩٠	١٧٦- اللهم فوقّفتني لما يؤمنني مكرّك

٣٦ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

٢٢	١٨٢	٩٥	١٧٧- لعبادتك فوقني وفي الفقه فاستعملني
١٢	٣٣٠	٢٦	١٧٨- فوقه الله فقال : يا رب لا إله إلا أنت
١٠	١٠٩	٩٧	١٧٩- أخرج من الجنة فوقه الله للتوبة
١٦	٢٦٤	٩٥	١٨٠- فإني - لتوفيقك إياي بحمدك شاكر
١٣	٢٣٥	١٣	١٨١- سألتني بعضهم - لوقفتهم وعصمتهم
٤	٢٦	٤٢	١٨٢- أدعو الله بحمد وآله الطيبين ليقفه
٧	٢٢٧	٩٧	١٨٣- اللهم يا موفق يا حيّ يا قيوم
١٨	٣٧٧	٨٩	١٨٤- اكتبني عندك سعيداً موفقاً للخير
١٦	١٣٥	٩٠	١٨٥- اكتبني عندك مرزوقاً موفقاً للخيرات
١٣	٢٢	٣٨	١٨٦- بل هادياً موفقاً مهدياً
٤	١٧٧	٥٣	١٨٧- والله موفقك لذلك برحمته
١٠	٢٣٢	٩٥	١٨٨- ألحقنا بهم - عابدين موفقين مسددين
٢	٢٨٩	٩	١٨٩- يا سلمان إن الله صدق قيلك ووفق رأيك
٧	٦٨	٦	١٩٠- شكر لما وفق عبده للخير
١	٤٢٤	١٠٠	١٩١- اللهم - اعف عني وسددي ووفق لي
١٨	٢٣	٩١	١٩٢- اللهم ووفق لي إجابتك
١٩	٣٥٢	٩٤	١٩٣- ووفق لي بأسمائك الحسنی
٢٣	٢١٢	١٠١	١٩٤- وفق لي بمنّ منك صلاح ما أوّمل في نفسي
٩	٢٥٧	٩١	١٩٥- اللهم وفق لي فيه الخيرة في عافية
١٠	٢٣٧	٧٦	١٩٦- وفق لي يا ربّ جميع قضائك
١٢	٧١	٩٨	١٩٧- وفق لي ليلة القدر على أفضل ما رآها أحد

١١	٢٦٤	٧٦	١٩٨- اللهم وفق لي ما كان فيها من يسر
١٣	٢٨	٩٢	١٩٩- لك الشكر والمنة على ما قدرت ووفقت
٥	٦٧	٩٨	٢٠٠- ارزقني التوفيق لما وفتت آل محمد
٩	٥٣	٩٨	٢٠١- التوفيق لما وفتت له شيعة آل محمد
٢٢	٥٨	٩٨	٢٠٢- وفقني لما وفتت له محمداً وآل محمد
٢٤	٢٥	٩١	٢٠٣- اللهم لا تضلنا بعد أن وفقتنا
١٥	٢٥٧	٩٨	٢٠٤- لك الحمد بما وفقنتي
١٥	٥٥	١٠٢	٢٠٥- كلّمنا وفقنتي بخير فانت دليلي عليه
٨	٣١٣	٩٥	٢٠٦- وفقنتي بعلمك لرضاك ومحبتك
١٩	٢٠٧	٩٨	٢٠٧- اللهم- وفقنتي لدعائك فصلّ على محمد
١	٢٩٩	٩٨	٢٠٨- وفقنتي لذلك في مبتدأ خلقي تفضلاً منك
١٩	٣٢٦	١٠٠	٢٠٩- لك المنّ عليّ إذ وفقنتي لذلك وهديتني له
١٢	٣٤٠	١٠٠	٢١٠- كما وفقنتي لزيارتي- فاعطني مناي
٢	١٨٢	١٠٢	٢١١- اللهم- وفقني للإيمان بنبيك
٤	٣١٦	٩٧	٢١٢- وفقنتي لما يزلفني لديك
٢٢	٧	٩١	٢١٣- وفقنتي لمعرفة وحدانيتك
١٨	١٣١	٩٤	٢١٤- كلّمنا وفقنتي له من خير أحمله وأطيقه
٤	١٧٨	٩٠	٢١٥- رزقتني ووفقنتي له وسترني
١٣	٣٠٠	١٠٠	٢١٦- كما وفقنتي لوفادتي فاعطني سؤلي
٢١	٢٠٣	١٠٠	٢١٧- لك المنّ بما وفقنتي وعرفتني أمّتي
١٦	١٨٩	١٠١	٢١٨- أنت الذي بلّغتي ووفقنتي وكفيتني

٣٨ كيف أكون موفقاً في الحياة؟

٢٣	٣٧١	٩٢	٢١٩- لا تدع لنا كبيراً إلا وَّقَّته
٢	٤٢١	٩٥	٢٢٠- لا يعرف من نعتك إلا ما وَّقَّته إليه
١٩	٢٤٧	٩٨	٢٢١- استجبت له دعوته ووَّقَّته واصطفيته
١٥	٤٣٧	٩٥	٢٢٢- وَّقَّتهم لطاعتك وجنبتهم معصيتك
٨	١٨٢	٩٧	٢٢٣- وَّقَّني لما وَّقَّتهم له
١	٢٨٠	٢٢	٢٢٤- فقال رسول الله - سدّدك الله ووَّقَّك
١١	٣١١	٨٨	٢٢٥- يسّرْكَ للخير ووَّقَّك لطاعته
١١	٣٧٤	٨٣	٢٢٦- وَّقَّك لما يحبّ ويرضى فإنّه كريم
١٣	٤٥٥	٢٢	٢٢٧- قال - وَّقَّكم الله سلّمكم الله قبلكم الله
١٩	٨١	٥	٢٢٨- وَّقَّنا الله - لما يحبّ ويرضى
١٥	٢٠٤	٩٦	٢٢٩- وَّقَّنا الله وإيّاك
١٣	٥٤١	٣٣	٢٣٠- وَّقَّنا الله وإيّاكم لصالح العمل
٢٠	١١٣	٨٣	٢٣١- اللهمّ وَّقَّنا في يومنا هذا
٥	٣٣٩	٩٠	٢٣٢- وَّقَّنا لصالح الأعمال والصواب
٦	٣٨٢	١٠٠	٢٣٣- اللهمّ وَّقَّنا لكلّ مقام محمود
٢٤	٢٧٠	٩٧	٢٣٤- اللهمّ وَّقَّني لعمل الأبرار
١٥	١١٨	٩٨	٢٣٥- وَّقَّني لقراءة كتابك
١٣	١٦٣	١٠٢	٢٣٦- الحمد لله الذي وَّقَّني لتصدّ وليّه
١٤	٨٤	٩١	٢٣٧- اللهمّ وَّقَّني لكلّ شيء يرضيك عني
١٦	٨٤	٩١	٢٣٨- وَّقَّني لكلّ مقام محمود تحبّ أن تدعى فيه
٢	٣١٢	٩٠	٢٣٩- وَّقَّني للاستعداد للموت قبل أن ينزل بي

٢٢	٢٦٣	٩٧	٢٤٠- وَقَفِّي لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ
٣	٢٣٩	٨٧	٢٤١- وَقَفِّي لِلْأَمْرِ الرَّشِيدِ
٤	١٦٣	١٠٠	٢٤٢- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَقَفَّنِي لِلْإِيمَانِ
٥	٣٧٩	٨٩	٢٤٣- وَقَفِّي لِلْحَمْدِ عَلَى نِعْمَتِكَ
٢	٣٦	٩٨	٢٤٤- وَقَفِّي لِلْعَمَلِ بِمَا يَقْضِي حَقَّ يَدِكَ فِي هِبَتِهِ
١٠	٢٣٢	١٠١	٢٤٥- اللَّهُمَّ وَقَفَّنِي لِلْقِيَامِ بِأَدَاءِ حَقِّكَ
٢	٢٩٨	٩٧	٢٤٦- وَقَفَّنِي لِلْقِيَامِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِكَ وَأَوْامِرِكَ
١١	٣٢٠	٩٣	٢٤٧- وَقَفَّنِي لِمَا أَوْجِبْتَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ مَا يَرْضِيكَ
٢٢	٢٦٠	٩٨	٢٤٨- اقْضِ عَنِّي دِينِي وَوَقَفَّنِي لِمَا يَرْضِيكَ عَنِّي
١٣	٣٤٣	٨٦	٢٤٩- وَقَفَّنِي لِمَا يَقْرَبُنِي إِلَيْكَ
٩	٢١١	٩٠	٢٥٠- وَقَفَّنِي لِمَا يَنْفَعُنِي
٩	٢٧٩	٤٦	٢٥١- وَقَفَّنِي لِمَوْلَاةِ أَوْلِيَاءِكَ
٢١	٤١٥	٩٥	٢٥٢- أُرِيدُ الْخَيْرَ - فَأَعِنِّي عَلَيْهِ وَوَقَفَّنِي لَهُ
٨	٢٢٧	٩١	٢٥٣- فَيَسِّرْهُ وَسَهِّلْهُ وَوَقَفَّنِي لَهُ وَوَقِّفْهُ لِي
١٤	٤٦١	٩٥	٢٥٤- وَقَفَّنِي مِنْ مَنَافِعِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
٢٣	٣٩٢	٩٤	٢٥٥- يَا مَنْ وَقَفَّنِي وَهَدَانِي
٣	٢٥٦	٨٧	٢٥٦- وَقَفَّنِي يَا رَبَّ أَنْ أَسْتَقِيمَ
١١	٣٢٢	٥٠	٢٥٧- وَقِّفْهُ اللَّهُ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ
١٣	٢٧٠	٣٣	٢٥٨- مَنْ وَقِّفْهُ اللَّهُ - كَانَ سَعِيداً
٩	١٠٤	٧٨	٢٥٩- وَقِّفْهُ اللَّهُ لِلرِّشَادِ وَسَدِّدْهُ لِلْحَسَنِ
١٥	١٠٠	٤٤	٢٦٠- مَنْ وَقِّفْهُ اللَّهُ وَمَنْ عَلَيْهِ نُورٌ قَلْبِهِ

٤٠ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

١٨	٩	٢	٢٦١- اللهم وَّقِّه - في الدنيا
١٣	١٠	٩٦	٢٦٢- وَّقِّه لأداء ما افترض الله عليه
١٧	٦٠	٣	٢٦٣- وَّقِّه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق
١٠	١٢	٧١	٢٦٤- وَّقِّه لجواب يسلم معه دينه وعرضه
١٩	٣٨٢	٩٤	٢٦٥- فن قرأه وَّقِّه لصالح الأعمال
٧	٣٠٦	١٧	٢٦٦- يسعد الله من يسعد إذا وَّقِّه لقبول موعظته
٥	١٤٢	٩٣	٢٦٧- قال ومن يطيق ذلك ؟ قال : من وَّقِّه له
٦	١١	٧٤	٢٦٨- فطوبى لمن وَّقِّه وسدَّه
١٧	١٧٧	٥٣	٢٦٩- لو أن أشياعنا وَّقَّفهم الله لطاعته
١١	٤٥٣	٩٥	٢٧٠- وَّقَّفهم بمته لأداء ما فرض عليهم
١٤	٢٤٩	٩٧	٢٧١- لا يوفق الخير للخير إلا هو
٩	٢٦٧	٧٧	٢٧٢- فليس يوفق للخير إلا الله
٢١	١٦٢	٩٧	٢٧٣- لا يوفق للخير إلا أنت
٥	٢٤٣	١٠٠	٢٧٤- أجل إن الله يوفق من يشاء ويؤمن عليه
١٤	٢٠٣	٧٧	٢٧٥- رجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك
٥	٢٢٦	١	٢٧٦- الله أسأل أن يوفقك لاستعماله
١٢	٣٤١	٩٦	٢٧٧- فسلوا الله أن يوفقكم فيه لطاعته
٢٠	١٦٢	٩٧	٢٧٨- أسأل الله أن يوفقنا أبداً للأعمال الصالحات
٢	٢٢٦	٢	٢٧٩- نسأل الله أن يوفقنا للشواب
٣	٢١	٥	٢٨٠- نسأل الله أن يوفقنا للصواب
١٨	٩	٢	٢٨١- يا ابن رسول الله سل الله - يوفقني

٢٢	٢٦٣	٩١	٢٨٢- استقدر الله أن يوقفني لرضاه
٨	١٢٣	٢٧	٢٨٣- له على الله أن يوقفه لكل خير
١	١٢٧	٢٥	٢٨٤- إن الأنبياء والأئمة يوقفهم الله
٤	٣٠٤	٩٧	٢٨٥- لا يوقفهم إلا أنت
٢١	٤٩٧	٣٣	٢٨٦- وقفنا الله وإيتاكم لمحابه والسلام

هذا غيض من فيض مما يدل على أن التوفيق من الله سبحانه، ولا بد من طلبه ومن الدعاء والتوسل بالله وبأوليائه أن يوقفنا في الحياة ويزيد في توفيقاتنا بكل ما للتوفيق من معنى ومصاديق.

آثار التوفيق ومعناه :

- لكل علة معلول، ولكل أثر مؤثر، ولكل شيء آثار، وعلائم وآثار التوفيق في الحياة، وهي كما في الأخبار المروية عن أهل البيت عليهم السلام كما يلي :
- عن أمير المؤمنين علي عليه السلام :
- التوفيق رأس السعادة.
- التوفيق أول النعمة.
- التوفيق قائد الصلاح.
- التوفيق أشرف الحظين.
- التوفيق رأس النجاح.
- بالتوفيق تكون السعادة، التوفيق مفتاح الرفق.
- من أمده التوفيق أحسن العمل.
- من لم يمده التوفيق لم ينسب إلى الحق.

٤٢ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

كيف يتمتع بالعبادة من لم يعنه التوفيق .

لا ينفع اجتهاد بغير توفيق .

لا نعمة كالعافية ، ولا عافية كمساعدة التوفيق .

قال الإمام الصادق عليه السلام ، في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ ، وقوله :

﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ :

إذا فعل العبد ما أمره الله عزَّ وجلَّ به من الطاعة كان فعله وفقاً لأمر الله عزَّ وجلَّ وسمى العبد به موفقاً ، وإذا أراد العبد أن يدخل في شيء من معاصي الله فحال الله تبارك وتعالى بينه وبين تلك المعصية فتركها ، كان تركه لها بتوفيق الله تعالى ذكره ، ومتى خلَّى بينه وبين تلك المعصية فلم يحل بينه وبينها حتى يرتكبها فقد خذله ولم ينصره ولم يوفِّقه .

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام :

من التوفيق حفظ التجربة .

من التوفيق الوقوف عند الحيرة .

إنَّ من النعمة تعذّر المعاصي .

كما أنَّ الجسم والظلَّ لا يفترقان ، كذلك الدين والتوفيق لا يفترقان .

أيها الناس إنَّه من استنصح الله ووقَّ ، ومن اتَّخذ قوله دليلاً هدي للتي هي أقوم ، فإنَّ جار الله آمن ، وعدوه خائف .

من استنصح الله حاز التوفيق .

من كان له من نفسه يقظة ، كان عليه من الله حفظة .

وعنه عليه السلام ، من كتابه إلى عثمان بن حنيف مخاطباً للدنيا : هيهات ، من وطئ

دحضك زلق ، ومن ركب لججك غرق ، ومن ازورَّ عن حباتك وقَّ .

التوفيق والخذلان يتجاذبان النفس، فأَيُّها غلب كانت في حيزه.

التوفيق ممدّ العقل، الخذلان ممدّ الجهل^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام، في تعريف الجهل - إلى أن قال -:

ومفتاح العلم الاستبدال مع إصابة موافقة التوفيق^(٢).

يقول العلامة المجلسي تبرّك في بيانه:

ومفتاح الجهل الرضاء بالجهل والاعتقاد به وبأنّه كمال لا ينبغي مفارقتة،

ومفتاح العلم طلب تحصيل العلم بدلاً عن الجهل، والكمال بدلاً عن النقص، وينبغي

أن يعلم أنّ سعيه مع عدم مساعدة التوفيق لا ينفع فيتوسّل بجنابه تعالى ليوقّفه.

وعن النبي صلّى الله عليه وآله، في حديث لقاء موسى الخضر عليه السلام:

فقال موسى: أوصني. فقال الخضر: يا طالب العلم، إنّ القائل أقلّ ملالة من

المستمع، فلا تملّ جلساءك إذا حدّثتهم - إلى أن يقول -: ولا تكوننّ مكثاراً بالمنطق

مهذاراً، إنّ كثرة المنطق تشين العلماء وتبدي مساوي السخفاء، ولكن عليك

بذي اقتصاد، فإنّ ذلك من التوفيق والسداد^(٣).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام، في خبر طويل مع هشام:

«يا هشام، مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة، ومشاورة العاقل

الناصح يمن وبركة ورشد وتوفيق من الله، فإذا شدّ عليك العاقل الناصح فإياك

والخلاف، فإنّ في ذلك العطب»^(٤).

(١) الروايات نقلتها من ميزان الحكمة ١٠ : ٥٩٠.

(٢) البحار ١ : ٩٣.

(٣) البحار ١ : ٢٢٧.

(٤) البحار ١ : ١٥٥.

٤٤ كيف أكون موقفاً في الحياة ؟

وفي علم الأئمة الأطهار عليهم السلام ، عن سورة بن كليب ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : بأي شيء يفتي الإمام ؟ قال : بالكتاب . قلت : فما لم يكن في الكتاب ؟ قال : بالسنة . قلت : فما لم يكن في الكتاب والسنة ؟ قال : ليس شيء إلا في الكتاب والسنة . قال : فكررت مرّة أو اثنتين . قال : يسدّد ويوفّق ، فأما ما تظنّ فلا .

وعن خيثم ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال :

قلت له : يكون شيء لا يكون في الكتاب والسنة ؟ قال : لا . قال : قلت : فإن جاء شيء ؟ قال : لا ، حتّى أعدت عليه مراراً . فقال : لا يجيء ، ثمّ قال - بإصبعه - : بتوفيق وتسديد ، ليس حيث تذهب ، ليس حيث تذهب .

قال العلامة المجلسي في بيان الخبر :

بتوفيق وتسديد ، أي : بإلهام من الله وإلقاء من روح القدس ، كما يأتي في كتاب الإمامة ، وليس حيث تذهب من الاجتهاد والقول بالرأي^(١) .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : أحبّوه لحبّي ، وأكرموه لكرامتي ، وأطيعوه لله ورسوله ، واسترشدوه توفّقوا وترشدوا ، فإنّه الدليل لكم على الله بعدي^(٢) .

٣	١٢	٧٨	التوفيق من السعادة
١٢	٣١٣	٦٩	العبادات توجب التوفيق من الله
٤	١٠٢	٧٥	مشاورة العاقل الناصح توفيق من الله
١٣	٢٧٠	٣٣	من وفقّه الله - كان سعيداً
١٥	١٠٠	٤٤	من وفقّه الله ومنّ عليه - نور قلبه

(١) البحار ٢ : ١٧٥ .

(٢) تفسير فرات الكوفي : ٣١٩ .

زبدة الكلام :

خلاصة ما يستفاد من هذه الأدعية والروايات الشريفة : أن التوفيق الإلهي منه ما هو عامّ من مظاهر الرحمانية الإلهية العامة التي تعمّ وتشمل المؤمن والكافر، وذلك من العدل الإلهي، والإنسان باختياره إذا أحسن حسن الاستعمال من هذا التوفيق العامّ، فإنه يجوز على التوفيق الخاصّ الذي هو من مظاهر الرحيمية الخاصة بالمؤمنين في دنياهم وآخرتهم، فتشمله التوفيقات الخاصة التي تجذبه إلى قاب قوسين أو أدنى، حتّى يدخل في حضيرة القدس في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، فيه ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، ورضوان الله أكبر. ويشير إلى ذلك مثل قوله عليه السلام : «اللهمّ إنّي أسألك توفيق أهل الهدى»، فهذا من التوفيق الخاصّ، فمن كان من أهله يدرك ذلك ويسعد في حياته وبعد مماته، والتوفيق سعادة، إلاّ أنّه لا بدّ من إرادة ذلك كما ورد «أريد الخير فأعني عليه ووفقني له»، ثمّ الاجتهاد بعد الدعاء وطلب ذلك من الله سبحانه لما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام : «من سأل الله التوفيق ولم يجتهد فقد استهزأ بنفسه»^(١).

وكان مع رسول الله خلق يوفّقه (٢٥ / ٦٨ / ١٥)، وروح يوفّقه (٢٥ / ٦٨ / ١٥) / الروح هو مع الأئمة يوفّقهم ويسدّدهم (٢٥ / ٦٧ / ٨) وهذا من التوفيق الخاصّ.

وأما مصاديق التوفيق في منطق الإسلام وعلى لسان الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام، فنستخرجها إجمالاً من الأدعية التي ذكرناها، كما فيها كنوز

(١) البحار ٧٥ : ٣٥٦.

٤٦ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

ومباحث مختلفة يقف عليها الذكيّ الأملعي، فنحيل ذلك إلى القراء الكرام، ومن الله التوفيق والسداد.

وأما المصاديق فمنها: حسن اليقين، التسليم والقبول والعصمة، النعمة، شكر النعمة، نور، رحمة، الإطاعة، حسن العمل، جميع الأمور للآخرة، قرين العلم والحكم في القلوب، رضوان الله، حمد الله، ما يحبّه الله ويرضاه، لما دعا إليه من سبيله، ما وقّف له شيعة آل محمد عليهم السلام، دفاع الله، إحسان الله، إسباغ النعمة، تكميل النواقص، الرضا والعون على الصبر، الإنابة والقربة، الصراط المستقيم، معرفة الخير كلّهُ، السعادة تسهيل طريق الطاعة، النيّة الصالحة، رافة الله، بلوغ رضا الله، نعمة الدين والطاعة، الصواب، الإدراك، ترك المحرّمات، الإلتبات على الدين، حفظ الله وتأييده، الإيمان، نيل الطاعة، الصوم، عدم إضاعة الإيمان، حمد الله والثناء عليه، القوّة على العبادة، النجاة، القيام، شدّة العزم وسداد الرأي، تمام العمل، حضور الرغبة، عبادة الله، رعاية الله، الزهد في الدنيا، الفوز، التوبة، صحبة الأنبياء والمرسلين، الخلاص، ابتغاء الزلفة بموالاته أولياء الله، أداء الصلاة كما هي مفروضة، سلوك محبّة الله ومرضاته، الأعمال الصالحة، الاعتراف بأيادي الله ونعمه، الرشد والإرشاد، إطالة العمر، النفع في الحياة، موافقة الحقّ والعدل، النجاة من العذاب، توفيق الحمد، توفيق أهل الهدى، الفقه، الشكر والخشية، مصاديق الإجابة، سدّ الفاقة والفقر، فتح الأبواب، تسهيل الأسباب، إدامة التوفيق، مصاحبة التوفيق، الهداية، معرفة التأويل، رفق الله، وفور النعمة، العون الإلهي، قوّة الصبر، زيادة التوفيق، قضاء الحوائج، الخير، بركة الله، كلاءة الله، إرشاد الأمر، التوكّل على الله، الثواب، الثقة بالله، القيام بالطاعة، القتل في سبيل الله مع وليّ الله، معرفة أصل الدين، محاسن الأخلاق، سبق الحسنی،

إحياء سنة النبي ﷺ، الأمان من مكر الله، استعمال الفقه، الذكر، التوفيق للتوبة والخيرات، الهداية، صواب الرأي، عفو الله، إجابة الدعاء، صلاح ما يؤمله الإنسان، الخيرة في عافية، درك ليلة القدر، اليسر، توفيقات آل محمد ﷺ، توفيقات الشيعة، عدم الضلال، دلالة الله على الخير، فضل الله، زيارة أولياء الله، إعطاء المنى، الإيمان بالنبي، معرفة الوجدانية، تحمّل الخير وطاقته، ستر الله، الوفادة على الله، معرفة الأئمة الأطهار ﷺ، كفاية الله، معرفة صفات الله، اصطفاء الله واستجابة الدعاء، اجتناب المعاصي والآثام، اليسر للخير، صالح العمل، المقام المحمود، عمل الأبرار، قراءة القرآن الكريم والتدبر فيه، زيارة الأئمة ﷺ، كل ما يرضي الله، الاستعداد للموت قبل حلوله، الأمر الرشيد، الحمد على النعم الإلهية، وأداء شكر النعم عملاً وقولاً، أداء حقّ الله وفرائضه وأوامره، قضاء الدين، ما فيه النفع والقربة إلى الله سبحانه، موالاتة أولياء الله، إرادة الخير، تسهيل الأمور، منافع الدنيا والآخرة، الاستقامة، العمل بما ورد عليه من الله سبحانه، التسديد للحسنى، نورانية القلب، التأمل في صنع الخلائق، صحّة الجواب وسلامته، قبول الموعظة، فهذه جملة ما ورد في مصاديق التوفيق الإلهي وعلائمه، نسأله أن يوفّقنا وإيتاكم لمحابه وما يرضاه ويسعدنا في الدارين، ويرزقنا خير الدنيا والآخرة، إنه حميد مجيد.

هذا إجمال ما أردنا بيانه في أصل التوفيق ومعناه من منظار الإسلام، وأمّا أسبابه فنشير إليها بكلّ إيجاز وإشارة، بذكر بعض الآيات الكريمة والروايات الشريفة، وعلى المطالع أن يرجع إلى المطوّلات من الكتب الروائية في هذا الباب، كبحار الأنوار لشيخنا الأجل العلامة المجلسي قدّس سرّه الشريف، والله الموفّق للصواب.

١ - اغتنام الفرصة :

جاء الإسلام ليكون للمسلم حياة سعيدة، فدعاه إلى النشاط والحيوية والفرح المعقول، ونهاه عن التضرُّع والكسل والحزن المذموم، الذي يُعدُّ من وساوس الشيطان وتسويلاته، وأمره أن يغتني الفرص وينتهزها، كما يغتني خمساً قبل خمس، كما ورد في الحديث النبوي الشريف لأبي ذرّ الغفاري، فقال ﷺ : « يا أبا ذرّ، اغتني خمساً قبل خمس : اغتني شبابك قبل هرمك، وفراغك قبل شغلِكَ، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل مماتك ».

وأما اغتنام الفرصة، فقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام :

« انتهبوا فرص الخير فإنها تمرّ مرّ السحاب ».

« الفرصة تمرّ مرّ السحاب، فانتهبوا فرص الخير ».

« الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود ».

« الفرصة خلصة ».

« الفرصة غنم ».

« أيها الناس، الآن الآن من قبل الندم، ومن قبل أن تقول نفس : يا حسرتي على ما فرّطت في جنب الله، وإن كنت لمن الساخرين، أو تقول : لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين، أو تقول حين ترى العذاب : لو أنّ لي كرتة فأكون من المحسنين ».

قال الإمام الحسين عليه السلام :

« يا ابن آدم، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فخذ ممّا

في يديك لما بين يديك، فإنّ المؤمن يتزوّد، والكافر يتمتّع ».

« الأمس موعظة، اليوم غنيمة، وغداً لا تدري »^(١).

قال رسول الله ﷺ :

«كن على عمرك أشحّ منك على درهمك ودينارك» .
 «إنّ العمر محدود لن يتجاوز أحد ما قدر له، فبادروا قبل نفاذ الأجل» .
 وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :
 «لو اعتبرت بما أضعت من ماضي عمرك لحفظت ما بقي» .
 «إنّ المغبون من غبن عمره، وإنّ المغبوط من أنفذ عمره في طاعة ربّه» .
 «إنّ ماضي عمرك أجل، وآتية أمل، والوقت عمل» .
 «إنّ ماضي يومك منتقل، وباقيه متمّ، فاغتنم وقتك بالعمل» .
 «إنّ الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، وبأخذان منك فخذ منهما» .
 «ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهر، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر!» .
 «رحم الله امرءاً علم أنّ نفسه خُطاه إلى أجله، فبادر عمله، وقصّر أمله» .
 «إعمل لكلّ يوم بما فيه ترشد»^(١) .

فمن كان يرى حياته وعمره هكذا، وينظر بهذه الرؤية الإلهية، كيف لا يستغلّ دقائق عمره، ولم يغتنم فرص حياته؟! ولا يجعلها غصّة بضياعها، فإنّ إضاعة الفرصة غصّة، فإنّها تمرّ كما تمرّ سحاب الربيع، فهي سريعة الزوال وإن كان يتصوّرها الناظر كثيرة وفيها المطر الغزير، فتدبّر فما أروع هذا التمثيل في لسان الروايات الشريفة .

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة» .

(١) الروايات من ميزان الحكمة ٦ : ٥٣٩ .

٥٠ كيف أكون موفقاً في الحياة؟

قال الإمام الباقر عليه السلام :

« بادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة، ولا إمكان كالأيام الخالية مع صحّة الأبدان».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« والله ما يساوي ما مضى من دنياكم هذه بأهداب بُردي هذا (الأهداب جمع هدب وهو خمل الثوب وطرّته)، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء، وكلّ إلى لقاء وشيك وزوال قريب، فبادروا العمل وأنتم في مهل الأنفاس، وجدّة الأحلاس (الأحلاس جمع حلس: ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج)، قبل أن تأخذوا بالكظم (مخرج النفس) فلا ينفع الندم».

« من فتح له باب من الخير، فلينتهز، فإنّه لا يدري متى يعلق عنه».

قال الإمام الصادق عليه السلام :

« ترك الفرص غصص».

« من انتظر بمعاجلة الفرصة مؤاجلة الاستقصاء سلبته الأيام فرصته، لأنّ من شأن الأيام السلب، وسبيل الزمن الفوت».

ما أروع هذه الكلمة الحكيمية التي تخبرك عن واقع الأيام والزمان، فن الناس، من لم يغتنم الفرصة المتاحة له في عمل من الأعمال، فلا يعجل في الاستفادة منها، بل يؤجّل العمل ويؤخّر الفرصة على أمل أن يستقضي أطراف العمل كلّها، مثلاً لو أُتيحت له الفرصة بأن يتزوّج ولو ببناء عشّ ذهبيّ متواضع، تجده لا يقدم ويدّعي أنّه لا بدّ لي من قصر فخم وسيارة آخر موديل وعمل تجاري ناجح وأثاث منزلية رائعة حتّى يتزوّج، فمثل هذا الشخص تسلبه الأيام تلك الفرصة، لأنّ من شأن الأيام السلب، وطريقة الزمن الفوت.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

« من أخر الفرصة عن وقتها، فليكن على ثقة من فوتها.»

« إذا أمكنت الفرصة فانتزها، فإن إضاعة الفرصة غصة.»

« أشد الغصص فوت الفرص.»

« أفضل الرأي ما لم يفت الفرص، ولم يوجب الغصص.»

« من ناهز الفرصة أمن الغصة.»

« الصبر على المضض يؤدي إلى إصابة الفرصة.»

« الأمور مرهونة بأوقاتها.»

« من الحرق - أي الحماقة - المعاجلة قبل الإمكان، والإيذاء بعد الفرصة»^(١).

نتيجة الأحاديث الشريفة: أن العاقل من يستغل الفرص ويبادر إليها، وذلك بعد التمكن، فلا يعجل قبل الإمكان، فإنه من مصاديق العجلة من الشيطان، بل عليه أن ينتظر، وبمجرد أن تتاح له الفرصة فلا يتأني، كلاعب كرة القدم فإنه يتحين وينتظر الفرصة، حتى يهجم على مرمى الحارس، ويسجل هدفاً، ومثل هذا يعدّ لاعباً ناجحاً وموفقاً.

فالمسلم يبادر إلى الفرصة، ويعمل ولا يقضي حياته بالبطالة والفراغ.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

« إن الله يبيغض الصحيح الفارغ لا في شغل الدنيا ولا في شغل الآخرة.»

وقال الإمام الكاظم عليه السلام :

« إن الله ليبيغض العبد النوّام - أي الذي ينام كثيراً - إن الله ليبيغض العبد

الفارغ.»

(١) الروايات من ميزان الحكمة ٧ : ٤٤٤.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

« إن يكن الشغل مجهدة، فاتّصال الفراغ مفسدة ».

وفي أدعية الأئمة الأطهار عليهم السلام ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام :

« واشغل قلوبنا بذكرك عن كلّ ذكر، وألسنتنا بشكرك عن كلّ شكر، وجوارحنا بطاعتك من كلّ طاعة، فإنّ قدّرت لنا فراغاً من شغل، فاجعله فراغ سلامة لا تدركننا فيه تبعة ولا تحلقنا فيه سامة، حتّى ينصرف عنّا كتاب السيئات بصحيفة خالية من ذكر سيئاتنا، ويتولّى كتاب الحسنات عنّا مسرورين ».

وقال في دعاء مكارم الأخلاق :

« اللهم صلّ على محمد وآله، واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً عنه، واستفرغ أيتامي فيما خلقتني له ».

« وارزقني صحّة في عبادة، وفراغاً في زهادة ».

« وأذقني طعم الفراغ لما تحبّ بسعة من سعتك، والاجتهاد فيما يزلف لديك وعندك، وأخفني بتحفة من تحفاتك، واجعل تجارتي رابحة، وكرتي غير خاسرة، وأخفني مقامك، وشوقني لقاءك ».

ونتيجة الأحاديث الشريفة: إنّ الفراغ للمؤمن مذموم، إلا إذا كان في طاعة الله من التفكير والتأمل والتدبّر في خلق الله، فإنّ المؤمن يحتاج إلى مثل هذه الساعة في حياته، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« ما أحقّ الإنسان أن تكون له ساعة لا يشغله عنها شاغل »^(١).

فيخلو بنفسه وربّه لمحاسبة النفس ومناجاة الربّ عزّ وجلّ، فتدبّر.

قال الله سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه الأكرم ﷺ :
 ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ (١).

٢ - الأمل :

كلّ واحد منّا يعرف الأمل والتمني، إلا أنه ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه، تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فكم أمنية في الحياة لم يتوقّق لها الإنسان، إلا أنه على المرء أن يسعى وليس عليه أن يكون موقّفاً، فربما يتوقّق في حصول أمنيّاته وبلوغ آماله، وربما يصاب بالحرمان والخذلان. ولكن من المفروض أن يبذل ما في وسعه في بلوغ ما يتأمّله في حياته، فإنه إذا لم يتوقّق للوصول والحصول، فإنه يبيت مرتاح الوجدان والضمير، على أنه سعى ولم يتوقّق، بخلاف من لم يسع ولم يتوقّق، فإنّ ضميره يؤنّبه، بأنّه لو كان ساعياً ربما كان موقّفاً.

ثمّ الأمل ينقسم إلى قسمين : أمل مذموم وأمل ممدوح، والأوّل ما كان عليه صبغة شيطانية وأنّه غير معقول وباطنه الكذب والكسل. والثاني أمل رحماني يقرّه العقلاء، كأمل الزارع من زرعه بأن يحصد نتاجه في المستقبل، والطالب من دراسته بأن يحوز شهادة التفوق. وأنّه من مصاديق الرحمة الإلهية ومن الأمانى الصادقة.

قال رسول الله ﷺ :

الأمل رحمة لأمتي، ولولا الأمل، ما رضعت والدة ولدها، ولا غرس عارس شجراً (٢).

(١) الانشراح : ٧-٨.

(٢) ميزان الحكمة ١ : ١٤٠، عن البحار ٧٧ : ١٧٣.

٥٤ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير الأرض ، قال عليه السلام : اللهم انزع منه الأمل ، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع ، فلبث ساعة فقال عيسى : اللهم اردد إليه الأمل ، فقام فجعل يعمل ^(١) .

قال الله تعالى :

﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴾ ^(٢) .

وأما الأمل المذموم وأنه من مصاديق الباطل ، فقد قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَمْتَعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْاَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) .

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

اتقوا باطل الأمل ، فربّ مستقبل يوم ليس بمستديره ، ومغبوط في أوّل ليل قامت بواكيه في آخره .

وقال عليه السلام :

اتقوا خداع الآمال ، فكم من مؤمل يوم لم يدركه ، وباني بناء لم يسكنه ، وجامع مالٍ لم يأكله .

وقال عليه السلام :

الأمل كالسرّاب ، يغرّ من رآه ، ويخلف من رجاه .

وقال عليه السلام :

الأمل خادع غارّ ضارّ .

(١) البحار ١٤ : ٣٢٩ .

(٢) الكهف : ٤٦ .

(٣) الحجر : ٣ .

وقال عليه السلام :

الأمانى تعمي عيون البصائر.

«الأمل سلطان الشياطين على قلوب الغافلين».

«الأمل أبداً في تكذيب».

«ثمرة الأمل فساد العمل»^(١).

«إنّ الأمل يسهي القلب، ويكذب الوعد، ويكثر الغفلة، ويورث الحسرة».

وفي دعاء الإمام الصادق عليه السلام في يوم عرفة :

«أعوذ بك من دنيا تمتع خير الآخرة، ومن حياة تمتع خير الممات، ومن أمل

يمنع خير العمل».

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«إنّ الأمل يذهب العقل ويكذب الوعد، ويحثّ على الغفلة، ويورث

الحسرة، فأكذبوا الأمل فإنّه غرور، وإنّ صاحبه مأزور...».

«اعلموا أنّ الأمل يسهي العقل، وينسي، فأكذبوا الأمل، فإنّه غرور

وصاحبه مغرور...».

«طوبى لمن لم تلهه الأمانى الكاذبة».

«لو رأى العبد أجله وسرعه إليه، أبغض الأمل».

«من جرى في ميدان أمّله، عثر بأجله».

«الأمل ينسي الأجل».

«الأمل حجاب الأجل».

(١) ميزان الحكمة ١ : ١٤٢، من غرر الحكم.

«الأمل يفسد العمل، ويفني الأجل».

«إني محارب أمني ومنتظر أجلي».

«لا تخلو النفس من الأمل حتى تدخل في الأجل».

«إن المرء يشرف على أمله فيقطعه حضور أجله».

كمن يني قصرأ على أمل أن يسكن فيه فيأتيه الأجل بغتة فيحرم منه.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«ألا وإتكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن عمل في أيام أمله قبل حضور

أجله، فقد نفعه عمله ولم يضرّه أجله».

عن النبيّ صلى الله عليه وآله، أنّه أخذ ثلاثة أعواد، فغرس عوداً بين يديه، والآخر إلى

جنبه، وأمّا الثالث فأبعده وقال: هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: هذا الإنسان، وهذا الأجل وهذا الأمل، يتعاطاه ابن آدم ويحتلجه الأجل

دون الأمل».

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«إذا بلغت نهاية الآمال فاذكروا بغتات الآجال».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

إنّ آدم قبل أن يصيب الذنب كان أجله بين عينيه وأمله من خلفه، فلمّا

أصاب الذنب جعل الله أمله بين عينيه وأجله خلفه، فلا يزال يؤمل حتى يموت.

«ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل».

«أكثر الناس أملاً أقلهم للموت ذكراً».

«من اتسع أمله قصر عمله».

«أمّا طول الأمل فينسي الآخرة».

« من يأمل أن يعيش غداً فإنه يأمل أن يعيش أبداً، ومن يأمل أن يعيش أبداً يقسو قلبه ويرغب في الدنيا. »

« فيما ناجى الله تعالى موسى عليه السلام : يا موسى، لا تطل في الدنيا أملك فيقسو قلبك، والقاسي القلب متي بعيد. »

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام :
من أيقن أنه يفارق الأحباب، ويسكن التراب، ويواجه الحساب، ويستغني عما خلق، ويفتقر إلى ما قدم، كان حرياً بقصر الأمل وطول العمل.

قال الإمام الباقر عليه السلام :
استجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل.

قال رسول الله ﷺ لابن مسعود :
قصر أملك، فإذا أصبحت فقل : إنِّي لا أمسي، وإذا أمسيت فقل : إنِّي

لا أصبح، واعزم على مفارقة الدنيا، وأحب لقاء الله.
وقال عليه السلام :

خذ بالثقة من العمل، وإيتاك والاعتزاز بالأمل، ولا تدخل عليك اليوم هم غد... ولو أخليت قلبك من الأمل لجددت في العمل، والأمل الممثل في اليوم، غداً أضرك في وجهين : سوفت به العمل، وزدت في الهم والحزن.

وقال عليه السلام :
يقول الله تعالى : لأقطعن أمل كل مؤمن أمل دوني الأناس.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :
انقطع إلى الله سبحانه، فإنه يقول : وعزتي وجلالي لأقطعن أمل كل من يؤمل

غيري باليأس.

٥٨ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

نتيجة الأحاديث الشريفة : أنَّ الأمل الذي يبتني على الأوهام، ويمنع عن العمل، وينسي الأجل، ولم يكن بالله سبحانه، ويوجب حبّ الدنيا والرغبة فيها، ويوجب قسوة القلب والتكالب على الدنيا الدنيّة، فإنّه من الشيطان، وإنّه مذموم عقلاً ونقلاً. وأمّا إذا كان يوجب العمل والتوكّل على الله سبحانه، ورجاء الآخرة والعمل الصالح وصلاحه، ولا يسهي العقل، فإنّه من الأمل المدحوح الذي ندعو إليه، ونعدّه من عوامل التوفيق في الحياة، وإلّا فإنّ من الأوّل التسويف والآمال التي يتعوّذ منها أئمتنا الأطهار عليهم السلام في مناجاتهم وأدعيتهم مع الله سبحانه «وأعوذ بك من الآمال والتسويف»، فلا تغفل وتدبّر.

٣ - الهدف في الحياة والصبر عليه :

قال الله تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا فَأَسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أُنثَاءً تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

وقال سبحانه :

﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ (٢).

كلّ واحد من الناس له هدف وجهة في الحياة هو مسؤول عنها، ويعمل على ما ينويه من وصوله إلى أهدافه وجهاته، فكلّ يعمل على شاكلته وهدفه. وهذا من غرائز الإنسان وجبلته، والإسلام إنّما عليه أن يهدي الغرائز ويسوقها إلى العدل

(١) البقرة : ١٤٨.

(٢) الإسراء : ٨٤.

والقسط، بلا إفراط ولا تفريط، ليحقق في حياة المسلم الحدّ المتوسّط والمعتدل، فإنّه من الأُمَّة الوسطى، فيعلمه أولاً ما هي الأهداف المقدّسة في الحياة، ثمّ يدعوّه إلى الصبر عليها والمثابرة في إحفاقها وبقائها وسلامتها، ثمّ مراعاة شرائط الكمّ والكيف في الوصول إليها ليحقّق العدالة الفردية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي، ولكلّ وجهة هو مولّيتها، فإنّ هذه الآية نزلت في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، فلكلّ نبيّ قبلة، ولكن القبلة إنّما هي جهة المصلّي وهدفه الذي يتوجّه إليه في صلاته وعبادته.

فالمسلم من أهدافه المقدّسة التوجّه إلى بيت الله الحرام والكعبة المجيدة، ولا بدّ من تقديس هذا الهدف والصبر عليه، وبذل النفس والنفيس من أجل إقامته وتشبيده وسلامته وديمومته، وهذا جارٍ في كلّ هدف مقدّس ومدوح فيه رضا الله سبحانه وتعالى.

وأما الصبر فما أكثر النصوص الدينية الدالّة على فضله ولزومه في حياة المسلم.

قال الله تعالى:

﴿ وَكَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ ﴾ - والجهاد من الأهداف المقدّسة - ﴿ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾^(١).
 ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٢).

(١) آل عمران : ١٤٦ .

(٢) الأنفال : ٤٦ .

٦٠ كيف أكون موقفاً في الحياة ؟

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يوقِنُونَ ﴾ (١)

﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٢)

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٣)

﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (٤)

﴿ وَتَسْتَلْئِقُونَ كُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالْقُرَاتِ وَنَشْرِ الصَّابِرِينَ ... أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ ﴾ (٥)

قال رسول الله ﷺ :

من أقل ما أوتيتم اليقين، وعزيمة الصبر، ومن أعطي حظّه منها لم يبال
ما فاته من قيام الليل وصيام النهار، ولئن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحبّ إليّ
من أن يوافيني كلّ امرئٍ منكم بمثل عمل جميعكم.
في الصبر على ما يكره خير كثير.

الصبر خير مركب، ما رزق الله عبداً خيراً منه، ولا أوسع من الصبر.

وقال المسيح بن مريم عليه السلام :

إنكم لا تدركون ما تحبّون إلا بصبركم على ما تكرهون.

(١) السجدة : ٢٤ .

(٢) فصلت : ٣٥ .

(٣) الأحقاف : ٣٥ .

(٤) النحل : ٢٧ .

(٥) البقرة : ١٥٥ - ١٥٧ .

وعن الإمام الصادق عليه السلام :

لا ينبغي ... لمن لم يكن صبوراً أن يعدّ كاملاً.

وما أروع ما يقوله سيدي أمير المؤمنين علي عليه السلام :

الصبر شجاعة.

الشجاعة صبر ساعة.

الصبر أعون شيء على الدهر.

الصبر جنة من الفاقة.

الصبر مطية لا تكبو.

الصبر زينة البلوى.

الصبر على المضض يؤدي إلى إصاحة الفرصة.

(وهذا تعبير جميل عن الصبر وأثره في نيل التوفيقات ، فإنّ الموقّق يصير على

المصائب والمتاعب على مضض حتّى ينتهي بذلك إلى أن يصيب الفرصة التي

لو أضعها لكانت غصّة) ، فقال عليه السلام :

الصبر على مضض الغصص يوجب الظفر بالعرض .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله :

الصبر ستر من كلّ الكروب وعون على الخطوب .

وقال الإمام الصادق عليه السلام :

من لا يعدّ الصبر لنوائب الدهر يعجز .

وهذا يعني أنّه لا يتوقّق في الحياة .

وقال عليه السلام :

من جعل له الصبر والياً لم يكن لما يحدث مبالياً .

٦٢ كيف أكون موفقاً في الحياة؟

وقال عليه السلام :

الصبر يرغم الأعداء .

الصبر عدّة الفقر .

الصبر عون كلّ أمر .

الصبر يمحصّ الرزية .

الصبر أدفع للبلاء .

الصبر أدفع للضرر .

الصبر يهون الفجعة .

الصبر أفضل العدد .

الصبر على البلاء أفضل من العافية في الرخاء .

بالصبر تخفّ المحنة .

بالصبر يناضل المحدثان .

العقل خليل المرء، والحلم وزيره، والرفق والده، والصبر من خير جنوده،

فصبراً على دنيا تمرّ بلوائها كليلّة بأحلامها تنسلخ .

بالصبر تدرك الرغائب - فكلّ ما يرغبه الإنسان من التوفيق إنّما يناله

بالصبر - .

بالصبر تدرك معالي الأمور .

من صبر على الله وصل إليه .

الصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا فارق الرأس الجسد فسد

الجسد، وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور .

وقال الإمام الصادق عليه السلام :

لم يستزد في محبوب بمثل الشكر، ولم يستنقص من مكروه بمثل الصبر.
المؤمن يطيع على الصبر وعلى النوائب.
الصبر رأس الإيمان.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

أيها الناس، عليكم بالصبر، فإنه لا دين لمن لا صبر له.
فالصابر المتقي المؤمن هو المنتصر والموفق المسدد، بتوفيق الله سبحانه،
والنصر مع الصبر، هذا ما يقربه العقل والفتوة والدين.

﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا
أَلْفًا ﴾ ^(١).

﴿ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٢).

﴿ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ ^(٣).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

إنَّ النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإنَّ مع العسر يسراً.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

من ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر.

لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان.

الصبر كفيل الظفر.

(١) الأنفال : ٦٥ .

(٢) البقرة : ٢٤٩ .

(٣) آل عمران : ١٢٠ .

حلاوة الظفر تمحو مرارة الصبر.

الصبر مفتاح الدرك، والنجع عقبي من صبر.

من صبر ساعة حمد ساعات.

عن رسول الله ﷺ :

بالصبر يتوقع الفرج، ومن يدمن قرع الباب يلج.

عن الصادق عليه السلام :

الصبر يعقب خيراً، فاصبروا تظفروا.

عن الكاظم عليه السلام لهشام :

يا هشام، اصبر على طاعة الله، واصبر عن معاصي الله، فإنها ساعة،

فما مضى منها فليس تجده له سروراً ولا حزناً، وما لم يأت منها فليس تعرفه، فاصبر

على تلك الساعة التي أنت فيها كأنك قد اغتبطت.

وفي تفسير الصبر ومعناه، عن النبي ﷺ، أنه قال :

يا جبرئيل، فما تفسير الصبر؟ قال : تصبر في الضراء كما تصبر في السراء،

وفي الفاقة كما تصبر في العافية، فلا يشكو حاله عند الخلق بما تصيب من

البلاء.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام :

الصبر أن يحتمل الرجل ما ينويه ويكظم ما يغضبه.

«الذين يصبرون على طاعة الله وعن معصيته، الذين كسبوا طيباً، وأنفقوا

قصداً، وقدموا فضلاً، فأفلحوا وأنجوا».

«الصبر صبران : صبر عند المصيبة حسن جميل، وأحسن من ذلك الصبر

عند ما حرّم الله عليك».

«الصبر صبران : صبر على ما تكره، وصبر على ما تحب» .
 «الصبر عن الشهوة عفة، وعن الغضب نجدة، وعن المعصية ورع» .
 «من آتاه الله مالاً فليصل به القرابة ... وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب» .

«أفضل الصبر الصبر على المحبوب» .

قال الله تعالى :

﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾^(١) .

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾^(٢) .

وأما علامة الصبر، فعن رسول الله ﷺ :

علامة الصابر في ثلاث : أولها : أن لا يكسل، والثانية : أن لا يضجر،
 والثالثة : أن لا يشكو من ربه عز وجل، لأنه إذا كسل فقد ضيع الحق، وإذا ضجر
 لم يؤد الشكر، وإذا شكك من ربه عز وجل فقد عصاه .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإنك إن جزعت جرت
 عليك المقادير وأنت مأزور .

«من لم يصبر على كده صبر على الإفلاس» .

«إن صبرت صبر الأحرار، وإلا سلوت سلو الأغمار» .

«إن صبرت صبر الأكارم، وإلا سلوت سلو البهائم» .

(١) المعارج : ٥ .

(٢) يوسف : ٨٣ .

٦٦ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

قال الإمام الصادق عليه السلام :

اتقوا الله واصبروا، فإنه من لم يصبر أهلكه الجزع، وإنما هلاكه في الجزع أنه إذا جزع لم يؤجر .

فالعاقل يعمل ما فيه ربحه، فيصبر على كلِّ حال صبراً جميلاً، ومن كان هكذا كيف لا يتوفَّق .

ثمَّ النكبات في الحياة ليست دائمة، بل أيام وتزول، فما أحلى الصبر حينئذٍ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام :

إنَّ للنكبات غايات لا بدَّ أن ينتهي إليها، فإذا حكم على أحدكم بها فليتكأ كما لها، ويصبر حتىَّ يجوز، فإنَّ إعمال الحيلة فيها عند إقبالها زائد في مكروهاها .

وقال عليه السلام لقيس بن سعد، وقد قدم عليه من مصر :

يا قيس، إنَّ للمحسن غايات لا بدَّ أن تنتهي إليها، فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدارها، فإنَّ مكابدها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها .

حقاً أهل البيت عليهم السلام أعرف وأعلم بما في البيت، فإنَّهم يعرفون حقائق الأمور وواقع الأشياء، فما أكثر من أراد أن يستعمل الحيل والوسائط والشفاعات في رفع محنة كتبها الله في لوحه المحفوظ كخلاص سجين، فإنه يزيد فيها ؟ !

فلا بدَّ من الصبر أو التصبّر، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

من يتصبّر يصبره الله، ومن يستعفف يعفّه الله، ومن يستغني يغنه الله، وما أعطى عبد عطاء هو خير وأوسع من الصبر .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

عود نفسك التصبّر على المكروه، ونعم الخلق التصبّر في الحقّ .

عود نفسك التصبّر على المكروه فنعم الخلق التصبّر .

التصبر على المكروه يعصم القلب.
 أفضل الصبر التصبر.
 تنزل المعونة على قدر المؤونة.
 أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وأهملنا وإياكم الصبر^(١).
 وأخيراً:
 ﴿ رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾^(٢).
 ﴿ رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾^(٣).

٤ - معرفة طريق الهدف :

لقد اهتم الإسلام بالمعرفة غاية الاهتمام، فجعلها أصل الدين وأساسه، وإنَّ قيمة الإنسان بمعرفته وعرفانه.
 والمعرفة كَلِّي ذات تشكيك لها مراتب طولية وعرضية، ولها مصاديق متعدّدة ومتعلّقات مختلفة، وشرف المعرفة بمتعلّقها، وأنبّل المعارف معرفة الله سبحانه، ثمّ معرفة النفس، ومن ثمّ معرفة الحياة وفلسفتها والهدف من الخلقة وغايتها، ومعرفة الأهداف المنشودة في حياة المسلم، وطريق تلك الأهداف، وما أكثر النصوص الدينية من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وأقوال العلماء الأعلام في هذا الوادي المقدّس - وادي المعرفة والعرفان والعرفاء الصادقين -.

(١) الروايات من ميزان الحكمة ٥ : ٢٥٥.

(٢) البقرة : ٢٥٠.

(٣) الأعراف : ١٢٦.

٦٨ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

قال الإمام الباقر عليه السلام :

لا يقبل عمل إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل، ومن عرف دلته معرفته على العمل، ومن لم يعرف فلا عمل له.

وقال الإمام الصادق عليه السلام :

إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا، ولا تعرفون حتى تصدقوا، ولا تصدقون حتى تسلموا، أبواباً أربعة. - أي الصلاح فالمعرفة بالتصديق فالتسليم -.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام :

من لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويمجد حقيقتها في قلبه.

وفي معرفة الهدف ومنتهاى الغاية يقول الإمام الصادق عليه السلام :

من كانت له حقيقة ثابتة لم يقم على شبهة هامة، حتى يعلم منتهاى الغاية، ويطلب الحادث من الناطق عن الوارث، بأي شيء جهلتم ما أنكرتم، وبأي شيء عرفتم ما أبصرتم إن كنتم مؤمنين ؟!

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام :

المعرفة نور القلب.

المعرفة برهان العقل.

المعرفة فوز بالقدس.

وعن الإمام الباقر عليه السلام ، في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

كثيراً ﴾ : المعرفة.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله :

أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة.

عن الإمام الصادق عليه السلام :

إنّ المؤمنين بعضهم أفضل من بعض ، وبعضهم أكثر صلاة من بعض ، وبعضهم
أنفذ صبراً من بعض ، وهي درجات .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام :

العلم لقاح المعرفة .

لقاح المعرفة دراسة العلم .

لقاح العلم التّصوّر والفهم .

عن الإمام الحسين عليه السلام :

دراسة العلم لقاح المعرفة .

وقال الإمام الباقر عليه السلام ، في وصيّته لجابر الجعفي :

لا معرفة كمعرفتك نفسك .

عن الأمير عليه السلام :

المعرفة بالنفس أنفع المرفتين .

غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه .

معرفة النفس أنفع المعارف .

نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس .

من جهل نفسه كان بغير نفسه أجهل .

فلا بدّ لمن يريد أن يعرف الطريق إلى وصول الهدف أن يعرف نفسه أولاً ،

وإلا فإنّه بغيرها أجهل .

فكيف يعرف غيره من يجهل نفسه ، فلا تجهل نفسك فإنّ الجاهل معرفة نفسه

جاهل لكلّ شيء .

٧٠ كيف أكون موفقاً في الحياة؟

وقال عليه السلام :

عجبت لمن ينشد ضالته وقد أضلّ نفسه فلا يطلبها .
كفى بالمرء جهلاً أن يجهل نفسه .

من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاة ، وخبط في الضلال والجهالات .
أعظم الجهل جهل الإنسان أمر نفسه .

من شغل نفسه بغير نفسه تحيّر في الظلمات وارتبك في الهلكات .
من عرف نفسه فهو لغيره أعرف .

من عرف قدر نفسه لم يهتها بالفانيات .

من عرف نفسه جاهداها ، ومن جهل نفسه أهملها .

من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كل معرفة وعلم .
من عرف نفسه عرف ربّه .

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام :

واجعلنا من الذين عرفوا أنفسهم ، وأيقنوا بمستقرّهم ، فكانت أعمارهم في طاعتك تفتى^(١) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ، قال عليه السلام : أي ليعرفون .

وهذا يعني أنّ من أسرار خلقه الخلق وفلسفة الحياة هو المعرفة التي هي محّ
العبادة وجوهرها وقيمتها ، فحريّ بالمسلم المؤمن أن يبذل النفس والنفيس في
كسب المعارف والعلوم والفنون ، ومن كان هكذا كيف لا يتوقّق؟!

(١) الروايات من ميزان الحكمة ٦ : ١٣٠ .

٥ - الانتصار على الأتاع الكاذبة :

الإسلام في مبادئه السامية وجهاده المقدس، لا يرضى للمسلم بالهزيمة في ساحات الوغى وميادين الصعاب والمتاعب والمشاكل، بل يصرخ في وجه المؤمن، بأن الله يحب المؤمن القويّ ويبغض المؤمن الضعيف :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ .

ودائماً يدعو إلى الفوز بإحدى الحسينين : إما الانتصار وإما الشهادة والقتل في سبيل الله، فمن كان هذا منطقته المستحيل أن يتراجع أمام الأتاع الصادقة فكيف بالكاذبة، بل يعمل ليل نهار ويرى أنّ ذلك بعين الله وثوابه وأجره، فيتنافس في نيل المكارم والمحامد، ويستبق الخيرات، ويستقيم كما أمره الله سبحانه، فإنه يتأسى بنبيه الأكرم محمد ﷺ :

﴿ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .

وأنّ الله أمر نبيه في مقام الدعوة والتبليغ والرسالة أن يستقيم :

﴿ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ .

حتى قال : شيبني سورة هود، لما فيها من الأمر بالاستقامة والانتصار وتحمل المصاعب والمتاعب من أجل إنقاذ الناس من برائن الجهل والفساد والضلال وهدايتهم إلى الصراط المستقيم والدين القويم والسعادة الأبدية .

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قلت : يا رسول الله أوصني . قال : قل : « ربّي الله »، ثم استقم . قلت : ربّي الله وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . قال : لهنيك العلم أبا الحسن، لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً .

قال الإمام الصادق عليه السلام :

المؤمن له قوة في دين وبرّ في استقامة .

٧٢ كيف أكون موقفاً في الحياة؟

وعن أمير المؤمنين عليه السلام :

اعلموا أنّ الله تبارك وتعالى يبغض من عباده المتلونّ - وهذا معنى لطيف، فإنّ هناك من الناس من يتلونّ كلّ يوم بلون، بل كلّ ساعة، ولا إرادة له ولا تصميم، وإنّهُ ضعيف المزاج، لم يكن صاحب كلمة في حياته - فلا تزولوا عن الحقّ وولاية أهل الحقّ، فإنّ من استبدل بنا هلك.
وقال عليه السلام :

العمل العمل، ثمّ النهاية النهاية، والاستقامة الاستقامة... ألا وإنّ القدر السابق قد وقع، والقضاء الماضي قد تورّد، وإني متكلّم بعدة الله وحجّته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، وقد قلت: (ربّنا الله) فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته (طاعته)، ثمّ لا تمرقوا منها ولا تبتدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها.
وقال عليه السلام :

أفضل السعادة استقامة الدين.

كيف يستقيم من لم يستقم دينه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله :

لو صلّيتم حتّى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتّى تكونوا كالأوتار، ثمّ كان الاثنان أحبّ إليكم من الواحد لم تبلغوا الاستقامة.

وقال أمير المؤمنين في صفات المتّقين :

«من علامة أحدهم أنّك ترى له قوّة في دين وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم»^(١).

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٦٣، خطبة همام.

هذا في أصل الاستقامة والانتصار والحزم، وأما ثمرات الاستقامة فمنها كما في قوله تعالى:

- ﴿ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ (١).
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢).
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أُنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ توعَدُونَ ﴾ (٣).

عن رسول الله ﷺ :

إن تستقيموا تفلحوا.

عن أمير المؤمنين عليه السلام :

من استقام فإلى الجنة، ومن زلّ فإلى النار.
الاستقامة سلامة.

من لزم الاستقامة لزمته السلامة.

السلامة مع الاستقامة.

عليك بمنهج الاستقامة فإنه يكسبك الكرامة ويكفيك الملامة.

لا مسلك أسلم من الاستقامة.

لا سبيل أشرف من الاستقامة.

من لزم الاستقامة لم يعدم السلامة (٤).

(١) الجنّ : ١٦.

(٢) الأحقاف : ١٣.

(٣) فصلت : ٣٠.

(٤) الروايات من ميزان الحكمة ٨ : ٢٨٥.

٦ - تلقين النفس بالنجاح :

الإسلام يدعو معتنقيه إلى النجاح في كلِّ عمل، ولا يرضى منهم الكسل والفشل، بل يعلمهم أنه لا بدَّ أولاً من تخطيط كامل الأطراف، ودراسة الموضوع المقدم عليه دراسة تامة الجوانب، ثمَّ الحزم والعزم، وأن ينظر إلى القمّة حتّى يهون عليه صعود الجبل، وأن ينظر إلى أقصى القوم حتّى يسهل عليه بداية الأمر، ويفكّر بالنجاح ويلقّن نفسه بذلك، وما أروع النصوص الدالّة على هذه المفاهيم القيّمة، التي تفتح للمسلم آفاقاً جديدة في حياته السعيدة التي يسودها العمل الدؤوب والنشاط والحيوية والتقدّم المستمرّ والازدهار والتطوّر، ويجعل من انكساره جسراً لنجاحه، فالتلقين له أثر بالغ في الحياة، بل في نظر الإسلام حتّى الموت وبعده، فإنّه يستحبّ تلقين المحتضر الشهادتين - شهادة التوحيد وشهادة النبوة - وكذلك الولاية، وكذا الميت في قبره يستحبّ تلقينه، وإنّ الملقّن الأوّل هو الله سبحانه كما ورد في الأخبار، وكذلك جبرئيل كان ملقّناً، بل يقال: إنّ الأذكار والأوراد وتكرارها وتكرار الأدعية فيها فوائد دنيوية وأخروية، منها: تلقين النفس بالشيء المدعوّ به، بل يقال: تكرار الحمد في الصلوات اليومية، وقول المصلّي: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هو من مصاديق التلقين، بأن يكون على الصراط المستقيم، ويفكّر بهذا الأمر في كلّ يوم خمس مرّات على أقلّ تقدير في الصباح وظهراً وفي المساء، وهذا يعني أنّ المسلم يلقّن نفسه بالنجاح، فإنّ النجاح والفلاح والصلاح إنّما هو في الصراط المستقيم.

ولا بأس أن نذكر نماذج من الأخبار الواردة بلفظ التلقين بالخصوص فضلاً عن المعنى والمحتوى والمفهوم، فهناك روايات كثيرة وآيات كريمة تدلّ على أهميّة دور التلقين في حياة المسلم.

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام :

إنّ هذا القرآن فيه مصاييح النور وشفاء الصدور، فليجل جلال بضوئه،
ولينجم الصفة، فإنّ التلقين حياة القلب البصير، كما يمشي المستتير في الظلمات
بالنور^(١).

قال أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام :

إنّ رجلاً جاء إلى علي بن الحسين عليهما السلام برجل يزعم أنّه قاتل أبيه،
فاعترف، فأوجب عليه القصاص، وسأله أن يعفو عنه ليعظم الله ثوابه، فكأنّ نفسه
لم تطب بذلك، فقال علي بن الحسين عليه السلام للمدّعي للدم الوليّ المستحقّ للقصاص :
إن كنت تذكر لهذا الرجل عليك فضلاً فهب له هذه الجناية واغفر له هذا الذنب.
قال : يا ابن رسول الله، له عليّ حقّ، ولكن لم يبلغ أن أعفو له عن قتل والدي. قال :
فتريد ماذا؟ قال : أريد القود، فإن أراد لحقه عليّ أن أصلحه على الدية صالحته،
وعفوت عنه. فقال علي بن الحسين عليهما السلام : فإذا حقّه عليك؟ قال : يا ابن رسول
الله، لقتني توحيد الله ونبوة محمّد رسول الله وإمامة عليّ والأئمة عليهم السلام. فقال علي بن
الحسين عليه السلام : فهذا لا يفي بدم أبيك؟ بلى والله هذا يفي بدماء أهل الأرض كلّهم من
الأولين والآخرين سوى الأنبياء والأئمة عليهم السلام إن قتلوا، فإنّه لا يفي بدمائهم شيء
أن يقنع منه بالدية. قال : بلى. قال علي بن الحسين للقاتل : أفتجعل لي ثواب تلقينك
له حتّى أبذل لك الدية فتنجو بها من القتل؟ قال : يا ابن رسول الله، أنا محتاج
إليها، وأنت مستغن عنها، فإنّ ذنوبي عظيمة، وذنبي إلى هذا المقتول أيضاً بيّني
وبينه، لا بيّني وبين وليّه هذا. قال علي بن الحسين عليه السلام : فتستسلم للقتل أحبّ

(١) بحار الأنوار ٧٥: ١١٢.

٧٦ كيف أكون موقفاً في الحياة ؟

إليك من نزولك عن هذا التلقين ؟ قال : بلى يا ابن رسول الله . فقال علي بن الحسين لولي المقتول : يا عبد الله ، قابل بين ذنب هذا إليك وبين تطوله عليك ، قتل أباك حرمة لذة الدنيا وحرمة التمتع به فيها ، على أنك إن صبرت وسلّمت فرفيقك أبوك في الجنان ، ولقنك الإيمان فأوجب لك به جنة الله الدائمة وأنتدك من عذابه الدائم ، فأحسانه إليك أضعاف جنايته عليه ، فإمّا أن تعفو عنه جزءاً على إحسانه إليك لأحدكما بحديث من فضل رسول الله ﷺ خير لك من الدنيا بما فيها ، وإمّا أن تأبى أن تعفو عنه حتى أبذل لك الدية لتصلحه عليها ، ثم أخبرته بالحديث دونك فما يفوتك من ذلك الحديث خير من الدنيا بما فيها لو اعتبرت به . فقال الفتى : يا ابن رسول الله ، لقد عفوت عنه بلا دية ولا شيء إلا ابتغاء وجه الله ولمسألتك في أمره ، فحدّثنا يا ابن رسول الله بالحديث . قال علي بن الحسين عليه السلام : إن رسول الله ﷺ لما بعث إلى الناس كافة بالحقّ بشيراً ونذيراً... إلى آخر ما سيأتي في أبواب معجزاته ﷺ (١) .

وفي قصة يوسف ويعقوب عليه السلام ، ورد في تفسير قوله : ﴿ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ ﴾ ، إن يعقوب لقن أولاده العلة وكانوا لا يدرون . وروي عن النبي ﷺ أنّه قال :

لا تلقنوا الكذب فتكذبوا ، فإنّ بني يعقوب لم يعلموا أنّ الذبب يأكل الإنسان حتى لقنهم أبوهم (٢) .

ونستنتج من هذا الخبر النبوي الشريف أنّ التلقين على نحوين : إيجابى

(١) البحار ٢ : ١٣ .

(٢) البحار ١٢ : ٢٢١ .

وسلبي، مثبت ومنفي، ممدوح ومذموم.

والذي ندعو إليه هو التلقين الصادق الناجح في نجاح الأعمال ليتوقَّع الإنسان في حياته، ويسعد في أمره.

وهذا التلقين عامّ يشمل الفرد والمجمع الصغير - كالأُسرة - والكبير - كالأُمَّة -، فالتلقين الصادق ناجح حتّى في الأمور السياسية التي هي في إصلاح الأُمَّة ورعاية شؤونهم وتدبير أمورهم بما يقتضيه الحال والمقام.

ولا بأس أن نذكر من الروايات ما ورد بلفظ التلقين ومشتقاته :

س	ص	ج	
١٣	٢٣٠	٨٠	١ - لا تحضر الحائض والمجنب عند التلقين
١٧	٣٩	٨٢	٢ - تعيّن عليه التلقين مرّة أخرى
١٨	٤٠٥	٧٥	٣ - أجب عمّا ألّقنك
١	٢٧٨	٣٥	٤ - فادع بدعوات أنا ألّقنك إيّاها
١	٣١٥	٧٤	٥ - أنا اليوم - ألّقنك حجّتك
١٧	٣٧٠	٩٢	٦ - تلقّنا به الحجج البالغة إذا سألنا الملكان
١٣	٢٥٧	٧٩	٧ - إني أسألك رحمة - تلقّني بها رشدي
٦	١٣٣	٩٠	٨ - تلقّني بها عند فراق الدنيا حجّتي
٥	٧٦	٩٠	٩ - اكتب لي هذه حتّى تلقّنيها يوم القيامة
٢	٣١٦	٩٤	١٠ - أدعاء كنت تلقّنه عند الدخول ؟
٢٠	٢٠٠	٦	١١ - عند المساءلة في القبور وأنت - تلقّهم
٢٠	٤٠	٦٨	١٢ - أنت هناك تلقّهم عند العرض الأكبر
١٨	٢٨٧	٩٨	١٣ - اكتب لي هذه الشهادة عندك حتّى تلقّنيها
١٨	٢٧٢	٨٦	١٤ - اللهم - حتّى تلقّنيها وأنت عني راض

٧٨ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

- ١٥ ٢٣٥ ١٧ ١٥ - لَقِّنَهُ اللهُ مِنْ غَيْرِ تَلْقِينٍ
- ٧ ١١١ ٨٨ ١٦ - رَخَّصَ فِي تَلْقِينِ الْإِمَامِ الْقُرْآنَ
- ١٤ ٢٢٥ ١٧ ١٧ - الْأَنْبِيَاءَ وَأَوْلَادَهُمْ - أَوْتُوا الْعِلْمَ تَلْقِيناً
- ١٥ ٢٤٣ ١٠ ١٨ - لَا يَقُولُونَ ذَلِكَ إِلَّا تَلْقِيناً وَتَأْدِيباً وَتَسْمِيَةً
- ٢١ ١٢ ٢ ١٩ - تَلْقِينِكَ - مِنْ فَضْلِ رَسُولِ اللَّهِ
- ١٤ ٣٨٨ ١٦ ٢٠ - فَلَقَّنْتُ أَنْ تَقُولَ - أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ
- ٣ ٢٤٥ ٤٤ ٢١ - فَلَقَّنَهُ جَبْرَائِيلُ قُلْ : يَا حَمِيدٌ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ
- ٧ ٢١ ٧٥ ٢٢ - فَلَقَّنَهُ حُجَّتَهُ عَلَى خِصْمِ الدِّينِ
- ١٤ ٢٣٣ ٨١ ٢٣ - إِذَا حَضَرَتِ الْمَيِّتَ الْوَفَاةَ فَلَقَّنَهُ شَهَادَةَ ...
- ١ ٢٥٨ ٦٣ ٢٤ - فَلَقَّنَهُ كَلِمَاتِ الْفَرَجِ
- ١٤ ١٩ ٥٨ ٢٥ - فَلَقَّنُوا الْآ حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
- ١٣ ٣٣٣ ٤٦ ٢٦ - فَلَقَّنُوا مَوْتَاكُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ
- ٣ ١٣٤ ٩٦ ٢٧ - إِذَا أُعْطِيْتُمُوهُمْ فَلَقَّنُوهُمْ الدُّعَاءَ
- ١٦ ١٩٥ ٦ ٢٨ - فَلَقَّنُوهُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
- ٢٢ ٢٧٧ ٦ ٢٩ - انْطَلِقْ فَمَا يَقْعِدُنَا عِنْدَ هَذَا وَقَدْ لَقَّنَ حُجَّتَهُ
- ٥ ٢٠٥ ٣٦ ٣٠ - لَقَدْ لَقَّنَ دَعَوَاتٍ مَا يَدْعُو بِهِنَّ مَخْلُوقٌ إِلَّا ...
- ٧ ٢٦٥ ٩٧ ٣١ - لَقَّنِي الْكَلِمَاتِ الَّتِي لَقَّنْتَ آدَمَ
- ٢ ١٩٢ ١٠٢ ٣٢ - لَقَّنْتَ فَصْلَ الْخُطَابِ
- ١٧ ١٦ ٧١ ٣٣ - عَرَضُوا عَلَيَّ وَحَلَّفُونِي فَقُلْتُ كَمَا لَقَّنْتَنِي
- ٦ ٧٢ ٤٣ ٣٤ - لَقَّنَكَ اللَّهُ - قَوْلَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
- ٣ ١٩٥ ٩٥ ٣٥ - لَقَّنَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَاتِ الْفَرَجِ

٢١	٧	٢	٣٦ - من قوَى مسكيناً في دينه - لَقْنَه اللهُ
٤	٢٤٥	١٠	٣٧ - ما أنبأتكم بخبر طفل لَقْنَه اللهُ
١٩	٣٣	٣٦	٣٨ - فقال الناس : لَقْنَه جبرئيل - شيئاً
١٧	٢١	٨٢	٣٩ - قولوا : اللهم لَقْنَه حجّته وصعد روحه
٣	٥٤	٨٢	٤٠ - اللهم - ولقنه منك برهاناً
١٧	١٧٩	٣٥	٤١ - اللهم اغفر لأمي فاطمة - ولقنها حجّتها
١٦	٢٥٨	٢٦	٤٢ - لقنهم حكمته
٣	٦٣	٣٧	٤٣ - عظّموا أمرهم - ولقنوا التسييح
١٩	٢٠٣	٩٣	٤٤ - لقنوا موتاكم بلا إله إلا الله
١٨	١٤٥	٩٠	٤٥ - آمن روعتي - ولقني حجّتي
٧	١٦٦	٩٠	٤٦ - اللهم لقني حجّتي عند المات
٢١	٤٩	٦٩	٤٧ - اللهم لقني حجّتي يوم ألقاك
١٤	٤٤٩	٩٥	٤٨ - لقني عند المسألة حجّتي
١٣	٣٨٦	٩٤	٤٩ - اللهم إني أسألك باسمك - يا ملقن
(١)١٩	٢٣٦	٨١	٥٠ - يلقنه ما أنتم عليه

هذه بعض الروايات التي وردت فيها كلمة التلقين ومشتقاتها، وهي بمعنى التعليم، إلا أنه يمكن أن يستفاد منها المعنى العام الذي يعني تكرار الفعل وترسيخه في النفس حتى تكون ملكة، ويكون من العوامل ذات الأهمية البالغة في توفيق الإنسان في حياته العلميّة والعملية، فتدبر.

٨٠ كيف أكون موفقاً في الحياة؟

٧ - الإخلاص :

أهمّ أمر في حياة المسلم المؤمن هو الإخلاص في النية والعمل، فما أكثر النصوص الدينية من القرآن الكريم والسنة الشريفة التي تحثّ المسلم على الإخلاص، وأنه لا قيمة للعمل لولا الإخلاص، وأنه إنما يصعد إلى الله الكلم الطيب، وهو العمل الخالص، وأن الرياء هو الشرك الأصغر، وأنه يوجب بطلان العمل.

والإخلاص هنا يأتي بمعنىين :

فتارة بمعنى العمل الذي لا غشّ فيه، ولا تقصير ولا تهاون ولا تضييع ولا إجحاف في الوقت والعمل والشيء والمصنوعات والمنتجات وما شابه ذلك. وقد دعا الإسلام إلى هذا الأمر كثيراً، وأنه من غشّ المسلمين فليس بمسلم.

وأخرى يأتي بمعنى العمل الخالص لله وحده لا شريك له، فلا يشرك بعبادة ربه أحداً، ودعا إلى هذا الأمر أيضاً.

قال الله تعالى 'على لسان الشيطان الرجيم :

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (١).

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢).

وقال رسول الله ﷺ :

ثلاث لا يغفل عليهنّ قلب مسلم : إخلاص العمل لله عزّ وجلّ...

(١) ص : ٨٣.

(٢) الفاتحة : ٤.

وقال ﷺ :

إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم.

وقال ﷺ :

قال الله تعالى: الإخلاص سرٌّ من أسرارِي استودعته قلب من أحببت من

عبادي.

«بالإخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين».

«إعمل لوجه واحد يكفيك الوجه كلها».

«أخلص قلبك يكفك القليل من العمل».

«طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنةٍ ظلماء».

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام :

«الإخلاص أشرف نهاية».

«الإخلاص غاية الدين».

«الإخلاص عبادة المقرّبين».

«الإخلاص ملاك العبادة».

«الإخلاص أعلى الإيمان».

«الإخلاص شيمة أفاضل الناس».

«في إخلاص الأعمال تتنافس أولي النهى والألباب».

«كلّما أخلصت عملاً بلغت من الآخرة أملاً».

«إن لله عبادةً عاملوه بخالص من سرّه فشكر لهم بخالص من شكره،

فأولئك تمرّ صحفهم يوم القيامة فرغاً، فإذا وقفوا بين يديه ملأها لهم من سرّ

ما أسروا إليه».

« العمل كله هباء إلا ما أخلص فيه ».

« أضع من كان له مقصد غير الله ».

قال الإمام الصادق عليه السلام :

« ولا بدّ للعبد من خالص النيّة في كلّ حركةٍ وسكون، لأنّه إذا لم يكن هذا المعنى يكون غافلاً، والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال : ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ ، وقال : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ .

« ما أنعم الله عزّ وجلّ على عبدٍ أجلّ من أن لا يكون في قلبه مع الله غيره ».

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام :

« طوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه، وحبّه وبغضه، وأخذه وتركه، وكلامه وصمته، وفعله وقوله ».

« طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينسّ ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أعطى غيره ».

وقال زين العابدين عليه السلام في مناجاته :

« واجعل جهادنا فيك، وهمتنا في إطاعتك، وأخلص نياتنا في معاملتك ».

يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

« أين الذين أخلصوا أعمالهم لله، وطهّروا قلوبهم لمواضع نظر الله ».

يقول الإمام الهادي عليه السلام :

« لو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي رجل عبد الله وحده خالصاً ».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« العلماء كلّهم هلكن إلا العاملون، والعاملون كلّهم هلكن إلا المخلصون،

والمخلصون في خطرٍ عظيمٍ ».

وقال ﷺ :

«إذا عملت عملاً فاعمل لله خالصاً لآتته لا يقبل من عباده الأعمال إلا ما كان خالصاً».

«أخلصوا أعمالكم لله، فإن الله لا يقبل إلا ما خالص له».

«ليست الصلاة قيامك وقعودك، إنما الصلاة إخلاصك وأن تريد بها وجه الله».

قال الإمام الصادق عليه السلام :

«قال الله: أنا خير شريك، من أشرك بي في عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً».

قال عز وجل :

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١).

قال رسول الله ﷺ :

«أيها الناس، إنني من لقي الله عز وجل يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً لم يخلط معها غيرها دخل الجنة»، فقام علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، قال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، كيف يقولها مخلصاً لا يخلط معها غيرها، فسّر لنا هذا حتى نعرفه؟ فقال: نعم، حرصاً على الدنيا وجمعاً لها من غير حلّها، ورضى بها، وأقوام يقولون أقاويل الأخيار ويعملون أعمال الجبابرة، فمن لقي الله عز وجل وليس فيه شيء من هذه الخصال وهو يقول: لا إله إلا الله فله الجنة، فإن أخذ الدنيا وترك الآخرة فله النار».

(١) الزمر: ١١ و ١٢.

٨٤ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

وقال ﷺ :

« تمام الإخلاص تجنب المعاصي ».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

« تمام الإخلاص اجتناب المحارم ».

فهذا كله من قيمة الإخلاص ومقامه الشاخص في حياة المؤمن، وأما حقيقته،

فقد قال رسول الله ﷺ :

« إنَّ لكلِّ حقِّ حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتَّى لا يحبَّ أن يحمَد

على شيء من عمل الله ».

قال الحواريون لعيسى عليه السلام : يا روح الله، من المخلص لله ؟ قال : الذي يعمل

لله لا يحبُّ أن يحمده أحد على شيء من عمل الله عزَّ وجلَّ.

وقال رسول الله ﷺ :

أما علامة المخلص فأربعة : يسلم قلبه، وتسلم جوارحه، وبذل خيره، وكفَّ

شره.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام :

« من لم يختلف سرّه وعلانيته، وفعله ومقاتته، فقد أدى الأمانة وأخلص

العبادة ».

« الزهد سجيّة المخلصين ».

« العبادة الخالصة أن لا يرجو الرجل إلا ربّه، ولا يخاف إلا ذنبه ».

قال الإمام الباقر عليه السلام :

« لا يكون العابد عابداً لله حقَّ عبادته حتَّى ينقطع عن الخلق كلّ إليه، فحينئذٍ

يقول هذا خالص لي فيتقبّله بكرمه ».

قال الإمام الصادق عليه السلام :

« العمل الخالص الذي لا تريد أن يحمّدك عليه أحد إلا الله عزّ وجلّ ». وفي المحجّة البيضاء للمحقّق الفيض الكاشاني عن الغزالي، قال في بيان حقيقة الإخلاص بعد ذكر أقاويل المشايخ: الأقاويل في هذا كثيرة، ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة، وإنّما البيان الشافي بيان سيّد الأوّلين والآخريين، إذ سئل عن الإخلاص فقال: « هو أن يقول ربّي الله ثمّ تستقيم كما أمرت » أي لا تعبد هواك ونفسك، ولا تُعبد إلا ربّك، وتستقيم في عبادته كما أمرك، وهذه إشارة إلى قطع كلّ ما سوى الله عزّ وجلّ من مجرى النظر وهو الإخلاص حقّاً.

وأما ما يورث الإخلاص فقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام :

سبب الإخلاص اليقين.

الإخلاص ثمرة اليقين.

إخلاص العمل من قوّة اليقين وصلاح النية.

الإخلاص ثمرة العبادة.

إنّ إخلاص العمل اليقين.

على قدر قوّة الدين يكون خلوص النية.

ثمرة العلم إخلاص العمل.

قلل الآمال تخلص لك الأعمال.

أول الإخلاص اليأس ممّا في أيدي الناس.

من رغب فيما عند الله أخلص عمله.

قال الإمام الباقر عليه السلام :

إدفع عن نفسك حاضر الشرّ بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص

٨٦ كيف أكون موفقاً في الحياة ؟

العمل، وتحرّز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدّة التيقّظ، واستجلب شدّة التيقّظ بصدق الخوف.

وأما ما يمنع الإخلاص، فقال عليه السلام :

كيف يستطيع الإخلاص من يغلبه هواه.

وأما آثار الإخلاص، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

ما أخلص عبد الله عزّ وجلّ أربعين صباحاً إلاّ جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

قال الله عزّ وجلّ: لا أطلع على قلب عبد فأعلم منه حبّ الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلاّ تولّيت تقويمه وسياسته.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام :

غاية الإخلاص الخلاص.

المخلص حرّياً بالإجابة.

بالإخلاص ترفع الأعمال.

لو خلصت النيات لزكت الأعمال.

عند تحقّق الإخلاص تستنير البصائر.

من أخلص النية تنزّه عن الدنيّة.

في إخلاص النيات نجاح الأمور.

أخلص تنل.

من أخلص بلغ الآمال.

ثمرة العلم إخلاص العمل.

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق :

فأما حقّ الله الأكبر عليك، فإن تعبه لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص، جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

قال المسيح عليه السلام :

يا عبید السوء، تقوا القمح وطيبوه وأدقوا طحنه تجدوا طعمه ويهتكم أكله، كذلك فأخلصوا الإيمان وأكملوه تجدوا حلاوته وينفعكم غبته.

وفي الدعاء عند زين العابدين عليه السلام :

اللهم صلّ على محمد وآل محمد واجعلنا ممن جاسوا خلال ديار الظالمين، واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين، وسعوا إلى العلم بنور الإخلاص.

فهذا معنى الإخلاص وحقيقته وآثاره في النفس والمجتمع، وإنّ الموقّ العاقل المصيب من كان مخلصاً في نواياه وأعماله، ومن قلّة العقل أن يعمل الإنسان لغير ربّه، كما قال الإمام الباقر عليه السلام : ما بين الحقّ والباطل إلا قلّة العقل. قيل : وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال : إنّ العبد يعمل العمل الذي هو الله رضىً فيريد به غير الله، فلو أنّه أخلص لله لجاءه الذي يريد في أسرع من ذلك^(١).

اللهم ارزقنا الإخلاص واليقين، وخير الدنيا والدين، ووفّقنا للتوفيق، واجعله لنا خير رفيق، وما توفّيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

(١) الروايات من ميزان الحكمة ٣ : ٥٦.

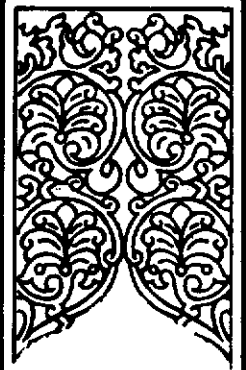
الفهرس

٣ التمهيد
٧ اغتنام الوقت والفرصة
٩ الأمل والرجاء في الحياة
١١ الهدف في الحياة والصبر من أجله
١٣ معرفة الطريق ووضوح المسلك
١٧ الانتصار على الأتعاب الكاذبة
١٩ تلقين النفس بالنجاح
٢٠ الإخلاص في العمل
٢١ الخاتمة
٤١ آثار التوفيق ومعناه
٤٥ زبدة الكلام
٨٨ الفهرس

مَجَالِمِ

الصِّدِّيقِ وَالصَّدَاقَةِ

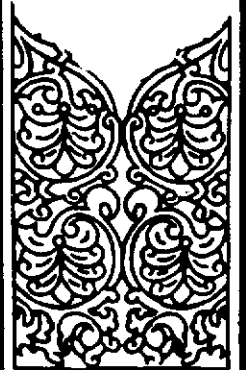
السَّيِّدِ عَالِمِ الْعَالَمِيْنَ



مَجَالِمِ الصِّدِّيقِ وَالصَّدَاقَةِ

الجزء الحادي عشر

عرفان و اخلاق - ٢



علوي، عادل، ١٩٥٥ -

معالم الصديق والصدقة / السيّد عادل العلوي. - قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٣٧٨.

١٠٧ ص. - (موسوعة رسالات إسلامية)

ISBN 964 - 91907 - 9 - 1 : ٤٠٠٠ ريال

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیما.

عنوان دیگر: رسالة معالم الصديق والصدقة في رحاب أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

عربی.

کتابنامه به صورت زیرنویس.

١. دوستی (اسلام). ٢. آداب معاشرت اسلامی. ٣. دوستی - احاديث. الف. عنوان.

٢٩٧ / ٦٥٢

BP ٢٥٤ / ٢ / ٤٧٦ ع ٦ م

٧٨ - ١٥٠٧٦ م

کتابخانه ملی ایران

موسوعة

رسالات إسلامية



رسالة

معالم الصديق والصدقة

في رحاب أحاديث أهل البيت عليهم السلام

تأليف - السيّد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الأولى - ١٤١٨ هجري قري

الكمية المطبوعة - ١٠٠٠ نسخة

المطبعة - النهضة، قم

ISBN 964 - 91907 - 9 - 1

شابك ١ - ٩ - ٩١٩٠٧ - ٩٦٤

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

الإهداء

إلى كلِّ من يبحث عن الصديق الصادق، والشفيق الحاذق، والأخ
الموافق.

إلى من يطلب خير الأخلاق في دنيا الأصدقاء.

إلى كلِّ أصدقائي وأحبَّائي أقدم هذه العجالة وميض من معالم الصديق
والصداقة في رحاب أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

سائلاً العليَّ القدير أن يوفِّقهم ويسدِّد خطاهم ويسعدهم في الدارين
ونلتقي معهم في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، على سرِّ متقابلين.
مع فائق التحيات، وسلامٍ من ربِّ العالمين.

أخوكم في الدين

العبد

عادل العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله الذي أمرنا لتكون مع الصادقين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد الصادق الأمين، وعلى آله الأئمة الصادقين الهداة المهديين، لا سيما بقيّة الله في الأرضين، عجّل الله فرجه الشريف.

«يا صديق من لا صديق له»^(١).

وردت هذه المقطوعة النورانية في كثيرٍ من مناجاة وأدعية الأئمة الأطهار عليهم السلام، هي تشير إلى أنّ الصديق الأوّل الذي يستحقّ كلّ الصداقة، وتتجلّى معه مفاهيمها وحقيقتها، وإنّما لا يقاس بها في حسنها وفضلها وضرورتها وتقدّمها، هو الله سبحانه وتعالى.

فإنّه خير رفيق لمن لا عماد له، وخير صديق لمن لا صديق له، خير مؤنس لمن لا مؤنس له، عماد من لا عماد له، ذخّر من لا ذخّر له، سند من لا سند له... فهو الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال والجمال، فإنّه مطلق الكمال والكمال المطلق، ومن عظمته ورحمته وشفقته، أن يكون صديقاً لعبده

(١) من كتاب «مفاتيح الجنان»، في دعاء جوشن الكبير.

٦ معالم الصديق والصدقة

الذي لا يملك شيئاً، الجاهل العاجز، فما أكرمه وأعظمه؟! وما أروع صداقته ورفاقته؟!!

وهل يفتقر الإنسان إلى صديق آخر بعد صداقته؟ إلا إلى أولئك الذين هم مظهر صدق الله، فإنّ صداقتهم من صداقة الله، كالأنبياء والأولياء ومن يحذو حذوهم من العلماء والصلحاء.

أجل: ماذا يقصد ويراد من الصداقة؟ وما هي أهدافها؟ أليس الموائسة ورفع الهمم والغمّ وقضاء الحاجة، والدفاع عند مدهامة العدو، ورفع المشاكل ودفع المضاعف، وتمشية الأمور، وتطوير العمل والتحدّث والمذاكرة وغير ذلك من القضايا الفردية والاجتماعية التي يتوخّاها الإنسان من الصداقة؟

وكلّ هذا يصل إليه المؤمن ويحصل عليه لو صادق ربّه الكريم، فإنّه ينال كلّ ذلك على النحو الأتمّ والأفضل، بل لا يقاس به شيء، فمن كان ربّه العالم بكلّ شيء، القادر على كلّ شيء، صديقه ورفيقه في الحياة، فإنّ ذلك يعني أنّ العلم المطلق والقدرة المطلقة والحياة المطلقة، وباقي الصفات العليا والأسماء الحسنى، على نحو الأبدية والأزلية والسرمدية، وبلا نهاية توأكبه وتسايره في حياته الروحية الدنيوية والأخروية، حتّى يصل إلى قاب قوسين أو أدنى، في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، صادق في وعده وكرمه وجوده، فإذا يحتاج الإنسان بعد هذا؟! أليس من كان لله كان الله له؟ وهل بعد هذا المقام العظيم مقام ودرجة ورفعة؟ هيئات هيئات، ولا يلقاها إلا ذو حظّ عظيم.

فالصديق الأوّل هو الله سبحانه وتعالى، وهو أحقّ بالصدقة، ثمّ يستحقّها كلّ من عليه اسم الله عزّ وجلّ، فإنّه موضع الصداقة حقّاً. وإنّها أحقّ بالموافاة والبذل، كصداقة الأنبياء والأوصياء والأولياء، ومن يسلك مسلكهم، وينهج

منهجه، فإنه أولى بالصدقة، ولا بأس لو سميناها بالصدقة الدينية أو الأخروية، فإن بدايتها وأساسها على الدين، ونهايتها وغايتها الآخرة، فمثل هذه الصداقة تدوم إلى يوم القيامة، يوم يكون الأخلاء والأصدقاء بعضهم لبعض عدوًّا إلا المتقين، فإنهم أسسوا صداقتهم من اليوم الأوّل على التقوى، فهي أحقّ أن تقام وتبقى، وتؤتي أكلها، وتعطي ثمراتها في الدنيا والآخرة. فصداقتهم صداقة تقوائية إلهية ربّانية، تحوطها هالات قدسية ونفحات سبحانية، خلافاً لأهل الدنيا وصداقتهم المادية الدنيوية، التي تؤسس على المطامع والمصالح المزيفة والزائلة، وعلى المال والمجاه والرئاسة وحبّ الدنيا والوسوسات الشيطانية، فمثل هذه الصداقة بنيت على جرفٍ هارٍ، نهايتها نار جهنّم وبئس المصير.

فلا بدّ أن نعرف من هو الصديق الصادق المصدّق في حياتنا الدنيوية، الذي تتمثل فيه الصداقة الإلهية، والتي تصاحبنا إلى يوم القيامة، يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

فلا بدّ أن نعرف من نعاشره في حياتنا، فإنّ الطبع يكسب في الصفات والأخلاق، وأنّ المرء يُعرف بخليله وصاحبه وصديقه، فمن هو الصديق حقاً؟ وما هي الصداقة الواقعية؟

هذا ما أردنا أن نصل إليه من خلال هذه الرسالة المجملّة والمختصرة، وقد صغت مباحثها في مقدّمة وفصول ستّة وخاتمة:

المقدّمة: ضرورة الصديق في حياة الإنسان.

الفصل الأوّل: نماذج ممّن تضرّ معاشرتهم.

الفصل الثاني: كيفية كسب الأصدقاء ومودّتهم.

الفصل الثالث: أفضل صاحب وأكمل صديق.

٨ معالم الصديق والصدّاقة

الفصل الرابع: أجواء الصداقة وأرضيّتها.

الفصل الخامس: من آداب الصداقة.

الفصل السادس: المؤثّرات في عالم الصداقة.

الخاتمة: حقوق الأسرة والأقرباء.

كلّ ذلك من خلال الآيات القرآنية وفي رحاب أحاديث أئمّة أهل البيت

الأطهار عليهم السلام.

ومن الله التوفيق والسداد.

المقدمة

ضرورة الصديق في حياة الإنسان

الحياة الإنسانية تمتاز عن العجاوات بالعقل وبالألفة وروح التفاهم والعلاقات الاجتماعية والصداقات الحميمة .

واعلم أنّ عالم الأصدقاء الذي له دعائم وأسس خاصّة لا تقوم ولا تدوم إلا بتوافرها وتعزّدها بسنن وآداب خاصّة، وقد اهتمّ علماء الاجتماع والنفس والأخلاق بتشبيدها وبيانها ودراستها في كلّ جوانبها وحقوقها، وإن كان القدر الجامع لتلك الأسس هو عبارة عن المحبّة والتمسك بالأخلاق الحميدة والآداب المجيدة .

فصنّف العلماء في وادي الصداقة والأصدقاء مصنّفاتهم القيّمة ومؤلّفاتهم الثمينة، كلّ واحد ينظر إليها من منظاره الخاصّ، ولما يحمل من خليقات ثقافية، ربما تنحرف عن الحقائق والواقع، لعدم إحاطتهم بمكونات الإنسان وزوايا ضميره وجوانحه، فيحسب أنّه عرف الإنسان، وقدّم له ما يصلحه ويعالج أمراضه الفردية والاجتماعية، ولكن كالظمان الذي يحسب السراب ماءً .

ولكن من ارتبط بالوحي، وكان علمه من الله جلّ جلاله العالم بالخفايا والسرائر، كالأنبياء وأوصيائهم، فإنّهم في تربية الإنسان يصيرون الهدف

١٠ معالم الصديق والصدقة

ولم ينحرفوا عن الصواب والحقيقة، لما يحملونه من العلم اللدني المطابق للواقع.
ومن هذا المنطلق إنما نذكر في هذه العجالة التي تدور مباحثها حول الصديق والصدقة بعض الأحاديث^(١) الشريفة الواردة عن الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام لتقف بكل صدق وإخلاص على معالم الصداقة والأصدقاء، فإن من نهج وسار على كتاب الله القرآن الكريم، وسنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومنهاج الأئمة المعصومين عليهم السلام فقد سعد في الدنيا والآخرة، ونال شرف الإنسانية، وتسلق قمم الكمال، وحلق في آفاق الحياة الطيبة والعيش الرغيد.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ناصحاً ولده: «بني: الصديق ثم الطريق»، فمن أراد أن يسلك طريق الحياة بزاد وراحلة وأمان وسلامة، لا بد له من الصديق الذي يكن لأخيه الصدق والصفاء والمحبة والوفاء، فيعينه في حل مشاكل الحياة

(١) نقلت الأحاديث من كتاب «الصدقة والأصدقاء» للسيّد هادي المدرّسي، ونهجت في هذه الرسالة منهج كتابه، وقد جاء معظم الروايات في كتاب «مصادقة الإخوان» للشيخ الصدوق عليه الرحمة، وكتاب «كيف تكسب الأصدقاء» للسيّد الحيدري، و«ميزان الحكمة» للشيخ ريشهري ٥: ٢٩٢ - ٣١٥ و ١: ٤٢ - ٦٤ باب الأخوة، و«بحار الأنوار» ٧٧ و ٧٤: ١٧٣ باب فضل الصديق وحدود الصداقة والصفحة ١٨٣ باب من ينبغي مجالسته ومصادقته ومصاحبته، وكتاب «الصحة» من كثر العمّال ٩: ٣ و ٢٧٣، وقد كتب علماء الغرب في هذا المضمار أيضاً، منهم الكاتب الشهير ديل كارنجي وكتابه المعروف «كيف تكسب الأصدقاء»، فراجع الروايات الشريفة، وقد ذكرت كثيراً منها في هذه الرسالة لتقف على الحقيقة التي قالها أئمة أهل البيت عليهم السلام قبل أربعة عشر قرناً، وحتى ترى من هو أحق أن يتبع؟ ﴿ أَفَنُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي ﴾ (القرآن الكريم، يونس: ٣٥)

المقدمة / ضرورة الصديق في حياة الإنسان ١١

ويرافقه في الضراء والسرء، حاملاً عنه أعباء المصاعب والمتاعب، فإنّ الصداقة صناعة وفنّ، يعني أن تتحلّى بالذوق السليم، والفكر الصائب والقلب الحنون والضمير الواعي، والأصدقاء الطيبون كنوز وخزائن يجب البحث عنهم في أطراف الأرض، حتّى لا يختلط الحجر بالجوهر: (فسافر فني الأسفار خمس فوائد: تفرّج همّ و اكتساب معيشة وعلم وآداب وصحة ماجد). ويلزم علينا أن نترجم الأخلاق الفاضلة في عالم الصداقة إلى واقع عملي، فإنّ حسن المعاشرة والصداقة من العبادات، وعليها تدور رحى الحضارات والمدنيّات والتقدّم والازدهار، وإلاّ فحينما تنهار الأسس الأخلاقية والمبادئ القيّمة في أيّ مجتمع، فإنّه سرعان ما يسقط ويهوى إن عاجلاً أو آجلاً، وسيعاني من أزمات خلقية واحدة تلو الأخرى.

قال رسول الله ﷺ: «أبى الله عزّ وجلّ لصاحب الخلق السيء بالتوبة، فقليل له: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال: إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه»، وهذا يصدق في الجماعات والمجتمعات أيضاً. وأمّا حسن الخلق فبه يعمر البلاد.

كما قال الرسول الأكرم: «أكثر ما تلج به أمتي الجنة: تقوى الله وحسن الخلق، وهما يعمران البلاد ويزيدان في الأعمار».

ولقد كانت دعوة الأنبياء هي إصلاح الناس وهدايتهم نحو الله، وما فيه الخير والسعادة، قال النبيّ الأعظم: «إنّما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، كما إنّ روح العبادات والطقوس الدينية، إنّما هي الإصلاح الأخلاقي، فعندما تمدح امرأة عند الإمام الصادق عليه السلام بالصوم والصلاة يسأل عليه السلام عن كيفية معاملتها مع جيرانها، فيدّموها، فيقول عليه السلام: «إذن لا خير في صلاتها وصيامها».

ويقول الحديث الشريف: «كم من صائم ليس له من صومه إلاّ الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلاّ السهر والتعب» وكم من إنسانٍ جرّه حسن خلقه إلى جنّات النعيم.

فلا بدّ لنا من حسن الخلق، وعلينا أن ننتخب ونختار الصديق الجيّد، فإنّ المجلس يؤثر في طباع الإنسان (لا تربط الجرباء حول صحيحة خوفي على الصحيحة أن تجرب)، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إياكم ومجالسة الملوك وأبناء الدنيا، ففي ذلك ذهاب دينكم ويعقبكم نقافاً، وذلك داء دويّ لا شفاء له، ويورث قساوة القلب ويسلبكم الخشوع، وعليكم بالأشكال من الناس والأوساط منهم فعندهم تجدون معادن الجواهر».

ويقول لقمان الحكيم لولده: «يا بني، صاحب العلماء واقرب منهم وجالسهم وزرهم في بيوتهم، فلعلّك تشبههم فتكون معهم، واجلس مع صلحائهم فربما أصابهم الله برحمة فتدخل فيها فيصيبك، وإن كنت صالحاً فابعد من الأشرار والسفهاء فربما أصابهم الله بعذاب فيصيبك معهم»^(١).

(١) وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «صحابة الأشرار تكسب الشرّ كالريح إذا مرّت بالنتن حملت نتناً»

قال عليه السلام: «مصاحب الأشرار كراكب البحر إن سلم من الفرق لم يسلم من الفرق»، و «إياك ومصاحبة الشرّير، فإنّه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره». ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «اصحب من تترّين به، ولا تصحب من يترّين بك». وقال الأمير عليه السلام: «أكثر الصواب والصلاح في صحبة أولي النهى والأبواب»، (صاحب الحكماء وجالس العلماء، وأعرض عن الدنيا تسكن جنّة المأوى»، «صاحب العقلاء وجالس العلماء واغلب الهوى تراقق الملائ الأعلیٰ»، «صحابة اللبيب حياة الروح»، «عجبت لمن

ويقول الرسول الأعظم ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحكم

يرغب في التكثر من الأصحاب كيف لا يصحب العلماء الأتباء الأتقياء الذين يغنم فضائلهم وتهذبه علومهم وتزيّنه صحبتهم»، «من دعاك إلى الدار الباقية وأعانك على العمل فهو الصديق الشفيق».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أنظر كل من لا يفيدك منفعة في دينك فلا تعتدّن به ولا ترغبن في صحبتته، فإن كل ما سوى الله تبارك وتعالى مضمحلّ وخيم عاقبته».

وقال الأمير عليه السلام: «من لا يصحبك معيناً على نفسك فصحبته وبال عليك إن علمت».

ويقول الرسول ﷺ: «من لم تنتفع بدينه ودنياه فلا خير لك في مجالسته، ومن لم يوجب لك فلا توجب له ولا كرامة»، «احذر مصاحبة الفسّاق والفجّار والمجاهرين بعاصي الله»، «احذر من الناس ثلاثة: الخائن والظلوم والنّمام، لأنّ من خانك خانك، ومن ظلمك سيظلمك، ومن نمّ إليك سينمّ عليك»، «إذا سمعت أحداً يتناول أعراض الناس فاجتهد أن لا يعرفك فإنّ أشقّ الأشخاص به معارفه»، «لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل الذي يرى لنفسه»، «اتّقوا من تبغضه قلوبكم»، «إياك ومعاشرة متتبّعي عيوب الناس فإنّه لم يسلم مصاحبهم منهم»، «لا تصاحب همّازاً فتعدّ مرتاباً»، «صديق الجاهل متعوب منكوب»، «عدوّ عاقل خيرٌ من صديقٍ أحمق»، «الأكل خلةٌ كانت في الدنيا في غير الله عزّ وجلّ فإنّها تصير عداوة يوم القيامة»، «توقّوا مصاحبة كلّ ضعيف الخير قويّ الشرّ خبيث النفس، إذا خاف خنس وإذا أمن بطش»، «إياك ومخالطة السفلة فإنّ مخالطة السفلة لا تودّي إلى خير»، «إياك وصحبة من أهلك وأغراك فإنّه يخذلك ويوبقك».

قال الإمام السجّاد: «يا بني، إياك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاث مواضع»، «إياك ومصاحبة الكذّاب، فإن اضطرت إليه فلا تصدّقه ولا تعلمه أنت تكذّبه، فإنّه ينتقل عن ودك ولا ينتقل عن طبعه».

من يخلل».

ويقول الإمام الحسن عليه السلام: «لا تواخ أحداً حتى تعرف موارده ومصادره، فإذا استطبت الخبرة ورضيت العشرة فأخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة». وقال الله سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (١)، ويقول سبحانه: ﴿ وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ ﴾ (٢)، وما أروع هذه الآية الشريفة التي تبين مصير قرين السوء ومن يتركه في الدنيا، فيقول على لسانه: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنَّهُ كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الصَّادِقِينَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَدِينُونَ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتَ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (٣)، ومثل هؤلاء الأصدقاء الذين يشككون بالمعاد وبمفاهيم الدين ومعاله ليردوا بأصحابهم عاقبتهم سوء الجحيم، وعلينا أن لا نخالطهم إلا من أجل هدايتهم وإصلاحهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون ويؤلفون»؛

فالإسلام يدعو إلى التحابب والتألف والصدّاقة التي تبتنى على التقوى، فإنّ الأخلاء كما قال الله تعالى: ﴿ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٤).

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله: «إنّ المؤمن يسكن إلى أخيه ما يسكن الظمآن

إلى الماء البارد».

(١) الزخرف: ٣٦.

(٢) فصلت: ٢٥.

(٣) الصافات: ٥٣.

(٤) الزخرف: ٦٧.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لكلّ شيء شيء يستريح إليه، وإنّ المؤمن يستريح إلى أخيه ما يستريح الطير إلى شكله».

وودّ المؤمن للمؤمن من أفضل شعب الإيمان، فلا بدّ من صديق و خليل مؤمن في الحياة، بل الله سبحانه اتخذ لنفسه خليلاً، حيث يقول سبحانه في كتابه الكريم:

﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ^(١).

ويقول الرسول الأكرم: «ما استفاد امرئ مسلم فائدة بعد فائدة الإسلام مثل أخ يستفيده في الله».

ويقول الأمير عليه السلام: «خير الإخوان من كانت في الله مودّته»، «على التواخي في الله تخلص المحبّة»، «إخوان الدين أقرب للمودّة»، فالصداقة في الإسلام ليست من أجل المصالح الشخصية والدنيا الدنيّة، وإنّما هي من أجل المبادئ الدينية، والقيم الأخلاقية، ونعيم الجنّة.

وعليّنا أن نعاشر الناس خير معاشرة فيقول الأمير عليه السلام: «خالطوا الناس مخالطة إن عشتم معها حتوا إليكم وإن متّم معها بكوا عليكم».

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله: «أحبّكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون، وأبغضكم إلى الله المشاؤون بالتميمة المفرّقون بين الإخوان».

كلّ ذلك إيماء إلى المسلم بالحياة الجماعية والابتعاد عن العزلة المذمومة:

﴿ يَاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ^(٢).

(١) النساء: ١٢٥.

(٢) الحمد: ٤-٧.

ويقول الأمير عليه السلام: «لقاء الإخوان مغنم جسيم وإن قَلّوا»، «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم»، «المرء كثيرٌ بإخوانه».

يقولون إنّ الموت صعبٌ على الفتيّ مفارقة الأُحباب والله أصعب

* * *

تكثر من الإخوان ما استطعت إتهم كنوز إذا ما استنجدوا وظهور
وليس كثيراً ألف خلٌّ وصاحبٍ وإن عدوّاً واحداً لكثيرٌ
وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أكثرُوا من الأصدقاء فإنهم ينفعون في الدنيا والآخرة، أمّا الدنيا فحوائج يقومون بها، وأمّا الآخرة فأهل جهنّم قالوا: فما لنا من شافعين ولا صديقٍ حميم».

ويقول الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله: «ما أحدث عبد أخاً في الله إلاّ وأحدث الله له درجة في الجنّة».

ويقول الإمام الرضا عليه السلام: «من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنّة». ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «من استفاد أخاً في الله على إيمان الله ووفاء بلقائه طالباً لمرضاة الله فقد استفاد شعاعاً من نور الله وأماناً من عذاب الله وحجّة يفلح بها».

فالصديق والأخ في الله، فيه فوائد جمّة في الدنيا والآخرة، والاعتزال المدحوح ما كان عن القوم الفاسقين، كما فعل إبراهيم الخليل وأصحاب الكهف، ويقول الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله: «الوحدة خير من قرين السوء»، ويقول صلّى الله عليه وآله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يُسبُّ فيه إمام ويعاب فيه مسلم، إن الله يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا

في حديثٍ غيره فإِذَا يُسَيِّئُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ .
 ويقول الأمير عليّؑ : «إِيَّاكَ وَمَصَاحِبَةَ الْفُسَّاقِ، فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ يَلْحَقُ»،
 فالعقل يأنس بذكر الله ويستوحش من الناس ومن مجتمع مضمحلّ، ويسودها
 الرذالة والخباثة، والمكر والحيلة، والتكالب كالحيوانات الضارية.
 وأمّا مع إخوان الثقة فيسعى إلى معاشرتهم ومرافقتهم بكلّ ما في وسعه^(٢)،
 فإنّ الحياة تحلو مع إخوان الصفا والمحبة، ويقول أمير المؤمنين عليّؑ : «من لانت
 عريكته وجبت محبّته، من خشنت عريكته أفقرت حاشيته»، فليس بأخ من
 ضيّعت حقوقه»، فعلى كلّ واحد أن يراعي حقوق الصداقة بكلّ اتزان واعتدال،
 بلا تفريط ولا إفراط، كما جاء في الحديث الشريف : «أحب حبيبك هوناً ما،
 عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك
 يوماً ما».

ثمّ الأصدقاء على نوعين، كما صنّف ذلك أمير المؤمنين عليّؑ ، فقال :
 «الإخوان صنفان : إخوان الثقة وإخوان المكاشرة، وإخوان الثقة كالكفّ والجناح
 والأهل والمال، : فإذا كنت في أخيك على ثقة، فابذل له مالك ويدك، وصافٍ

(١) الأنعام : ٦٨ .

(٢) عن أمير المؤمنين عليّؑ : «الصديق أقرب الأقراب»، «الصديق أفضل الذخزين»،
 «من لا صديق له لا ذخر له»، «الأصدقاء نفس واحدة في جسوم متفرقة» .

ويقول الإمام الصادقؑ : «لقد عظمت منزلة الصديق حتى أهل النار ليستغيثون به
 ويدعون به في النار قبل القريب الحميم، قال الله مخبراً عنهم : ﴿ مَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ
 حَمِيمٍ ﴾ (ميزان الحكمة ٥ : ٢٩٦).

من صافاه وعادٍ من عاداه واكتم سرّه، وأظهر منه الحسن، واعلم أنّهم أقلّ من الكبريت الأحمر! وأما إخوان المكاشرة فإنّك تصيب منهم لذتك ولا تقطعنّ ذلك منهم ولا تطلبنّ ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان».

والإمام الصادق عليه السلام يقسم الأصدقاء إلى ثلاثة أقسام: «الإخوان ثلاثة: واحد كالغذاء الذي يحتاج إليه في كلّ وقت وهو العاقل، والثاني في معنى الداء وهو الأحمق، والثالث في معنى الدواء وهو اللبيب».

وإذا أردت أن تعرف إخوانك ومن أيّ صنفٍ هم فاخترهم، فيقول الأمير عليه السلام: «لا يعرف الناس إلّا بالاختبار»، و«لا تثق بالصديق قبل الخبرة»، و«لا ترغبنّ في مودّة من لم تكتشفه»، و«من قلب الإخوان عرف جواهر الرجال»، فتختبره بقلبك أولاً: فهل تحبّه وتمواه، فإنّ «الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف». فالقلوب شواهد، وجاء في الحديث الشريف: «إعرف المودّة لك في قلب أخيك بما له في قلبك»، و«انظر قلبك فإن أنكر صاحبك فإنّ أحدكما قد أحدث شيئاً»، وثانياً: الاختبار بالمال ومقدار نصرته المالية عند احتياجك، فقد جاء في الحديث الشريف: «ثلاثة لا تعرف إلّا في ثلاثة: لا يعرف الحليم إلّا عند الغضب، ولا الشجاع إلّا عند الحرب، ولا الأخ إلّا عند الحاجة»، ومن أبرز الحاجات بذل الروح والمال، فالأخ المواسي في الفاقة والحاجة هو الصديق حقاً، وقد ضرب أصحاب الإمام الحسين أروع مثال في معالم الصداقة والفداء وذلك ليلة عاشوراء حينما أيقنوا بالشهادة والموت فقالوا: «أبا عبد الله أكلتنا السباع أحياء إن فارقتك، ووالله لو كانت الحياة باقية، وما كان بعد الموت شيء، لآثرنا الموت معك على الحياة مع هؤلاء».

ثمّ الصديق المحبّ له علامات، فقد قال رسول الله ﷺ: «صديق المحبّة في ثلاثة: يختار كلام حبيبه على كلام غيره، ويختار مجالسة حبيبه على مجالسة غيره، ويختار رضی حبيبه على رضی غيره»، وعليك أن تمتحن صديقك في الشدائد كما تمتحن فيها، وفي الحديث الشريف: «يتمحن الصديق في ثلاثة، فإن كان مؤاتياً فيها فهو الصديق المصافي، وإلا كان صديق رخاء لا صديق شدة: تبغني منه مالاً أو تأمنه على مال أو مشاركة في مكروه»، و«اختبر صديقك في مصيبتك».

ويقول الأمير عليّ: «في الضيق يظهر حسن مواساة الصديق».

ما أكثر الإخوان حين تعدّهم لكثّمهم في النائبات قليل
ويقول عليّ: «لا تعدنّ صديقاً من لم يواسي بماله»، كما من طرق الاختبار: الإغصاب، ففي الحديث الشريف: «إذا أردت أن تعلم صحّة ما عند أخيك فاغضبه فإن ثبت لك على المودّة فهو أخوك وإلا فلا»، وفي آخر: «من غضب عليك من إخوانك ثلاث مرّات ولم يقل فيك مكروهاً فأعدّه (أي ادّخره) لنفسك»، كما من عوامل الامتحان: السفر، فقد جاء في الحديث الشريف: «لا تسمي الرجل صديقاً حتّى تختبره بثلاثة خصال: حين تغضبه فتنتظر غضبه أيخرجه من حقّ إلى باطل؟ وحين تسافر معه، وحتّى تختبره بالدينار والدرهم».

ثمّ علينا أن نختار من بين الناس أصدقاء، ومن بين الأصدقاء إخواناً تجتمع فيهم الصفات التالية:

العلم: فإنّه ورد في الحديث: «خذ العلم من أفواه الرجال»، ويقول الأمير عليّ: «خير من صاحبت ذوو العلم والحلم»، و«عجبت لمن يرغب في التكثر من الأصحاب كيف لا يصحب العلماء»، ويقول عليّ: «ينبغي للعاقل

٢٠ معالم الصديق والصدّاقة

أن يكثر من صحبة العلماء والأبرار»، وفي آخر: «اعلموا أنّ صحبة العالم واتباعه دين يدان به وطاعته مكسبة للحسنات، ممحاة للسيئات، وذخيرة للمؤمنين، ورفعة في حياتهم وفي مماتهم، وجميل الأحدثة عند موتهم»، وفي آخر: «من مشى إلى العالم خطوتين وجلس عنده لحظتين، سمع منه مسألتين، بنى الله له جنتين، كلّ جنة أكبر من الدنيا مرّتين».

ولقمان الحكيم ينصح ولده قائلاً: «من يحالس العلماء يغم»، «يا بني جالس العلماء وزاجهم بركبتيك فإنّ القلوب لتتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر».

وقال النبيّ ﷺ: زيارة العلماء أحبّ إلى الله تعالى من سبعين طوافاً حول البيت، وأفضل من سبعين حجّة وعمرة مبرورة مقبولة، ورفع الله تعالى له سبعين درجة، وأنزل الله عليه الرحمة، وشهدت له الملائكة أنّ الجنة وجبت له.

وقال ﷺ: ما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم إلّا ناداه ربّه عزّ وجلّ: جلست إلى حبيبي، وعزّتي وجلالي لأسكنتك الجنة معه، ولا أبالي.

وقال ﷺ: يا أبا ذرّ، الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحبّ إلى الله من قيام ألف ليلة يصليّ في كلّ ليلة ألف ركعة، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحبّ إلى الله من ألف غزوة، وقراءة القرآن كلّه.

كما علينا أن نعاشر الحكماء ومن صقلته التجارب، يقول الرسول الأكرم ﷺ: «سائلوا العلماء وخاطبوا الحكماء وجالسوا الفقراء».

ويقول الأمير عليّ عليه السلام: «صاحب الحكماء وجالس العلماء وأعرض عن الدنيا»، فالحكيم يهديك المشورة الصالحة والمفيدة في حياتك، وهلك من لم يكن له حكيم يرشده، فإنّ نصائح الحكيم تعدّ بمنزلة المشاعل الوهاجة في دروب

الحياة. كما علينا أن نصادق من كان عاقلاً، ففي الحديث الشريف: «عدو عاقل خير من صديق جاهل»، فإنّ الجاهل الأحمق يريد أن ينفعلك فيضرك، فيفسد عليك العمل وإن كان طيب القلب، وقد جاء في الحديث الشريف: «فساد الأخلاق معاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق معاشرة العقلاء»، وفي آخر: «لا تصحب إلا عاقلاً تقياً، ولا تخاطب إلا عالماً زكياً، ولا تودع سرك إلا مؤمناً وفتياً». والأئمة الأطهار عليهم السلام ركّزوا على هذه العلامات: العاقل التقى والعالم الزكي والمؤمن الوفي، وهدوا الناس إلى من يحسن معاشرته وحثّروهم عمّن يشين مصادقته، فإنّ الصديق يؤثر على قلب الإنسان، ويقول الأمير عليه السلام: «عارة القلوب في معاشرة ذوي العقول»، ويقول عليه السلام: «من صاحب العقلاء وقر»، وفي آخر: «معاشرة العقلاء تزيد في الشرف»، كما علينا أن نعاشر من كان زاهداً في دنياه ويزكّرنا بعمله عوالم الآخرة ويشوقنا إلى نعيم الجنة، ففي الحديث الشريف: «ليكن جلساؤك الأبرار وإخوانك الأتقياء والزهاد؛ لأنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «إحذر أن تواخي من أرادك لطمع أو خوف أو فشل أو أكل أو شرب، واطلب مؤاخاة الأتقياء ولو في ظلمات الأرض، وإن أفنيت عمرك في طلبهم، فإن الله عزّ وجلّ لم يخلق على وجه الأرض أفضل منهم بعد النبيين، وما أنعم الله على العبد بمثل ما أنعم به من التوفيق لصحبتهم»، وفي حديث آخر: «إذا رأيت الرجل قد أعطى الزهد في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يليق الحكمة»، وفي آخر: «مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة، ومجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل» فعلى أن نبحت عن الأتقياء الزهاد لنعاشرهم ونتكامل في مصادقتهم ومرادتهم، وليس الزهد أن لا تملك شيئاً،

بل أن لا يملكك شيء، وقد جمع الزهد في هاتين الكلمتين: ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.

وإذا كنت تبحث عن السعادة فقد جاء في الحديث الشريف: «أسعد الناس من خالط كرام الناس»، وفي آخر: «من عاشر أهل الفضائل تنبّل»، أي يكون نبيلاً فاضلاً، وفي الحديث الشريف: «قارن أهل الخير تكن منهم، وبائن أهل الشرّ تبين عنهم»، وفي آخر: «عليك بإخوان الصدق فإنهم زينة في الرخاء وعصمة في البلاء»، وفي آخر: «أخوك من لا يخذلك عند الشدّة، ولا يقعد عنك عند الجريرة، ولا يخذعك حين تسأله»، وفي آخر: «من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوّته».

ويقول الإمام الكاظم عليه السلام: «إيتاك ومخالطة الناس والأُنس بهم، إلا أن تجد منهم عاقلاً ومأموناً فأنس به، واهرب من سائرهم كهريك من السباع الضارية». وفي الحديث النبويّ الشريف: «لا تجالسوا إلا عند من يدعوكم من خمسٍ إلى خمس: من الشكّ إلى اليقين، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى المحبّة، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة في الدنيا إلى الزهد»، وصدّيقك: «من إن سألته أعطاك، وإن سكتّ عنه ابتداك»، ففتش عن الصديق الذي تجتمع فيه المكارم والفضائل لتسعد في الدارين، فإنّ من سعادة المرء الصديق المؤمن الوفي.

الفصل الأوّل

نماذج ممّن تضرّ معاشرتهم

لقد مرّ علينا في المقدّمة ضرورة الصديق في حياة الإنسان، وذكرنا أبرز معالمة الحسنه من الأخلاق القيمّة، وبعض حدود المعاشرة، ومن تنفع مصادقته في الدارين. وإليك في هذا الفصل بعض النماذج من أولئك الذين تضرّ معاشرتهم ولا تنفع، ثمّ نذكر أهمّ الحقوق التي يجب علينا أن نراعيها في عالم الصداقة.

فأمّا من لا تصحّ معاشرته، ويوجب عزله إصلاحه، أو سلامة المجتمع من التلوّث به، فهم: الأحمق، والبخيل، والفاجر، والكذاب. فإنّ من أراد أن يكون صالحاً، عليه أن يعاشر الصلحاء، فإنّ الإنسان يكتسب ممّن يعيش معهم، فعلىنا أن نعرض عن الجاهلين. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾^(١)، ويقول سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَعْصُ الظّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾^(٢)، ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ أَنْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذولًا ﴾، ويقول

(١) الأنعام : ٦٧.

(٢) الفرقان : ٢٧.

سبحانه: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (١). ويقول الرسول الأكرم ﷺ: «أحكم الناس من فرّ من جهال الناس». وإن المرء يعرف بقرينه، يقول الأمير عليّ: «من اشتبه عليكم أمره لم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه»، ومن لم يجد الصديق العاقل الذي يجتمع فيه مواصفات الصديق حقاً، فعليه أن يعتزل الجهال والفساق ورجال السوء، فإن «الوحدة خير من صديق السوء»، ويقول الأمير عليّ ناصحاً ولده: «يا بني، إياك ومصادقة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك».

ويقول الإمام الصادق عليّ: «من لم يتجنّب مصادقة الأحمق يوشك أن يتخلّق بأخلاقه»، ويقول عليّ: «إياك وصحبة الأحمق فإنه أقرب ما تكون منه أقرب ما يكون من مساءك»، وفي آخر: «إياك وصحبة الأحمق الكذاب فإنه يريد نفعك فيضرك ويقرب منك البعيد، ويبعد عنك القريب، إن ائتمنته خانك، وإن ائتمنتك أهانك، وإن حدّثك كذبك، وأنت منه بمنزلة السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً».

ويقول الرسول الأعظم ﷺ: «أربع يمتن القلب: الذنب على الذنب، وكثرة مناقشة النساء، ومماراة الأحمق، ومجالسة الموتى. فقيل: وما الموتى يا رسول الله؟ فقال: كل غنيّ مترف هذا ميّت الأحياء».

ويقول الأمير عليّ: «العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت، وواحد في ترك مجالسة السفهاء».

وأما البخيل، فقد قال الأمير عليّ: «إياك ومصادقة البخيل، فإنه يقعد عنك

أحوج ما تكون إليه».

والله سبحانه يقول: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾ (١)، وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

فالمفلح من طهر نفسه من البخل، ولقد سمع أمير المؤمنين علي عليه السلام رجلاً يقول: إنَّ الشحيح أعذر من الظالم، فالتفت إليه الإمام وقال: «كذبت، إنَّ الظالم قد يتوب ويستغفر ويردّ الظلامة على أهلها، ولكنَّ الشحيح إذا شحَّ منع الزكاة والصدقة وصله الرحم والنفقة في سبيل الله وإقراء الضيف وأبواب البرّ كلّها، وحرام على الجنّة أن يدخلها الشاح».

ويكفينا شاهداً قصة ثعلبة بن حاطب، حيث قال لرسول الله ﷺ: ادعُ الله أن يرزقني مالاً، والذي بعثك بالحقّ لإن رزقني الله مالاً لأعطين كلّ ذي حقّ حقه، فدعا له النبيّ ورزق مالاً كثيراً، ولما أرسل إليه النبيّ جباة الزكاة أنكر عليهم ذلك، فنزلت الآية تصرّح بنفاقه إلى يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٣).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاثٌ إذا كنَّ في الرجل فلا تخرج أن تقول

(١) الليل: ٨-١١.

(٢) الحشر: ٩.

(٣) التوبة: ٧٥.

إنّه في جهنّم: الجفاء والجبن والبخل»، ويقول عليه السلام: «خياركم سمحاًؤكم وشراركم بخلاًؤكم»، وفي آخر: «البخل جامع لمساوئ العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كلّ سوء».

ويقول الرسول الأكرم ﷺ: «السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنّة، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار». وأما مصادقة الفاجر فيقول الأمير عليه السلام: «إيّاك ومصادقة الفاجر فإنّه يبيعك بالتافه»، فإنّ معاشرّة الفجار يمنعك عن مصاحبة الأبرار.

يقول الرسول الأعظم ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يواخين كافرأ ولا يخالطنّ فاجرأ، ومن آخى كافرأ أو خالط فاجرأ كان كافرأ فاجرأ». ويقول الأمير عليه السلام: «مجالسة الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار».

كما إنّ الفاجر يشين بصاحبه، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا تصحب الفاجر فيعلّمك من فجوره»، ولا يرى لك حرمة، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «خمس من خمس محال: النصيحة من الحاسد، والشفقة من العدو، والحرمة من الفاسق، والوفاء من المرأة، والهيبة من الفقير». ويقول عليه السلام: «كان أبي يقول: قم بالحقّ، ولا تعرض لما نابك، واعتزل عمّا لا يعينك، وتجنّب عدوك، واحذر صديقك من الأقوام، إلّا الأمين الذي يخشى الله، ولا تصحب الفاجر ولا تطلعه على سرّك».

وقال الإمام السجّاد عليه السلام: «إيّاك ومصاحبة الفاسق فإنّه يبيعك بأقلّه وبأقلّ من ذلك».

ويقول الإمام الجواد عليه السلام: «إيّاك ومصاحبة الشرير، فإنّه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره».

الفصل الأول / نماذج ممن تضرّ معاشرتهم ٢٧

ويقول الإمام الصادق عليه السلام : « لا ينبغي للمسلم أن يواخي الفاجر ولا الأحمق ولا الكذاب ».

وأما معاشرة الكذاب، فيقول أمير المؤمنين عليه السلام : « وإياك ومصادقة الكذاب، فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب ».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام : « إن الكذاب يهلك بالبينات ويهلك أتباعه بالشبهات ».

ويقول الأمير عليه السلام : « ليس لكذوب أمانة وصيانة »، وفي آخر : « لا خير في الكذابين ولا في العلماء الأفاكين ».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام : « إن الله عزّ وجلّ جعل للشرّ أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، وأكثر من الشراب الكذب ».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنّ لآبليس كحلاً ولعوقاً وسعوطاً، فكحله النعاس ولعوقه الكذب وسعوطه الكبر ».

وقال الإمام العسكري عليه السلام : « جعلت الخبائث في بيت، وجعل مفتاحه الكذب ».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام : « كان أمير المؤمنين علي عليه السلام إذا صعد المنبر قال : ينبغي للمسلم أن يتجنّب مواخاة ثلاثة : الماجن والأحمق والكذاب، أمّا الماجن : فيزيّن لك فعله ويحبّ أن تكون مثله، ولا يعينك على أمر دينك ومعادك ومقارنته جفاء وقسوة، ومدخله ومخرجه عليك عار، وأمّا الأحمق : فإنه لا يشير عليك بخير، ولا يرجئ لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه، وربما أراد منفعتك فضرك، فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه، وأمّا الكذاب فإنه لا يهنئك معه عيش ينقد حديثك وينقل إليك الحديث

كلّما أفنى أحدوثه، مطّها بأخرى، حتّى يحدّث بالصدق فما يصدّق، ويغري بين الناس بالعداوة، فنبت السخائم في الصدور، فأتقوا الله وانظروا لأنفسكم». وأما الحقوق الأوّلية في عالم الصدّاقه حيث يجب على كلّ مسلم أن يلتزم بها ويراعيها ولا يضيّعها.

إليك جملة منها: مداراة الصديق. فقد جاء في الحديث الشريف: «مداراة الإخوان من العقل»، وقال رسول الله ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله عزّ وجلّ التحبّب إلى الناس»، وفي آخر: «لا يكون الصديق صديقاً حتّى يحفظ أخاه في ثلاث: في غيبته ونكبته ووفاته»، وقال رسول الله ﷺ: «للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة من الله تعالى: أن يجلّه في عينه، وأن يودّه في صدره، وأن يواسيه في ماله، وأن يحرم له في غيبته، وأن يعودّه في مرضه، وأن يشيّع جنازته، وأن لا يقول عنه بعد الموت إلّا خيراً».

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «من خالطت فإن استطعت أن تكون يدك العليا عليه فافعل».

ويقول الرسول الأكرم: «أجيبوا الداعي وعودوا المريض واقبلوا الهدية ولا تظلموا المسلمين».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «عودوا مرضاهم واشهدوا جنازتهم وصلّوا معهم في مساجدهم حتّى ينقطع النفس وحتّى يكون المباينة».

ويقول الإمام السجّاد في رسالة الحقوق: «وأما الصاحب فإن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سيلاً، وأن تكرمه كما يكرمك وتحفظه كما يحفظك ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة، فإن سبقك كافأته، ولا تقصر به عمّا يستحقّ من المؤدّة، تلزم نفسك نصيحته وحياطته ومعاضدته على طاعة ربّه،

ومعونته على نفسه فيما يهيم به من معصية ربّه، ثم تكون عليه رحمة ولا تكون عليه عذاباً، وجاء في الحديث الشريف: «إن كان أخوك عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسئل سخيّمته» أي تنزع من قلبه الحقد والضغينة. يقول رسول الله: «حسن البشر يذهب بالسخيمة»، وفي حديث شريف: «أحبب أخاك وأحبب له ما تحب لنفسك واکره له ما تكره لنفسك، وإذا احتجت فسله، وإذا سألك فاعطه، ولا تدخر عنه خيراً فإنّه لا يدخره عنك، وإن شهد فزره وأجله وأكرمه فإنّه منك وأنت منه»، ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «الصدّاقة محدودة فمن لم تكن فيه تلك الحدود فلا تنسبه إلى كمال الصدّاقة، أوها: أن تكون سريرته وعلانيته واحدة، والثانية: أن يرى زينك زينه وشينك شينه، والثالثة: أن لا يغيّره مال ولا ولد. والرابعة: أن لا يمسك شيئاً ممّا تصل إليه مقدرته. والخامسة: أن لا يسلمك عند النكبات».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقاً، لا براءة له منها إلا بأدائها أو العفو: يغفر زلّته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقبل عثرته، ويردّ غيبته، ويقبل معذرتّه، ويديم نصيحته، ويحفظ خلّته، ويرعى دعوته، ويشهد ميّنته، ويحجب دعوته، ويقبل هديّته، ويكافي صلته، وأن يشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويستنجح مسألته، ويسمّ عطسته، ويرشد ضالّته، ويردّ سلامه، ويطيّب كلامه، ويوالي وليّه، ولا يعاديه، وينصره ظالماً ومظلوماً، ولا يسلمه، ويحبّ له من الخير ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه»، ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «من حقّ المؤمن على أخيه المؤمن: أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويفرّج عن كربته، ويقضي دينه، فإذا مات خلفه في أهله وولده».

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «من اغتاب مؤمناً بأمر هو فيه لم يجمع الله بينها في الجنّة،

ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه انقطعت العصمة بينهما، وكان المغتاب في النار خالداً فيها وبئس المصير»، وعن سليمان بن جابر قال: جئت إلى رسول الله فقلت له: علمني خيراً ينفعني الله به يوم القيامة، فقال رسول الله: «لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ولو أن تصبّ من دلوك في إناء المستسقي، وأن تلقي أخاك ببشر حسن، وإذا أدبر فلا تغتابه»، ويقول رسول الله: «كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة»، «الغيبة أشدّ من الزنا، فقيل: وكيف يا رسول الله؟ فقال: لأنّ الرجل يزني ثمّ يتوب فيتوب الله عليه، وإنّ صاحب الغيبة لا يغفر له حتّى يغفر له صاحبه»، وجاء في الحديث النبويّ الشريف: «ما عمّر مجلس بالغيبة إلاّ وخرب»، وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ .

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «لا تضيعنّ حقّ أخيك اتكالا على ما بينك وبينه، فإنّه ليس لك بأخ من ضيقت حقه، ولا يكن أهلك أشقّ الناس بك، إقبل عذر أخيك، وإن لم يكن له عذر فالتمس له عذراً، لا يكلف أحدكم أخاه الطلب إذا عرف حاجته، لا ترغبنّ فيمن زهد فيك، ولا تزهدنّ فيمن رغب فيك، إذا كان للمحافظة موضعاً، لا تكثرنّ العتاب، فإنّه يورث الضغنة ويجرّ إلى البغضة، وكثرته من سوء الأدب»، وعلينا أن ننصح إخواننا بكلّ إخلاص، فإنّه قال الأمير عليه السلام: «النصح يثمر المحبّة»، «النصيحة من أخلاق الكرام».

ثمّ لا يخفى أنّ لكلّ حقّ من الحقوق التي مرّت علينا شواهد كثيرة من الآيات

والروايات ذكرها يخرجنا عن إطار العجالة والخلاصة المقصودة في هذه الرسالة .
 ففي حسن نصرة أخيك المؤمن، يقول الرسول الأكرم ﷺ : « من ردّ
 عن عرض أخيه المؤمن وجبت له الجنة »، ويقول الإمام الصادق عليه السلام : « ما من
 امرئ يخذل أخاه المؤمن وهو يقدر على نصرته إلاّ خذله الله »، وجاء في الحديث
 الشريف : « إن نصرت أخاك كان أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد
 الحرام »، ويقول الأمير عليه السلام : « شرّ الإخوان الخاذل »، ويقول الرسول الأكرم :
 « من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة »، ويقول الأمير عليه السلام :
 « في الشدة تتبين مودة الصديق »، وفي الحديث الشريف : « من قضى لأخيه المؤمن
 حاجة قضى الله له حوائج كثيرة إحداها الجنة، ومن كسى أخاه المؤمن من عري
 كساه الله من سندس الجنة واستبرقها وحريرها ولم يزل يخوض في رضوان الله
 ما دام على المكسو من ستره، ومن سقى أخاه من ظمأ سقاه الله من رحيق مختوم،
 ومن أخدم أخاه خادمه أخدمه الله من الولدان المخلّدين، وأسكنه مع أوليائه
 الطاهرين، ومن حمل أخاه المؤمن على رحلة في الطريق حمله الله على نوق الجنة » .
 هذا كله بشرط النيّة الخالصة لله سبحانه : « ومن زوج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها
 وتشدّ عضده ويستريح إليها زوجة الله من الحور العين، ومن أعان أخاه على سلطان
 جائر أعانه الله على جواز الصراط عند مزلة الأقدام »، ويقول الرسول الأعظم :
 « المؤمنون إخوة يقضي بعضهم حوائج بعض وأقضي حوائجهم يوم القيامة »،
 وقال الإمام الكاظم عليه السلام : « إعلم أنّ الله تحت عرشه ظلالاً سكينية، لا يظلل فيها
 إلاّ من أسدى إلى أخيه معروفاً، أو نفّس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سروراً »،
 ويقول الإمام الحسين عليه السلام : « إنّ حوائج الناس من نعم الله عليكم فلا تملّوا النعم »،
 ثمّ هذه الحدود والحقوق لا تنحصر على الصديق بل تعمّ صديق الصديق،

فإنّ الأصدّقاء ثلاثة كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «صديقك وصدّيقك وصدّيقك وصدّيقك»، ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يخذله ولا يغشّه ولا يفتابه ولا يخونه ولا يكذبه»، ويقول الأمير عليه السلام: «كفى بك أدباً أن تكره لنفسك ما كرهته لغيرك»، وأنّ تحبّ لغيرك ما تحبّه لنفسك، فيا صاحبي الكريم، ويا أخي العزيز: بالله عليك، هل أدّيت حقوق الصداقة مع إخوانك وأصدّقائك؟

ولا تنتظر من صديقك أن يحمل هذه الصفات، بل كن أنت الذي تحمل هذه الصفات له؛ فكن له كما تريد أن يكون لك، فإنّ من يزرع الجميل يحصد جميلاً، كمن يزرع الحنطة فإنّه يحصد الحنطة. والدنيا دار مكافاة، وكما تعطي تأخذ، وكما تتعامل مع الناس يتعاملون معك، فلنبدأ بأنفسنا أولاً، ثمّ نسأل الله سبحانه التوفيق والتسديد، وأن يجعلنا للمتّقين إماماً.

الفصل الثاني

كيفية كسب الأصدقاء ومودّتهم

كلام أهل بيت رسول الله ﷺ نورٌ يُضاء به درب السالكين والعارفين، وأمرهم رشد، ووصيتهم التقوى، وفعلهم الخير، وعاداتهم الإحسان، وسجيتهم الكرم، وشأنهم الحقّ والصدق والرفق، وقولهم حُكم وحتم، ورأيهم علم وحلم وحزم، فهم عدل القرآن الكريم لن يفترقا في كلّ شيء إلى يوم القيامة، ففي بيوتهم نزل الكتاب، وهم أدري بما في البيت، وبحقيقة الإنسان، وما يصلحه وما يشينه، ولم يتركوا شيئاً، فما من صغيرة وكبيرة إلا في كتاب وإمام مبين.

وقد مرّ علينا بعض أحاديثهم الشريفة وأخبارهم المقدّسة، حول أهمّ معالم الصداقة والأصدقاء، وحقوقهم وحدودهم، وضرورة الأخوة في حياة الإنسان، وفي هذا القسم نتعرّض إلى كيفية كسب الأصدقاء ومودّتهم، فإنّ كسب الأصدقاء فنّ لا يحسنه كلّ واحد، فلا بدّ من استذواقه والتشوّق إليه أولاً، ثمّ التمرين المتداوم عليه، حتّى تكون ملكة في نفس الإنسان.

فأول ما يكسب الصديق هو الاحترام، فلا يحقّ لشخص أن يحقّر الناس. فأمر المؤمنين عليّ عليه السلام يقول: «الناس: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»، وفي الحديث الشريف: «لا تحقروا المؤمنين فإنّ صغيرهم عند الله

كبير»، فاحترام الجميع هو الخطوة الأولى لكسب الأصدقاء، ثمّ لا تعظّم نفسك وتضخّم شخصيّتك أمامهم، بل كما جاء في الحكمة: (كن أحكم الناس إذا استطعت، ولكن لا تقل للناس ذلك)، ثمّ لا تبخس الناس أشياءهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)، فلا بدّ من تكريم الصديق وتقديره والتواضع له وإعطاء حقّه، واحبب لأخيك ما تحبّه لنفسك، واکره له ما تكره لنفسك، فإنّ هذا أدنى مراحل الصداقة، وإلاّ فإنّ الصديق الوفيّ يضحّي بنفسه وأهله وماله، من أجل حفظ مودّة الصديق وحرمة صداقته، و (كما تدين تدان). وفي الحديث الشريف: «ضع يدك على رأس من شئت، وأحبب له ما تحبّ لنفسك»، وامدح محاسن صديقك، وافتح لسان الثناء على الطافه، واشكر خدماته أمام الآخرين. يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في رسالته إلى مالك الأشتر لما كان والياً على مصر: «وأخصّ أهل النجدة في أمّهم إلى منتهى غاية آمالك من النصيحة بالبذل وحسن الثناء عليهم، ولطيف التعهّد لهم رجلاً رجلاً، وما أبلي في كلّ مشهد، فإنّ كثرة الذكر لحسن فعالهم تهزّ الشجاع وتحزّض الناكل». ويقول الإمام الحسن عليه السلام في وصف الأخ: «وإن رأيت منك حسنة عدّها». ويقول الإمام السجّاد عليه السلام: «إياك أن تعجب من نفسك، وإياك أن تتكلّم بما يسبق القلوب إنكاره، إنّ عليك أن تجعل المسلمين بمنزلة أهل بيتك، فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك، وتجعل تربة بمنزلة أخيك، فأبّي هؤلاء تظلم؟». فلا أحد يظلم أباه وابنه وأخاه ولا من يحبّه.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام : « لا يلقى المؤمن أحداً إلّا قال : هو خيرٌ مني وأتقى ، فإذا التقى الذي هو خيرٌ منه تواضع له ليلحق به ، وإذا لقي الذي هو شرٌّ منه وأدنى قال : لعلّ شرّ هذا ظاهر وخيره باطن ، فإذا فعل ذلك علا وساد أهل زمانه .»
وفي الحديث الشريف : « من غشّ أخاه وحقره بناواه جعل الله النار مأواه ،»
وفي آخر : « إنّ الذي يستخفّ بدينه هو ذلك الذي يحقرّ إخوانه .»

وكان النبيّ الأكرم يبسط رداءه لمن صاحبه ، وإذا صافحه أحد لا يسحب يده منه ، إلّا إذا سحب الآخر يده ، ولم يلتفت إلى من يكلمه بوجهه قطّ ، بل بكلّ مقادير بدنه ، وإذا أشار إلى شخص أشار بكلّ كفّه لا بإصبعه ، وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته ، وكان يقسم لحظاته ونظراته بين الناس بالسوية ، وكان لا يدع أحد يمشي معه إذا كان راكباً حتّى يحمله معه ، وإذا لقي أحد من أصحابه قام معه ، ولا ينصرف عنه حتّى ينصرف الرجل منه ، وقد أتى إليه بشيء من قبل أصحاب الصفة - وهم مجموعة كانوا فقراء لا يملكون شيئاً يبيتون في المسجد ، وكان إذا حصل رسول الله على شيء قسمه بينهم بالتساوي - فقسّمه عليهم ولم يسعهم جميعاً فخصّ أناساً منهم ، فخاف أن يكون دخل قلوب الآخرين شيء فخرج إليهم قائلاً : « المعذرة إلى الله عزّ وجلّ وإليكم يا أهل الصفة ، إنّا أوتينا بشيء فأردنا أن نقسمه بينكم فلم يسعكم فأعطيناه أناساً منكم خشينا جزعهم وهلعهم ،»
وهذا بين لهم أنّ عدم عطايتهم لم يكن بسبب نقص فيهم بل لأنهم لا يجزعون ، وهكذا كان الرسول الأكرم يتعامل مع الناس ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة ، فنحترم الآخرين لا سيّما الأصدقاء ، ونقدّر مشاعرهم وأحاسيسهم ، نمدح فضائلهم ومحاسنهم ، ونشكر خدماتهم ، ففي الحديث الشريف : « من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق ،» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يؤتى بعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله

عزّ وجلّ فيؤمر به إلى النار، فيقول: أي ربّ، أمرت بي إلى النار وقد قرأت القرآن؟ فيقول الله عزّ وجلّ: أي عبدي، إنّي أنعمت عليك ولم تشكر نعمتي، فيقول العبد: أي ربّ، أنعمت عليّ بكذا فشكرتك بكذا وأنعمت عليّ بكذا فشكرتك بكذا، فلا يزال يحصي النعم ويعدّد الشكر، فيقول الله تعالى: صدقت عبدي، إلا أنّك لم تشكر من اجريت لك نعمتي على يديه، وإنّي آليت على نفسي أن لا أقبل شكر عبد لنعمة أنعمتها عليه حتّى يشكر من ساقها من خلقي إليه». ويقول أمير المؤمنين لمالك الأشتر لما ولّاه مصر: «ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء»، فمن لم يشكر الآخرين فإنّه يدلّ على جهله وأنانيته وحبّه لذاته، وكلّ واحد يحبّ أن يذكر ويشار إليه، فإنّ ذلك من غرائز الإنسان، فلماذا لا ننشر الفضيلة ونذكرها مادحين أصحابها والمتحلّين بها؟! ومن يقدر جهود الآخرين يملك قلوبهم، ويقول رسول الله: «خير إخوانك من ذكر إحسانك إليك»، إلا أنّه بلا إفراط ولا تفريط، بل كلّ على حسب ما عنده، وبمقدار ما يستحقّ، فإنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يقول: «الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عي وحسد»، فالمطلوب هو التقدير، لا التملّق وحلاوة اللسان بنفاق، ومن قصّر، فإنّ ذلك إمّا من عجزه وعيّه أو من حسده، وعلينا أن نشجّع الآخرين على العمل بالتشويق والمدح المعقول والثناء المدوح، فكثير من العطاء والعباقرة إمّا تسلّقوا سلّم التكامل والشهرة من مدح مادح، وثناء مثني، في بداية حياتهم الاجتماعيّة. فالتشجيع المناسب ينمي المواهب، فالاحترام وتقدير عواطف الأصدقاء من الكلمة الطيّبة، وقال الله سبحانه: ﴿مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(١)، وأمير المؤمنين

علي عليه السلام يمدح أصحابه قائلاً: «أنتم الأنصار على الحقّ، والإخوان في الدين، والجن (الوقاية) يوم البأس، والبطانة دون الناس، بكم أضرب المدير، وأرجو طاعة المقبل، فأعينوني بمناضحة خالية من الغشّ، سليمة من الريب، فوالله إنّي لأولى الناس بالناس»، فعلينا أن نخلص في مدح الإخوان، وإلاّ فقد قال الإمام العسكري عليه السلام: «بسّ العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يُطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إذا أُعطي حسده، وإذا ابتلي خذله».

ثمّ علينا أن نتعلّم فنّ الإصغاء لكلام الآخرين، فإنّه من العوامل المهمّة لكسب الأصدقاء، فكثير ممّا يملك فنّ الخطابة، ويفقد فنّ الإصغاء والاستماع للآخرين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من تحدّث في كلام أخيه فكأنما شرح وجهه»، وفي آخر: «من المروءة أن ينصت الأخ لأخيه إذا حدّثه، وحسن المباشرة أن يقف الأخ لأخيه إذا انقطع شسع نعله»، وبمثل هذه الأخلاق الطيّبة تشتدّ أو اصر الصدّاقة، وقد مدح الله أناساً ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(١). وأمّرنا أن نستمع للقرآن: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢). فكثير من أولئك الناجحين في حياتهم الاجتماعية كان بسبب حسن الإصغاء لحديث الآخرين، وفي بعض المواقف أفضل سلاح لمن يشتكم أن تنصت إليه، ثمّ تغضّ عنه، كما قال الله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، ويقول الشاعر:

لو كلّ كلبٍ عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخر مثقالاً بدينارٍ
وأكثر الناس يذهبون إلى الطيب لا ليفحصهم، وإنما ليستمع إليهم، ومن

(١) الزمر: ١٨.

(٢) الأعراف: ٢٠٤.

يتكلّم عن نفسه دوماً فإنّه يصغر في أعين الناس، ففنّ الإصغاء هو نصف المحادثة والحوار، ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «مما يستدلّ به على إصابة الرأي حسن اللقاء وحسن الاستماع»، وقال عليه السلام: «من أخلاق الجاهل الإجابة قبل أن يسمع، والمعارضة قبل أن يفهم، والحكم بما لا يعلم»، «وإذا كان الكلام من فضّة، فإنّ السكوت من ذهب». ويقول الإمام الكاظم عليه السلام: «لكلّ شيء دليل، ودليل العاقل التفكّر، ودليل التفكّر الصمت»، ثمّ الإصغاء مهارة عقلية يمكن تنميتها بالتدريب العملي، وإذا كنّا من أولئك الذين لا يحسنون الإصغاء فسرعان ما ينفذ صبرنا، ومن ثمّ تضعيف الفكرة والموضوع المستهدف من الكلام والخطاب، فنخسر الصفقة في عالم الصدّاقة والألفة والعمل.

ومن أهمّ العوامل الناجحة في كسب الأصدقاء: ترك مجادلتهم في النقاش، فإنّ الجدال جذوره من حبّ الذات والأنانيّة المقنونة والشيطنانية، وعلينا أن يكون النقاش في جوّ هادئٍ معطرّ بالمحبّة والصفاء والوصول إلى الصواب والحقّ، لا فرض الرأي وإن كان مخطئاً على الآخرين، فإنّ الله أدّب نبيّه أن يجادل الكفّار ولكن ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (١)، واحسم الجدال بتركه في الحديث النبويّ الشريف: «لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتّى يترك المراء وإن كان محقّاً»، وفي آخر: «من ترك المراء وهو محقّ يبني له بيت في أعلى الجنّة، ومن ترك المراء وهو مبطل يبني له بيت في ربض الجنّة»، ويقول الإمام الحسن عليه السلام: «لا تمارينّ حليماً ولا سفيهاً، فإنّ الحليم يقينك، والسفيه يؤذيك»، فالحليم يترك من كان مجادلاً، والسفيه يحاول أن ينتقم.

وفي الحديث الشريف: «إيّاكم والخصومة فإنّها تشغل القلب وتورث النفاق وتكسب الضغائن». وقال الأمير عليه السلام: «إيّاكم والمراء والخصومة، فإنّهما يمرضان القلوب على الإخوان وينبت عليهما النفاق»، «إيّاك والمراء، فإنّك تغري بنفسك السفهاء»، «لا تماري فيذهب بهاؤك». وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن أردت أن يصفو لك ودّ أخيك فلا تمازحته ولا تماريته ولا تباهيته ولا تشادته». ويقول الإمام الهادي عليه السلام: «المراء يفسد الصداقة القديمة ويحلّل العقدة الوثيقة، وأقلّ ما فيه أن تكون فيه المغالبة، والمغالبة أسّ أسباب القطيعة». والجدال السليم ما كان المقصود منه الحقّ، وبلا إهانة الطرف الآخر، ولا بذاتة في الحوار، وإثبات ما تؤمن بصحّته من دون تمزيق آراء الآخرين، فإنّ من أثبت أنّ لبنة حلوا، فإنّه يغنيه عن أن يثبت أن لبن الآخرين حامض، فإنّ من يذوق لبنة يجذب إليه لا محالة بالفطرة والطبيعة.

ومن أجل كسب الأصدقاء علينا أن نترك اللوم والعتاب فيما يمكن الإغماض عنه، فإنّ من كان عسلاً في أخلاقه يستذوقه الجميع، وأمّا من كان حنظلًا ومرّاً في سلوكيّاته وحالاته، فمن الصعب أن يلتفتّ حوله الناس، بل نكون مع الصديق كالمرأة^(١)، فإنّها كما تحكي حسن المشاهد فيها كذلك تذكر عيون المتطلّع إليها إلا أنّها لا تصغر المعيب حتّى لا يبالي بإزالته ويصاب بعقدة اللامبالاة، ولا تكبره وتضخّمه حتّى ييأس من إصلاحه ويصاب بعقدة الحقارة، بل بنفس الحجم

(١) لقد ورد في الخبر النبويّ الشريف: «المؤمن مرآة المؤمن»، وقد ذكرت ٥٥ معنى لهذا الحديث الشريف، وطبع في مجلّة (نور الإسلام) البيروتية ومجلّة (الكوثر) المطبوعة بقم، العدد الثاني، فراجع.

والمقدار، يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «عاتب أخاك بالإحسان إليه وارتبط شرّه بالإنعام عليه»، وفي آخر: «احتمل أخاك على ما فيه، ولا تكثر العتاب فإنّه يورث الضغينة»، و«من عاتب أخاه على كلّ ذنب كثر عدوّه»، ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «العتاب مفتاح التقالي» أي التباغض والتشاحن، بل علينا أن نقبل عذر الصديق، علينا أن نلتمس له عذراً إن لم يكن له ما يبرّر خطأه. ففي الحديث الشريف: «اقبل عذر أخيك وإن لم يكن له عذر فالتمس له عذراً»، وفي آخر: «لا يعتذر إليك أحد إلا قبلت عذره وإن علمت أنّه كاذب»، فأروع هذا المنطق الذي يشعّ منه المحبّة والصفاء والأخوة والتنازل من أجل خلق الأجواء المريحة التي يحسّ الإنسان فيها بالسعادة، ويقول الشاعر بشأن اللوم والعتاب:

إني لهجرني الصديق تجنباً	فأراه أنّ لهجره أسبابا
وأراه إن عاتبته أغرّيته	فأرى له ترك العتاب عتابا
وإذا ابتليت بجاهلٍ متحلّمٍ	يمجد المحال في الأمور صوابا
أوليته منّي السكوت وربما	كان السكوت على الجواب جوابا

فالصمت وترك العتاب أفضل طريقة للعتاب والردّ على الكلام المزيف في حقك، فكن في حياتك كالزهرة والوردة، يعطّ منها الطيب والروح ويشتاق إليها الجميع، وعلينا أن نعالج أخطاء الآخرين كما يعالج الطبيب مريضه بكلّ شفقة وحنان، وعلينا أن نبدأ بأنفسنا بإصلاح العيوب والأخطاء التي تصدر منّا، ففي الحديث الشريف: «كفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عن نفسه، وأن يعير الناس بما لا يستطيع تركه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه»، «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»، «من نظر عيب نفسه انشغل عن عيب غيره». ويقول الإمام السجّاد عليه السلام: «وإنك لعلّ يقين من ذنبك وفي شكّ من ذنوب

الفصل الثاني / كيفية كسب الأصدقاء ومودّتهم ٤١

غيرك». ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «معرفة المرء بعيوبه أنفع المعارف». وفي الحديث الشريف: «استتبع من نفسك ما تستتبعه من غيرك». وقال الأمير عليه السلام: «إذا تمّت همّتك لإخلاص الناس فابدأ بنفسك، فإنّ تعاطيك صلاح غيرك وأنت فاسد أكبر العيوب»، وحذاري أن تكون مصداقاً للآية الكريمة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ﴾^(١). وإذا كنت خاطئاً في شيء فلا بدّ من الاعتراف به، فإنّ الاعتراف بالخطأ فضيلة، وعلينا أن نكون في حياتنا إيجابيين، ننظر إلى ما حولنا من خلال رؤية سليمة ومنصفة، وتقيم العلاقات الاجتماعية مع الناس والأصدقاء على الطيب وحسن الظنّ، يقول الأمير عليه السلام: «أعقل الناس من كان بعيه بصيراً وعن عيوب غيره ضريراً»، وفي آخر: «تتبع العورات من أعظم السوءات». ويقول الرسول الأكرم: «من تتبّع عثرات أخيه تتبّع الله عثراته». وقال الإمام الباقر عليه السلام: «أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يواخي أخاه فيفحص عليه عثراته وزلّاته ليعنّفه بها يوماً ما»، بل علينا أن نحسن الظنّ مع إخوتنا وأصدقائنا، في الحديث الشريف: «إحمل فعل أخيك المؤمن على سبعين محملاً من الصحّة»، وفي آخر: «كذب سمعك وبصرك سبعين مرّة»، و«كذب سمعك وبصرك وصدّق أخاك»، أو تدري من يحبّ أن ينشر عيوب الآخرين؟ ففي الحديث الشريف: «ذوو العيوب يحبّون إشاعة معايب الناس ليشعّ القدر في معيبيهم». ويقول الأمير عليه السلام: «من تتبّع خفيات العيوب حرمه الله مودّات القلوب»، وفي الحديث الشريف: «ليكن أبغض الناس إليك وأبعدهم أطلبهم لمعايب الناس»، وكان موسى بن عمران نبيّ الله يشتكي إلى الله

(١) البقرة: ٢٠٦.

تعالى معاصي العباد، فأوحى الله إليه ذات مرّة: (أن يا موسى حبّب إليّ عبادي وحبّيني إليهم). وعلينا أن لا نجرح مشاعر وكبرياء الأصدقاء إذا ارتكبوا الخطأ، بل بكلّ حكمة وقول سديد، نذكره للإصلاح، فإذا رأينا الخطأ منه فن الأفضّل أن يقال له: وهناك رأي آخر، وربما أكون مخطئاً فيه، فحبذا أن نصحّ الإخطاء ونختبر الحقائق، وبهذا تكسب ودّ صديقك، وسرعان ما ينصاع إلى الحقّ، ويذعن إلى الحقيقة من دون أن تأخذه العزّة بالإثم، والقرآن الكريم يعلمنا إلى مثل هذا الحوار المنصف ويؤدّب رسوله الأكرم في حديثه مع الكفّار - فكيف مع الأصدقاء - في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١). ويقول الأمير عليّ^{عليه السلام}: «يا عبد الله، لا تعجل في عيب أحد بذنب فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغيرة معصية فلعلك معذب عليه»، «ليكشف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته عمّا ابتلي به». وعلينا أن نشكر ونحترم من يهدي إلينا عيوبنا، ففي الحديث الشريف: «أحبّ الإخوان إليّ من أهدى إليّ عيوبي»، وفي آخر: «ليكن أحبّ الناس إليك من هداك إلى مرشدك وكشف لك عن معائبك»، وفي آخر: «من كاشف في عيبك حفظك في غيبك»، «ومن داهنك في عيبك عابك في غيبك». ويقول رسول الله^{صلى الله عليه وآله}: «وإنما سُمّي الصديق صديقاً لأنّه يصدقك في نفسك ومعائبك، فن فعل ذلك فاستلم إليه، وإنما سُمّي العدوّ عدوّاً لأنّه يعود عليك ويتجاوزك، فن داهنك في معائبك فهو العدوّ العادي عليك»، وقال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾^(٢).

(١) سبأ: ٢٤.

(٢) الإسراء: ٥٣.

وهناك ما يفسد الصداقة، فعلى من أراد أن يكسب الأصدقاء، وتبقى العلاقة الحميمية معهم، أن يتجنّب ما تفسد عليه روح الأخوة وتهدّم أركان الصداقة، قال الإمام الكاظم عليه السلام: «لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك، وابق منها، فإنّ ذهابها ذهاب الحياء». وقال الأمير عليه السلام: «إذا احتشم الرجل أخاه فقد فارقه». وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن أردت أن يصفو لك ودّ أخيك فلا تمازحته ولا تماربته ولا تباهيته ولا تشارته». وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من أطاع الواشي ضيّع الصديق»، وفي آخر: «حسد الصديق من سقم المودّة». ومن وصاياه عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية: «إياك والعجب وسوء الخلق وقلة الصبر، فإنّه لا تستقيم لك على هذه الخصال الثلاث صاحب، ولا يزال لك عليها من الناس بجانب»، و«لا يغلبنّ عليك سوء الظنّ فإنّه لا يدع بينك وبين صديق صفحاً». وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الاستقصاء فرقة، الانتقاد عداوة»، وفي آخر: «لا يطمعنّ الحبّ في كثرة الصديق». وقال الأمير عليه السلام: «من استقصى على صديقه انقطعت مودّته»، وفي آخر: «من ناقش الإخوان قلّ صديقه». وقال الإمام العسكري عليه السلام: «من كان الورع سجيته، والكرم طبيعته، والحلم خلّته، كثر صديقه، والثناء عليه، وانتصر من أعدائه بحسن الثناء فيه». ومن الواضح تعرف الأشياء بأضدادها، فمن لم يكن ورعاً ولا كريماً ولا حليماً فإنّه يقلّ أصدقائه، وقال الأمير عليه السلام: «من لانت عريكته وجبت محبّته، من لان عوده كثفت أغصانه».

وأخيراً وليس بآخر: جاء في مواظب الإمام السجّاد علي بن الحسين عليه السلام للزهري، وقد رآه حزيناً ممّا رأى من جهة الحساد ومن أحسن إليه: «أما عليك

(١) مرّ هذا الحديث الشريف إجمالاً، فأعدناه للتفصيل والتركيز.

أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك، فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك، وتجعل تربك بمنزلة أخيك، فأبي هؤلاء تحب أن تظلم؟! وإن عرض لك إبليس لعنه الله، أن لك فضلاً على أحد من أهل القبلة، فانظر إن كان أكبر منك فقل قد سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإن كان أصغر منك فقل قد سبقته بالمعاصي والذنوب فهو خير مني، وإن كان تربك فقل: أنا على يقين من ذنبي وفي شك من أمره، فما أدع يقيني لشكّي، وإن رأيت المسلمين يعظّمونك ويوقّرونك ويبجلونك فقل: هذا فضل أخذوا به، وإن رأيت منهم جفاء وانقباضاً عنك، فقل هذا لذنوب أحدثته - ومعنى ذلك أنك دوماً تسيء الظنّ بنفسك وتحسن الظنّ بالآخرين - فإنك إن فعلت ذلك سهّل الله عليك عيشك، وكثر أصدقاؤك، وقلّ أعداؤك».

ولا يخفى أن أحاديث أهل البيت عليهم السلام ينابيع العلوم ومناهل الفضائل، فهم عدل القرآن الكريم، والثقل الثاني الذي خلفه رسول الله، ما إن تمسك الإنسان بهما لن يضلّ أبداً، وكما أن للقرآن وجوه وبطون ومناهل عذبة، يرتوي منه كلّ ظمآن، في أيّ علم من العلوم، وأدب من الآداب، وفنّ من الفنون، كذلك الأخبار الواردة عن الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار، الأئمة المعصومين الأبرار عليهم السلام، فيمكن للقارئ النبيل أن يستخرج من حديث شريف عشرات اللالي والجواهر، ويستضيء بنوره، ويشعل مئات المشاعل الوهاجة، لتتير دروب البشرية، وتسوق الناس إلى شاطئ السعادة الأبدية، فارجع البصر كرهة أخرى لتتقف على الحقيقة، ودمت موقفاً ومسدداً.

الفصل الثالث

أفضل صاحب وأكمل صديق

أليس الإنسان العاقل يبحث دائماً في كل شيء عما هو الأجود والأحسن والأضل والأرقى؟

فهذه مسألة فطرية يقرّ ويعترف بها كل واحد من ذوي الألباب والنهي، وفي عالم الصحبة والصدّاقة، لا بدّ أن نبحت أيضاً عن أفضل صاحب، وأكمل صديق، وخير الإخوان.

ف قيل للنبي الأكرم محمد ﷺ: أيّ الأصحاب أفضل؟ قال: إذا ذكرت أعانك، وإذا نسيت ذكرك.

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «المعين على الطاعة خير الأصحاب». وفي الحديث النبوي الشريف: «خير الأصحاب من قلّ شقاقه وكثر وفاقه». و«إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه». وقال الأمير عليه السلام في غرر حكمه: خير الإخوان: أقلّهم مصانعة في النصيحة، من عنّفك في طاعة الله سبحانه، من واسبك، وخير منه من كفّك، من إذا احتجت إليه كفّك، وإذا احتاج إليك أعفك، من واسبك بخيره، وخير منه من أغناك عن غيره، من كانت في الله مودّته، ومن لم تكن على الدنيا أخوتته، من إذا فقدته

لم تحبّ البقاء بعده، من سارع إلى الخير وجذبك إليه وأمرك بالبرّ وأعانك عليه، من دعاك إلى صدق المقال بصدق مقاله، وندبك إلى أفضل الأعمال بحسن أعماله، من أعانك على طاعة الله وصدّك عن معاصيه وأمرك برضاه، من ذلك على هدىً وأكسبك تقىً وصدّك عن اتّباع الهوى، المساعد على أعمال الآخرة، من أعان على المكارم، من لم يكن على أخوته مستقصياً، من كثّر إغضابه لك في الحقّ، من لا يحوج إخوانه إلى سواه، من أهدى إليكم عيوبكم.

وما أروع ما يقوله الإمام الحسن عليه السلام في وصف الأخ، فقال عليه السلام:
 أيّها الناس، إنّما أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، كان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخفّ له عقله ولا رأيه، كان خارجاً من سلطان الجهالة، فلا يمدّ يده إلا على ثقة لمنفعة، كان لا يتشهى ولا يتسخط ولا يتبرّم، كان أكثر دهره صمّاتاً، فإذا قال بذّ القائلين، كان لا يدخل في مراء ولا يشارك في دعوى، ولا يدلي بحجّة حتّى يرى قاضياً، وكان لا يغفل عن إخوانه، ولا يخصّ نفسه بشيء دونهم، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجدّ، كان ليثاً عادياً. كان لا يلوم أحداً فيما يقع العذر في مثله، حتّى يرى اعتذاراً، كان يفعل ما يقول ويفعل ما لا يقول، كان إذا ابتزّه أمران لا يدري أيهما أفضل، نظر إلى الهوى فخالفه، وكان لا يشكو وجعاً إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير إلا من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبرّم، ولا يتسخط، ولا يتشكّى، ولا يتشهى، ولا ينتقم، ولا يغفل عن العدو، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة إن أطقتموها، فإن لم تطيقوها كلّها، فأخذ القليل خيرٌ من ترك الكثير».

وهذا يعني أنه نحاول في كسب الفضائل والمكارم أولاً، كما نبحت مهما أمكن عن الأخ والصديق الذي تجتمع فيه هذه الصفات أو بعضها، وإلا فإن الأصدقاء طبقات كما قاله الإمام الصادق عليه السلام: «إن الذين تراهم لك أصدقاء إذا بلوتهم وجدتهم على طبقات شتى، فمنهم كالأسد في عظم الأكل وشدة الصولة، ومنهم كالذئب في المضرة، ومنهم كالكلب في البصبة، ومنهم كالثعلب في الروغان والسرقة، صورهم مختلفة والحرفة واحدة، ما تصنع غداً إذا تركت فرداً وحيداً، لا أهل لك ولا ولد، إلا الله رب العالمين».

ويقول عليه السلام: «إذا كان الزمان زمان جور، وأهله أهل غدر، فالطمأنينة إلى كل أحد عجز»، وفي حديث: «الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار عجز»، و«لا تتق بالصديق قبل الخبرة».

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «تجنب عدوك واحذر صديقك من الأقوام، إلا الأمين من خشي الله».

ويقول الأمير عليه السلام: «إبذل لصديقك كل مودة، ولا تبذل له كل الطمأنينة، وأعطه من نفسك كل المواساة، ولا تفضي إليه بكل أسرارك». وقال عليه السلام: «لا يعرف الناس إلا بالاختبار، فاختر أهلك وولدك في غيبتك، وصديقك في مصيبتك، وذا القرابة عند فراقك، وذا التودد والملق عند عطلتك، لتعلم بذلك منزلتك عندهم»، وقال عليه السلام: «قدم الاختيار وأجد الاستظهار في اختيار الإخوان، وإلا ألجأك الاضطرار إلى مقارنة الأشرار».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «اختبروا إخوانكم بمخلصتين، فإن كانتا فيهم وإلا فاعزب ثم اعزب: المحافظة على الصلوات في مواقيتها، والبر بالإخوان في العسر واليسر».

وقال الرسول الأكرم: «إذا رأيت من أخيك ثلاث خصال فارجه: الحياء والأمانة والصدق، وإذا لم ترها فلا ترجمه».

أجل علينا أن نبحت عن الأخ الكامل والصديق الوفي، ولكن لا يعني هذا العزلة عن الناس إذا لم نجدهم، فإن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «من لم يواخ إلا من لا عيب فيه قلّ صديقه»، و«لا تفتش الناس عن أديانهم فتبقى بلا صديق». ويقول الأمير عليه السلام: «من حاسب الإخوان على كلّ ذنب قلّ أصدقائه».

وقال الرسول الأكرم: «يأتي على الناس زمان إذا سمعت باسم الرجل خيراً من أن تلقاه، فإذا لقينته خيراً من أن تجربّه، ولو جرّبته أظهر لك أحوالاً».

فعلينا بالاختبار إذا أردنا من الصديق، أن يكون لنا أخ في الثقة، فإن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يقول: «أقلّ ما يكون في آخر الزمان أخ يوثق به أو درهم من حلال»، «يأتي على الناس زمان ليس فيه شيء أعزّ من أخ أنيس».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «إحذر أن تواخي من أرادك لطمع أو خوف أو ميل أو للأكل والشرب، واطلب مواخاة الأتقياء، وإن أفنيت عمرك في طلبهم». ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «بسّ الأخ أخ يردك غنياً، ويقطعك فقيراً».

ويقول الأمير عليه السلام: «ليس لك بأخ من احتجت إلى مداراته»، و«لا ترغبين فيمن زهد فيك، ولا تزهد فيمن رغب فيك»، و«لا خير في صحبة من لم ير لك مثل الذي يرى لنفسه»، و«لا تواخ من يستر مناقبك وينشر مثالبك».

ثمّ احفظ قديم الإخوان والأصدقاء، فقال الأمير عليه السلام: «إختر من كلّ شيء جديده، ومن الإخوان أقدمهم»، و«من كرم المرء بكائه على ما مضى من زمانه، وحينه إلى أوطانه، وحفظ قديم إخوانه».

ويقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «إن الله تعالى يحبّ المداومة على الإخاء القديم

فداوموا عليه».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ أَخَاكَ حَقًّا مَنْ غَفَرَ زَلَّتْكَ، وَسَدَّ خَلَّتْكَ، وَقَبَلَ عَذْرَكَ، وَسَتَرَ عَوْرَتَكَ، وَنَفَى وَجَلَكَ، وَحَقَّقَ أَمْلَكَ»، «أَخُوكَ الَّذِي لَا يَخْذَلُكَ عِنْدَ الشَّدَّةِ، وَلَا يَغْفُلُ عَنكَ عِنْدَ الْجَرِيرَةِ وَلَا يَخْذَعُكَ حِينَ تَسْأَلُهُ».

وخلاصة الكلام كما مرَّ أن الإخوان صنفان: إخوان الثقة وإخوان المكاشرة، فإذا كنت من صديقك وأخيك على ثقة، فابذل له مالك وبدنك، وصافٍ من صافاه وعادٍ من عاداه واكتم سرّه وعيبيه وأظهر منه الحسن.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ لَمْ تَكُنْ مُوَدَّةً فِي اللَّهِ فَاحْذَرِهِ، فَإِنَّ مُوَدَّةَ لَيْئِمَةٍ، وَصَحْبَتَهُ مَشْؤُومَةٌ»، و«كُلُّ مُوَدَّةٍ مَبْنِيَّةٌ عَلَى غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ ضَلَالٌ، وَالاعْتِمَادُ عَلَيْهَا مَحَالٌ»، و«مَنْ آخَى فِي اللَّهِ غَنَمٌ، وَمَنْ آخَى لِلدُّنْيَا حُرْمٌ»، و«عَلَى قَدْرِ التَّوَاخِي فِي اللَّهِ تَخْلُصُ الْمَحَبَّةُ»، و«إِخْوَانُ الدِّينِ أَبْقَى مُوَدَّةً، وَإِخْوَانُ الصَّدَقِ أَفْضَلُ عِدَّةً»، و«إِخْوَانُ فِي اللَّهِ تَدُومُ مُوَدَّتُهُمْ لِدَوَامِ سَبَبِهَا»، و«الْأَخُ الْمَكْتَسَبُ فِي اللَّهِ أَقْرَبُ الْأَقْرَبَاءِ، وَأَرْحَمُ مِنَ الْأُمَّهَاتِ وَالْآبَاءِ»، و«لِكُلِّ إِخَاءٍ مَنْقَطِعٌ، إِلَّا إِخَاءَ كَانَ عَلَى غَيْرِ الطَّمَعِ»، و«كُلُّ مُوَدَّةٍ عَقَدَهَا الطَّمَعُ حَلَّهَا الْيَأْسُ»، و«مُودَّةُ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا تَزُولُ لِأَدْنَى عَارِضٍ»، و«مَنْ وَدَّكَ لِأَمْرٍ وَلِيٌّ عِنْدَ انْقِضَائِهِ»، و«أَسْرَعُ الْمُوَدَّاتِ انْقِطَاعاً مُوَدَّاتُ الْأَشْرَارِ»، و«النَّاسُ إِخْوَانٌ، فَمَنْ كَانَتْ أَخْوَتَهُ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ فَهِيَ عِدَاوَةٌ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْأَخِيَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾».

وبهذا أيها القارئ الكريم تعرف لماذا تكون علاقة حميمة بين اثنين، أو يصادقك شخص أو تصادقه، ثم سرعان ما ينقلب الأمر وينعكس وتنقطع المودّة، بل في بعض الموارد - والعياذ بالله - يكون الصديق عدوًّا، وربما من الدّ أعدائك.

٥٠ معالم الصديق والصدقة

فالعمدة أن يكون الإخاء والصدقة في الله سبحانه، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «بالتواخي في الله تثمر الأخوة»، و«من فقد أخاً في الله فكأنما فقد أشرف أعضاءه».

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «من استفاد أخاً في الله على إيمان الله ووفاء بإخائه، طلباً لمرضاة الله، فقد استفاد شعاعاً من نور الله». ويقول الإمام الرضا عليه السلام: «من استفاد أخاً في الله عز وجل، استفاد بيتاً في الجنة».

وقال الرسول الأكرم: «النظر إلى الأخ تودّه في الله عز وجلّ عبادة». فعليتنا بإخوان الصدق، لله وفي الله، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «عليك بإخوان الصدق، فأكثر من اكتسابهم فإنهم عدّة عند الرخاء، وجنّة عند البلاء»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من لم يرغب في الاستكثار من الإخوان ابتلي بالخسران»، «المرء كثير بأخيه»، وقال الرسول الأكرم: «من جدّد أخاً في الإسلام بنى الله له برجاً في الجنة»، وقال الأمير عليه السلام: «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم»، وقال عليه السلام: «أخ تستفيده خير من أخ تستزيده»، ويقول النبي: «استكثروا من الإخوان، فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة».

وهذا يعني بكلّ وضوح، أنّه لا بدّ من كثرة الأصدقاء والإخوان، ولكن بشرطها وشروطها - كما وقفت على جملة منها من خلال الفصول التي مرّت، فراجع كرتة اخرى، فإنّ في كلام أهل البيت نور، وفي أمرهم رشد، ووصيتهم التقوى، وفعلهم الخير - وعلينا أن نودّ الإخوان بكلّ صفاء وإخلاص، فقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إذا لم تحبّ أخاك فلست أخاه»، و«لا يكوننّ أخوك أقوى منك على المودة»، «أحبب الإخوان على قدر التقوى».

وقال الرسول الأكرم ﷺ: «ألا وإنّ المؤمنين إذا تحابّوا في الله عزّ وجلّ وتصافوا في الله كانا كالجسد الواحد، إذا اشتكى أحدهما من جسده وجد الآخر ألم ذلك».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من حبّ الرجل دينه حبّه أخاه». وعلينا أن نراعي حقوق الأخوة، وأدب الإخاء وحدود الصداقة كما مرّ ذلك، ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا تضيعنّ حقّ أخيك اتكلاً على ما بينك وبينه، فإنّه ليس لك بأخ من أضعت حقّه».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «تحتاج الأخوة فيما بينهم إلى ثلاثة أشياء، فإن استعملوها وإلا تباينوا وتباغضوا، وهي: التناصف والتراحم ونفي الحسد».

ويقول الإمام الحسين عليه السلام: «احفظ عليك لسانك تملك به إخوانك». وقال الحارث الأعور لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا أمير المؤمنين أنا والله أحبّك، فقال له: يا حارث، أما إذا أحببتني فلا تخاصمني ولا تلاعبنى ولا تجاريني^(١) ولا تمازحني ولا تواضعني ولا ترافعني».

وقال الرسول الأكرم ﷺ: «إذا أخى أحدكم رجلاً، فليسأله عن اسمه، واسم أبيه، وقبيلته ومنزله، فإنّه من واجب الحقّ وصافي الإخاء، وإلا فهي مودة حمقاء»، وقال: «إلق أخاك بوجه منبسط»،

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يسيء محض إخوانه إلا من ولد علي»

(١) هي أن يجري الإنسان مع غيره في المناظرة ليظهر علمه إلى الناس رياءً وسمعة وترفعاً، وفي بعض النسخ «ولا تجاريني»، وفي ثالث: «ولا تجازيني»، وفي رابع: «ولا تجاريني».

غير فراش أبيه». كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأله عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده.

ولنا في رسول الله وأهل بيته الأطهار أسوة حسنة وقدوة صالحة. وعلينا أن نسعى في خدمة الصديق الوفي والأخ المؤمن، نعم، إذا رأيت أخاك يستخدمك فلا تخدمه، كما ورد في الحديث الشريف.

وأما فضيلة قضاء حاجة الإخوان فقال الإمام الصادق عليه السلام: «من قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له يوم القيامة مئة ألف حاجة». وقال عليه السلام: «إذا ضاق أحدكم فيعلم أخاه ولا يعين على نفسه»، وقال: «الله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه»، و«كفى بالمرء اعتماداً على أخيه أن ينزل به حاجته»، «أيما مؤمن أوصل إلى أخيه المؤمن معروفاً فقد أوصل إلى رسول الله ﷺ». وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره، بعد أن يقدر عليه، فقد قطع ولاية الله عز وجل»، وقال عليه السلام: «إن لله حسنة أدرها لثلاثة: إمام عادل، ومؤمن حكّم أخاه في ماله، ومن سعى لأخيه المؤمن في حاجته». وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «قضاء حقوق الإخوان أشرف أعمال المتقين». وقال الرسول الأكرم في إكرام الإخوان: «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلفظها بها ومجلس يكرمه به لم يزل في ظلّ الله عز وجلّ ممدوداً عليه بالرحمة ما كان في ذلك». وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه فإنما أكرم الله عز وجلّ»، «من قال لأخيه مرحباً كتب الله له مرحباً إلى يوم القيامة»، «لا يعظم حرمة المسلمين إلا من عظم الله حرمة على المسلمين، ومن كان أبلغ حرمة لله ورسوله كان أشدّ حرمة للمسلمين»، «من عظم دينه عظم إخوانه، ومن استخفّ بدينه استخفّ بإخوانه». وقال الرسول الأكرم: «ما في أمّتي

عبد أَلُفَّ أخاه في الله بشيء من لطف، إلاَّ أخدمه الله من خدم الجنة»، جعلنا الله وإيَّاكم من أهل الجنة، وذلك نهاية السعادة كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ (١).

وأخيراً وليس بآخر، قال الإمام الحسين عليه السلام: «أما حقَّ الصاحب فإنَّ تصحبه بالنفِضِ والإِنصاف، وتكرمه كما يكرمك، ولا تدعه يسبق إلى مكرمة، فإن سبق كافأته، وتودّه كما يودّك، وتزجره عمّا يهيمُّ به من معصية، وكن عليه رحمة، ولا تكن عليه عذاباً». وقال عليه السلام: «وحقَّ الخليط أن لا تغره ولا تغشه ولا تخدعه وتتقي الله تبارك وتعالى في أمره». وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تقطع صديقاً وإن كفر» ربما كفران النعمة والفضل الذي بدرته بها، فليكن ما فعلته الله سبحانه وتعالى، ولا تنتظر من صديقك الشكر والمكافأة، وإن كان جزاء الإحسان إحساناً، فمن وظيفته الدينية والأخلاقية والإنسانية أن يعوّض ما فعلته من الفضل والنعمة بالشكر والإحسان، لا بالكفر والخذلان، ولكن كن في ما قدّمته إليه مخلصاً لله سبحانه - لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً - فلا تقطع صديقاً وإن كفر في مقام العمل، ولم يجازي معروفك وإحسانك. وعن المفضل قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: من صحبتك؟ فقلت: رجل من إخواني. قال: فما فعل؟ فقلت: منذ دخلت المدينة لم أعرف مكانه. فقال لي: أما علمت أن من صحب مؤمناً أربعين خطوة، سأله الله عنه يوم القيامة؟

فماذا تقول يا صاحبي الكريم أيها القارئ الجليل؟ لعلك تقول ما ذكر في مثل هذه الأحاديث الشريفة، إنما نلمسها ونراها في مثل المدينة الفاضلة التي يدعو إليها

الفلاسفة، ولكن ليس كذلك، فإنّ ما جاء في الأخبار لم يكن من التكليف بما لا يطاق، بل صفات جميلة، لا بدّ لنا أن نتحلّى بها، ونبحث عن أصحابها للصدّاقة والمعاشرة، وليس ذلك بعزيز، فمن جدّ وجد، ومن طرق الباب ولجّ، ولجّ - أي دخل بعد كثرة الطروقة - فاطلب الأتقياء، فإنّهم أحقّ بالإخاء، وابحث عن سعادتك وعمّن فيه نجاتك في الدارين.

الفصل الرابع

أجواء الصداقة وأرضيتها

لقد وقفنا في الحلقات والفصول السابقة ولو إجمالاً، على ضرورة الصديق والصداقة في حياة الإنسان، وعرفنا أهمّ معالم الصداقة والأصدقاء، وحقوقهم، وحدود الأخوة وآدابها، وقدسيتها، وأبرز الفنون لكسب الأصدقاء، وفي هذا الفصل نبغي أن نعيش أجواء الصداقة، وأرضيتها ومصاديقها، ثمّ كيف نتعامل مع الناس، والصداقة إنّما تنمو في محيطها وأجوائها الخاصّة، لولاها لفسدت وماتت. فلا بدّ أولاً في عالم الأخوة والصداقة من الثقة المتبادلة، والاحترام المتقابل، كما مرّ ذلك، فإنّ سوء الظنّ بين الصديقين يوجب العدا والنكد والفرقة والتشاحن، والثقة إنّما تكون بالشكل المتعارف، والحدّ المعتدل، بلا إفراط ولا تفريط، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾^(١). نعم ورد في الحديث الشريف: إذا صلح الزمان فأحسن الظنّ أولاً، وإذا فسد فإنّ «سوء الظنّ من حسن الفطن»، كما عن أمير المؤمنين. والجمع بين المعنيين: من ناحية يقال: (بعض الظنّ إثم) ومن ناحية أخرى يقال: (سوء الظنّ من حسن الظنّ)،

(١) الحجرات: ١٢.

هو: أن تتعامل مع الحذر والحزم من دون أن ترتّب أثراً عملياً على سوء الظنّ، وقد جاء في الحديث الشريف: «أحبّ حبيبك هوناً عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»، وهذا المعنى جربناه كثيراً، فما من واحد، إلا وله عشرات من الأمثلة والنماذج التي جرت عليه، أو على غيره من الأصدقاء، الذين كنت تودّهم وتبذل كلّ شيء من أجلهم، وإذا به بمرور الزمان لأمر تافهة، ينقلب عليك ويكون عدوك، والسعيد من اتّعظ بغيره. فبعد اختبار صديقك، واختياره عن علم، عليك أن تترك سوء الظنّ معه، فقد جاء في الحديث الشريف: «احمل فعل أخيك على سبعين حمل»، و«ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما تقبله منه»، «ولا تظنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملاً»، والشيطان هو الذي يزرع بذرة سوء الظنّ في قلب الإنسان: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾^(١)، وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾^(٢)، ويقول الإمام السجّاد عليه السلام: «المؤمن أخ المؤمن لا يشتمه ولا يجرمه ولا يسيء الظنّ به»، وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا يفسدك الظنّ على صديق أصلحه اليقين»، وقال عليه السلام: «من عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق، فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرجال، أما إنّه قد يرمي الرامي وتخفي السهام ويحيل الكلام»، وفي آخر: «من أطاع الواشي ضيّع الصديق»، فالأصل في الصداقة والأصدقاء، هو الثقة المتبادلة، وحسن الظنّ، ولا تسمعنّ فيهم

(١) المائدة : ٩.

(٢) الحجرات : ٦.

واشياً ولا تصغي عليهم لفاسق، وعلينا أن لا نعرض أنفسنا في مواضع التهمة،
 ففي الحديث الشريف: «من عرّض نفسه للتهمة فلا يلومنّ من أساء به الظنّ»،
 وفي آخر: «اتّقوا مواضع التهم».

ثمّ من أرضية الصداقة: التواضع ولين العريكة وخفض الجناح، والتواضع
 فنّ، كسائر الفنون التي تحتاج إلى التدريب والتمرين حتّى تكون ملكة للإنسان،
 ويعني التواضع: الذلّة واللّين من موضع القوّة للمؤمنين، كما في قوله تعالى:
 ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، لا التصاغر المصحوب بالشعور بالدناءة والاحتقار
 والخسّة والنقص، بل التواضع الممدوح يعني احترام الآخرين، فالمؤمن كما
 في وصف أمير المؤمنين عليه السلام: «سهل الخليفة لين العريكة لنفسه، أصلب من الصلد
 وهو أذلّ من العبد» فالمؤمن صلب ولكن مع ذلك هو ذليل للحقّ، وهذا هو جوهر
 التواضع وحقيقته، ومن تواضع لله رفعه الله، ولنأخذ درساً قيّماً من أئمة
 أهل البيت عليهم السلام في طريقة التواضع، فقد جاء في الأثر أنّ الإمام الكاظم عليه السلام مرّ
 برجلٍ من أهل السواد ذميم المنظر، وكان الإمام راكباً، فنزل من فرسه وجلس
 عنده، وحاوره في حديث طويل، ولمّا أراد الانصراف عليه السلام قال له بعض
 الحاضرين مستغرباً: يا ابن رسول الله، أتنزل إلى هذا المستوى رغم منزلتك
 وشرفك وعلمك؟ فقال عليه السلام: ولم لا؟ إنّه «عبد من عبيد الله، وأخ في كتاب الله،
 وجارّ في بلاد الله، يجمعنا وإيّاه خير الآباء آدم وأفضل الأديان الإسلام».
 وإنّ الإمام الرضا عليه السلام دعا إلى مائدة في خراسان فجمع عليها مواليه والعييد فقال
 له أحد المدعوّين: جعلت فداك، لو عزلت هؤلاء - يعني الموالى والعييد -

فقال عليه السلام: «مه يا هذا، إنّ الربّ تبارك وتعالى واحد، والأمّ واحدة، والأب واحد، والجزء بالأعمال». فالتواضع أن تبسط جناح الذلّ من الرحمة، وأن ترضى بالجلوس في أيّ مكان ينتهي بك المجلس.

عن عباد بن عبد الله الأسيدي قال: كنت جالساً يوم الجمعة وعلي عليه السلام يخطب عليّ منبر من آجر، وابن صوحان جالس، فجاء الأشعث فجعل يتخطى الناس وهو يريد الجلوس في الصفوف الأولى، فقال: يا أمير المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء عليّ وجهك، فغضب الإمام من كلامه فقال ابن صوحان: ليبيّن اليوم أمير المؤمنين من أمر العرب ما كان يخفي، فقال علي عليه السلام: «من يعذرنى من هؤلاء الضياطرة، يتقلّب أحدهم عليّ حشاياه، ويهجر قوم لذكر الله؟! فيأمرني أن أطردهم فأكون من الظالمين، الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد سمعت محمّداً صلى الله عليه وآله يقول: ليضربنكم والله على الدين عوداً، كما ضربتموهم عليه بدءاً»، ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «من التواضع أن يجلس الرجل دون شرفه»، وفي آخر: «أن تحمل حاجاتك بين يديك»، وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام حاكماً عليّ خمسين دولة، وكان يمشي في الأزقة، حاملاً متاعه عليّ كتفيه ويقول: «صاحب العيال أحقّ بحمله»، «لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما يحمله من شيء إلى عياله»، ومن التواضع «أن تقوم بما يقوم به الناس»، قال الرسول الأكرم: «من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برء من الكبر»، والمقصود من عقل البعير أن يقوم الناس بواجباته الشخصية بنفسه، فإنّ الرسول الأكرم كان يقول: «إنما أنا عبد أكل من الأرض وألبس الصوف وأعقل البعير وألحق أصابعي وأجيب دعوة المملوك، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»، ومن التواضع أن لا يتميّز الإنسان بين أصدقائه وأصحابه، فمن أخلاق النبيّ الذي مدح الله خلقه، أنّه كان في أصحابه كأحدهم،

حتى الداخل عليهم لا يميزه من بينهم «كُلُّكُمْ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من أراد أن ينظر إلى رجلٍ من أهل النار فليُنظر إلى رجلٍ جالس وبين يديه (أناس) قيام»، و«هلك من يخفق النعال خلفه»، و«من أخفق النعال خلفه فهو ضالٌّ ومضلٌّ»، ومن التواضع كما ورد عن أبي الحسن عليه السلام: «أن تعطي للناس ما تحبُّ أن تُعطى»، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فإنه صلى الله عليه وآله: «كان يعقل البعير، ويكنس البيت، ويجلب الشاة، ويصلح النعل، ويرقع الثوب بيديه، ويأكل مع خادمه، ويطحن عنه إذا تعب، ويشترى من السوق، ولا يمنعه الحياء أن يلحق أصابعه من الطعام بعده، وكان يصافح الغني والفقير والكبير والصغير والأسود والأبيض، ويبادر بالسلام، ولم يسبقه أحد، وإذا دعِيَ أجاب الدعوة ولو كانت من مملوك أو فقير، كان هين المؤونة لئن الخلق كريم الطبع جميل المعاشرة طلق الوجه دائم البشر، حازماً في لين، متواضعاً من غير صغار، حليماً من غير استسلام»، والله سبحانه كما قاله في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ ^(١) والتكبر مع المتكبرين عبادة، والكبرياء رداء الله، فمن نازع الله في رداءه، أكسبه الله على منخره في النار - كما ورد في الحديث الشريف - ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «ما من رجلٍ تكبرَّ أو تجبرَّ إلا لذتة وجدها في نفسه»، وفي آخر: «من حقرَّ الناس وتجرَّ عليهم فذلك الجبار»، ويقول عليه السلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»، ويقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «بس العبد عبد تجبرَّ واعتلى ونسي الجباء الأعلى... تبخرت واحتال ونسي الكبير المتعال، غفل وسهى ونسي المقابر البلى... وعنى وبغى ونسي المبدأ

والمنتهى»، ويحشر المتكبرون يوم القيامة بصور الذرّ، أذلاء حقراء تطوهم الناس لهوانهم على الله - كما في الخبر الشريف - ويقول الأمير عليه السلام: «كفى بالمرء غروراً أن يثق بكلّ ما تسوّّل له نفسه، وكفى بالمرء منقصة أن يعظم نفسه»، وفي آخر: «من تكبر على الناس ذلّ»، «شرّ آفات العقل الكبر»، «ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر، إلّا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك، قلّ أو كثر»، ويقول الأمير عليه السلام: «اعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهد، وقد كان عبد الله ستّة آلاف سنة لا يُدرى أمن سنّي الدنيا أم من سنّي الآخرة؟»

ومن كان أوّله نطفة ندرّة، وآخره جيفة قذرة، وما بينها يحمل العذرة، كيف يتكبر على الناس، فمن الحماقة والمجنون من أدرك هذه الحقيقة، وعرف الواقع ولا يزال يتكبر على الناس، فإنّه يروى أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله مرّ برجلٍ مصروع وقد اجتمع الناس حوله، فقال النبيّ: على ما اجتمع الناس؟ فقيل: على مجنون مصروع، فقال صلّى الله عليه وآله: «ما هذا مجنون، وإنما هذا المتبلى، ألا أخبركم بالمجنون حقّاً؟ قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: إنّ المجنون حقّاً المتبختر في مشيه، الناظر في عطفه، المحرّك جنبه بمنكبيه، الذي يرجو من الله رحمته وهو مقيم على معصيته، فذاك المجنون حقّاً»، فيا هذا هل للتكبر بعد هذا من مجال؟ وهل بعد الحقّ إلّا الضلال.

وأما كيفية التعامل مع الناس ولا سيّما الأصدقاء، فأفضل سلوك هو أن تحبّ لهم ما تحبّ لنفسك. قال رسول الله: «لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»، فالناس لهم مشاعر وأحاسيس وعواطف ورغبات كما لك ذلك، وكما تحبّ أن يتعامل معك من الإحسان والمعاشرة الطيبة والبذل والعطاء والتنازل وكلّ

شيء، فكذلك عليك أن تراعي الآخرين، والناس يحبون من يبجلهم ويعطيهم الثقة بقدرتهم وقواهم، وإذا كان صياد السمك، إنما يصطاد بما يحبه السمك من الديدان لا بما يحبه الصياد، فلماذا لا نستخدم هذه الطريقة في كسب الأصدقاء واصطيادهم، ولنتكلم عمّا يحبه الصديق لا عمّا نحبه، فهناك سرّ للنجاح، وهو القدرة على إدراك وجهة نظر الشخص الآخر، والنظر إلى الأشياء بالمنظار الذي ينظر به إليها، وإنما يرتاح الناس إلى من يعبر عن ضمائرهم وأحاسيسهم، وبهذا الأسلوب الرصين في القرآن الكريم يجذب الناس إلى الإيمان بقيم السماء ورسالات الأنبياء كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١)، فكلّ واحد يريد البركة من السماء والأرض ويحبّ ذلك، فالقرآن يدعو إلى الإيمان من خلال من يحبه، وقد جاء في الحديث القدسي عن الله سبحانه: «يا عبادي، إنّي لم أخلقكم لأربح عليكم بل لتربحوا عليّ»، والربح هنا في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٢)، وأمّا الآخرة فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣)، وأسلوب الأنبياء في هداية الناس أولاً بالتبشير وإذا لم ينفع فبالإنذار كما قال عزّ وجلّ: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأُنزِلَ مَعَهُمُ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ (٤)، ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «أحسن إلى من شئت

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) الطلاق: ٣.

(٣) آل عمران: ١٣٣.

(٤) البقرة: ٢١٣.

تكن أميره، وارغب إلى من شئت تكن أسيره، واستغنِ عمّن شئت تكن نظيره»، وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله : «كان فينا كأحدنا».

ويقول عليه السلام لولده الحسن عليه السلام : «يا بني، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحبّ أن تُظلم، وأحسن كما تحبّ أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك»، والإسلام لا يطالب بأن نحبّ للآخرين كما نحبّ لأنفسنا وحسب، بل يحثنا على أن نؤثر الآخرين على أنفسنا، وهذه من الروح السامية، ومن يضحي من أجل الآخرين، يكون بالطبع سيّدهم وعظيماً فيهم، كما خلد التاريخ كثير من العظماء من أجل تضحيّتهم لشعوبهم وجاهيرهم، والله سبحانه يقول : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ^(١)، أي حتى لو كان الشيء يخصّهم ومن حقّهم، ولكن مع ذلك يتنازلون للآخرين، ويؤثرونهم على أنفسهم، وهذه من آيات الرفعة وسموّ الروح وتعاليتها، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام : «ذللوا أخلاقكم بالمحاسن، وقودوها إلى المكارم، وعودوها الحلم، وصبروا على الإيثار أنفسكم»، وفي الحديث الشريف : «إنّ لله جنّة لا يدخلها إلّا ثلاثة : رجل حكم على نفسه بالحقّ، ورجل زار أخاه في الله، ورجل آثر أخاه المؤمن»، وأهل البيت هم القدوة في الإيثار، كما جاء قصّتهم في سورة الدهر : ﴿ وَيُطْعِمُونَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ ^(٢) فباتوا ثلاثة أيام جياع بعد أن صاموا نهارها - عليهم صلوات الله - .

(١) الحشر : ٩ .

(٢) الإنسان : ٨ .

ثم إنّما تدوم الصداقة وتنفذ في أعماق قلب الصديق بالأخلاق الحسنة وبدوافع الخير عند الناس، يقول رسول الله مخاطباً عشيرته: «يا بني عبد المطلب، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم». فعلينا أن نتعامل مع الآخرين بخلق رفيع فيشاطرك بذلك، فمن يخاطب الناس بكلام لطيف وسلوك جميل فكذلك، الناس يتعاملون معه، فإنّ الفطرة السليمة تستدعي ذلك، وحينما تبني لشخص في قلبك قصراً من زجاج شفاف، فإنّه لن يحاول أن يرميه بالحجر، ومن تقول له إنني أتوسّم فيك الخير، وأنت من أهل الإحسان والصلاح، فإنّه يعمل الخير، ويستجيب لطلباتك، ولا يردك خائباً، لأنك توّسّلت بدافع النبل والخير التي أودعها الله في وجوده ونفسه ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾^(١)، والقرآن الكريم إنّما يخاطب الناس على أنّهم عظماء مكرمون، ويثير فيهم الدوافع النبيلة من الرحمة والإنسانية والكرم والشجاعة والفطرة السليمة وإيمانهم بالخالق فيقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٣)، فمن قدّر عواطف الناس وخاطبهم بكلمات الأدب والعفة والعظمة فإنّهم يستجيبون لنداءاته برغبة ورحابة صدر، يقول الأمير عليه السلام: «قلوب الناس وحشية فمن تألفها أقبلت عليه»، ويقول الله سبحانه: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْعَيِّ ﴾^(٤)، فالرفق واللين والحنان والشفقة والعطف والاحترام تكسب لك الأصدقاء،

(١) الشمس : ١١ .

(٢) الإسراء : ٧٠ .

(٣) آل عمران : ١٣٩ .

(٤) البقرة : ٢٥٦ .

وتكون ناجحاً في عالم الصداقة: قال الله تعالى: ﴿ قُولُوا لِكُلِّ نَاسٍ حُسْنًا ﴾^(١)، ويقول عزّ وجلّ مخاطباً نبيّه الأكرم: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾^(٢). فلا بدّ من العطاء قبل الأخذ فإنّه كما قال الأمير عليّ^(عليه السلام): «من منع عن الناس يده منع عنهم يداً واحدة ومنعت عنه أيادي كثيرة»، وعلينا بالرفق والمسامحة فإنّ رسول الله يقول: «من حرم الرفق حرم الخير كلّ»، و«من استعمل الرفق لان له الشديد»، «الرفق مفتاح النجاح»، و«إن شئت أن تكرم فلين، وإن شئت أن تهان فاخشن»، «الرفق عنوان النبيل»، «ارفق توفّق»، «أكبر البرّ الرفق»، «أرفق بالأسباع من كرم الطباع»، «الرفق تيسير للصعاب»، و«إذا عاقبت فارفق»، «من لانت كلمته وجبت محبّته»، وقال رسول الله: «أَوْ أُخْبِرْكُمْ مِنْ تَحْرِمِ النَّارِ عَلَيْهِ غَدًا؟ تَحْرِمُ عَلَى كُلِّ لَيْنٍ»، و«من أعطى الخلق والرفق فقد أعطى الخير والراحة، وحسن حاله في دنياه وآخرته، ومن حرم خلق الرفق كان ذلك سبيلاً إلى كلّ شيء، وبلية إلاّ من عصمه الله تعالى»، ويقول أمير المؤمنين^(عليه السلام): «المؤمنون هينون لئنون»، ولكن «كن لئناً من غير ضعف، وشديداً من غير عنف».

ثمّ علينا في عالم الصداقة أن نقدّر وجهة نظر الآخرين، وإذا دخلنا معهم في نقاش لا يكون المقصود الغلبة والتفوّق والانتصار عليه، بل الهدف تحرّي الحقائق، ومعرفة الواقع، والتمسك بالحقّ، فنحاول في إثبات الحقيقة أن لا يتخذ الطرف المقابل موقفاً مضاداً منذ البداية، فإنّ كلمة (لا) عقبة كأداء يصعب التغلّب

(١) البقرة: ٨٣.

(٢) آل عمران: ٦٥٩.

عليها، فإن كلمة (لا) إنما هي مكوّنة من حرفين لا أكثر، ولكن إنما يكون خلفها كيان إنساني بأسره باتجاه الرفض، فلا بدّ أن تقتل الاختلاف في كونه الابتدائي ونظفته الأولى، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «مع الخلاف والاختلاف لا يكون ائتلاف»، «الخلاف يهذب الأبرار»، وفي آخر: «الأمر المنظّم يفسدها الخلاف»، ويقول الإمام الجواد عليه السلام: «من علامة المحبة كثرة الموافقة وقلّة المخالفة»، ويقول الإمام الحسن عليه السلام: «الشرف موافقة الإخوان وحفظ الجيران، حسب المرء من صداقته كثرة موافقته وقلّة مخالفته»، وعلينا أن نأخذ في ما كان الاختلاف ما هو القدر المشترك ونركّز عليه، حتّى يتغلّب على نقطة الاختلاف والشقاق، فإنّ كلّ ما فيه عنوان الاثنينية والكثرة والاختلاف، إنّما يتكوّن ممّا به الاشتراك وما به الامتياز، فإذا أخذنا ما به الاشتراك وتغلّبنا على ما به الامتياز، فإنّه يلزمه الوحدة والاتّحاد والموافقة وهذا من سبيل الوحدة. وأنّ فهم وجهة نظر الطرف الآخر يساعد الإنسان على النجاح في معاملة الآخرين، ومن الجهل معارضة الآخرين قبل دركهم وفهمهم، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من أخلاق الجاهل: الإجابة قبل أن يسمع، والمعارضة قبل أن يفهم، والحكم بما لا يعلم»، وما أروع ما لو قيل للصديق: قد أخالفك في الرأي، ولكنني مستعدّ للقتال دفاعاً عن وجهة نظرك الصائب، ومعاشر الأنبياء - كما ورد في الخبر - أمرهم الله أن يكلموا الناس على قدر عقولهم، ويقول رسول الله: «رأس العقل بعد الدين: التودّد إلى الناس والاستماع الخيّر إلى كلّ أحد برّ أو فاجر». وقال الله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(١)، وعلينا أن لا نجرح صديقنا أمام الآخرين، بل لو كنّا

في مقام الوعظ والإرشاد والنصيحة، فينبغي أن نخلو به ونسرّه بذلك، قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «النصح بين الملأ تقرّيع»، وقال عليه السلام: «من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه»، وفي آخر: «تلويح زلّة العاقل له أمضى عقاب»، وفي آخر: «العبد يقرع بالعصى، والحمرّ تكفيه الإشارة»، و«عقوبة العقلاء التلويح لا التصريح»، «من اكتفى بالتلويح استغنى عن التقرّيع»، ويقول الإمام الرضا عليه السلام: «إذا لوّحت فقد أوجعته عتاباً».

فلا تقرّع صديقك أمام الآخرين، وإذا أردت أن تذكره في السرّ فلوّح له واكتفى بالإشارة، إلّا إذا كان الأمر يقتضي التصريح، ولولاه ما نفعت النصيحة والموعظة والإرشاد، فحينئذٍ لا بأس به، إلّا أنّه مهما أمكن عليك أن تراعي حسن القول ولطائف الكلام، فإنّه أبلغ في التأثير، وإذا أردت منه شيئاً حتّى مع أسرته وأولادك، فحاول أن تطلب ذلك في صورة التمنيات، من دون إصدار الأوامر، حتّى لو أردت الماء من ولدك، فما يمنعك أن تقول له: لطفاً تفضّل عليّ يا ولدي بالماء، أو أرجوك أو ما شابه ذلك، كما أدبنا القرآن الكريم بذلك، فبدلاً أن يصدر الأوامر، يذكر صفات المتّقين وما لهم من النعيم الخالد «فالتمنيات تدفع الآخرين إلى الاستجابة لها في إطار (العطاء) بينا الأوامر تدفعهم إلى تنفيذها بمقدار ما يقدر العذر، وفرق كبير بين العطاء وبين التنفيذ».

ثمّ حاول أن لا تُترق ماء وجه الصديق بل كلّ واحد من الناس، فإنّ كرامة الإنسان ملك الله، لا يحقّ لأحد أن يتنازل عنها بإراقة ماء وجهه، يقول الحديث الشريف: «إنّ الله أوكل إلى عبده المؤمن كلّ شيء ولم يوكل إليه أن يذلّ نفسه»، فلا يجوز لنا أن نجرح مشاعر الآخرين ونؤذيهم بكلمات جارحة.

جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان

فلا تفرط في الملامة، فإن أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «الإفراط في الملامة يشبّ نيران اللجاج»، وفي آخر: «إيّاك أن تكرر العتب فإن ذلك يغري بالذنب ويهون العتب».

وعندما دخلت سفانة ابنة حاتم الطائي على النبي محمد بعد أسرها، ففكّها من الأسر وقومها، كرامة لها، ثم أمر النبي بحمر النعم (الإبل والبقر) فأعطى لها حقّها حتّى سدّ ما بين جبلين، فقالت: يا محمد، هذا عطاء من لا يخاف الفقر! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هكذا أدبني ربّي فأحسن تأديبي»، ثم قال صلى الله عليه وآله قولته المشهورة: «ارحموا ثلاثة، وحقّ أن يرحموا: عزيزاً ذلّ من بعد عزّه، وعالمأ ضاع بين جهال، وغنياً افتقر من بعد غناه».

ثمّ علينا أن نذكر حسنات الأصدقاء والناس، ونشجّعهم على أعمال البرّ والخيرات، يقول الأمير عليه السلام: «لكلّ مسلم على من أثنى عليه مثوبة من جزاء وعارفة من عطاء»، ويقول في عهده لمالك الأستر: «ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة في الإساءة، وألزم كلّاً منهم ما ألزم نفسه»، فأسلوب التشجيع والتكريم والتعظيم من أنجح الأساليب في إصلاح المجتمع والصديق والأسرة، وكان النبي الأكرم إذا رأى خطأ من شخص لم يقرعه مباشرة، بل كان يصعد المنبر ويقول: «ما بال أقوام...» ثمّ يذكر الخطأ على نحو كليّ وعمامّ.

ثمّ أعط للناس ثقتك بأنّهم قادرون على الإصلاح، فلا تسبل في كلامك بزرع الثقة في نفوسهم، فإنّ إعطاء الثقة للطرف الآخر، لا سيّما الصديق والتظاهر بقدرته على تحقيق أمر ما، سيدفعه إلى محاولة الاحتفاظ بهذه الثقة، وإلى عدم تخييب ظنك فيه، فإذا أردت أن تجعل من إنسان خطيباً، فأخبره بأنّ له موهبة

٦٨ معالم الصديق والصدّاقة

عظيمة في الخطابة، فهذا ما سيدفعه إلى التمرين والتدريب حتّى يجيدها كما هو المطلوب.

وعليّنا أن نتظاهر في بداية الأمر بالفضائل، يقول أمير المؤمنين عليه السلام :
« إن لم تكن حليماً فتحلّم، فإنّه قلّ من تشبّه بقوم، إلّا أوشك أن يكون منهم»،
« خير الحلم التحلّم»، « من لم يتحلّم لم يحلم»، « من تحلّم حلم»، « إن لم تكن حليماً
فتحلّم»، وهكذا في جميع مكارم الأخلاق والصفات الحميدة، فمن تزهد يزهد،
ومن تعلّم يتعلّم، ومن تكرم يكن كريماً، والحكمة تقول: « تظاهر بفضيلة إن لم تكن
فيك»، وكذلك مع الآخرين، فأعطهم عنواناً حسناً، يقومون على الاحتفاظ به
وتشييده، ويبدلون كلّ ما في جهدهم، حتّى لا تخيب الظنون بهم.

ثمّ اعطِ للطرف الآخر مسؤولية، فإنّ الرئاسة تصنع الرئيس، ويوجب ذلك
أن يترك ما لا يليق بالرئيس، حتّى في عالم الأطفال تشاهد ذلك بكلّ وضوح،
وهذا يعني أنّه من غرائز وفطرة الإنسان ذلك.

فهذه نصائح عامة، وقواعد مهمّة، في إصلاح الصديق والمجتمع، وسوقهم
نحو السعادة والعيش الرغيد والحياة الطيبة، والله المعين والموفق.

الفصل الخامس

من آداب الصداقة

«قال الإمام الصادق عليه السلام لجميل : خياركم سمحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن صالح الأعمال البرّ بالإخوان، والسعي في حوائجهم، وفي ذلك مرغمة للشيطان، وتزحزح عن النيران، ودخول الجنان، ثمّ قال : يا جميل ! أخبر بهذا الحديث غرر أصحابك، قلت : ومن غرر أصحابي ؟ قال عليه السلام : هم البارون بالإخوان في العسر واليسر».

لقد ذكرنا في الفصول السابقة بعض الأخبار المروية عن أهل البيت عليهم السلام في حدود الصداقة، وقضاء حوائج المؤمنين، وبقي علينا أن نشير إلى بعض آداب الصداقة، فإنّ لكلّ شيء حريم وإطار وحدود، من يتعدّها يفقد ذلك الشيء المقصود، وكذلك عالم الصداقة والأصدقاء، له حريم وآداب خاصّة، لا بدّ من مراعاتها، حتّى تدوم الصداقة، ويدوم الصفاء والمحبة والوفاء والإخاء والخلّة.

وقد اشتهر على لسان الناس المثل المعروف : (بين الأحباب تسقط الآداب)، فإذا كان يعني ذلك كما هو الظاهر الكلفة والتكلف، فهذا صحيح «فإنّ شرّ الإخوان من تكلف له» كما ورد في الحديث الشريف، ولكن إذا كان بمعنى سقوط الاحترام والحشمة، فهذا من الكلم القبيح، لأنّ الآداب الحميدة من الحسن، فإذا كان ذلك

٧٠ معالم الصديق والصدقة

حسناً من الغرباء، فلماذا تبخل به على الأصدقاء، فهم أولى بذلك، فإن بين الأحباب تسمو الآداب، وتنمو وتعين على قوة الارتباط، وشدة أواصر العلاقة الأخوية والحلة المبدئية والصدقة الإيمانية.

ثم هناك مجموعة من الآداب القيمة قد شرعها الإسلام لسعادة الناس، ولتوثق الصداقة ثمارها، ويعيش الجميع في أجواء هادئة، تسودها الطمأنينة والإخاء، متعاضدين ومتلاحمين في الحياة.

فنها: الاستئذان للدخول، فإن الدخول على الصديق في داره أو حجرته من دون الاستئذان أو الإخبار بالقدوم، فيه استهانة بالآخرين وإهانة للنفس، وربما يسمع منه تقييماً في ذلك، وقال الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (١).

وقال عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (٢). ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «ليستأذن أحدكم من وراء الباب قبل أن ينظر إلى قعر البيوت، فإنما أمرتم بالاستئذان من أجل العين، فإن قيل: ادخل، فليدخل، وإن قيل: ارجع، فليرجع، ولا أن يسمع أهل البيت. والثانية: يأخذ أهل البيت حذرهم، والثالثة: يختار أهل البيت إن شاؤوا أذنوا، وإن شاؤوا لم يأذنوا».

(١) النور: ٢٧.

(٢) النور ٥٧-٥٨.

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرج رسول الله ﷺ يريد فاطمة عليها السلام وأنا معه، فلما انتهينا إلى الباب وضع يده الشريفتين عليه ثم قال: السلام عليكم، قالت فاطمة: وعليكم السلام يا رسول الله؟ قال: أدخل؟ قالت: أدخل يا رسول الله، قال: أدخل أنا ومن معي؟ قالت: يا رسول الله ليس على رأسي قناع. فقال: يا فاطمة خذي فضلاً من مدحتك، فغطي به رأسك، ففعلت، وبدأ رسول الله يستأذن من جديد، ثم قال: السلام عليكم. فقالت: وعليكم السلام يا رسول الله، قال: أدخل؟ قالت: نعم يا رسول الله، قال: أنا ومن معي؟ قالت: ومن معك، ودخل رسول الله ودخلت معه.»

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «ليستأذن الرجل على بنته وأخته إذا كانتا متزوجتين.»

ومنها: السلام قبل الكلام، فإن قولك: (السلام عليكم) لمن تلقاه إنما هو دعاء له بالسلامة والصحة والعافية وإعلان الحب والصداقة والأخوة، وقد قال رسول الله ﷺ: «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه». ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله يحب إفشاء السلام»، فإن السلام من أسمائه جل جلاله، ويحب الله أن تظهر لأسمائه مظاهر، فهو السلام ويحب إفشاء السلام، ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «من التواضع أن تسلّم على من لقيت»، ويقول عليه السلام: «ليسلم المارّ على القاعد، والراكب على الجالس، والعدد القليل على الكثير.»

وفي الحديث الشريف: «من تواضع لله رفعه»، وفي آخر: «لا رافع لمن وضعت ولا واضع لمن رفعت»، ومن التواضع أن تسلّم على كل من تلقاه، والنتيجة أن الله يرفعك ويعزّك بين الناس، ولا يمكن لأحد أن يضعك ويقلّ من شأنك، فإن الله يرفعك، ولا واضع لمن رفعه الله سبحانه، فاغتم السلام،

وانشره في المجتمع الإسلامي لسوذه السلام.

ومنها: احترام الصديق إذا دخل في مجلس، فإنّه ورد في الحديث الشريف: «المؤمن أعظم حرمةً من الكعبة»، ويقول الإمام الكاظم عليه السلام: «لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك، وابقَ منها، فإنّ ذهابها ذهاب الحياة»، وقال الرسول الأكرم: «إذا أتاكم سيّد قوم فاعرفوا سوّده»، فاحترام القادم لازم، لا سيّما الصديق فيقام له إجلالاً وإكباراً، إلّا أنّه ورد في مكارم الأخلاق للمرحوم الطبرسي: أنّ النبيّ كان يكره القيام له، وكان يقول: «لا يقومنّ بعضكم لبعض كما يقوم العجم بل تزحزحوا عن مكانكم»، ولكن ورد في الخبر أيضاً: «من قام لأخيه المؤمن سلخه الله من ذنوبه كما تسلخ الحيّة جلدها»، والجمع بين الروایتين كما يظهر من التعليل في الأولى والتشبيه بالعجم، أنّه تارة يقام لشخص لمكانته الدنيوية، كالغني وإن كان فاسقاً، أو السلطان وإن كان جائراً، أو العالم وإن كان سوءاً، فهذا من قيام العجم، كما يحدثنا التاريخ به فهو مذموم، وكان النبيّ يكره ذلك، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، وأخرى تقوم للشخص لإيمانه وتقواه، وإن كان فقيراً وأسوذاً حبشياً، فإنّ النار لمن عصى الله وإن كان سيّداً قرشياً، والجنّة لمن أطاعه وإن كان عبداً حبشياً، فمثل هذا القيام الذي يكون لله سبحانه، وتعظيماً لمقام العلم المقرون بالحلم والعمل الصالح، وتكريماً للإيمان المقرون مع التقوى، فإنّه ممدوح ويوجب غفران الذنوب، فتأمل.

ومنها: التوسّع في المجلس، فإنّ من حقّ الداخل إلى المجلس، لا سيّما الصديق والأخ على أخيه، أن يكرمه بالتوسّع له في المجلس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث يصفين ودّ المرء لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحبّ الأسماء إليه»، وفي آخر: «إذا أخذ القوم مجالسهم

فإذا دعا رجل أخاه فأوسع له في مجلسه، فليأت، فإنما هي كرامة أكرمه بها أخوه، وإن لم يوسع له أحد، فليُنظر أوسع مكان يجده فليجلس فيه»، وقال: «لئن يوسع أحدكم لأخيه في المجلس خير من عتق رقبة»، ولقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن السبب الذي دعى جماعة إلى أن يقولوا لنبيهم: إنا نراك من المحسنين، فقال عليه السلام: «كان يوسع للجلس ويستقرض للمحتاج ويعين الضعيف». وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ^(١)، كان رسول الله إذا دخل منزلاً، قعد في أدنى المجلس حين يدخل، وقال الإمام العسكري عليه السلام: «من رضي بدون الشرف من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم»، «إذا أخذ القوم في مجالسهم فإن دعا رجل أخاه، وأوسع له في مجلسه فليأته، فإنما هي كرامة أكرمه بها أخوه، وإن لم يوسع له أحد فليُنظر أوسع مكان يجده فليجلس فيه».

ومنها: أن تذكره بكنيته في حضوره، وتسمه في غيابه، فإن في الكنية احتراماً للصديق. يقول الإمام الرضا عليه السلام: «إذا كان الرجل حاضراً فكنته، وإذا كان غائباً فسمه»، فإنك عندما تذكر صديقك في حضوره بكنيته وتناديه (يا أبا فلان) فإن ذلك يدل على تقديرك له واحترامك إيّاه، ولكن لو كان غائباً وأردت تعريفه، فتذكره بالإسم.

ومنها: مراعاة أدب الجلوس والحضور معه، فإنه يتم ويخبر عن الاحترام والتقدير له، ويكون الجلوس بكل تواضع ولين، ولا يتخطى الرقاب لأجل أن يجلس في صدر المجلس، فإن الإمام الصادق عليه السلام يقول: لا ينبغي للمؤمن

أن يجلس إلّا حيث ينتهي به الجلوس، فإنّ تخطّي أعناق الرجال سخافة»، «أما حقّ جليسيك، فإنّ تلين له جانبك، وتنصفه في مجاراة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك إلّا بإذنه، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنه، وتنسى زلّاته وتحفظ خيراته، ولا تسمعه إلّا خيراً». ومن أوصاف النبيّ أنّه ما رئي مقدّماً رجله بين يدي جليسي له قطّ.

ومنها: أن يسمّي عطسته، فإنّ العطسة علامة الصّحة والارتياح والنشاط، وهو من الله سبحانه، كما أنّ التثاؤب من الشيطان، وهو علامة الكسل والنوم، فإذا عطس أخيك المؤمن فهنّته بالعافية والصّحة، وادعوه له قائلاً: (يرحمك الله) أو (يغفر الله لك) والعاطس يجيبه (أثابكم الله). وعن الإمام الباقر عليه السلام: كان إذا عطس فقيل له: يرحمك الله، كان يقول: يغفر الله لكم ويرحمكم، وإذا عطس عنده إنسان قال له: يرحمكم الله، ولمّا كان النبيّ وأمير المؤمنين عليّ يعطس أحدهما، كان يقول الآخر: (رفع الله شأنك على كعابك)، والعطسة إنّما تنبئ عن العافية والسلامة كما في علم الطبّ، وقد ورد في الحديث الشريف: لو عطس ثلاث عطسات فأثما عافية وعلامتها، وأمّا إذا عطس أربعة فأثمه يخبر عن المرض، كما ورد من عطس لا يموت إلى سبعة أيام، ولمثل هذا يشكر الإنسان ربّه على السلامة والعافية والرحمة، فيسمت السامع العاطس قائلاً: (يرحمك الله) يعني أنّ الرحمة الإلهية شملتكم، وأنّ الغفران الإلهي عمّك، فيجيبه العاطس: الله يثيبك عليّ ما تفضّلت قائلاً: (أثابك الله)، وسعيد حقاً ذلك المجتمع الذي يسوده الودّ والمحبة والدعاء، وما أسعد الصديقان اللذان يدعوا أحدهما للآخر بالسلامة والعافية والصّحة.

ومنها: ترك المزاح الجارح، وأصل المزاح بمعنى إدخال السرور في قلب

المؤمن والدعابة المريحة، فإنه مباح بل يستحب ذلك، لا سيما في السفر كما ورد في الخبر، كما جاء في الحديث الشريف: «مزاح المؤمن عبادة»، وفي آخر: «إن هذه الأرواح تمل كما تمل الأجساد، فروحوا عنها بطرائف الحكم». وهذا يعني أنه في عين أنه بتمازج لا بد أن يكون في ذلك أيضاً طريفة حكيمة، لا مجرد اللقطة والقهقهة، بل لا يتجاوز في مزاحه الحق. وقال رسول الله: «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً»، «المؤمن دعب لعب، والمنافق قطب غضب»، «ما من مؤمن إلا وفيه دعابة - أي مزاح -».

ولكن إذا كان المزاح بمعنى كثرة الضحك والسفاهة وجرح مشاعر الآخرين وإهانتهم، فإنه لم يكن مذموماً وحسب، بل يكون محرماً، وما لم يصل إلى درجة المحرام وخرج عن الاستحباب، فإنه يكون مكروهاً، وربما الروايات التي تدم المزاح من هذا المنطلق، ففي الحديث الشريف: «كثرة الضحك تمج الإيمان مجاً»، وفي آخر: «إياكم والمزاح فإنه يذهب بماء الوجه»، وفي آخر: «إذا أحببت رجلاً فلا تمازحه ولا تماريه»، وفي آخر: «إذا أردت أن يصفو لك ود أخيك فلا تمازحته ولا تماريته ولا تشاريته»، «إياكم والمزاح فإنه يجرّ السخيمة ويورث الضغينة وهو السب الأصغر». ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «إياكم والمزاح فإنه يذهب بماء الوجه ومهابة الرجل»، ثم قال: وكان أصحاب رسول الله يجلسون فيلهون ويتحدثون ويضحكون، حتى أنزل الله قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١) فلما قرأ رسول الله عليهم هذه الآية تركوا حديث اللهو والمزاح. وهناك روايات تمدح المزاح ولكن بشروط، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله

يحبّ المداعبة بالجماعة بلا رفث»، أي بلا فسوق وجدل وجرح المشاعر. وفي الحديث الشريف: «ما من مؤمن إلّا وفيه دعاية»، وكان النبيّ كثير التبسّم، بشره في وجهه، وهذا يعني مدح التبسّم، ولكنّ الضحك والقهقهة بالخصوص فإنّه مذموم، كما ورد في الخبر الشريف: «القهقهة من الشيطان»، وقال الأمير عليه السلام: «إحذر الهزل واللعب وكثرة الضحك والمزح والترّهات»، «من قلّ عقله كثر هزله»، «الكامل من غلب جدّه هزله»، «كثرة الهزل آية الجهل»، «غلبة الهزل تبطل عزيمة الجدّ»، «لا تهزل فتحقر»، «من كثر مزاحه قلّ وقاره»، «الإفراط في المزاح خرق».

ومنها: ترك التناجي أمام الآخرين، فيما كان المجلس خاصّاً يضمّ عدداً قليلاً من الأصدقاء والأحبّاء، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(١)، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا كان القوم ثلاثة من المؤمنين فلا يتناج منهم اثنان دون صاحبها، فإنّ ذلك ممّا يحزّنه ويؤذيه»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتّى يختلطوا بالناس، فإنّ ذلك يحزّنه»، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾^(٢).

والنجوى بين الإثنين مع حضور ثالث كإنّما يخمش وجهه، والخمش من فعل الحيوانات الضارية، فيدلّ على الروح السبعيّة التي لم تهذب، وتسلّطت القوّة الغضبيّة السبعيّة على باقي القوى، فثل هذا يكون في حدّ الحيوانية، ولم يصل

(١) المجادلة : ١٠ .

(٢) التوبة : ٧٨ .

إلى جوهره وحقيقته وحده الإنساني الملاكى، فإنَّ الإنسان بين أن يعلو ويصل إلى قاب قوسين أو أدنى، وتخدمه الملائكة وتفرش له أجنحتها كطالب العلم كما ورد في الخبر الشريف، وبين أن يكون في الهاوية كالأنعام بل أضلَّ سبيلاً، وذلك لما يحمل الإنسان من الروح الإلهية ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾^(١) من جانب، ولما يحمل من النفس الحيوانية من جانبٍ آخر، وحينئذٍ لو لم يصل إلى كماله المكنونة في جبلته، ولم تنتهي تلك الروح إلى مفيضها الأول سبحانه وتعالى، بل تغلّبت عليه النفس الحيوانية من اتِّباع الشهوات والوهميات، فإنَّه يكون أضلَّ من الأنعام، فإنَّ الأنعام لم تكن لها الروح الإنسانية والنفس الناطقة، وهذا كان له، ومع ذلك أصبح كالأنعام، فلا ريب يكون أضلَّ سبيلاً، فتدبّر.

ومنها: الزيارة في الحضر، فإنَّه من زار أخاه المؤمن، كأنما زار الله في عرشه كما ورد في الخبر الشريف، وقال رسول الله ﷺ: «من زار أخاه المؤمن إلى منزله، لا حاجة منه إليه، كتب من زوّار الله، وكان حقيقاً على الله أن يكرم زائره»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من زار أخاه في الله عزَّ وجلَّ قال الله: (إيتاني زرت، وثوابك عليّ، ولست أرضى لك ثواباً دون الجنة)». وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «ليس شيء أنكى لإبليس وجنوده عن زيارة الإخوان في الله بعضهم»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من زار أخاه في الله والله، جاء يوم القيامة يخضر بين قباطي من نور، لا يمرّ بشيء إلا أضاء له»، «ما زار مسلم أخاه في الله والله، إلا ناداه الله عزَّ وجلَّ: أيها الزائر طبت وطابت لك الجنة»، وقال الأمير عليه السلام: «لقاء أهل الخير عمارة القلوب»، وقال الإمام الباقر عليه السلام: «تزاوروا في بيوتكم فإنَّ ذلك حياة

لأمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا». ولازم مثل هذا التزاور أن يذكر فيه فضائل ومناقب أهل البيت ومثالب أعدائهم، حتى يتم معنى إحياء أمر الأئمة الأطهار عليهم السلام وولايتهم الكبرى التي هي من ولاية الله ورسوله، والتي لا تتم إلا بالتولي والتبري. ومنها: المكاتبة في السفر، فإنها من أسباب المودة والعلاقة الوثيقة بين الصديقين، فإن من يكتب لأخيه وصديقه، إنما يسجل له حبه وتقديره للتاريخ، فعلى أن نعود أنفسنا على كتابة الرسالة، كما علينا أن نجيب الرسائل، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ردّ جواب الكتابة واجب كوجوب ردّ السلام»، وقال عليه السلام: «يستدلّ بكتاب الرجل على عقله وموضع بصيرته، وبرسوله على فهمه وفطنته»، قال الأمير عليه السلام: «كتابك أبلغ ما ينطق عنك»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «التواصل بين الإخوان في الحضر التزاور، والتواصل في السفر المكاتبة».

ومنها: ترك خيانة الصديق، فإن علاقة الصداقة من العلاقات المقدّسة، والخيانة تضرم النار فيها وتحرقها وتفتنيها، والخيانة في عالم الصداقة تعني أن يبطن الصديق لصديقه عكس ما يظهره، ففي الوجه كالمرآة، ولكن في الخلف خنجر قتال. قال الإمام الصادق عليه السلام: «المسلم أخ المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يغشه ولا يغتابه ولا يخونه ولا يكذبه»، فالصديق حقاً من يصدق معك في كلّ الحالات، في الغيبة والحضور، في الظاهر والباطن، سرّاً وعلناً، في السراء والضراء، في الفقر والغنى، عنه عليه السلام: «لا تغشش الناس فتبقى بغير صديق»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من غشّنا فليس منا».

وعلى أن نكتم أسرار الصديق، ففي الحديث الشريف: «سرّك في دمك فلا يجر في غير أوداجك»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من الخيانة أن تحدّث بسرّ أخيك»، ولا تخون الصديق عند الاستشارة، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أشار

على أخيه بأمر يعلم أنّ الرشد في غيره فقد خانته».

ولا نضمّر السوء للأصدقاء، يقول الإمام الباقر عليه السلام : «عليكم بتقوى الله، ولا يضرنّ أحدكم لأخيه أمراً لا يحبّه لنفسه، فإنّه ما من عبد يضمّر لأخيه أمراً لا يحبّه لنفسه، إلّا جعل الله ذلك سبباً للنفاق في قلبه»، يقول الشاعر :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ عنك كما يروغ الثعلبُ
والنفاق ثقيل على النفس، فلماذا لا تتعامل مع الناس ومع الأصدقاء بصدق، فلنحبّ بصدق ولنكره بصدق، ومن صدق الصداقة أن لا يحفظ على الصديق زلاته، يقول رسول الله : «أدنى الكفر أن يسمع الرجل من أخيه الكلمة فيحفظها عليه يريد أن يفضحه بها، أولئك لا خلاق لهم»، ومن الصدق أن لا تكذب على الصديق، يقول الإمام الصادق عليه السلام : «كبرت خيانتة أن تحدّث أخاك حديثاً هو لك به مصدّق، وأنت له به كاذب». ومن الصدق حفظ الصديق أن لا يسقط، قال الإمام الصادق عليه السلام : «من رأى أخاه على أمر يكرهه ولم يردعه فقد خانته، وله الحقّ غداً عليه».

والصداقة تنمو برعايتها وسقايتها بماء الحبّ والإخلاص، فأخبر من تحبّه بذلك كما وردت الروايات في ذلك، بل قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : «من كان لأخيه المسلم في قلبه مودّة، ولم يعلمه فقد خانته».

وتحرم الغيبة بأن يذكر في الطرف الآخر ما لو سمعه كرهه، ويقول الرسول صلّى الله عليه وآله : «من روى عن أخيه رواية يريد بها هدم مروءته وسلبه، أوبقه الله بخطيئته حتى يأتي بمخرج ممّا قال، ولن يأتي بالمخرج أبداً»، ويقول الله سبحانه :
﴿ وَلَا يَعْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (١).

ثمّ علينا أن نغتني فرصة إقبال الناس علينا، فإنّه ورد في الحديث الشريف :
 « ما اكتسب العبد بعد الإيمان أفضل من أخ في الله »، فلا تزهد فيمن رغب فيك،
 يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : « زهدك في رغب فيك نقصان حظّ، ورغبتك
 في زاهد فيك ذلّ نفس »، والمؤمن عزيز بعزّة الله سبحانه، ولا يحقّ له أن يذلّ نفسه
 مهما كانت الظروف، فلا يرضى بالذلّ والهوان والخنوع، فمن يزهد فيك ولا يرغب
 في صداقتك كيف ترغب إليه !!

وعليّنا أن لا نفرط بالأصدقاء القدامى، يقول رسول الله ﷺ : « إن الله يحبّ
 المداومة على الإخاء القديم فداوموا عليه »، ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : « اختر
 من كلّ شيء جديد، ومن الأخوان أقدمهم »، وقال عليّ عليه السلام : « من علامة كرم النفس
 بكاؤه على ما مضى من زمانه، وحنين إلى أوطانه، وحفظه قديم إخوانه »، وجاء
 في وصيّة النبيّ داود لولده سليمان قائلاً : « يا بني لا تستبدلنّ أخاً قديماً مستفاداً
 ما استقام لك، ولا تستقلنّ أن يكون لك عدوّ واحد ولا تستكثرنّ أن يكون لك
 ألف صديق »، « عدوّ واحد كثير وألف صديق قليل »، بل علينا أن نراعي حقوق
 أصدقاء الوالد أيضاً، فقد قال رسول الله ﷺ : « لا تقطع أوداء أبيك فيطوئ
 نورك »، كما على الصديق أن يحفظ أولاد صديقه، فيزورهم ويتعهدهم، ويقضي
 حوائجهم ويكرمهم ويعزّهم، وورد في الحديث الشريف : « يحفظ المرء في ولده ».
 ولا نصادق من يكون ملولاً، فيقول الإمام الصادق عليه السلام : « لا تتق بمودّة
 ملول، فإنّه أوثق ما كانت به خذلك وأوصل ما كنت قطعك »، وقال عليّ عليه السلام :
 « ليس للملول علم ولا للملول صديق ولا للملول حظّ في هذه الحياة »، وقال عليّ عليه السلام :
 « الملل يفسد الأخوة »، فلا بدّ من المحافظة على الأصدقاء القدماء، ولا نملّ
 من كسب الصداقة الجديدة.

وإذا قطع الصديق علاقته لسوء تفاهم مثلاً، فعلينا أن نبادر في صلته، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إجمل نفسك من أخيك عند صرفه على الصلة إذا قطعك، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدته على اللين، وعند جرمه على العذر، حتى كأنك له عبد».

وقال عليه السلام: «عاتب أخاك بالإحسان إليه واردد شره بالإنعام عليه»، «عجبت لمن يشتري العبيد بأمواله، كيف لا يشتري الأحرار بإحسانه»، صحيح ما ورد في الحديث الشريف: «إن الله أوكل إلى عبده المؤمن كل شيء ولم يوكل إليه أن يذل نفسه»، فالمؤمن عزيز لا يذل نفسه، وهيئات منه الذلّة، فكيف يكون لصديقه عبداً؟ فأجاب أمير المؤمنين على ذلك قائلاً: «وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه، أو أن تفعله لغير أهله»، فالتواضع والتذلل لأهله ممدوح، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، فلا بد من معرفة كمّية المجاملة والتذلل وكيفيّتها، ومع من يكون ذلك؟ فإن الصديق لو كان متكبراً؟ فقد ورد في الحديث الشريف: «التكبر على المتكبر عبادة»، فالتواضع والصلة مع أهلها جيّدة. والعامل العادل الذي يضع الأشياء في مواضعها.

وجاء في دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجّاد عليه السلام: «اللهم سدّدي لأن أعارض من غشني بالنصح وأجزني من هجرني بالبرّ، وأصيب من حرمني بالبذل، وأكافئ من قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر المحسنة وأغضي عن السيئة».

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أطع أخاك وإن عصاك، وصله وإن جفاك»، وقال عليه السلام: «من المروءة احتمال جنایات الإخوان».

وعلى المرء أن يكون متواضعاً كالبحر، فيلمّ بين طيّاته الكنوز واللائي،

ثمّ إذا شاءت الظروف قطيعة الصديق، فحاول أن تجعل لنفسك خطأ للرجوع، ولا تكسر كلّ الجسور خلفك، يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية، يرجع إليها إن بدّ له ذلك يوماً ما».

ثمّ علينا أن نصافي بين صديقين متنازعين، قال أمير المؤمنين في أواخر لحظات حياته الشريفة في وصية لولديه الحسن والحسين عليهما السلام: «أوصيكما وجميع أهلي وولدي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله ونظم أمركم... الله الله في إصلاح ذات بينكم فإنّي سمعت جدّكما رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: إصلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «صدقة يحبّها الله: الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، والتقريب بينهم إذا تباعدوا»، وقال: «كلّ كذب مسؤول عنه يوم القيامة إلّا ثلاثة: رجل كائد في حربته، فهو موضوع عنه، ورجل أصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى هذا، ورجل وعد أهله شيئاً ولا يريد أن يتمّ لهم عليه، يريد بذلك دفعاً». فكن أيّها الأخ الكريم حاملاً لوردة الإصلاح، حينما يكون الخلاف بين صديقين وقربيين، وسوف تلمس وتحسّ بلذّة عمك هذا، فسارعوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها السماوات والأرض.

الفصل السادس

المؤثرات في عالم الصداقة

ربما يزعم الإنسان أنه جرم صغير حينما يرى سعة الكون ورحبه، ولكن أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول في الديوان المنسوب إليه :

أتزعم أنك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر

ومثل الإنسان في عالم الإمكان لكثير، ممّا يتصوّره الإنسان أنه ذو حجم صغير لا قيمة له، ولكن يرى أنه يصنع العجائب والغرائب، وكذلك الأمر في عالم الصداقة، فهناك أمور صغيرة في بداية الأمر، ربما يتصوّر أن لا أثر لها ولا قيمة، ولكن يمكنها أن تصنع المعجزات في أواصر العلاقة مع الناس، وتكسب المزيد من الأصدقاء، وتوطّد العلاقة الحميمة معهم.

فمنها : الهدية فإنها رمز المحبة، فإنّ الصدقة تحرم على النبي الأكرم وأهل بيته، ولكن يستحبّ أن يهدي له بهدية، ويقول ﷺ : « لو أهدى لي كراع لقبلت»، ويقول الإمام الكاظم عليه السلام : « لو حمل إلينا زكاة وعلمنا أنّها زكاة رددناها، وإذا كانت هديّة قبلناها، فنكرم أخاك وصديقك بالهدية وليست في قيمتها المادية بل في قيمتها المعنوية.

ومن حقّ الأخوة قبول الهدايا، فقد قال رسول الله في حقوق الأخ :

« أن يقبل تحفته، ويتحفه بما عنده، ولا يتكلّف له شيء»، فإن الهدية أقصر الطرق إلى قلوب الناس، فإنك تعقد حبل المودّة بينك وبينهم، قال رسول الله ﷺ: «الهدية تورث المحبة»، كما إن الهدية تجدد العلاقة بين الأصدقاء، يقول النبي الأكرم: «الهدية تجدد الأخوة وتذهب بالضغينة»، وقال: «تهادوا فإن الهدية تغسل السخائم (الأحقاد) كما إنّها تقضي الحاجات»، قال النبي الأعظم: «نعمت الهدية عند الحاجة». «الهدية مفتاح الحوائج»، «الهدية تفتح الباب المصمت».

فإذا انغلقت الأبواب فعليك بالهدايا، فإنها خير مفتاح، وهي تخالف الرشوة فإنها لفتح الباب عليك من دون أن تغلق أبواب الآخرين، ولكن الرشوة تعني غلق باب الآخرين، وهضم الحقوق، ومخالفة الحقوق. ثم الهدية ردّ جميل على الهدايا، والرسول الأكرم يقول: «تهادوا وتحابّوا»، فتردّ الهدية بهدية، وهذا ممّا يزيد في المحبة، وجاء في الحديث الشريف: «إنّ التهادي من عمل حور العين».

ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «ما استعطف السلطان ولا استسلّ سخيمة الغضبان، ولا استميل المهجور، ولا استنجح صعب الأمور، ولا استدفعت الشرور بمثل الهدية»، وليس المطلوب أن تكون الهدايا مادية، فربما تكون كلمة طيبة وقول معروف، والله يقول: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى﴾ (١).

ويقول الرسول الأكرم: «ما أهدى المرء المسلم إلى أخيه هدية أفضل من حكمة يزيده الله بها هدىً أو يردّ عنه ردىً»، «إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، فاهدوا إليها طرائف الحكم»، وقال جبرئيل لرسول الله: إنّ الله أرسلني

إليك بهديّة لم يعطها أحداً قبلك، فقال النبيّ: وما هي؟ فقال جبرئيل: الصبر، وأحسن منه الرضى.

ومنها: زيارة الأصدقاء والأحبّة، فإنّ الابتعاد يجعل الإنسان منسياً، كما في الزيارة ثواب وأجر، قال رسول الله ﷺ: «سر سنتين برّ والديك، وسر سنة صل رحمك، وسر ميلاً عد مريضاً، وسر ميلين شيع جنازة، وسر ثلاثة أميال أجب دعوة، وسر أربعة أميال زر أخاك لله، وسر خمسة أميال أنصر مظلوماً، وسر ستة أميال أغث ملهوفاً، وعليك بالاستغفار»، وقال: «من زار أخاه في بيته قال تعالى: أنت ضيفي وزائري وقد أوجبت لك الجنة لزيارتك إيتاه».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «تزاوروا فإنّ زيارتكم إحياء لقلوبكم، وإحياء القلوب وذكر الأحاديث يعطف بعضكم على بعض، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم، فإن تركتموها ظلمتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم»، وقال عليه السلام لبعض أصحابه: «أبلغ من ترى من مواليي السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم، وأن يعود صحيحهم على مريضهم، وأن يعطف غنيهم على فقيرهم، وأن يشهد حيّهم جنازة ميتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإنّ لقاء بعضهم لبعض حياة لأمرنا، فرحم الله عبداً أحيا أمرنا».

ويقول أبو الحسن عليه السلام: «ليس شيء أنكى لإبليس وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ملاقة الإخوان نشرة العقل وإن كان نزرأ قليلاً»، وقال عليه السلام: «إنّ من روح الله تعالى ثلاثة: التعبّد في الليل، وإفطار الصائم، ولقاء الإخوان»، وفي آخر: «زر أخاك في الله فإنما منزلة أخيك منزلة يديك تزور هذه عن هذه».

وعن رسول الله: «إنّ ملكاً لقي رجلاً قائماً على باب دار فقال له: يا عبد الله، ما حاجتك في هذه الدار؟ قال: أخ لي فيها أردت أن أسلم عليه، قال الملك: هل بينك وبينه رحم ماسّة؟ أو نزعتك إليه حاجة؟ فقال لرجل: ما لي إليه حاجة غير أنّي أتعهده في الله ربّ العالمين. فقال له الملك: إنّي رسول الله إليك، وهو يقرأك السلام ويقول: إيتاي زرت فقد أوجبت لك الجنة، وقد عافيتك من غضبي ومن النار لحبك إياه في»، وفي حديث آخر: «إنّ الله يوم القيامة يعاتب بعض الناس قائلاً لهم: مرضت فلم تعودوني واحتجت فلم تعطوني؟ فيقولون: كيف مرضت وأنت ربّ العزّة؟ وكيف احتجت وأنت خالق السماوات والأرض؟ فيقول تعالى: عبدي المؤمن صار مريضاً، إنّ زيارته زيارتي، وقضاء حاجته قضاء حاجتي، فلم لم تزوروه ولم تقضوا حاجته؟».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: ثلاثة من خاصّة الله عزّ وجلّ يوم القيامة: رجل زار أخاه في الله فهو زائر الله، وعلى الله أن يكرمه ويعطيه ما سأل، ورجل دخل المسجد فصلّى ثمّ عقّب فيه انتظاراً للصلاة الأخرى، والثالث الحاجّ والمعتمر فهما وفد الله وحقّ على الله أن يكرم وفده». ويقول عليه السلام: «إنّ العبد ليخرج إلى أخيه في الله ليزوره، فما يرجع حتّى تغفر له ذنوبه، وتقضى له حوائج الدنيا والآخرة».

وقال الإمام السجّاد عليه السلام: «نظر المؤمن في وجه المؤمن للمودّة والمحبة عبادة»، وفي آخر: «النظر إلى وجه المؤمن عبادة».

وإنّما تكون الزيارة واللقاء معتدلاً بلا إفراط ولا تفريط، فإذا رأينا الإحراج في زيارة الصديق فلنقلل منها، قال رسول الله: «زر غيباً تزدد حبّاً».

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من كثرت زيارته قلت بشاشته»،

وقال عليه السلام : «إغياب الزيارة أمان من الملالة» .

ومنها : المصافحة والمعانقة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة» فمن يبتسم في وجه الآخرين ويصافحهم بحرارة ، ويعانقهم بمودة ، ويقبلهم بإخلاص ، يكون ناجحاً مع الناس وفي عالم الصداقة ، والمصافحة من رموز المحبة ، قال رسول الله : «إذا لقي أحدكم أخاه فليصافحه وليسلم عليه ، فإن الله أكرم بذلك الملائكة» ، وقال : «تصافحوا فإنه يذهب بالسخيمة» ، وفي آخر : «المصافحة تذهب الغل» ، «مصافحة المؤمن بألف حسنة» .
وقال الإمام الصادق عليه السلام : «إن المؤمن ليلقى أخاه فيصافحه فينظر الله إليهما والذنوب تحات عنها حتى يفترقا كما تحات تحت الريح الشديد الورق عن الشجر» ، وقال عليه السلام : «إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أنزل الله بينهما مئة رحمة ، تسعة وتسعون منها لأشدهما حباً لصاحبه ، وإذا اعتنقا غمرتها الرحمة» .

وقال الإمام الباقر عليه السلام : «إن المؤمن إذا صافح المؤمن فترقا من غير ذنب» ، فحبي أصدقاءك بابتسامة مشرقة ، وبث فيهم روح الصداقة في كل مصافحة ، ويقول المثل الصيني القديم : (إن الرجل الذي لا يعرف كيف يبتسم لا ينبغي له أن يفتح متجراً) ، فالابتسامة والمصافحة والمعانقة لا تكلف شيئاً ، ولكن تعود عليك بالخير الكثير في الدنيا والآخرة ، وأما تقبيل الصديق كما لو كان في سفر ، فإن المصافحة في الحضر والتقبيل في السفر ، كما ورد في الخبر الشريف ، فله أثر بالغ في تعميق المحبة ، وأفضل موضع لتقبيل المؤمن هو بين عينيه ، أي موضع النور من جبهته .

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام : «بني ، إذا رأيت مؤمناً ، فقبل موضع النور من جبهته» ، فهو موضع السجود لله فلم لا يقبل .

ومنها : إطعام الطعام ، ﴿ فَكَيْعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ ^(١) ، فالإطعام من خلق الله ، وقد ورد في الحديث الشريف : « تخلّفوا بأخلاق الله » ، فإنّ الإطعام له أثر كبير في توطيد دعائم الصداقة والأخوة في المجتمع ، كما عليه الأجر والثواب الكثير ، قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : « لئن أصنع صاعاً من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة » .

قال أبو بصير : قلت للإمام الصادق عليه السلام : لا أتعدّي ولا أتعشّي إلاّ ومعي اثنان أو ثلاثة أو أقلّ أو أكثر ، فقال عليه السلام : فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم . فقلت : جعلت فداك كيف وأنا أطعمهم طعامي وأنفق عليهم من مالي ويخدمهم خدمي وأهلي وهم أصحاب الفضل عليّ ؟ ! فقال الإمام عليه السلام : « إنهم إذا دخلوا عليك دخلوا برزقٍ كثيرٍ وإذا خرجوا خرجوا بالفقر ، فالضيف يدخل برزقه ويذهب بذنوب أهل الدار ، فهو صاحب الفضل عليك ، وهذا الرزق ليس من عندك بل هو من عند الله عزّ وجلّ وفي بيتك على كلّ لقمة مكتوب : هذا لفلان بن فلان لا يأكل رزقك غيرك ولن تأكل رزق الآخرين » .

ويقول الإمام الرضا عليه السلام : « إنهم يأكلون أرزاقهم ويخرجون بذنوبك وذنوب عيالك » .

ويقول رسول الله ﷺ : « من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم » .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « ثلاثة من أفضل الأعمال : شبعة جوعة المؤمن وتنفيس كربته وإكساء عورته » ، « المنجيات التي تنجي الإنسان من العذاب :

إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام».

وقال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمٍ أكرم أخاه المسلم بتكرمة، يريد بها وجه الله إلا نظر الله إليه».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من لقم مؤمناً لقمة حلاوة صرف الله بها عنها مرارة يوم القيامة».

وقال الرسول الأكرم ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يؤمن بي عبد بيت شبعاناً وأخاه المسلم جائع»، وقال: «من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله». وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن أشدكم حباً لنا أحسنكم أكلاً عندنا».

ومنها: الدعاء للصديق، فإن الصداقة في الإسلام علاقة حقيقية وحميمة بين المؤمنين، فالدعاء جزء من حق الأخ على أخيه والصديق على صديقه: «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات»، والدعاء بظهور الغيب وللآخرين أقرب للاستجابة، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا تستحقروا دعوة أحد فإنه يستجاب لليهودي فيكم، ولا يستجاب له في نفسه».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «الدعاء يرد القضاء بعد ما أبرم إبراماً، فأكثرُوا من الدعاء إنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء»، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(١).

ويقول رسول الله ﷺ: «من قدم أربعين رجلاً من إخوانه قبل أن يدعو لنفسه، استجيب له فيهم وفي نفسه»، «دعوة الرجل لأخيه في ظاهر الغيب لا ترد».

٩٠ معالم الصديق والصدّاقة

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أربعة لا تردّ لهم دعوة: الإمام العادل لرعيّته، والأخ لأخيه بالغيب، ويوكل له ملك يقول: ولك مثل ما دعوت لأخيك، والوالد لولده، والمظلوم»، وقال عليه السلام: «من دعا لأخيه المؤمن رفع الله عنه البلاء وردّ عليه الرزق».

ومنها: إخبار الصديق بحبّك إيّاه، فإنّ ذلك ممّا يثير مشاعر الحبّ المتبادل، فإنّ كلمة (أحبّك) وإن كانت صغيرة إلّا أنّها تترك أثراً كبيراً في النفس والقلب، قال رسول الله: «إذا أحبّ أحدكم أحداً فليخبره»، وقال: «من كان له في قلب أخيه المؤمن مودّة ولم يعلنه فقد خان»، وقال رسول الله: «إذا أحبّ أحدكم أخاه فليعلمه، فإنّه أصلح لذات البين».

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «فإنّه أبقى للمودّة وخير في الأنفة وأكثر في الاجتماع».

ومنها: المبادلة بين الأصدقاء، فالتحيّة يبادلها بتحيّة مثلها أو أحسن منها، والهدية بهدية، والحبّ بالحبّ، والكلمة بالكلمة الطيّبة، والاحترام بالاحترام، وهكذا في كلّ شيء، فلا تعني الصداقة الأخذ فقط، بل أخذ وعطاء وعطاء وأخذ، ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «فليس بأخ من ضيّعت حقوقه».

ويقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «من صاحب الناس كالذي يحبّ أن يصاحبوه، كان عدلاً».

وقال الأمير عليه السلام: «لأخيك عليك مثل الذي لك عليه»، «إن لم تحبّ أخاك فلست أخاه».

وقال الإمام السجّاد عليه السلام: «وأن تكرمه كما يكرمك وتحفظه كما يحفظك».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا خير في صحبة من لم يرَ لك مثل الذي يرى

لنفسه»، «ما أقبح رجل أن يعرف أخوه حقّه، ولا يعرف حقّ أخيه»، وقال عليه السلام: «أيسر حبّ المؤمن ما تحبّه له وما تحبّه لنفسك، وأن تكره له ما تكره لنفسك»، والمؤمن مرآة أخيه المؤمن، يهب له نفسه، ويعيره ماله، ويتبع رضاه، ويتجنّب سخطه، ما دام في طاعة الله سبحانه.

ومنها: إدخال السرور في قلب الصديق، فيملأ قلبه غبطة وثقة وانشراحاً، ذات مرّة أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود النبي عليه السلام قائلاً: يا داود إنّ العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأبيح له جنتي وأحكمه فيها، قال داود: وما تلك الحسنة؟ قال: يدخل على عبدي المؤمن السرور. فقال داود: يا ربّ، حقّ لمن عرفك أن لا يقطع رجاءه منك.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج (مثال) يقدم أمامه، وكلّما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة، قال له المثال: لا تفرع ولا تخف ولا تحزن وأبشر بالسرور والكرامة من الله عزّ وجلّ، فما يزال يبشّره بالكرامة من الله عزّ وجلّ حتّى يقف بين يدي الله، ويحاسبه الله حساباً يسيراً، ويؤمر به إلى الجنّة، والمثال أمامه، فيقول له المؤمن: رحمك الله نعم الخارج معي أنت من قبوري ما زلت تبشّرنني بالسرور والكرامة من الله عزّ وجلّ أوصلتني إلى الجنّة فن أنت؟ فيقول له المثال: أنا السرور الذي أوصلته إلى قلب المؤمن في دار الدنيا».

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك سروراً، أو تقضي عنه دينه».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «يا بن جندب، من سرّه أن يزوجه الله من المحور العين ويتوجه بالنور فليدخل على أخيه المؤمن السرور».

وقال الرسول ﷺ: «من لقي أخاه المؤمن بما يسوؤه، أساءه الله، وبعده الله يوم القيامة».

ومنها: أن تتحدّث معه فيما يهّمه وبخصّه، فإنّ التكلّم فيما يتّصل باهتماماته سوف تجده ينساق إليك ويرتاح من مجلسك، فابدأ في ما يهّم به ثمّ عرّج على ما تهتمّ به أنت، فالسبيل المؤدّي إلى القلب أن تتحدّث فيما يسره، ثمّ تبلغه رسالتك، ثمّ عليك أن تكتم سرّه. يقول رسول الله ﷺ: «إنّما المجالس بالأمانة، ولا يحلّ لأحد أن يفشي على صاحبه سرّه»، وقال لأبي ذرّ الغفاري: «يا أبا ذرّ: المجالس بالأمانة، وإفشاء سرّ أخيك خيانة».

وقال الأمير عليّؑ: «لا تتق بمن يضيّع سرّك، ومن الخيانة أن تحدّث بسرّ أخيك»، وقال عليّؑ، وما أروع ما قال: «ولا تطلع صديقك من سرّك، إلّا على ما لو اطّلع عليه عدوّك لن يضرك»، وقال عليّؑ: «لا تودع سرّك إلّا مؤمناً وقيماً». ويقول الإمام الباقر عليّؑ: «قم بالحقّ، والتزم ما لا يعينك، وتجنّب عدوّك، واحذر صديقك من الأقوام إلّا المؤمنين».

ثمّ عليك بمصادقة أصدقاء صديقك ومعاداة أعدائه، فإنّ أمير المؤمنين عليّؑ يقول: «أصداؤك ثلاثة، وأعداؤك ثلاثة: فأصداؤك: صديقك وصديق صديقك وعدوّ عدوّك، وأعداؤك ثلاثة: عدوّك وعدوّ صديقك وصديق عدوّك». ومن الأدب حفظ اسم الصديق، ولنذكر أحبّ الأسماء إليه، يقول رسول الله ﷺ: «إذا جاءك الرجل فاسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو، فإنّه أوصل للمودّة»، وقال: «ثلاثة يصفّين ودّ المرء لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر وطلاقة الوجه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويذكره بأحبّ الأسماء إليه»، فإنّ بعض المجتمعات يكون الاحترام فيها للإسم الأوّل، وبعضها فيها للكنية

كما في العراق أو اللقب كما في إيران.

ثمّ علينا أن نفي بالوعد مع الله ومع أنفسنا ومع الصديق، فإنّ للمؤمن ثلاث علامات: إذا أُوعد لم يخلف، وإذا حدّث لم يكذب، وإذا اتّمن لم يخن، وللمنافق ثلاث علامات وإن صلّى وصام: إذا أُوعد أخلف، وإذا حدّث كذب، وإذا اتّمن خان، وهذا من الصحيح في الخبر الشريف عن الصادقين عليهما السلام، ولا يخفى أنّ المراد من المنافق في العمل، كما عندنا منافق في العقيدة والإيمان، وبينهما عموم من وجه، فتأمل.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ولا تعتمد على مودّة من لا يوفي بعهده»، وقال عليه السلام: «الوفاء توأم الأمانة وزين الأخوة»، وقال رسول الله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤتي إذا وعد»، ويقول الأمير عليه السلام: «سبب الائتلاف الوفاء»، وقال عليه السلام: «من أحسن الوفاء استحقّ الاصطفاء».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «عدة المؤمن أخاه نذر، لا كفارة له، فمن أخلف، يخلف الله بدأ ولنقمته تعرّض».

ثمّ إنّ الله سبحانه كما ورد في الخبر الشريف: «جميل ويحبّ الجمال»، فقال عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ يحبّ الجمال والتجمل، ويبغض البؤس والتباؤس»، وفي آخر: «إنّ الله يحبّ الجمال والتجمل، فإنّ الله إذا أنعم على عبده بنعمة أحبّ أن يرى عليه أثرها، قيل: كيف ذلك؟ قال: ينظّف ثوبه ويطيّب ريحه ويخصّص داره ويكنس أفنيته، حتّى أنّ السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزق». فمن الأولى أن يترزّن الإنسان لأصدقائه وأصحابه ويتجمل ويتعطر، فإنّ ذلك يوجب الراحة ودوام الصداقة.

كان رسول الله ينظر في المرأة أو في الماء ويرجل جمّته ويتمشّط،

وكان يتجمل لأصحابه فضلاً على تجمله لأهله، ويقول: «إنّ الله يحبّ من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمل»، وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «التجمل من أخلاق المؤمن»، «التجمل مروءة ظاهرة»، وفي سيرة النبي الأكرم كان ينفق أكثر من نصف ماله الشخصي في شراء الطيب، وإذا مشى في زقاق ملاء المكان رائحة طيبة، ولنا في رسول الله حبيينا وطيب نفوسنا أسوة حسنة.

وأخيراً عليك أن تتعرّف على مكان الصديق، وأسرته، وعنوان داره، وعمله، وهاتفه، فإنّ من صحب مؤمناً أربعين خطوة سأله الله عنه يوم القيامة، ويقول رسول الله ﷺ: «إذا آخى أحدكم رجلاً فليسأله عن اسمه واسم أبيه وقبيلته ومنزله، فإنّه من الحقّ الواجب وصدق الإخاء، وإلا فهي مودّة حمقاء»، وبمثل هذه الأخلاق العالية والآداب السامية تدوم الصداقة والخلة، وتتجذّر في النفوس والأرواح المؤتلفة، وتنفع في الدنيا والآخرة، ولمثلها فليتنافس المتنافسون.

الختامة

حقوق الأسرة والأقرباء

(الأقربون أولى بالمعروف).

ومن هذا المنطلق الإسلامي كلّمنا تحدّثنا عن حدود الصداقة وآدابها ومعالمها، فإنّ الأقربين أولى بها، فإذا تقيدنا والتزمنا بقواعد الصداقة مع الغرباء على أنّه كما ورد في الخبر الشريف: «رَبِّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ لَكَ أُمَّكَ»، ولكنّ الأسرة والعائلة والعشيرة والجيران أولى بهذه القواعد والأسس والسنن الإسلامية الصحيحة، وهذا ما يشهد عليه الوجدان والبرهان، من العقل والسنة والقرآن.

فالعلاقة مع الأبوين، ثمّ الزوجة والأولاد، ومع الإخوة والأعمام والأخوال وأبنائهم، ليست علاقة نسبيّة وسببيّة ميكانيكية خالصة، بل علينا أن نكون أصدقاء معهم، تربطنا إضافة إلى العلاقة النسبية والسببية، علاقات إنسانية شامخة، وصداقات حميمة، ترفل عليها رايات الحبّ والمودّة والتفادي والإخلاص والالتزام بكلّ ما تتطلبه الصداقة مع الأعراب، فقد ورد في الحديث الشريف: «القرابة إلى المودّة أحوج من المودّة إلى القرابة»، فالمودّة والمحبة فوق القرابة وأهمّ منها، فإنّ القرابة تحتاج إلى المودّة ولا عكس.

وإذا أردنا أن نراعي حقوق الأسرة والعائلة من الأبوين والزوجة والأولاد،

فأرّوع ما يقوله الإمام السجّاد زين العبّاد علي بن الحسين عليه السلام في رسالة الحقوق قائلاً: «وأما حقّ أمك: فإن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحدًا، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي لأحدٍ أحدًا، ووقتك بجوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحرّ والبرد لتكون لها، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه.

وأما حقّ أبيك: فتعلم أنّه أحبك وأنّه لولاه لم تكن، فهما رأيتيه في نفسك ممّا يعجبك، فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك. وأما حقّ ولدك: فإن تعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، إن عمل ابنك عملاً حسناً قال له الناس: رحم الله أباك، وإن عمل سوءاً أقال الناس: لعن الله أباك، وأنك مسؤول عمّا وليته به، من حسن الأدب والدلالة على ربّه عزّ وجلّ والمعونة على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان، معاقب على الإساءة إليه».

ويقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لا يلعن أحدكم أباه، قالوا: يا رسول الله، وهل يلعن أحدٌ منّا أباه؟ قال: نعم، يصنع عملاً سيئاً فيلعن الناس أباه، فكأنّه هو الذي لعنه»، فعلى الآباء رعاية حسن آداب أبنائهم بمصادقتهم وتربيتهم وتعليمهم أصول الأخلاق والدين، وإرشادهم إلى الحقّ والصواب، فإنّ الآباء يشاركون أبنائهم في الثواب والعقاب، ويقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لعن الله والدين حملاً ولدهما على عقوقها»، ثمّ القاعدة العامّة في الإسلام تجاه الوالدين هي قاعدة الإحسان لا قاعدة العدل، والقول الكريم لا قاعدة البرهان والدليل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَنْ لَتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نُوْرُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴿١﴾، وقال عزّ من قائل: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴿٢﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿٣﴾، فإنّه سبحانه قارن بين عبادته والإحسان إلى الوالدين، وهذا يدلّ على عظمة الإحسان إليهما، فإنّ فلسفة الحياة هي عبادة الله لقوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٤﴾، فالإحسان إلى الأبوين يضاهاى فلسفة الحياة، وقال عزّ وجلّ: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٥﴾.

ولقد سئل الإمام الصادق عليه السلام: ما معنى الإحسان؟ فقال: «الإحسان أن تحسن صحبة والديك، وأن تكون صحبتك معها وثيقة ومتينة، وأن لا تكلفها أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه، وأضاف عليه السلام: وأمّا قوله ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ﴾ يعني: إن أضجراك فلا تقل لها أُمَّ، ولا تنهر والدك حتّى ولو ضربك، ولا تملّ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورأفة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، ولا يدك فوق أيديهما، ولا تتقدّم أمامهما، وهذا هو الإحسان»، وقال الإمام الباقر عليه السلام: «ثلاث لم يجعل الله لأحد فيهنّ

(١) الأنعام: ١٥١.

(٢) العنكبوت: ٨.

(٣) البقرة: ٨٣.

(٤) الذاريات: ٥٦.

(٥) الإسراء: ٢٣.

رخصة : أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين»، نعم كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَقُلْ لَهَا قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾، فلا بدّ من إطاعة الوالدين إلا إذا كان يوجب تحريم الحلال، أو تحليل الحرام، فإنّه من الشرك المنهي عنه، وقل لها قولاً معروفاً وكراماً وبالتّي هي أحسن. يقول رسول الله ﷺ: «أربع من كنّ فيه نشر الله عليه كنفه وأدخله الجنّة في رحمته : حسن خلق يعيش به في الناس، ورزقاً بالمكروب، وشفقة على الوالدين، وإحساناً إلى المملوك».

ثمّ لا يخفى أنّ الله تارةً يأمر أن نقول للناس قولاً حسناً، ولكن مع الوالدين نقول قولاً كريماً، والفرق بينهما أنّ الكلام الحسن ما كان فيه المنطقية والاستدلال والبرهان، فع الناس لا بدّ أن يكون كلامنا مبتتياً على الاستدلال والبرهان، فإنّه كما يقال : نحن أبناء الدليل، أينما مال نميل، ولكن مع الأبوين يختلف لحن الكلام، فإنّ الله يأمرنا أن نتكلّم معهم بقولٍ كريم، بمعنى أن نقبل قولها ونرضخ لها ونخفض جناح الدلّ لها، حتّى ولو لم يكن كلامها منطقيّاً. فلا يقال - كما نشاهد من بعض الشباب في محاورتهم مع الآباء - أنّ كلامها لا يبتني على الاستدلال والبرهان العقلي، فلا بدّ من مخالفتها والوقوف أمامها ومعارضتها، حتّى يصل الأمر إلى عقوقها الذي يوجب النار والخسران والحرامان من التوفيقات الإلهية، فهذا من المنطق الشيطاني وليس من الكلام الإلهي الرحاني، فإنّ الله أمرنا أن نتكلّم معها بقولٍ كريم ونتعامل معها بلطفٍ وخضوع وأن نتصاغر أمامها ونتواضع، فكلمنا ازددنا تواضعاً لها زادنا الله رفعة، ووقفتنا في حياتنا العلمية والعملية، كما جرّبنا ذلك تكراراً ومراراً، وما أكثر أولئك الذين فشلوا في حياتهم لا سيّما مع أبناءهم لسوء معاملتهم مع آباءهم، فإنّ الدنيا دار المكافاة، فتدان كما تدين،

وبالعكس. فلا تغفل وليكن ديدنك مع الوالدين القول الكريم والمعاشرة الكريمة، وقبولها بكرامة، وإطاعتها في كل شيء، حتى ولو قالاً للأبيض أسوداً أو بالعكس، ما دام لم يصل إلى حدّ الشرك، فإنه إن جاهدك على أن تشرك بالله فلا تطعها، ومفهومه عليك بإطاعتها مطلقاً إلا الشرك، فتدبر.

وأما أهلك وأقرباءك وأحبّاءك وعشيرتك التي ورد في نهج أمير المؤمنين عليه السلام إنهم بمنزلة جناحيك التي تطير بهما، فعليك أن تبرّهم، وتؤدّي حقوقهم وتواسيهم وتصلهم، حتى لو آذوك وقطعوك وحرموك، فكن في حياتك كالنخلة، كلما ضربها الأطفال بالحجارة أقت عليهم رطباً شهيماً حلواً، والإنسان أعظم المخلوقات وأشرفها فهو أكرم من النخلة، فما من أحدٍ آذاك إلا وأحسنت إليه وألقيت عليه من رطبك الشهيّ وكلما تك الحلوة وأخلاقك الحسنة، فلا ترفض الأقرباء والأهل إلا فيما أمرك الله بذلك، وذلك في موارد خاصّة، كما لو كان الإنسان القاطع في مقام إصلاحهم وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة، وإلا فلا يحقّ لك الرفض حتى ولو يصل أذاهم إليك.

وجاء في الحديث الشريف: جاء رجل إلى رسول الله وقال: إن لي أهلاً قد كنت أصلهم وهم يؤذوني، وقد أردت رفضهم. فقال له رسول الله: إذن يرفضكم الله جميعاً! فقال: فكيف أصنع؟ فقال له رسول الله: «تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، فإذا فعلت ذلك كان الله لك ظهيراً».

وأما الآيات والروايات في صلة الرحم فإنها كثيرة جداً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سرّه أن يمّد الله في عمره، ويبسط في رزقه، فليصل رحمه، فإنّ الرحم تقول: يا ربّي، صل من وصلني واقطع من قطعني، والرجل يرى بسبيل خير إذا أتته الرحم التي قطعها فتتهوي به إلى أسفل قعر في النار».

فعلى كلّ واحد أن يصل أرحامه بالصدّاقة ومراعاة حقوق الأخوة والرحم بإيصال المعروف إليهم، ولا يصحّ أن تكون علاقة الإنسان بالناس جيّدة، ولكن مع أهله سيئة، قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لولده الحسن عليه السلام : « لا يكوننّ أهلك أشقى الخلق بك»، وقال رسول الرحمة محمد صلى الله عليه وآله : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»، وقال الأمير عليه السلام : «الاستهتار بالنساء حمق»، وقال : « الزوجة الصالحة أحد الكسبين»، ومن سعادة المرء الزوجة الصالحة المطيعة إذا نظر إليها سرّته لأمانتها وأخلاقها وتديبها الحسن، وقال الرسول الأكرم : « ما زال جبرئيل يوصيني بالنساء حتّى ظننت أنّه سيحرّم طلاقهنّ»، وفي آخر : « ما أظنّ رجلاً يزداد في الإيمان خيراً إلّا ازداد حبّاً للنساء»، و «كلّ من اشتدّ لنا حبّاً اشتدّ للنساء حبّاً»، و «كلّما ازداد المرء إيماناً ازداد حبّاً للنساء»، و «المرأة ريحانة وليست قهرمانة»، فإتّها وردة الحياة وزهرتها وريحانتها، مرهفة الأحاسيس والعواطف كالقوارير والزجاج البلّورن سرعان ما تنكسر وتجرح الأيدي لو لم نراع حقوقها ومشاعرها وخصائصها.

وأما الحديث عن الزوجة وتربية الأولاد فهو من الأحاديث التي يصعب الإلمام به ولو في مصنّفات قطورة، ولكن إنّما نذكر كجرعة من ذلك البحر الموّاج، وكخطوة أولى لمن أراد أن يسير ألف ميل، فالزوجة إنّما هي شريكة الحياة وزميلة الرجل في العيش، كلّ واحد يكمل الآخر، وخير صاحب في الدنيا لو كانت تفهم وتدرك زوجها، كما يدركها الزوج، ولو قدّم للجائع الأكل في مزبلة فإنّه لا يطيقه، ويفضّل الجوع على الأكل، لأنّه لا ينسجم مع روحه، وإن كان بدنه يشتاقي إلى الطعام، فالإنسان مركّب من روح وجسد، وآداب الروح أقوى من الجسد، فالرجل يبحث عن الجنس، ولكن لا بأيّ شكل من الأشكال، بل يبغى الجنس

الذي يتلائم مع روحه، كما يشبع شبقه الجنسي، فهو يريد أن يشبع رغباته المادية والمعنوية ضمن الإطار الإنساني، وكذلك المرأة من دون تفاوت في هذا المضمار أصلاً، وهذه من سنن الحياة، من تلك السنن الإلهية التي لن تجد لسنة الله تحويلاً ولا تبديلاً، هكذا خلق الله الذكور والإناث، فعلى كل واحد أن يساهم في عقد المودة والصداقة ويكون الاحترام المتبادل بينهما، قال رسول الله ﷺ: «لو كان السجود لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»، وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ﴾ (١)، فما أسعد الحياة لو كان يسودها الرحمة والعطف والحنان، والزوجة الناجحة هي التي تقدر منجزات زوجها ضمن الإطار الشرعي، وكذلك الزوج، وعليه أن يمنح التقدير المخلص لها، وأن تتق بنفسها، ويشكر خدماتها، ولا يستعمل الزوج الغلظة والفضاضة والغضاضة، بل يستعين بالكياسة واللين وحسن الكلام ومراعاة الآداب والرفق، فلا نجرح مشاعرها بكلمات جارحة، ولا نقاطعها في الحديث، ونعطي لها تمام شخصيتها، ونحترم كيانها، وكل واحد يسعد بالآخر، وما أروع ما قاله أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ولا يكوننَّ أهلك أشقى الخلق بك»، فكيف يكون العطف والرفق للغريب، ولا يكون للغريب؟! وعلينا أن نخلع همونا وأحزاننا التي نبتلي بها خارج الدار عند دخولها، كما نخلع أحذيتنا عند عتبة الدار، فلا تؤذي الأسرة بمساكلنا الخارجية، ثم لو أثنينا ومدحنا أزواجنا على الخيرات والأعمال الصالحة فإن ذلك يكون دافعاً قوياً للإلتزام بها، ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالته الحقوق: «وأما حقّ زوجتك فأنت تعلم أن الله عزّ وجلّ جعلها لك سكناً وأنساً»،

فهي نعمة عظيمة من نعم الله الجسام، فواجبك أن تشكر هذه النعمة بالقول والعمل، وإن شكرتم لأزيدنكم بحياة سعيدة وهانئة، وعيشة راضية مرضية، «وإن كان حقك عليها أوجب»، كما قاله الإمام السجّاد عليه السلام، ثم قال: «إنّ عليك أن ترحمها لأنّها أسيرتك، ولا بدّ أن تطعمها وتكسوها وإذا جهلت عفوت عنها»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اتقوا الله في النساء، فإنّهن عوان (أي أسيرات) بين أيديكم، أخذتموهنّ على أمانات الله لما استحللتم من فروجهنّ بكلمة الله وكتابه، فإنّ لهنّ عليكم حقاً واجباً، كما استحللتم من أجسامهنّ، وبما واصلتم من أبدانهنّ، ويحملن أولادكم في أحشائهنّ، فأشفقوا عليهنّ وطيبوا قلوبهنّ»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا غنىّ لزوج عن ثلاثة فيما بينه وبين زوجته: الأوّل: الموافقة، الثاني: حسن الخلق معها واستمالة قلبها بالهيئة الحسنة، الثالث: توسعته عليها»، وهذا ممّا يزيد في الرزق كما ورد في الأخبار الشريفة، وأمّا حقّ الزوج فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيّما امرأة لم ترفق بزوجها، وحملته على ما لا يقدر عليه وما لا يطيق لم تقبل منها حسنة، وتلقى الله وهو عليها غضبان»، فلا بدّ من الانسجام الكامل بين الزوجين كلّ واحد يراعي حقوقه تجاه الآخر، ويعمل بحسب الموازين الشرعية والإنسانية، والظروف الزمانية والمكانية، والعامل تكفيه الإشارة، فدع زوجتك تنطلق على سجيّتها لتشعر بالسعادة، ما دام لم تخالف الشرع المقدّس، ودعي زوجك ينطلق على سجيّته، فإنّ لكلّ واحد أسبابه الخاصّة للشعور بالسعادة، فلا نحاول أن نكون عقبة كؤودة في طريق الآخرين، ودع التوافه فإنّها تجدها في قرارة كلّ شقاء زوجي كما قيل، وإيّاك والنكد فإنّه يؤدّي إلى الشعور بالشقاء، فدع القلق وابدأ الحياة وعش سعيداً رغيداً نشيطاً، واعلم أنّ الإسلام دين الله القويم قد اهتمّ وبكلّ تأكيد بالنوعيّة والكيفيّة، وبالزمان والمكان، وبالأمر المرتبطة بالعلاقات الزوجية العامّة والخاصّة، بما فيها أمور

الجنس وقضايا التمتع بين الزوجين، ولقد أثبتت التجارب أن كثيراً من أسباب هدم صرح البيت والعشّ الذهبي الزوجي، إنما هو نتيجة جهل الزوجين، فعليهما يبذل الجهد والسعي لتكاملهما بالعلم والعمل الصالح.

ثم قال رسول الله ﷺ: «أعظم الناس حقاً على المرأة زوجها، وأعظم الناس حقاً على الرجل أمه»، وقال الإمام الباقر عليه السلام: «لا شفيع للمرأة أنجح عند ربها من رضا زوجها، ولما ماتت فاطمة عليها السلام قام عليها أمير المؤمنين عليه السلام وقال: اللهم إني راضٍ عن ابنة نبيك، اللهم إنهما قد أوحست فأنسها»، وفي الحديث النبوي الشريف: «ويلٌ لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال، وهن: صيانة نفسها عن كل دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلة تكون منها، وإظهار العشق له بالخلافة والهيئة الحسنة لها في عينه»، وأما حق الزوجة فقد قال رسول الله: «حقّ المرأة على زوجها يسدّ جوعتها وأن يستر عورتها ولا يقبّح لها وجهاً»، وقال الإمام الحسين عليه السلام: «وأما حقّ الزوجة فأن تعلم أن الله عزّ وجلّ جعلها لك سكناً وأنساً، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها وإن كان حقك عليها أوجب، فإن لها عليك أن ترحمها».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خلال يتكلفها وإن لم يكن في طبعه ذلك: معاشرة جميلة، وسعة بتقدير، وغيره بتحصن»، وقال نبي الرحمة محمد ﷺ: «قول الرجل للمرأة إني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً»، ما أروع هذا الأسلوب في التعامل الزوجي، فإنه انطلاقاً من كلمة الحب، يكفيك أن تملك مشاعر زوجتك إلى آخر الحياة لو قلت لها بإخلاص وصدق: (إني أحبك)، فإنها أجمل كلمة عند المرأة، كما إن أمر كلمة وأشق كلمة

(كلمة الطلاق) (أطلقك)، فإنّ الدنيا تسودّ في عينيها، إسألوا نساءكم في حقيقة هاتين الكلمتين: كلمة الحبّ والوفاق، وكلمة البغض والفرّاق...

وعن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ما حقّ المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال: يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها».

ولا بدّ من الخدمة المتبادلة بين الزوجين، سألت أمّ سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله عن فضل النساء في خدمة أزواجهنّ، فقال: أيّما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلاّ نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبّه»، وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «جهد المرأة حسن التبعل»، وقال عليه السلام: «ما من امرأة تسقى زوجها شربة من ماء إلاّ كان خيراً لها من عبادة سنة»، وقال رسول الله: «إذا سقى الرجل امرأته أجر»، وقال: «لا يخدم العيال إلاّ صديق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة»، «أتقوا الله في الضعيفين: اليتيم والمرأة، فإنّ خياركم خياركم لأهلهم»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من حسن برّه بأهله زاد الله في عمره»، وقال رسول الله: «جلوس المرء عند عياله أحبّ إلى الله تعالى من اعتكافه في مسجدي هذا»، و«إنّ الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى فم امرأته»، وهناك كثير من الروايات تبين ثواب وأجر الخدمة، وإذا كان للخدمة مثل هذا الثواب والآثار الأخروية، فما ظنّك بالآثار الوضعيّة في الدنيا، فما أسعد الزوجين اللذين يلتم أحدهما الآخر لقمة الحبّ والمودّة، وما أسعد الأولاد الذين يعيشون في مثل هذه الأجواء التي تسودها الصفاء والصدّاقة والحنان والشفقة.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتغمّه، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه، وتطيعه في جميع أحواله»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها، ولا سنة من عملها حتّى تعينه وترضيه، وإن صامت الدهر، وعلى الرجل مثل ذلك الوزر إذا كان لها

مؤذياً ظالماً»، «ألا وإن الله ورسوله بريئان ممن أضربَ بامرأة حتى تختلع منه»، وقال عليه السلام: «إني أعجب ممن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها».

هذا تفريع من الإمام المعصوم عليه السلام لأولئك الرجال الذين يرون رجولتهم إنما تتكامل لا سيما أمام النساء والضعيفات، ولا سيما زوجته الأسيرة بين يديه، إنما تتجلى بالخشونة والضرب والإهانة والغلظة، فكلما ضرب زوجته يحس باللذة، ويتصور أنه الرجل حقاً، وأنه أدرك حقيقة الرجولة، ووصل إلى قمة الكمال والسعادة.

مسكين مثل هذا الرجل الغافل الشقي، فإنه أولى بالضرب من زوجته، فهو الذي يستحق التربية الإنسانية، لأنه يعيش في نطاق حيواني، وتغلّبت عليه القوة السبعية والكلبية، فهو أولى بها من التربية. فندبر ثم عليك بالصبر عند سوء خلق الزوجة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه أعطاه الله بكل مرة يصبر عليها من الثواب ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه، وكان عليها من الوزر في كل يوم وليلة مثل رمل عالج، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه مثل ثواب آسية بنت مزاحم».

وما أجمل الحياة وأسعد الرجل لو كانت شريكة حياته زوجة صالحة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة»، «خير متاع الدنيا المرأة الصالحة»، «من سعادة المراء الزوجة الصالحة»، «الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة»، وقال الإمام الباقر عليه السلام: «ما أفاد عبد فائدة خيراً من زوجة صالحة، إذا رآها سرته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله»، «شر الأشياء المرأة السوء»، «أغلب الأعداء للمؤمن زوجة السوء»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله: أعوذ بك من امرأة

تَشْيَبِيّ قَبْلَ مَشْيَبِيّ»، وَفِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: حَسَنَةُ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ: الْمَرْأَةُ السَّيِّئَةُ الْخَلْقِ.

ثُمَّ عَلَى الزَّوْجِ أَنْ يَفِيضَ الْخَيْرَ وَالْإِحْسَانَ عَلَى أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، وَيَكُونُ مَظْهَرًا تَامًّا لِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ رَبَّ الْبَيْتِ وَالْأُسْرَةَ، فَلَا يَدُّ أَنْ تَظْهَرَ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّ فِي مَقَامِ تَرْبِيَةِ الْأُسْرَةِ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَلْفٌ وَوَاحِدٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ، فَالَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْغَضَبِ كَالْقَهَّارِ وَالْمُنْتَقِمِ تَعَدُّ بِالْأَصَابِعِ، وَأَمَّا بَاقِي أَسْمَاءِهِ الْكَرِيمَةِ كَالْمَجُودِ وَالْوَدُودِ وَالشَّفِيقِ وَالرَّحِيمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ وَالْعَلِيمِ وَاللَّطِيفِ وَالرَّحْمَنَ وَالنَّقَّارَ وَالسَّتَّارَ وَغَيْرَهَا كَمَا فِي (دَعَاءِ جَوْشَنِ) فَاتَمَّتْ تَدَلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، فَمَا مِنْ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبِهِ، وَخَيْرُهُ إِلَيْنَا نَازِلٌ وَشَرُّنَا إِلَيْهِ صَاعِدٌ، وَلَا يَدُّ لِرَبِّ الْأُسْرَةِ أَنْ يَتَّصِفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِ الرَّبَّانِيَّةِ (تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ)، فَلَا يَدُّ مِنَ التَّفْضِيلِ وَالْإِسْبَاحِ وَالتَّكْرَمِ عَلَى الْأُسْرَةِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: «إِنَّ أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَسْبَغَكُمْ عَلَى عِيَالِهِ»، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْخُذُ بِأَدَبِ اللَّهِ إِذَا أَوْسَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ اتَّسَعَ، وَإِذَا أَمْسَكَ عَنْهُ أَمْسَكَ»، وَ«مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَاشْتَرَى تَحْفَةً فَحَمَلَهَا إِلَى عِيَالِهِ، كَانَ كَحَامِلِ صَدَقَةٍ إِلَى قَوْمٍ مَحَاوِيحٍ، وَلْيَبْدَأْ بِالْإِنَاثِ قَبْلَ الذَّكَورِ»، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ يِرَاعِي الْعَوَاطِفَ وَالْأَحَاسِيْسَ، ثُمَّ يَسْتَعِينُ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام: «اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى تَرْبِيَةِ أَوْلَادِي»، فَإِنَّ التَّرْبِيَةَ مِنَ الصَّعْبِ الْمُسْتَعْصَبِ، لَهَا آدَابُهَا وَحُدُودُهَا وَمَعَالِمُهَا الْخَاصَّةُ، طَرُقَ أَبْوَابُهَا لَا يَسْعَهَا مِثْلُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْمَوْجِزَةِ، إِنَّمَا نَرْجِعُ الْقُرَّاءَ الْكِرَامَ إِلَى عُلَمَاءِ الْأَخْلَاقِ وَالنَّفْسِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، وَمُصَنِّفَاتِهِمُ الْقِيَمَةَ، وَمُؤَلِّفَاتِهِمُ الثَّمِينَةَ.

وَمَا تَوْفِيقُنَا إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

المحتويات

٣	١ - الإهداء
٥	٢ - تمهيد
٩	٣ - المقدمة
	٤ - الفصل الأول :
٢٤	نماذج ممن تضرّ معاشرتهم
	٥ - الفصل الثاني :
٣٣	كيفية كسب الأصدقاء ومودّتهم
	٦ - الفصل الثالث :
٤٥	أفضل صاحب وأكمل صديق
	٧ - الفصل الرابع :
٥٥	أجواء الصداقة وأرضيّتها
	٨ - الفصل الخامس :
٦٩	من آداب الصداقة
	٩ - الفصل السادس :
٨٣	المؤثّرات في عالم الصداقة
	١٠ - الخاتمة
٩٥	حقوق الأسرة والأقرباء
١٠٧	١١ - المحتويات

موسوعة رسالت إسلامية

مائة وأربعون كتاباً ورسالة في مائة مجلد

طبع من الموسوعة الكبرى :

المجلد الأول - عقائد ، ١ ، ١ - دروس اليقين في معرفة أصول الدين .

المجلد الثاني - فقه استدلالى ، ١ ، ١ - زبدة الأفكار في طهارة أو نجاسة الكفار . ٢ - التقية في رحاب العلمين . ٣ - التقية بين الأعلام .

المجلد الثالث - أخلاق ، ١ ، ١ - طالب العلم والسيرة الأخلاقية . ٢ - خصائص القائد الإسلامى فى القرآن الكريم . ٣ - أخلاق الطبيب فى الإسلام . ٤ - دور الأخلاق المحمدية فى تحكيم مباني الوحدة الإسلامية . ٥ - رسالتنا .

المجلد الرابع - أخلاق ، ٢ ، ٢ - التوبة والتائبون على ضوء القرآن والعتره .

المجلد الخامس - ولايات ، ١ ، ١ - هذه هي الولاية . ٢ - جلوة من ولاية أهل البيت عليهم السلام .

المجلد السادس - ولايات ، ١ ، ٢ - وميض من قبسات الحق . ٢ - الدر الثمين . ٣ - علي المرتضى نقطة باء البسملة . ٤ - فاطمة الزهراء ليلة القدر . ٥ - الدررة البهية فى الأسرار الفاطمية . ٦ - الإمام الحسين فى عرش الله . ٧ - زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ .

المجلد السابع - ولايات ، ١ ، ٣ - السيرة النبوية فى السطور العلوية . ٢ - الأنوار القدسية . ٣ - أهل البيت سفينة النجاة . ٤ - آثار الصلوات فى رحاب الروايات . ٥ - الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر فى نظرة جديدة . ٦ - الأنفاس القدسية فى أسرار الزيارة الرضوية . ٧ - السر فى آية الاعتصام .

المجلد الثامن - فقه استدلالى ، ٢ ، ٢ - القصاص على ضوء القرآن والسنة / المجلد الأول .

المجلد التاسع - فقه استدلالى ، ٣ ، ٣ - القصاص على ضوء القرآن والسنة / المجلد الثاني .

المجلد العاشر - فقه استدلالى ، ٤ ، ٤ - القصاص على ضوء القرآن والسنة / المجلد الثالث .

المجلد الحادى عشر - عرفان - أخلاق ، ١ ، ٢ - من وحي التربية والتعليم . ٢ - حب الله نماذج وصور . ٣ - الذكر الإلهي فى المفهوم الإسلامى . ٤ - السؤال والذكر فى رحاب القرآن والعتره . ٥ - شهر رمضان ربيع القرآن . ٦ - النبوغ وسر النجاح فى الحياة . ٧ - كيف أكون موقفاً فى الحياة . ٨ - معالم الصديق والصداقة فى رحاب الروايات .

المجلد الثاني عشر - تراجم ، ١ ، ١ - التفحات القدسية فى تراجم أعلام الكاظمية . ٢ - بيوتات الكاظمية المقدسة .

إعلان علني :

جمعية السؤال والجواب

من أجل إنارة الفكر وزيادة المعلومات العامة وتصيد ثقافة الشباب وجميع الناس

تعلن

الموسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

عن إجابتها عن كل سؤال يرد إليها في شتى العلوم والفنون من المعارف الإسلامية والمذهبية كالتفسير وعلوم القرآن والفلسفة والمنطق والطب والهندسة والجبر والفيزياء والكيمياء والتاريخ والجغرافية واللغة والأدب والأخلاق والسياسة وغير ذلك .

مع مراعاة الشرائط التالية :

١ - الاسم الثلاثي واسم العائلة .

٢ - ميزان الدراسة المدرسية ونوع المهنة والحرفة .

٣ - العمر .

٤ - الخطّ الواضح مع العنوان الكامل .

يرسل بهذا العنوان :

إيران - قم - الموسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد - ص . ب ٣٦٣٤ - جمعية السؤال والجواب .

ويرسل إليكم الجواب ، وفي المستقبل نأمل أن نجمع الأسئلة والأجوبة وتطبع في

كتب لتنفع عامة الناس ، ودمتم بخير وعافية .



«مؤسسة اسلامی تبلیغ وارشاد - ایران»

قم ص پ ۳۶۳۴

The Public Islamic Institution

Propagation and Guidance ,

p . O . Box : 3634 , Ghom - Iran